أدهم شرقاوي

" قس بن ساعدة "





- وَتِلْكَ الأيام
- أدهم شرقاوي
- دار كلمات للنشر والتوزيع
- الطبعة الأولى ٢٠٢٠

دولة الكويت / محافظة العاصمة

تلفون : ٠٠٩٦٥٩٩١١٩٩٣٤

تويتر : @Dar_kalemat

إنستجرام : Dar_kalemat

بريد إلكتروني :

Dar_Kalemat@hotmail.com

info@darkalemat.com

الموقع الإلكتروني :

http://www.darkalemat.com

وَتِلْكَ الأيام

أدهم شرقاوي
(قسّ بن ساعدة)

٢٠٢٠



الإهداء

﴿وتِلْكَ الأيَّامُ نُداولها بين النَّاس﴾
من كان يتخيَّلُ أنَّ فرعون الذي كان يقول : ﴿أنا ربُّكم الأعلى﴾ سيغرقُ على مرآىً من الطفل الذي بكى يوماً في قصره يريدُ أن يرضع!
وأنَّ النمرود الذي كان يقول : «أنا أُحيي وأُميتُ» ستقتله بعد هذا التجبر بعوضة!
من كان يتخيَّلُ أن يوسف عليه السلام الذي أُلقيَ في الـجُبِّ ثم في السجن سينتهي به الـمطاف على كرسي الـمُلك!
وأن رسول الله ﷺ الذي خرج من مكة خلسةً تحت جنح الظلام رفقة أبي بكر سيعود إلى مكة فاتحاً في وضح النهار ويدخلها من أبوابها الأربعة!
من كان يتخيَّلُ أنَّ بلال بن رباح سيقتل سيده القديم أُمية بن خلف الذي اشتراه بدراهم معدودة وباعه بدراهم معدودة وبينهما أذاقه أصناف العذاب!
وأنّ عبد الله بن مسعود النحيل الفقير سيعلو صدر أبي جهل مسدلاً ستار حياة مليئة بالكفر والطغيان!
من كان يتخيَّلُ أن تشاوشيسكو حاكم رومانيا الـمستبد سيُسحل في الشوارع!
وأنّ موسليني دكتاتور إيطاليا سيتدلى من حبل مشنقة!
هذا الكتاب مُهدى للذين يُؤمنون أنَّ الأيام جُندٌ من جندِ الله ، يرفعُ بها أقواماً ويحطُّ بها آخرين!
الذين يُؤمنون أن الـحياة دوماً تتجدد ، وأنّ الـحقَّ سينتصرُ نهاية الـمطاف وأنَّ التاريخ ليس مادة قصصية تُروى وإنما هي دروسٌ خصبة للعِظة والاعتبار . الذين يُؤمنون أن الـحكمة ضالة الـمؤمن ، حيثما وجَدها فهو أولى الناس بها!

مُقدمة

الـمُقدمات لا يقرأها أحد
اِقْلِب الصَّفحة!

دليل استخدام

تواريخ الأحداث الواردة في هذا الكتاب تنقسمُ إلى قسمين :

١ . التواريخ التي في أصلها ميلادي ، وهذه يمكن القول أنها على درجة عالية من الدقة ، ولكن ككل عمل بشري فإن الخطأ وارد!

٢ . التواريخ التي في أصلها هجري ، فقد تم تحويلها إلى الميلادي باستخدام برنامج تحويل التواريخ الهجرية إلى ميلادية ، لهذا يمكن القول أن السنة والشهر على درجة عالية من الدقة ، أما اليوم فلا يمكن الجزم به!

ولمّا لم تكن الفكرة من الكتاب أن يكون رزنامة ، فإن وقوع الحدث أهم من وقت وقوعه ، فأنتَ لن تستفيد شيئاً من معرفة يوم ميلاد ابن القيم ، ولكنك ستستفيد من أقواله ومؤلفاته! ولن يضركَ إن جهلتَ في أي يوم أحرقَ نيرون روما ، المهم أن تعرف لمَ وكيف أحرقها! إن تاريخ إلقاء القنبلة النووية على ناكازاكي لن يفيدك إلا إذا اشتركتَ في مسابقة من سيربح المليون ، ولكن الحدث يجب أن لا يفوتك ، ولهذا كان الكتاب!

١ يناير / كانون الثاني

في مثل هذا اليوم من العام ١٨٢٥م تربَّع «نيكولاي الأول» على عرش روسيا ، ولم يكد يهنأ بالجلوس على العرش حتى اندلعتْ في البلاد ثورة تُطالب بثورة صناعية وطُرُق مواصلات حديثة وظروف معيشية أفضل!

لكن القيصر الجديد سفكَ دماً كثيراً وأخمد هذه الثورة ، وألقى القبض على كثير من قادتها كان أبرزهم «كوندارتي ريلييف» الذي حُكِم عليه بالإعدام شنقاً!

وفي يوم تنفيذ الحكم ، وقف «كوندارتي» على كرسي ولُفَّ الحبل حول عنقه ، وقام الجندي بركل الكرسي برجله ليتم شنق «كوندارتي» ولكن المفاجأة كانتْ أن الحبل قد انقطع ، وفشلتْ عملية الإعدام!

عندها وقف «كوندارتي» وقال بصوت تملأه الثقة : أرأيتم كيف أنه لا يُمكن صناعة شيء جيد في روسيا حتى الحبال تتقطع!

كان انقطاع حبل الإعدام في العالم كله وليس في روسيا فقط نذير شؤم على السلطة ، وطاقة فرج فُتِحت للمحكوم عليه بالإعدام ، إذ كان هذا يُعتبر مؤشراً على براءة المُتهم ، وغالباً كان يتم العفو عنه!

وبالفعل عندما تبلَّغ القيصر «نيكولاي الأول» بخبر الإعدام الفاشل انزعج كثيراً ، وعلا صراخه ، ودخل إلى مكتبه ، وكتب صكّ عفو عن «كوندارتي» ، ولكنه قبل أن يُناوله لُمساعديه سألهم : هل قال «كوندارتي» شيئاً بعد انقطاع الحبل؟

فقالوا له : نعم ، لقد قال أرأيتم كيف أنه لا يُمكن صناعة شيء جيد في روسيا حتى الحبال تتقطع!

عندها قام بتمزيق العفو الذي كتبه ، وقال لُمساعديه : علينا إذاً أن نُثبت العكس!

وفي صبيحة اليوم التالي ، تمَّ إعدام «كوندارتي» دون أن ينقطع الحبل!

الفكرة من هذا كله ، أنه على المرء أحياناً أن يُبقي فمه مغلقاً ، ليستْ كل المواقف تصلح للخطابات!

٢ يناير / كانون الثاني

في مثل هذا اليوم من العام ١٩٤٧م بدأ المهاتما غاندي مسيرة من أجل السلام في الهند بعد أن ظهرت بوادر حرب أهلية بين المسلمين والهندوس في ظل الاستعمار البريطاني للهند!

لم يكن الأمر يحتاج إلى ذكاء كبير لمعرفة من المسؤول عن تأجيج الصراعات والحقد والطائفية بين الهنود ، طبعاً كان الاستعمار وراء كل هذا ، وكان غاندي يُلخص ما يجري في الهند بقوله : كلما اتحد شعب الهند ضد الاستعمار الإنكليزي ، يتم ذبح بقرة ورميها بالطريق بين الهندوس والمسلمين كي ينشغلوا بالصراع الطائفي ويتركوا الاستعمار يلهو ويعبث بخيرات الهنود!

كان ذبح بقرة ورميها في الطريق كفيلاً ليجعل الهندوسي يرغب بقتل شريكه المسلم في الوطن ، تماماً كما كان إلقاء كيس قمامة في محراب مسجد كفيلاً بجعل المسلم يرغب بقتل شريكه الهندوسي في الوطن! على أن الاستعمار هو من كان يذبح البقرة ويرمي كيس القمامة!

سلاح الاستعمار الآخر كان إفشاء الجهل ، قصة واحدة أعتقد أنها تكفي لإيضاح هذه الفكرة!

كان السفير البريطاني برفقة القنصل البريطاني في سيارتهما في نيودلهي عندما شاهدا شاباً جامعياً هندوسياً يركل بقرة! أمر السفير السائق أن يتوقف بسرعة ، ونزل من السيارة ، ودفع الشاب عن البقرة ، وأخذ يمسح وجهه بها ويطلب منها الصفح والمغفرة ، ووسط دهشة المارين اغتسل السفير ببولها وسجد لها ، فسجد معه الناس ، وقاموا إلى الشاب وأوسعوه ضرباً! وعندما عاد السفير إلى السيارة سأله القنصل : سعادة السفير هل تعبد البقر حقاً ، إني لا أصدق ما ترى عيناي؟!

فقال له السفير والبول يقطر من شعره : ركلة الشاب للبقرة صحوة ، وهدم لعقيدة الهنود التي نريدها ، لو سمحنا لهم بركل البقر لن يتأخر الوقت قبل أن يركلوننا ، الجهل يا عزيزي القنصل هو أمضى أسلحتنا ، على هذا الشعب أن يبقى جاهلاً!

٣ يناير/ كانون الثاني

في مثل هذا اليوم من العام ١٠٦ قبل الميلاد وُلد «شيشرون» خطيب روما المُفوَّه ، كان فصيحاً ، وله قدرة رهيبة على الإقناع ، ويمكن القول أنه النسخة الرومانية لقس بن ساعدة الإيادي خطيب العرب الشهير! فعندما يكون في وفاق مع السلطة يجمع الناس حولها ، وعندما يعاديها يصنع لها عدداً مهولاً من الأعداء ، وإن أول مسمار في نعش يوليوس قيصر كان شيشرون هو من دقه بخطبه الداعية إلى الثورة على الإمبراطور المستبد!

كان شيشرون متعدد المواهب ، لم يكن خطيباً فحسب ، كان حقوقياً فذاً ، وعلى يديه تتلمذ عدد كبير من محامي روما وقتذاك ، وظل فكره السياسي والحقوقي مرجعاً لأوروبا حتى القرن التاسع عشر! وهو أول من قال أن الدولة هي هيئة اعتبارية يملكها الناس الذين يعيشون في كنفها وليست هي التي تملكهم!

كان في أفكاره ينزع إلى المثالية ، وقد أُعجب كثيراً بكتاب الجمهورية لأفلاطون ، فقد كان يولي القيم والأخلاق أهمية كبيرة للفرد والجماعة والدولة ، ولكنه على عكس أفلاطون كان يرى أن القيم والأخلاق لا بدَّ لها من سلطة تحمل الناس على تطبيقها فالانضباط الذاتي وإن كان هو الغاية المثلى للإنسان إلا أن الناس يهابون القانون أكثر مما يحترمونه!

لم يتأثر شيشرون بأفلاطون فقط ، كان معجباً بأرسطو أيضاً ، وفي كتابه «هورتا نسيون» أشاد برأي أرسطو الذي اعتبر أن الإنسان كائن اجتماعي بطبعه ، وأن المجتمعات البشرية إنما تنشأ من غريزة الإنسان الجماعية وليس من شعور الإنسان بالنقص إذا عاش وحده كما كان يرى أفلاطون!

وكان لشيشرون آراء في الاقتصاد أيضاً ، فقد اعتبر أن الزراعة مهنة مقدسة ، لأنها تحمي الأمة من الخضوع للآخرين بسبب الحاجة! كذلك اعتبر أن الربا نظام ظالم ، يساهم في إرساء الطبقية في المجتمع ، ويؤسس للحقد بين الناس!

ترك شيشرون أقوالاً خالدة هذه بعضها :

- في الحرب تصمت القوانين .
- البعض يفتش عن أخطاء الآخرين كما لو كان يبحث عن كنز .

– نحن نمر بأوقات سيئة ، فالأطفال لم يعودوا يطيعون آباءهم ، والـجميع يقومون بتأليف الكتب .

– ليس من الضروري أن تطفئ ضوء سواك ، ليتوهج ضوؤك .

– لا يمكن لأحد أن يعطيك نصيحة حكيمة أكثر من نفسك .

– بيت بلا كتب جسد بلا روح .

٤ يناير / كانون الثاني

في مثل هذا اليوم من العام ١٩٦٠م توفي ألبير كامو، وإن كان يمكن تلخيص فلسفة كامو ومعتقداته بكلمة واحدة فستكون: «العبثية»!

كان ألبير كامو يؤمن أن محاولات الإنسان لفهم معنى الوجود دائماً ما تنتهي بالفشل، فالوجود عنده -كما هي الحال عند أتباع الفلسفة العبثية- شيء غامض يستحيل إدراك الغاية منه، ولشرح وجهة نظره هذه ألَّف كتابه «أسطورة سيزيف»، وسيزيف هو فتى إغريقي حكمته الآلهة بالصعود إلى الجبل ليحرس صخرة، لا أحد يعرف ما الحكمة في أن يحرس الفتى صخرة في جبل! ولكن الفتى عندما وصل إلى الصخرة المنشودة تدحرجت إلى بطن الوادي، وكان على الفتى أن يعيدها إلى مكانها، وبعد جهد جهيد نجح في ذلك، ولكن الصخرة تدحرجتْ مجدداً، فأخذ يعيد الكرَّة وهكذا إلى الأبد!

هذه هي الحياة من وجهة نظر ألبير كامو، شقاء أبدي غير مبرر، لهذا كان يقول: أنا لا أبغض العالم الذي أعيش فيه ولكني متضامن مع كل الذين يتعذبون فيه!

هناك حقيقة مُرة لا بد من قولها، وهي أن الفلسفة العبثية تقود غالباً إلى الإلحاد، وإلى الإلحاد وصل ألبير كامو! فقد كان يقول: الإيمان بالله ليس شيئاً عبثياً ولكنه انتحار فكري!

فاز ألبير كامو بجائزة نوبل للأدب عام ١٩٥٧م، وكان ينظر بعين الإجلال إلى الأدب الروائي أكثر من غيره من الأنواع الأدبية، وكان يقول: ليست الرواية سوى فلسفة تم تصويرها!

وإن كان من رواية تشرح فلسفة كامو غير أسطورة سيزيف فهي روايته «الغريب»! لقد اختار شخصية الرواية الرئيسة شاباً اسمه «مارسو»، كان مارسو بارداً جداً، منزوع العواطف لا شيء يهزه أو يحرك مشاعره، فكل ما يحدث حوله مجرد عبث، يحدث هكذا بلا غاية ولا سبب ولكنه يحدث، لهذا حتى عندما وصل إلى مارسو خبر وفاة أمه لم يذرف دمعة واحدة ولم يحزن، وإنما قال: ربما كانت ميتة من قبل وهي على قيد الحياة، كلنا أخيراً سنموت لسبب لا يعرفه أحد!

كان ألبير كامو معجباً بنيتشه ، وفلسفته القائمة على القوة ، وكان يرى أن الضعيف لا يحترمه أحد ولو كان على صواب ، وأن الآراء التي لا تملك بندقية يزدريها الناس ويحتقرونها ، لهذا كان يقول : كي تصنع ثقافة لا يكفي أن تضرب على أطراف الأصابع بالمسطرة!

٥ يناير / كانون الثاني

في مثل هذا اليوم من العام ١٩٩٦م خسرتْ فلسطين أحد أجمل أبنائها ، واستراحتْ «إسرائيل» من أحد أشرس أعدائها ، إنه يحيى عياش ، المهندس كما كان يسميه رفاقه ، والمطلوب رقم واحد كما كان يسميه أعداؤه!

اغتاله جهاز الاستخبارات الإسرائيلي الموساد بعبوة مزروعة في هاتف نقّال . . . عمّتْ الأفراح يومها في تل أبيب ، أما فلسطين فقد بكته عن آخرها ، فالرجل الذي أرعب إسرائيل كما لم تفعل جيوش بعددها وعدتها وعتادها قد سقط أخيراً ، ولكن سرعان ما تبين أن يحيى عياش لم يكن شخصاً ، لقد كان فكرة ، والفكرة لا تموت! شيء من المهندس ما زال موجوداً وشيء منه سيبقى إلى الأبد ، هذه الأرض لا تنسى أبطالها!

كان عياش هادئاً ، وسيماً ، حافظاً للقرآن ، متفوقاً في دراسته ، لا شيء فيه يشبه الأبطال الذين نقرأ عنهم في الروايات ربما لأنه كان بطلاً حقيقياً ، لم ينتظر أحداً أن يكتب عنه ، لقد كتب هو عن نفسه لا بالحبر وإنما بالدم ، آمن بقضيته ، وعاش لأجلها واستشهد في سبيلها!

أليكس فيشمان كتب عنه مقالاً في معاريف عنوانه : قصة الحب التي يعيشها المهندس مع الحافلات الإسرائيلية!

درس عياش الهندسة الكهربائية ، ولكنه لم يعمل فيها ، كان مُطارَداً على الدوام حتى أنه لم يحضر حفل تخرجه من الجامعة ، كان يعمل في مجال آخر ، يهندس العبوات الناسفة ويزرعها في الحافلات الإسرائيلية ، ولأن له علاقة وثيقة بالطاقة فقد جعل الإسرائيليين يشاهدون النجوم في عز الظهيرة!

يحيى عياش نموذج مشرف للإنسان المثقف ، وللعَالِم العامِل! مهندس مثله كان بإمكانه أن يشغل وظيفة مرموقة في شركة ، أو أن يؤسس عمله الخاص ، كأكاديمي كان بإمكانه أن يتنحى بعيداً عن صخب البنادق والمطاردات والنوم في الكهوف ، ولكنه لم يفعل لأنه كان يعرف أن المعركة مع المحتل هي معركة وعي وعقيدة قبل أن تكون معركة بنادق وتفجيرات ، وقد كان واعياً إلى الحد الذي جعله يقف في الصف الأول من المعركة!

٦ يناير / كانون الثاني

في مثل هذا اليوم من العام ١٤١٢م وُلدت بطلة فرنسا القومية جان دارك ، أو كما يلقبها الفرنسيون عذراء أورليان! جان دارك خير مثال على فكرة كيف يمكن للمرء أن يكون قديساً في مكان وشيطاناً في مكان آخر ، هكذا نحن البشر نُقدس أبطالنا ونُشيطن أبطال الآخرين!

أما حكايتها فترجع إلى فترة حرب المئة عام بين فرنسا وإنكلترا ، كان جزء كبير من فرنسا واقعاً تحت الاحتلال الإنكليزي ، وما تبقى من ملك فرنسا هش وآخذ في التداعي ، ولكن جان دارك غيرت كل هذا!

في السادسة عشرة من عمرها ادّعتْ أنها رأت الله في المنام وأنه أمرها بدعم الملك شارل السابع من أجل استعادة فرنسا من الإنكليز ، كانت جريئة إلى الحد الذي جعلها تذهب إلى الملك شارل السابع وتخبره بحلمها ، فصدقها على الفور ، وأرسلها إلى أورليان حيث المعارك محتدمة هناك ، وقلدها مركزاً مرموقاً في قيادة الجيش ، فغيرت مسار الحرب وحققت على مدى ثلاث سنوات انتصارات مدهشة ما زالت تُحيِّر المؤرخين خصوصاً أنها تنحدر من أسرة فلاحين فقيرة ليس لها تاريخ لا في السياسة ولا في الحروب!

بعد صولات وجولات في ساحة الحرب قبض عليها مجموعة من قطاع الطرق ، وباعوها إلى أعدائها الإنكليز مقابل مبلغ مالي ضخم ، فنصب لها الإنكليز محكمة ، واتهموها بالعصيان والزندقة وأن فيها روحاً شيطانية ، ثم أدانوها بهذه التهم وأحرقوها حية وهي في التاسعة عشرة من عمرها!

جان دارك صنفتها الكنيسة الرومانية الكاثوليكية قديسة ، وصنفتها الكنيسة الإنكليزية الكاثوليكية زنديقة ، وأعتقدُ أنها لم تكن أياً منهما ، لا هي قديسة ولا زنديقة ، كانت محاربة فقط ، وفعلت ما يجب على أي إنسان طبيعي أن يفعله عندما يكون وطنه محتلاً!

٧ يناير / كانون الثاني

في مثل هذا اليوم من العام ١٦١٦م خرج جاليلو جاليلي من قاعة محكمة التفتيش في روما ، وضرب الأرض برجله وقال جملته الشهيرة : ولكنها تدور!

كان جاليلو جاليلي ضليعاً في علم الفلك ، عبقرياً في صناعة المناظير التي تتيح له مراقبة حركة الكواكب ، فتبين له خطأ أرسطو حول مركزية الأرض التي كانت الكنيسة قد تبنّتْها لمئات السنوات ، وجعلتها جزءاً لا يتجزأ من الإيمان الكنسي!

آمن بنظرية كوبرنيكوس القائلة أن الأرض ليستْ مركز الكون وإنما الشمس ، وأن الأرض لا تعدو كونها كوكباً يدور في فلكها ، وألَّف كتاباً نشر فيه أفكار كوبرنيكوس وزاد فيه شروحات وأدلة حديثة يثبت صحتها!

اعتبرتْ محكمة التفتيش في روما أن هذا الكلام ردة ، وهرطقة ، وخروج على تعاليم الكتاب المقدس ، فأمرت بإحضاره إلى قاعة المحكمة! جاء جاليلو جاليلي من مدينة بيزا مقيداً بعدما ألبسوه ثياب الخيش المخصصة للزنادقة ، وفي قاعة المحكمة حاول جاهداً أن يُدافع عن أفكاره ، ولكن المحكمة خيرته بين أمرين :

إما أن يُحرق حياً كما ينص قانون عقوباتها بخصوص الزنادقة المهرطقين ، أو يتراجع عن أقواله!

فما كان منه إلا أن تراجع عما قاله لينجو بريشه ، وعندما خرج من قاعة المحكمة ضرب الأرض برجله وقال : ولكنها تدور!

الطريف في الأمر أنه بعد ما يقارب وفاته بثلاثمئة سنة قدّمت له الكنيسة اعتذاراً عن تلك المحاكمة التي أُجريت له!

كانت محاكمة جاليلو جاليلي إحدى الأسباب الرئيسة التي دفعت الناس في أوروبا للثورة على الكنيسة ، فالكنيسة كانت قد تبنت خرافات عديدة وجعلتها حقائق مقدسة ، وعندما بزغ فجر العلم ، وتبين أن الكنيسة في وادٍ والعلم في وادٍ تم رفع يد الكنيسة عن الحياة العامة وتم تقسيم الأدوار في أوروبا على مبدأ ما لله لله وما لقيصر لقيصر!

قبل ألف سنة من محاكمة جاليلو ، كان العلماء المسلمون يرفلون تحت عباءة حرية التفكير والتأليف ولم تُقم لأحد محاكمة بسبب كتاب!

٨ يناير / كانون الثاني

في مثل هذا اليوم من العام ١٩٥٩م تولّى شارل ديغول رئاسة فرنسا ، وصحيح أنه وصل إلى سُدة الرئاسة عبر صناديق الاقتراع إلا أنه رجل ذو خلفية عسكرية ، فهو الذي قاد فرنسا في معركة تحرّرها من الجيوش النازية ، وهو الذي ترأس حكومة فرنسا الحرة التي أنشأها الحلفاء بعد سقوط فرنسا بيد جيوش هتلر!

والحق يُقال أن ديغول –على عنصريته وعقليته الاستعمارية التي لا ترى حرجاً في احتلال الآخرين وسرقة خيراتهم– كان رجلاً فذاً ، له كتب عدة في الفكر الاستراتيجي والدهاء السياسي ما زالت حتى اليوم إما تُدرس في الجامعات في قسم العلوم السياسية ، أو لا يُستغنى عنها في الدراسات العليا!

كتابه «حد السيف» إن كان فيه الكثير من قلة الأخلاق فإن فيه الكثير من فهم محركات الدول!

كان ديغول يؤمن أن الاقتصاد هو الذي يُحرك الدول ، ويُشعل الحروب ، ومن أقواله الشهيرة : لا تبحثوا عن أسباب الحرب في براميل البارود بل في إهراءات القمح!

حياة ديغول في السياسة تثبت أن المنتصرين في الحروب الخارجية سرعان ما يسقطون في الداخل ، فقد كان يدفع نحو تطبيق لا مركزية واسعة في الحكم ، ودعا إلى استفتاء على أفكاره وتعهد إن خسر الاستفتاء أن يستقيل ، فلم تشفع فرنسا لبطلها ، ورفضت لا مركزيته ، فخسر الاستفتاء واستقال ، هكذا هي الشعوب تبحث عن حاضرها المعاش ولا تقايضه بنصر مضى!

ومن طرائف ما يُروى عنه ، أنه في أثناء زيارته إلى مدينة «لِيل» ، ذهب برفقة زوجته «إيفون» لتناول العشاء في مطعم ، رحَّبَ بهم صاحب المطعم ، واستأذنه أن يحدث زوجته لدقائق ، وعندما عادت إيفون إلى الطاولة ، أخبرت زوجها الرئيس أن صاحب المطعم كان زميل دراسة ، وأخبرها أنه كان معجباً بها وقتذاك ولكنه لم يجرؤ أن يُخبرها!

ابتسم ديغول وقال لها : لو أخبركِ يومها بمشاعره لكنتِ الآن زوجة صاحب مطعم!

فقالت له : لو أخبرني بمشاعره لكان الآن رئيس فرنسا!

باختصار : حتى وإن كنتَ رئيس دولة لا تعبثْ مع النساء!

٩ يناير / كانون الثاني

في مثل هذا اليوم من العام ١٨٧٣م توفي نابليون بونابرت ، إمبراطور فرنسا العظيم ، وأشهر رجالها على مرِّ التاريخ ، كان قصير القامة بشكل مفرط ، ويخاف من القطط! ولا أذكر هذا على سبيل الذم ، وإنما لأقول إنما المرء بعقله لا بطوله وعرضه! وأنه لا يوجد إنسان إلا ويخاف شيئاً ما ، وأن الشجاعة ليست ألا نخاف وإنما أن نكتم مخاوفنا!

ينحدر نابليون من أسرة فقيرة ، وكان أكثر ما يأمله أبوه منه أن يراه بحاراً ، لهذا سجَّله في طفولته في مدرسة لإعداد البحارة ، ولكن الصبي الذي لم يمخر عباب البحر استعمر جزءاً كبيراً من هذه الأرض ، احتل بلاداً في أوروبا ، ووصلت جيوشه إلى مصر ، وعلى أعتاب عكا ، مرَّغ أحمد باشا الجزار كبرياء الإمبراطور الفرنسي وأعاده مخذولاً من حيث أتى!

وما لا يعرفه الكثيرون أن نابليون سبق بلفور بسنوات طويلة بإعطاء وعد لليهود بإقامة وطن قومي لهم في فلسطين ، ولو انتصر في معركة عكا لكانوا هناك قبل أن يولد بلفور!

لم يكن نابليون مجرد غازٍ فقط ، الحق يُقال أنه كان رجل دولة بامتياز ، وقوانينه المدنية التي وضعها في فرنسا معمول بها اليوم في ربع الأنظمة القضائية في العالم!

خلال اجتياحه لأوروبا عام ١٨٠٩م وصلت جيوشه إلى النمسا ، ولكن الجيوش النمساوية هزمته في معركة آسبرن ، وعندما شعر بالانكسار ، طلب من ضباطه أن يجعلوا الحرب استخباراتية قبل معاودة الكَرَّة! عمل الضباط جاهدين لإيجاد جاسوس ، وأخيراً عثروا على رجل نمساوي يعمل مهرباً على الحدود ، فأمدهم بكل المعلومات الكافية لمباغتة الجيوش النمساوية والانتصار عليها في معركة «بمارخ فيلد»!

وعندما جاء الجاسوس ليقبض ثمن خيانته ، رمى له نابليون صرة من المال على الأرض

فقال له الجاسوس : إني أريد أن أحظى بشرف مصافحة الإمبراطور!

فقال له نابليون : الذهب لأمثالك ، أما أنا فلا أصافح من يخون وطنه!

إنها القصة المُرَّة التي نعيشها نحن ، القلاع الحصينة لا تسقط إلا من الداخل!

١٠ يناير / كانون الأول

في مثل هذا اليوم من العام ١٦٩١م وُلد «إدوارد كيف» لأسرة فقيرة ، والده كان إسكافياً يصنع الأحذية ، وأمه كانت ربة منزل لا تكتب ولا تقرأ ، ولكن العالم الذي يقرأ المجلات والصحف اليوم مدين لإدوارد لأنه الذي اخترع فكرة المجلة!

كان «إدوارد كيف» أول رجلٍ في العالم فكَّر أن يطبع مجلة دورية ، تغطي مواضيع مختلفة ، سياسية واقتصادية ورياضية واجتماعية ، تماماً كما هو حال المجلات اليوم ، وإن كان بعض المجلات تنحو نحو الاختصاص في مجال ما ، إلا أن هذا الاختصاص وُلد من رحم مجلة إدوارد!

حاول إقناع مطابع عدة في لندن بفكرته ، ولكن المطابع كلها التي تواصل معها اعتقدتْ أن الفكرة فاشلة ، ولا شيء يدعو للمخاطرة بتجربتها ، فكما تعلمون أن رأس المال جبان! ولكن هذا الصد لم يُثنِ إدوارد عن تنفيذ فكرته ، حيث قام بإصدار أول مجلة في العالم ، أسماها «السيد»! ولأن الأفكار هي التي تجلب المال لا العكس استطاع أن يحقق ثروة هائلة!

بعد فترة من إصدار مجلته ، خطرتْ لإدوارد فكرة عبقرية أخرى ، لقد قال في نفسه : لماذا لا أجلب بعض الأدباء وأخصص لهم زاوية ، ما دامت المجلات لا تستهوي عشاق الكتب ، سأجعل الكتب في المجلة! فتعاقد مع عدد من الأدباء المميزين في عصره كان أشهرهم صموئيل جونسون! وبفضل فكرة إدوارد نلتقي اليوم بأدبائنا الذين نحبهم في صفحات المجلات ولا ننتظر العام بعد العام لنلتقي بهم في صفحات كتاب!

لم يتوقف إدوارد عند هذا الحد ، لقد كان أول إنسان كتب تحت إسم مستعار في مجلة! فقد كان يكتب مقالات في مجلته السيد تحت إسم مستعار هو «سيلفانوس أوربان»!

إن كان ثمة درس يُستفاد من كل هذا فهو : آمِنْ بنفسك ، ولا تسمحْ للآخرين أن يقصُّوا أجنحتك!

١١ يناير / كانون الثاني

في مثل هذا اليوم من العام ١٧٥٩م ظهرتْ أول شركة تأمين على الحياة في مدينة فيلاديلفيا الأمريكية!

يكاد الفقهاء المسلمون المعاصرون يُجمعون على أن التأمين على الحياة محرم شرعاً ، وهذا ما أدين لله به وإن كنتُ لستُ أهلاً للفتوى! ولكن لندع شركة التأمين الأولى على الحياة جانباً ، فهي ليست الأولى كما يبدو! إنّ أول تأمين على الحياة سمع به أهل الأرض كان منذ ألف وأربعمئة سنة عندما نزلتْ سورة الكهف!

يُحدثنا القرآن عن قصة موسى والخضر عليهما السلام ، ويخبرنا أنهما وصلا إلى قرية من القرى ، وطلبا طعاماً من أهلها ، فكانوا بخلاء ولم يعطوهم كسرة خبز ولا شربة ماء ، فرأى الخضر جداراً يوشك أن يقع ، فأقامه سوياً مستقيماً! فسأله موسى لماذا لم يأخذ أجراً مقابل عمله هذا علهما يشتريان طعاماً ، وكان هذا آخر ثلاث ملاحظات من موسى وافترق الرجلان بعدها! ولكن قبل الفراق يخبر الخضر موسى بالسبب ، الجدار لغلامين يتيمين ، تحته كنز ، وكان أبوهما صالحاً ، ولو وقع الجدار وانكشف الكنز لأخذه أهل القرية ، وإنما أراد الله أن يكبرا ليخرجا كنزهما بنفسيهما!

نبي من أولي العزم والخضر يقطعان البلاد ، ليقيما جداراً ليتيمين كان أبوهما صالحاً ، أليس هذا تأمين على الحياة؟ الفارق أنك لا تدفع مالاً من جيبك كما حال شركات التأمين ، وإنما مع الله تدفع تقوى وصلاحاً من قلبك! وفي القرآن : ﴿وليخشَ الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولاً سديداً﴾!

إنه تأمين على الحياة يا سادة!

١٢ يناير / كانون الثاني

في مثل هذا اليوم من العام ١٨٩٣م وُلد «هيرمان غورينغ» صديق هتلر اللدود! شاركه حلو اللحظات ومرها ، ترجع صداقتهما إلى العام ١٩٢٢م وهو تاريخ انضمام غورينغ إلى الحزب النازي ، واستمرت هذه الصداقة حتى العام ١٩٤٥م ، وهي السنة التي انتهت فيها الحرب العالمية الثانية وفيها تمرد غورينغ على قائده وصديقه!

تقلد غورينغ مناصب رفيعة في الحزب النازي والدولة ، آخرها كان قيادة سلاح الجو الألماني ، ولكن بعد فشل الألمان بصد هجمات الطائرات الإنكليزية عن سماء برلين ، نصح غورينغ هتلر بوقف الحرب ، غير أن هتلر ككل طغاة الأرض لم يكن يسمع إلا صوته ، الأمر الذي دفع غورينغ بإعلان نفسه قائداً لألمانيا ، فاعتقله هتلر وجرده من كل رتبه وحكم عليه بالإعدام ولكن الحرب كانت قد انتهت وانتهى معها هتلر قبل تنفيذ الحكم!

لم يكن غورينغ أقل ديكتاتورية من هتلر! ففي العام ١٩٣٣م أسس أشهر نظام قمع في تاريخ البشرية قاطبة وهو «الجيستابو» وتعني شرطة الدولة السرية! جعل غورينغ الجيستابو فوق القانون ، وأعلى من محاكم ألمانيا كلها ، وعلى مدى اثني عشر عاماً من رئاسته للجيستابو ، اعتقل غورينغ أكثر من ثلاثة ملايين إنسان ، وأعدم أكثر من مئة ألف!

شأن الطغاة دوماً أن يحكموا بالحديد والنار ، ويحتاجوا للاعتقالات والتجسس ، فالظلم أبرع صانع للأعداء ، لا أعرفُ لماذا تذكرتُ وأنا أكتبُ هذه الكلمات قصة رسول كسرى مع عمر بن الخطاب ، جاء إلى المدينة ظُهراً يسأل عن قصر الخليفة ، فقيل له أن الخليفة لا يملك قصراً ، بيته هناك! قصد رسول كسرى بيت عمر فلم يجده ، فأخذ يسأل عنه الناس في الطرقات ، حتى قيل له أنه كان يسير منذ وقت قليل إلى تلك الناحية ، وعندما تبعه ، وجد منظراً عجيباً ، حدث مرة واحدة على ظهر هذه الأرض ولم يتكرر بعدها!

كان عمر نائماً مطمئناً ملء عينيه وقلبه ، حذاؤه تحت رأسه ، كان قد أمَّن رعيته فأمِنَها!

عندها قال رسول كسرى قولته الشهيرة : حكمتَ ، فعدلتَ ، فأمنتَ ، فنمتَ!

الطريق الذي اختـاره هتلر وغورينغ في الـحكم ، طريق شـاق وعـر ، هو طريق الظلم ، الكل فيه متهم حتى يثبت براءته ، الكل عدو محتمل ، وقاتل ممكن ، لهذا احتاجا إلى الـجيستابو! بينما اختار عمر الطريق السهل ، هزم إمبراطوريات عصيت على هتلر ، وقارع جيوشاً لم تكن تقل شراسةً وتدريباً بمقياس ذلك الزمان عما قارعه هتلر في زمانه ، ولكن عمر كان يملك قلوب الناس لا رقابهم لهذا لم يكن لديه أعداء!

١٣ يناير / كانون الثاني

في مثل هذا اليوم من العام ١٩٣٠م خرج «ميكي ماوس» إلى العلن لأول مرة! وميكي ماوس شخصية كرتونية لا أحسب أن أحداً من سكان هذا الكوكب لا يعرفها! اخترعها «والت ديزني» وصديقه الرسام «آب ايوركس»!

أول الأمر ظهر ميكي ماوس صامتاً على غرار أفلام تشارلي تشابلن ، ولكن سرعان ما قرر والت ديزني أن يجعله ناطقاً!

ظهرَ ميكي ماوس في مئة وخمسين فيلماً ، رُشح منها سبعة وثلاثون فيلماً للأوسكار ، وفاز بها اثنين وعشرين مرة!

واليوم بعد ما يقارب تسعين عاماً على ظهور ميكي ماوس ما زالت الأفلام الكرتونية تلقى ترحيباً من فئة كبيرة من الناس ، بينما يعتبرها آخرون شراً مستطيراً ساهمت في أذية الأطفال وتسميم أفكارهم!

والذي أراه بعد قراءة أقوال هؤلاء وهؤلاء أن الأفلام الكرتونية ككل الأشياء على ظهر الأرض ، ليست شراً ولا خيراً بذاتها ، وإنما خيرها وشرها يكمن في طريقة استخدامها ، فالسكين على سبيل المثال مجرد أداة ، إذا استخدمناها في المطبخ لتقطيع الطعام واللحوم والفاكهة كانت أداة خير ، وإذا استخدمناها لطعن إنسان كانت أداة شر!

المهم أن أنصار الأفلام الكرتونية يلخصون فوائدها بما يلي :

- تساعد الأطفال على اكتساب اللغة .
- تساهم في تنمية خيال الأطفال وتحفز عندهم ملكة التفكير .
- تحببهم بالعادات السليمة والقيم كالعدل والمساواة والخير .
- تساهم في بناء شخصية الطفل وتحول بينه وبين التصاقه الشديد بأمه .
- تُكسب الأطفال العادات الاجتماعية بطريقة أسرع من المدارس والكتب .

أما معارضوها فيلخصون مضارها بما يلي :

- سهلة الإدمان وتبعد الطفل عن حياته الواقعية .
- تلهي الطفل عن الدراسة والاجتهاد .

- تحتاج إلى مراقبة شديدة غير متوفرة على الدوام .
- تُسبب أضراراً جسدية خصوصاً في النظر وعظام الرقبة .
- الشخصيات الشريرة فيها تُقدّم أحياناً بصورة بطولية .
- تنمية العنف عند الأطفال واعتمادهم عليه في حل المشاكل .

برأيي إن كانت ملاحظة المعارضين مقبولة عموماً ، ومنطقية في بعض الأحيان ، إلا أن هذا لا يُلغي أن للأفلام الكرتونية فوائد جليلة لا تُنكر ، والإشراف على نوعية الأفلام الكرتونية ، وتنظيم وقت مشاهدتها ، أجدى بكثير من المطالبة بالتوقف عنها تماماً!

١٤ يناير / كانون الثاني

يُصادف في هذا اليوم من كل عام عيد الحصاد في بوتغال جنوب الهند! تحتفل به طائفة «التاميل» شكراً للشمس على رعايتها لموسم الزراعة من أول حبة حتى هذا الحصاد الوفير ، والحمد لله على نعمة الإسلام!

يستمر هذا العيد أربعة أيام ، يشتري فيها الرجال الثياب الجديدة ، وتصنع النساء الحلويات ، ويحضره آلاف الزوار من خارج الهند كل عام!

وعلى سيرة عيد الحصاد التاميلي هذا ، كانت الزراعة هي العمود الفقري للاقتصاد البشري على امتداد آلاف السنوات ، ولعلها أقدم مهنة على وجه الأرض ، وليس لديَّ دليل أقدمه لحضراتكم ، ولكن برأيي هذا ما يقتضيه المنطق وتفرضه الضرورة إذا آمنا أن آدم عليه السلام وحواء كانا أول إنسانين سكنا هذه الأرض!

وأستغربُ جداً حد الإمتعاض من الذين يرددون كالببغاوات أن الدعارة هي أول مهنة عرفتها البشرية!

إن عقيدتنا الإسلامية ، وقرآننا الكريم يدحض بالدليل هذا القول ويكذبه ، والشيوعية الجنسية التي تحدث عنها ماركس وإنجلز لا تعدو كونها هرطقات ورجماً بالغيب وادعاءً فارغاً يفتقر إلى الدليل الحسي أو التحليل المنطقي!

كانت أمنا حواء تضع بأمر الله في كل بطن تلده ذكراً وأنثى ، وعندما كبر الأولاد ، واحتاجوا للزواج الذي هو سُنة الله سبحانه في بني آدم ، أمر آدم عليه السلام ابنيه قابيل وهابيل أن يتزوج كل منهما أخت الآخر التي ولدت معه في البطن ذاته! ولكن قابيل رفض أمر أبيه متذرعاً أن أخته أجمل من أخت هابيل ، وكان هذا أول خلاف جوهري على ظهر الأرض ، ولحساسية الموضوع تدخلتْ السماء ، وجاء أمر الله أن يُقرّب كل منهما قرباناً ، فمن قبل الله قربانه كان الحق معه ، فقدم أحدهما كبشاً وكان راعياً ، وقدم الآخر حزمة قمح وكان مزارعاً ، فجاءت نار وأخذتْ قربان هابيل وهذه علامة قبول القربان ، فغضب قابيل وقتل أخاه في أول جريمة عرفتها البشرية!

الشاهد في الأمر ، أن الناس كان لهم مهن محترمة ، فالأول راع والثاني مزارع ، أيضاً لم تكن النساء مشاعاً ، ولم يكن يمارسن الدعارة لكسب عيشهنّ ، كما يدعي

ماركس وإنجلز ، كان هناك قانون زواج واضح ، وحتى قبل أن يُطبق على اعتبار أن الأولاد قبل ذلك كانوا صغاراً لا حاجة لهم للزواج أو الجنس كانوا يعملون في مهن ما زال الناس يعملون بها حتى اليوم!

لا تصدقوا أن هذه البشرية كان تاريخها على هذه الأرض داعراً ، بدأ الأمر بنبي وزوجته ، أنجبا وربيا ، وندم قابيل على قتل أخيه كما هو ثابت في القرآن ، وهذا يدل على أنه كان يعرف الصواب من الخطأ ، وأن الأمر لم يكن خبط عشواء ، والناس لم يكونوا قطيع غنم من أعجبته امرأة وقع عليها ، الناس على مر التاريخ لهم تصرفات مخجلة هذا صحيح ولكن الدعارة لم تكن أول مهنة عرفتها البشرية!

١٥ يناير / كانون الثاني

في مثل هذا اليوم من العام ١٩٢٩م وُلد مارتن لوثر كينغ ، لم يستغرق طويلاً ليكتشف العنصرية التي تغص بها أمريكا عن آخرها ، كان وهو في الخامسة من عمره لا يفهم لماذا يرفض رفاقه البيض أن يلعبوا معه! ولكن أمه كانت تقول له : لا تدع هذا يُوثر عليك ، بل لا تدع هذا يجعلك تشعر أنك أقل من البيض ، أنتَ لا تقل عن أي شخص آخر!

في هذا الظرف العنصري المقيت عاش مارتن ، كان ذكياً ، حصل على الدكتوراة في الفلسفة واللاهوت ، قارئاً نهماً متأثراً بالكاتب «ثرو» الذي كان يؤمن بالعصيان المدني كوسيلة سلمية لتحقيق المطالب ، خطيباً مفوّهاً جمع حوله مواطني أمريكا سود البشرة/وهذا اللفظ من باب الوصف ليس إلا! وفي العام ١٩٦٤م حصل على جائزة نوبل للسلام لرفضه كل أساليب العنف في تحقيق المطالب!

لم تكن مطالب مارتن ورفاقه تتلخص بأكثر من جملة واحدة : نحن بشر مثلكم ونريد أن تعاملونا على هذا الأساس! وفي خطابه الشهير «لديّ حلم» ، قال مارتن : لديّ حلم بأنه في يوم من الأيام سيعيش أطفالي الأربعة في مجتمع لا يكون الحكم على الناس بسبب ألوان جلودهم ولكن بما تنطوي عليه أخلاقهم!

كان هذا الخطاب منذ خمسين سنة فقط! ولكن منذ ألف وأربعمئة سنة ، وقف النبي ﷺ على جبل الرحمة يوم عرفة وقال للناس : كلكمٍ لآدم وآدم من تراب! وكان عمر بن الخطاب إذا رأى بلال بن رباح يقول : بلال سيدُنا وأعتقه سيدُنا! ويوم حصل خلاف بين أبي ذر وبلال ، وقال أبو ذر لبلال : يا ابن السوداء! قال النبي ﷺ لأبي ذر : يا أبا ذر إنك امرؤ فيك جاهلية!

تخيلوا أن أبراهام لينكولن حرر العبيد سنة ١٨٦٣م ، بينما كان مارتن بعدها بمئة عام يتظاهر ضد العبودية والتمييز ، هذا يثبت أن القوانين المكتوبة لا تكفي وحدها لتجعل البشر بشراً حقيقيين ، ثمة أصنام في نفوس الناس لا يكسرها إلا معول التربية ، وهنا كانت عظمة الإسلام ، لقد كسَّر أصنام الاستعلاء والتكبر في نفوس أتباعه ، لهذا عندما صعد بلال بن رباح على ظهر الكعبة ليؤذن يوم فتح مكة ، لم يقل أحد من المسلمين القرشيين : كيف لعبد أن يصعد على ظهر كعبتنا ، الأصنام الداخلية كانت محطمة ، فالمعيار هو التقوى ، وبلال الحبشي في الجنة وأبو لهب القرشي الهاشمي في النار ، ويا له من دين!

١٦ يناير / كانون الثاني

في مثل هذا اليوم من العام ٧٧٤م توفي الإمام الأوزاعي أفقه أهل الشام على مر العصور، أخذ العلم عن الإمام مالك، وسفيان الثوري، والحسن البصري، وأبي حنيفة، ومحمد بن سيرين، حتى قيل عنه: لقد اجتمع فيه ما تفرق فيهم!

شهد نهاية حكم الأمويين وبداية حكم العباسيين، وعاصر أحد عشر خليفة أولهم الوليد بن عبد الملك الأموي، وآخرهم أبو جعفر المنصور العباسي، وكان زاهداً في كل الخلفاء الذين عاصرهم!

رفضَ أن يُجرى عليه راتب شهري، ورفض أن يتولى القضاء رغم إصرار أكثر من خليفة عليه، وعندما أقسم عليه يزيد بن عبد الملك أن يقبل القضاء، تولاه يوماً واحداً، وجاء إليه في اليوم التالي وقال له: لقد أبررت بقسمك، ليس لي في هذا المنصب حاجة، اختر له غيري!

على رغم بعده عن قصور الخلفاء إلا أنه لم يكن بعيداً عن الحياة العامة، وعندما أراد أبو جعفر المنصور إجلاء كل المسيحيين من جبل لبنان لأن بعضهم ثار عليه، دخل عليه الإمام الأوزاعي وقال له: «ولا تزرُ وازرة وزر أخرى» وليس لك أن تأخذ الجميع بذنب البعض، وإياك أن تغضبَ لله بما يُغضبُ الله!

فتراجع المنصور عن قرار إجلائهم!

وفي زمن المنصور أيضاً، وقع بعض المسلمين أسرى عند جيش الروم، فعرض ملك الروم إطلاقهم مقابل فدية، فرفض المنصور واعتبر هذا ضعفاً! فدخل عليه الأوزاعي وقال له: لا يُترك مسلمٌ عند كافر ولو أدى ذلك لنفاد بيت المال كله!

فقبل المنصور أن يفديهم!

ما أحوجنا اليوم لعلماء من طينة الإمام الأوزاعي، لا يطرقون أبواب الأمراء إلا لإحقاق حق وإبطال باطل، وما أحوجنا إلى أمراء من طينة المنصور فعلى أخطائه كان وقّافاً عند الحق، ولكن الحاكم لن يسمع من العالِم إلا إذا علم أنه ليس في قلبه شيء أكبر من الله!

١٧ يناير / كانون الثاني

في مثل هذا اليوم من العام ١٩٤٦م انعقدتْ أول جلسة لمجلس الأمن الدولي! مجلس الأمن مقره اليوم في نيويورك ، وهو بحسب القانون المكتوب على الورق المسؤول عن حفظ الأمن والسلام الدوليين ، وله سلطة قانونية على حكومات العالم كلها ، وقراراته مُلزمة كما تنص المادة الرابعة من ميثاقه!

ميثاق مجلس الأمن في أغلبه حبر على ورق! فيه خمس دول دائمة العضوية هي أمريكا ، وروسيا ، وإنكلترا ، وفرنسا ، والصين ، ويكفي أن تجتمع البشرية كلها وتتخذ قراراً ، فتقوم دولة واحدة من هذه الخمس باستخدام حق النقض الفيتو ، الذي معناه الحرفي : شكراً لاجتماعكم الميمون ، عودوا إلى منازلكم هذا الأمر لن يتم!

تعرفون جميعاً أن مجلس الأمن الدولي ، وخصوصاً أعضاءه الدائمون ، هم المسؤولون عما نشاهده من بلطجة على طول هذا الكوكب وعرضه ، ومن المخزي حقاً أن يكون هذا النظام العالمي السائد اليوم هو أقصى ما استطاع البشر إرساءه!

نحن لا نحتاج إلى مجلس أمن بقدر حاجتنا إلى حلف الفضول الذي أنشأه العرب في الجاهلية! وسبب إنشائه أن تاجراً من قبيلة زبيد جاء إلى مكة بتجارة في موسم الحج على عادة العرب يومذاك فاشتراها منه العاص بن وائل وكان من سادة قريش ، فرفض أن يدفع له ثمنها ، وطلب من أهل مكة أن ينصفوه فخشي الجميع معاداة العاص لما له من قوة ونفوذ في قريش ، فصعد الزبيدي على جبل أبي قبيس وأنشد قائلاً :

يا للرجالِ لمظلوم بضاعته
بِبطن مكة نائي الدار والنفر
ومحرم أشعث لم يقضِ عمرته
يا للرجال وبين الحجر والحجرِ
إن الحرام لمن تمت كرامته
ولا حرام لثوب الفاجر الغدرِ

فتداعت قريش عن آخرها ، واجتمعت في بيت عبدالله بن جدعان ، وتعاهدت أن لا يُظلم أحد في مكة إلا ردوا مظلمته!

وكان هذا الحلف قبل بعثة النبي ﷺ بعشرين سنة ، وقد كان حاضراً هناك يومها رفقة عمه أبي طالب ، وقال عن هذا الحلف الخلوق العادل بعد بعثته الشريفة : «لقد شهدتُ مع عمومتي حلفاً في دار عبدالله بن جدعان ، ما أحبُّ أن لي به حُمر النعم ، ولو دعيتُ لمثله في الإسلام لأجبتُ!»

١٨ يناير / كانون الثاني

في مثل هذا اليوم من العام ١٦٨٩م وُلد «شارل مونتيسكيو» ، صاحب نظرية فصل السلطات الذي تعتمده أغلب دول العالم اليوم!

مونتيسكيو فرنسي الجنسية ، اسمه الحقيقي «شارل لوي دي سيكوندا» ويُعتبر من أشهر فلاسفة السياسة على مر التاريخ ، وكتابه روح القانون المؤلف من واحدٍ وثلاثين جزءاً يُعتبر من أهم مراجع القانون والسياسة ولا يجهله من طلاب السياسة والحقوق أحد ، إنه عندهم بمثابة صحيح البخاري في كليات الشريعة ، والتشبيه للإيضاح لا للمقارنة!

قسَّم مونتيسكيو السلطات ثلاثة أقسام :

تشريعية ، وتنفيذية ، وقضائية ، وأوصى بالفصل بينها في الدولة الواحدة إبعاداً للديكتاتورية ، وهو المعمول به في تسعين بالمئة من دول العالم كما تقدم!

ولكن كما هي العادة دوماً ، فإن الإسلام يسبقُ الجميع ، فالإسلام هو أول من فصل السلطات عن بعضها ، فحتى الخليفة زمن الخلفاء الراشدين كان له سلطة تعيين القضاة ، وليس له سلطة التدخل في أحكامهم ولو طالته شخصياً! وكي لا يكون الكلام رجماً بالغيب ، أورد لكم هذه القصة :

تنازع علي بن أبي طالب رضي الله عنه زمن خلافته مع يهودي على درع كان قد سقط منه في معركة صفين ، فبينما هو يمشي في سوق الكوفة يمرُّ أمامه يهودي يعرضُ درعاً للبيع ،

فقال أمير المؤمنين لليهودي : هذا درعي .

فقال اليهودي : بل هو درعي وأمامك القاضي .

فاحتكما إلى القاضي شُريح الذي قال لعلي : يا أمير المؤمنين هل من بينة؟

فقال : نعم ، الحسن ابني يشهد أن الدرع درعي .

فقال شريح : شهادة الابن لأبيه لا تجوز!

قال علي : سبحان الله ، رجل من أهل الجنة لا تجوز شهادته؟!

قال شريح : يا أمير المؤمنين هذا في الآخرة ، أما في الدنيا فلا تجوز شهادة الابن لأبيه ، البينة على من ادعى واليمين على من أنكر .

فقال علي لشريح : صدقتَ .

فقضى شريح أن الدرع لليهودي لغياب بينة الـخليفة!

يمضي اليـهـودي وهو يحـدث نفـسـه : أقف إلى جـوار أمـيـر الـمـؤمنين ويقـضي القاضي الـمسلم لي عليه ، أي دين هذا!

فيرجع ويعتنق الإسلام ، ويقول لعلي : والله هو درعك .

فقال له علي : أما قد أسلمت فالدرع هدية مني لك!

١٩ يناير / كانون الثاني

في مثل هذا اليوم من العام ١٨٨٣م وضع أديسون أول نظام إضاءة كهربائي في الخدمة في تاريخ البشرية!

قبل هذه الحادثة بستة وعشرين عاماً عاد أديسون من المدرسة يحمل رسالة إلى أمه ، قرأتْ الأم الرسالة ، وذرفت دمعتين ، فسألها ابنها الصغير : ماذا كتبوا في الرسالة يا أمي؟!

قالت له : لقد قالوا لي إن ابنك عبقري ، والمدرسة صغيرة عليه وعلى قدراته ، عليكِ أن تعلميه في البيت!

وهذا ما حدث فعلاً ، بدأت والدة توماس أديسون تعلمه في البيت ، وكانت أمه هي صديقته ودنياه كلها ، ولم تمتْ إلا بعد أن رأته ينير هذا العالم بمصابيحه!

بعد وفاتها بسنوات كان توماس أديسون يبحث في أغراضها ، فعثر على الرسالة التي أعطته إياها إدارة المدرسة ليوصلها إلى أمه ، فإذا مكتوبٌ فيها :

السيدة أديسون ، تحية وبعد :

إن ابنك غبي جداً ، اعتباراً من صباح الغد لن نسمح له بالحضور إلى المدرسة ، اعذرينا!

وقتها فقط عرف توماس لماذا بكتْ أمه في ذلك اليوم!

لقد كان أديسون صنيعة أمه ، آمنتْ به ، وجعلته مشروع عمرها ، بذرته في تربة الجد ، وسقته ماء الاهتمام ، فحصدته واحداً من أشهر مخترعي العالم!

لم يكتسب أديسون من أمه القراءة والكتابة ومهارات التفكير فقط ، لقد اكتسب طبعها الشرس في المقاومة وعدم الاستسلام ، لهذا قبل أن يخترع المصباح الكهربائي كان قد جرب ألف طريقة فاشلة ، ولكنه قال عن تجربته هذه : أنا لم أفشل ألف مرة ، لقد اكتشفتُ ألف طريقة لا يمكن صنع مصباح كهربائي من خلالها!

٢٠ يناير / كانون الثاني

في مثل هذا اليوم من العام ٨٢٠م توفي الإمام الشافعي ، أو كما يطيبُ لي أن أسميه ، أفقه الشُّعراء وأشعرُ الفقهاء!

كان الشافعي كالشمس للدنيا وكالعافية للناس كما يقول تلميذه أحمد بن حنبل!

وُلد في غزة سنة ٧٦٧م ، قرشي هاشمي ، اسمه محمد بن إدريس ، توفي أبوه وهو صغير ، فعادت به أمه إلى مكة عند أقاربه كي لا يضيع نسبه الشريف!

حفظ القرآن الكريم وهو في السابعة ، والـموطأ وهو في العاشرة ، درس عند الإمام مالك في الـمدينة الـمنورة ، وتعلم العربية من هُذيل ، وفصاحتهم جليَّة في شِعره ، ونثره ، فقد تركَ وراءه شِعراً كثيراً في الـحكمة يضاهي شعر الـمتنبي فيها!

بعيداً عن مذهبه الذي عليه ملايين الـمسلمين اليوم ، أسأل الله أن يجعلَ الـجميعَ في ميزانه ، كان على الـمستوى الشخصي متواضعاً ، دمث الأخلاق ، يحب الناس ويحبونه ، لم يتعصب لرأيه وفتواه على عظيم آرائه واجتهاداته ، وكان يقول : إذا صحَّ حديث رسول الله ﷺ فهو مذهبي! ومن تواضعه على ثراه العلمي ، كان يقول عن كتابه «الرسالة» الذي دوّن فيه أصول مذهبه : كلما قرأتُ الرسالة وقعتُ فيها على خطأ يأبى الله إلا أن تكون العصمة في كتابه!

أسَسَ الشافعي علم أصول الفقه ، لهذا كان من الطبيعي أن يخالفه بعض معاصريه في بعض الـمسائل ، وبعض تلامذته أيضاً! ولكنه كان يرى الاختلاف في الآراء رحمة ، وأنه لا يفسد للود قضية!

يقول الإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء في ترجمته للإمام الشافعي على لسان تلميذه يونس بن عبد الأعلى :

اختلفتُ مع الشافعي في مسألة ، فقمتُ غاضباً وتركتُ حلقته وذهبتُ إلى بيتي ، فلما أقبل الليل سمعتُ طرقاً على بابي .

فقلتُ : من بالباب؟

فقال : محمد بن إدريس .

فتفكرتُ في كل محمد بن إدريس أعرفه ، إلا الشافعي فلم يخطر ببالي أن يكون هو!

فلما فتحتُ الباب فوجئتُ به!

فقال لي : يا يونس تجمعنا مئات المسائل وتفرقنا مسألة؟ أما يستقيم أن نكون إخواناً ولو اختلفنا فيها؟!

٢١ يناير / كانون الثاني

في مثل هذا اليوم من العام ١١٨٩م بدأ الملكان الإنكليزي ريتشارد الأول ، والفرنسي فيليب الثاني بحشد جيوشهما في إطار الحملة الصليبية الثالثة على بلاد المسلمين!

كان الهدف المعلن للحملة حماية نصارى الشرق من استبداد المسلمين ، رغم أن نصارى الشرق لم تُهدم لهم كنيسة ، ولم يُكسر لهم صليب في ظل أي دولة قامت في بلادنا ، ولم تُقم لهم محاكم تفتيش لردهم عن دينهم كالتي أقامها الأوروبيون لمسلمي الأندلس في واحدة من أبشع الجرائم التي ارتكبت باسم الدين في تاريخ البشرية! ولكن منذ فجر التاريخ اعتاد الساسة أن يُغلفوا حروبهم بالأفكار النبيلة ليُقنعوا الناس بخوضها ، وكلما كان الهدف أكثر نبلاً كان الناس أكثر تقبلاً لخساراتهم فيها!

تذكرني الحملة الصليبية الثالثة بهدفها المعلن بحرب طروادة التي دارت رحاها بين طروادة وإسبارطة!

كانت الفاتنة هيلين هي الشرارة التي أوقدتْ نار تلك الحرب التي استعرتْ أعواماً!

كانت هيلين متزوجة من شقيق ملك إسبارطة ، وعشقتْ وهي تحته ابن ملك طروادة وهربتْ معه إلى مملكة أبيه! فجمع الإسبارطيون جيشاً عرمرماً ، وركبوا البحر إلى طروادة ، وضربوا حولها حصاراً خانقاً!

خرج الطرواديون ينظرون في مطالب الإسبارطيين علهم يتجنبون هذه الحرب ، فاقترح عشيق هيلين أن يتبارز مع زوجها ، فإن هزمه يرجع الإسبارطيون من حيث أتوا ، وإن قُتل على يد زوجها يكون الزوج قد ثأر لشرفه!

لاقى هذا العرض استحسان زوج هيلين ، إذ رأى في خصمه لقمة سائغة ، فهو ليس من أهل الحرب كأخيه الأكبر هيكتور قائد جيش طروادة ، وولي عهد المملكة ، والذراع الأيمن لأبيه!

ولكن ملك إسبارطة قال لأخيه : أوتحسبُ أني جهزتُ كل هذه الجيوش لأجل زوجتك الشبقة هيلين؟ لقد أتيتُ لأجل طروادة يا عزيزي!

٢٢ يناير / كانون الثاني

في مثل هذا اليوم من العام ١٦٦٦م توفي الإمبراطور «شاه جهان» باني الضريح الشهير تاج محل!

بدأ فترة حكمه بأن قتل إخوته جميعاً خوفاً من أن ينقلب عليه منهم أحد ويسلبه الملك، وكانت عادة الانقلابات شائعة في الهند يومذاك!

وبالعودة إلى ضريح تاج محل، فالقصة بدأتْ عندما كان شاه جهان يتجول برفقة حاشيته فشاهد «أرجمان بانو بيجيم» ابنة أحد نبلاء فارس، وقع في حبها من أول نظرة، ثم تزوجها، ومنحها لقب تاج محل أي جوهرة القصر!

توفيت تاج محل وهي تضع مولودها الرابع عشر، فأصيب الإمبراطور بأزمة واعتزل الناس، ولم يخرج من عزلته إلا بعد عام على وفاة تاج محل، عندها قال في نفسه: «برهانبور» مكان لا يليق بدفنها، سأبني لها أجمل ضريح في العالم، فنقلها إلى تاج محل الذي يُعتبر من أعاجيب الدنيا السبع!

ولأن الجزاء من جنس العمل، ولأن شاه جهان بدأ فترة حكمه بقتل إخوته خوفاً من أن يستولي أحدهم على العرش، ثار عليه ابنه «اورنكزيب»، واعتقله، وسجنه في سجن أكرا وبقي هناك حتى مات!

ولتعرفوا الفرق بين الأب والابن، قال شاه جهان لجيشه عندما أراد مواجهة جيش ابنه: اسحقوا الجيش ولا تمسوا ابني بسوء!

قبل هذه القصة بألف سنة تقريباً، كان النبيُّ ﷺ قد تجاوز الستين من عمره عندما رأى نسوة قد شارفنَ على الثمانين فخلعَ رداءه وفرَشَه على الأرض ليجلسنَ عليه، وقال لمن حوله مبدداً دهشتهم: هؤلاء صويحبات خديجة!

الحُبُّ ليس أن تُحبها فقط وإنما أن تُحب كل شيء يتعلق بها!

٢٣ يناير / كانون الثاني

في مثل هذا اليوم من العام ١٣٦٨م وصلت أسرة «منغ» في الصين إلى الحكم ، استمرت فترة حكمها ما يقارب الثلاثمئة عام ، وتُعتبر من أكثر فترات حكم الصين رخاءً واستقراراً .

أسرة «منغ» هي التي وضعت اللمسات الأخيرة على سور الصين العظيم بالشكل الذي هو عليه اليوم ، أما تاريخ بنائه فهو في الحقيقة أبعد من هذا بكثير ، حيث يقول الصينيون أن أول محاولة للبناء كانت في العام ٢٠٤ قبل الميلاد!

ويرجع السبب في بناء سور الصين العظيم أن الصينيين القدماء أرادوا أن يعيشوا بأمان ، وعندما شيدوه أول مرة اعتقدوا أنه لا يمكن لأي عدو تسلقه نظراً لارتفاعه الشاهق ، ولكن المفاجأة كانت أنه خلال المئة سنة الأولى من تاريخ بنائه تعرضت الصين للغزو ثلاث مرات! وفي هذه الغزوات الثلاث لم تكن الجيوش الغازية بحاجة إلى تسلق السور الشاهق ، أو اختراق حجارته المنيعة ، وإنما كانوا يدخلون من الأبواب بعد أن يدفعوا رشوة للحراس!

القضية باختصار :

قبل بناء الجدران علينا أن نبني الإنسان!

قبل أن تشتري سلاحاً للجيش عليك أن تبني عقيدته العسكرية أولاً ، الأسلحة وحدها لا تكسب المعارك!

قبل أن تتطاول في البنيان عليك أن تتطاول بالإنسان ، ما فائدة بناء شاهق إذا كانت أرواح الناس تزخف على الأرض!

قبل أن تنجب عليك أن تتجهز لتربي ، القطط والدببة والنمور والثعالب والخراف تُنجب أيضاً دون مشقة ، الأمر ليس بطولة ، البطولة الحقيقية هي صناعة الإنسان!

٢٤ يناير / كانون الثاني

في مثل هذا اليوم من العام ٦٦١م طعنَ الشقيُّ عبد الرحمن بن ملجم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه في صلاة الفجر!

علي بن أبي طالب غني عن التعريف، لا يرفعه الكلام الذي يُقال فيه مهما كان جميلاً، فارس لا يُشقُّ له غبار، جسور مقدام، حكيم وزاهد وحصيف الرأي، نقي كماء زمزم، عذبٌ كآية في المصحف، زوج سيدة نساء أهل الجنة، وأبو سيّدَيّ شبابها، وكل ما يُقال فيه أقل مما فيه!

ولكن لنتركَ التقيَّ ولنبقَ مع الشقيّ!

عبد الرحمن بن ملجم أنموذج لما يفعله الفهم الخاطئ للدين في الناس!

لم تكن بدايته توحي بأن نهايته ستكون على هذه الشاكلة، كان حافظاً للقرآن، وأخذه مباشرة من فم معاذ بن جبل رضي الله عنه، كان عالماً بالمحكم والمتشابه، شارك في فتح مصر، وقاتل مع عليّ في معركة صفين، ثم ما لبثَ أن رفض قبول أمير المؤمنين للتحكيم في صفين شأنه شأن الخوارج الذين ينتمي إليهم، فقال بكفر علي ومعاوية وكل المسلمين معهما، لينطبق عليه قول الله تعالى: «أفرأيتَ من اتّخذ إلهه هواه وأضله الله على علم.»!

كبَّر أمير المؤمنين وبدأ يقرأ، ولكن خنجر الغدر المسموم قطع عليه صلاته، طعنه ابن ملجم خدمة للإسلام كما يحسب ويعتقد، ونسي أن علياً كان أحد الأعمدة التي قامَ عليها الإسلام، نسيَ أنه الفدائي يوم الهجرة، والمبارز الجَلِد يوم بدر، والفارس الشرس يوم الخندق، والفاتح العظيم يوم خيبر، لله هذا الجسد المطعون كم دافع عن الإسلام! ولكنه التكفير، الداء العضال الذي ابتليت به الأمة في ماضيها، وما زالت تعتصر منه ألماً في حاضرها!

الخوارج القدامى كالخوارج الجُدد، يُستفاد من شذوذ أفكارهم أن الدين فهم وعلم قبل أن يكون صلاةً وصياماً وحجاً وزكاة، وإذا كان التكفير القديم لم يرحم علياً، أفيرحمنا التكفير الجديد نحن؟ ولو وُضع علي في كفة ووضعنا جميعاً في كفة لرجح بنا!

٢٥ يناير / كانون الثاني

في مثل هذا اليوم من العام ٩٦٧م توفي سيف الدولة الحمداني! كان فارساً جَلْداً له مع البيزنطيين صولات وجولات، ومعارك طاحنة، غير أن الرجل لم يكن محارباً فحسب، كان مثقفاً من الطراز الأول، يحب العلم والعلماء، جمع في مجلسه المتنبي، وابن خالويه، وأبا نصرٍ الفارابي، وابن عمه أبا فراس الحمداني.

إنه أمير العرب الأشهر بسببٍ المتنبي معجزة الشعر العربي!

وهذا يطرح سؤالاً مهماً ألا وهو: من الذي خدم الآخر أكثر سيفُ الدولة أم المتنبي؟!

وقبل أن أُدلي برأيي في الموضوع، لنتحدث عن العلاقة التي جمعت الأمير بشاعره، والشاعر بأميره. كان سيف الدولة سخياً كريماً على المتنبي، أغدق عليه الأموال بلا عدٍّ ولا إحصاء، حتى أنه يُقال أن المتنبي لما غادر حلب إلى مصر كانت حدوات فرسه من الذهب! فلماذا غادر المتنبي إذاً؟!

كان المتنبي يبحثُ عن أكثر من مال وثراء، كان طامعاً في أن يوليه سيف الدولة إمارة مدينة من مدن دولته، وبالفعلٍ فإن سيف الدولة وعده بالولاية ولكنه حنثَ، لهذا ذهبَ إلى كافور في مصر، لا بحثاً عن المال الذي لم يكن ينقصه، وإنما بحثاً عن الإمارة التي كانت تراود أحلامه، ولكن كافور هو الآخر كان أحنث من سيف الدولة، مما جعل المتنبي يعود أدراجه إلى سيف الدولة!

برأيي إن المتنبي خدم سيفَ الدولة أكثر مما خدمه سيفُ الدولة، ولولا المتنبي لما عرفنا سيف الدولة، ولطواه التاريخ كما طوى الذين قبله والذين بعده من الحمدانيين، ولكن سيف الدولة عاش إلى اليوم لأن قصائد المتنبي لم تمتْ! حتى الحانث الآخر كافور من كان منا ليعرفه لولا المتنبي؟!

والشيء بالشيء يُذكر، جاءت ابنة هرم بن سنان إلى عمر بن الخطاب، وهرم بن سنان هو الذي أوقف الحرب بين عبس وذبيان، ودفع الديات، وعقد الصلح، فمدحه زهير بن أبي سلمى، فما كان منه إلا أن أكمل كرمه وأعطى زهيراً مالاً كثيراً!

الـمهم أن عمر بن الـخطاب سأل ابنة هرم بن سنان : ماذا أعطيتم زهيـراً حتى قال فيكم مديحه الذي قال

فقالت : نسينا ما أعطينا زهيراً .

فقال عمر لها : ولكن ما أعطاكم إياه زهيرٌ لا يُنسى!

٢٦ يناير/ كانون الثاني

في مثل هذا اليوم من العام ١٨٠٢م أقرَّ الكونغرس الأمريكي قانوناً لإنشاء مكتبة ، عُرفتْ فيما بعد بمكتبة الكونغرس!

مكتبة الكونغرس اليوم هي أكبر مكتبة في العالم ، والأكثر تكلفةً وأماناً!

مساحتها ٣٩ هكتاراً ، طول رفوفها ٨٥٦ كلم ، فيها ٢٩ مليون كتاب ، و٥٨ مليون وثيقة!

يُعينُ رئيس مكتبة الكونغرس من قبل رئيس الولايات المتحدة الأمريكية مباشرة ، ورئيسها الحالي هو «جيمس بلينغتون» تولى المنصب عام ١٩٨٧م من قِبل رونالد ريغان ، وهو الرئيس رقم ١٣ للمكتبة!

من هنا تبدأ سيطرة الأمم ، ومن هنا يبدأ زوالها!

ذكرتني مكتبة الكونغرس اليوم بمكتبة بغداد قديماً ، كانت يومذاك أكبر مكتبة في العالم أيضاً ، وكان المأمون العباسي يعطي وزن الكتاب المترجم من لغة أخرى إلى اللغة العربية ذهباً!

أسوأ ما في دخول التتار إلى بغداد هو إحراق المكتبة ، ورمي كتبها في نهر دجلة! وإلا فإن بغداد عادت بعد سنوات ، ولكن كتب مكتبتها قد ضاعت إلى الأبد!

الأمة التي لا تهتم بالثقافة والأدب لا يبقى لها ومنها شيء ، المغول كانوا أمة محاربة ، لا يُعرف لها كُتاب ولا أدباء ، لم يكتبوا مخطوطاً ، ولم يشيدوا بناءً! جاؤوا ، وقاتلوا ، وانتصروا ، وقتلوا ، وأحرقوا ، ثم قاتلوا ، وهُزموا ، وانقرضوا! لا شيء يدل على أنهم قد مروا يوماً ببغداد ، ولكن الأندلس ما زالت بقصورها ، ومساجدها ، وكتبها ، وأدبها ، وفنها ، تقول : لقد كنا يوماً هناك!

ولم يكن غريباً أن تحمل هذه الأمة لواء الثقافة والعلم وتقود البشرية لقرون ، هذا الدين لم يأتِ بالسيف ، ولم ينتشر به ، وإنما كان السيف يُعبّد طريق الدعوة لتصل إلى الناس ، وفي كل الفتوحات كان القتال هو الخيار الأخير الذي يتخذه المسلمون في وجه الذين يريدون أن يحولوا بين الناس ورسالة ربهم! أول كلمة في القرآن الكريم كانت اقرأ ، ويوم بدر اشترط النبيُّ ﷺ على أسرى قريش الذين يعرفون القراءة والكتابة أن يُعلّم كل واحد منهم عشرة من المسلمين ، هل يوجد دين على سطح هذه الأرض جاءه محاربوه بالسيف ليبيدوه ، فانتصر عليهم ، ونزع عنهم سيوفهم ، وقال لهم : أريد أقلامكم هذه الأمة يجب أن تقرأ!

٢٧ يناير / كانون الثاني

في مثل هذا اليوم من العام ١٨٥٠م وُلد «إدوارد جون سميث» قبطان سفينة التايتانيك!

«سفينة التايتانيك» ثاني أشهر سفينة في التاريخ بعد سفينة نوح عليه السّلام!

كانتْ يوم بنائها معجزة هندسية ، وفتحاً بشرياً في مجال الملاحة البحرية!

كان طولها ٢٦٩ متراً ، وعرضها ٢٠٠ متر ، وعمقها ١٨ متراً ، تتسعُ ل ٢٤٣٥ راكباً ، بالإضافة إلى طاقمها المكون من ٨٨٥ فرداً!

أشهر سفينة في التاريخ «وهي تجري بهم في موجٍ كالجبال» كما يقول ربنا في محكم التنزيل!

وثاني أشهر سفينة في التاريخ غرقتْ في أول رحلة لها في البحر!

عندما أنزلوا سفينة التايتانيك إلى الماء أول مرة ، احتشدت الصحافة لتغطي هذا الحدث ، سأل صحفي مالك السفينة «توماس أندروز» عن قوة وأمان هذا السفينة ، فقال له : هذه السفينة غير قابلة للغرق ، حتى الله نفسه لا يستطيع إغراقها! ثم إنه لم يطل الأمر كثيراً حتى عرف توماس أندروز أن الله يستطيع!

كل المعاصي التي نرتكبها نحن البشر في كفة ، وقلة الأدب مع الله في كفة!

إن الله سبحانه يمهل العاصي ، لدرجة أن الناس يستغربون أحياناً من حلم الله تعالى على العصاة ، ولكني لم أسمع يوماً بقليل أدب مع الله نجا!

من النمرود ، إلى فرعون ، مروراً بقارون ، قريباً من عاد ، حول ثمود ، وما قوم لوطٍ ببعيد ، هي سُنة الله في خلقه ، ما قلل أحد أدبه مع الله إلا وجعل الناس يرون فيه عجائب قدرته!

رئيس البرازيل «تانكريدو نيفاس» قال في حملته الانتخابية إذا حصلتُ على خمسمئة ألف صوت حتى الله لن يستطيع إزاحتي عن كرسي الرئاسة!

حصل على الأصوات ، وقبل تنصيبه بيوم أصيب بمرضٍ معدٍ ، ومات بعد شهر ولم يجلس يوماً واحداً على كرسي الرئاسة!

٢٨ يناير / كانون الثاني

اليوم هو اليوم العالـمي لمرض «الـجُذام» أو كما يسميه الفرنجة مرض «هانسن» عافانا الله وإياكم!

فـي العـام ١٣١٣م أمـر الـملـك فـيلـيب بإحـراق كـل الـمـصـابين بالـجُـذام لاعـتـقـاد أوروبا أن الـمرض لعنة من السمـاء! قـبل سـتـمئـة سنة من قـرار الإحـراق الأوروبي هذا ، كان الـمسلمون وتحديداً سنة ٧٠٧م قد أقاموا مـستـشـفىً تخـصـصياً لعلاجه! كُنا عظماء يا سادة!

عندما كانت سفـن الـمسلمين تمر بمحاذاة السـواحل الإيطاليـة فـي طريقـهـا إلى الأندلس ، كانت الكنائس تكفُّ عن قرع أجراسها ، كي لا يستفزوا راكبيها فيغيرون على الـمدن! كنا عظماء يا سادة!

عندما كانت لندن غارقة بالأوساخ والقمامة عن آخرها ، كانت قرطبة تسجل براءة اختراع أول صندوق قمامة في التاريخ ، وكان هناك عربات مخصصة لجمعها وتفريغها ، حفاظاً على جمالية الـمدينة وصحة أهلها! كنا عظماء يا سادة!

وفي قرطبة كانوا يضعون على الباب مطرقتين ، واحدة صغيرة وأخرى كبيرة ، فإذا طُرق البـاب بالـمطرقـة الصغيـرة يعلم أهل البيت أن الطارق امرأة فتـأتي سيـدة البيت لتفتح لها ، وإذا طُرق الباب بالـمطرقة الكبيرة ، علم أهل البيت أن الطارق رجل فيأتي ربُّ البيت ويفتح له! كنا عظماء يا سادة!

وفي أيام العثمانيين ، انتشر في بلاد الـمسلمين حجر الصدقة ، وهو عبارة عن صخرة مجوفة ، من أراد أن يتصدق يضع ماله فيها ، فيأتي الـمحتاج ويأخذ منه كي لا يذل نفسـه ويمد يده إلى الناس! وهكذا لا يعـرف الناس الـمُعطي من الآخـذ! كنا عظماء يا سادة ،لـم نحفل بالأجر فقط ، وإنما كنا نرمم كرامة الناس أيضاً!

٢٩ يناير / كانون الثاني

في مثل هذا اليوم من العام ١٨٦٠م وُلد «أنطون تشيخوف» الذي يُعتبر أفضل كاتب للقصة القصيرة في التاريخ! كان فوق مهارته الأدبية طبيباً بارعاً ، وكان يقول عن تجربتيه الكتابية والطبية : الطب هو زوجتي والأدب هو عشيقتي!

كانت قصص تشيخوف في بداياتها ساخرة وتفتقر إلى العمق ، ثم سرعان ما نضجتْ وتعملقتْ وهذا يظهر جلياً في قصصه المعلمة ، الساحرة ، فتاة الكورس ، فولوديا!

صحيح أن تشيخوف ليس أول من كتب قصة قصيرة ، هذا الفن موغل في التاريخ حتى لا يكاد يُعرف له بداية ، ولكن يُحسب لتشيخوف أنه أول من أبدع بإظهار النفسيات الداخلية لشخصياته الحكائية ، فقد كان على عكس الذين سبقوه ينظر إلى الشخصيات من الداخل! ومما يُحسب له أيضاً من إضافات على أدب القصة القصيرة مستوى العاطفة التي تزخر بها قصصه!

لم يكن تشيخوف يعيش في برجه العاجي ، على العكس من هذا تماماً لقد عايش كل ما كتب عنه ، كان لصيقاً بالفقراء ، وشيد لهم أكثر من مدرسة على نفقته الخاصة ، وكلما سمع بِوَباءٍ قد انتشر في أصقاع روسيا كان يسافر ليعالج الناس بالمجان! وعندما ألَّف كتابه «الهاربون في سخالين» وهي شبه جزيرة في سيبيريا كان الاتحاد السوفياتي قد اتخذها منفى لمعارضيه ، ذهبَ إلى هناك ، وعاش معهم ، وذاق ضراوة ثلج القطب الشمالي ، فرسم واقعهم اليومي وكشفَ عن وحشية الحكومة القيصرية!

كان تشيخوف يرى أن مهمة الطب هي حل مشاكل الناس الصحية وتخفيف آلامهم ، أما دور الأدب فهو الارتقاء بالإنسان نحو تحقيق إنسانيته الكاملة ، لهذا كان يقول : دور الأدب هو طرح الأسئلة لا تقديم الإجابات!

من أقواله التي تعجبني :

أشياء لا تحتاج أن تبررها للآخرين : مستوى تعليمك ، مظهرك ، علاقتك بربك ، وقتك الخاص واختياراتك في الحياة!

٣٠ يناير / كانون الثاني

في مثل هذا اليوم من العام ٢٠١٣م توفي جمال البنا ، الشقيق الأصغر لحسن البنا مؤسس جماعة الإخوان المسلمين ، لم يكن جمال إخوانياً أبداً كأخيه ، كان بعيداً عن الحركات الإسلامية جميعها ، أكثر من انتقادها ، وهذا من حقه ، إن حرية التفكير والاختلاف والاتفاق كفلها الإسلام للجميع ، بل وحثَّ على التفكر والتدبر واستنباط الأحكام ولكن جمال برأيي أحد أغبى الذين تفكروا واستنبطوا!

كان مثقفاً من الطراز الأول ، يقرأ بنهم ، ويُؤلف بكثرة ، حتى تجاوزت مؤلفاته وترجماته المئة وخمسين كتاباً ، ولكنه على كل هذا الاجتهاد والسعي الذي يُحسب له ، كان له اجتهادات فقهية خالف بها إجماع الأمة منذ بعثة نبيها عليه الصلاة والسلام حتى يومنا هذا!

طريقته في الاستنباط ، ومقارنة الأدلة ، ترقى إلى مرتبة الجدل البيزنطي ، فهو يسوق لك الآية القرآنية ، والحديث الشريف سياقاً تستغرب كيف لمثله أن يفهم هذا من نص لو أُعطي لمن هو في ربع علمه وثقافته لفهمه بطريقة أفضل!

ومن عجائب اجتهاداته الفقهية ، وآرائه الشرعية ما يلي :

- التدخين أثناء الصيام لا يُبطل الصوم لأنه ليس طعاماً ولا شراباً ، فمن دخّنَ وهو صائم فصيامه صحيح!
- يجوز للمرأة أن تؤم المصلين في المسجد إذا كانت أحفظ للقرآن من الرجال الذين يحضرون الصلاة!
- تبادل القُبلات بين الرجال والنساء إثم صغير يدخل في اللمم المذكور في الآية القرآنية ولا يصل إلى حد الحرمة!
- لا يجوز للرجل أن يطلق زوجته منفرداً ، فلو قال لها أنتِ طالق فإن الطلاق لا يقع إذا لم توافق هي عليه!
- الحجاب ليس فرضاً على المرأة المسلمة ، وإنما المعني بآية الحجاب هُن زوجات النبي ﷺ فقط!
- حد الردة لا وجود له في الإسلام ومن حق المسلم أن يعتنق اليهودية أو المسيحية وممنوع أن يُعاقب على هذا!

٣١ يناير/كانون الثاني

في مثل هذا اليوم من العام ١٧٩٧م وُلد «دانيال درو» أحد أشهر الـمُضاربين بالأسهم في بورصة «وول ستريت»!

بعيداً عن حُكم الشرع في البورصة والـمُضاربات، يعنينا فقط أن نأخذ درساً في الحياة من هذا الـمُضارِب الشهير!

كان «دانيال درو» مشهوراً في مجال عمله، يكفي أن يشتري بعض الأسهم ليُقبل الناس على شرائها، وأن يبيع بعض الأسهم ليُقبل الناس على بيعها! ولكنه لم يكن يُحب الـمشاركة كثيراً، ولم يكن من ضمن همومه أن يُحقق الناس الثراء أو يفتقروا، كل ما كان يهمه أن يُنمِّي ثروته الخاصة فقط!

كان «دانيال درو» يعمل وفق مبدأ: ليس للناس الحرية في أن يُقرِّروا أي أسهم يبيعون وأي أسهم يشترون، أنا من أقرر هذا! ولكنه لم يكن يستخدم أسلوباً مباشراً ليتلاعب بالناس لأن الأسلوب المباشر سيفتضح بسرعة، وإنما كان إذا أراد بيع أسهم، يدخل إلى الحانات القريبة من «وول ستريت» والتي أغلب روادها من رجال البورصة، ويطلب مشروباً ثم عندما يمد يده إلى جيبه ليُخرج النقود ويدفع الحساب، يتعمَّد إسقاط ورقة فيها معلومات عن أن هذه الأسهم سترتفع قريباً جداً، ويتظاهر بعدم الانتباه لسقوط الورقة، وما إن يخرج حتى ينقض رجال البورصة على الورقة انقضاض الأُسُود على غزال! صيدٌ ثمينٌ، وغنيمةٌ سهلة، وعلى الفور يشترون الأسهم التي أراد لهم أن يشتروها، ولا حاجة للقول أنه هو كان مالك تلك الأسهم وقد حقَّق ربحاً كبيراً عن طريق رفع سعرها بناءً لقانون العرض والطلب!

كرَّر «دانيال درو» هذه الخطة في حانات عديدة، وكان ينجح في كل مرة، ومرَّت سنوات حتى اكتشف رجال البورصة أنه كان يتلاعب بهم!

١ فبراير / شباط

في مثل هذا اليوم من العام ١١٠١م انتهى أبو حامد الغزالي من تأليف كتابه «إحياء علوم الدين» . ولا يُعتبر الإحياء من أشهر كتب الغزالي فحسب بل إنه من أشهر كتب المسلمين على مرِّ العصور!

والغزالي لا يختلف اثنان على فضله وعلمه ، أما الكتاب فقد انقسم فيه الناس مذاهب شتى ، منهم من بلغ حد المغالاة فيه ، ويُنسب للإمام النووي أنه قال : كاد الإحياء أن يكون قرآناً! مع أني أستبعد أن يصدر هذا الكلام عن النووي لسبب سيأتي لاحقاً! وقال بعضهم : لو مُحيتْ كتب الإسلام لاستُخْرِجت من الإحياء!

ومن الناس من ذهب متطرفاً حد اعتباره بدعة ، أما العدل فكان في علمية وموضوعية ابن السبكي ، وابن الجوزي ، فقد أثنيا على الكتاب ولكنهما كلاً على حدة تفرغا للحديث عن سلبياته ، فابن السبكي أخرج من الإحياء ٩٤٣ حديثاً ليس لها سند! أما ابن الجوزي فقال : إن كتاب الأحياء فيه آفات كثيرة لا يعلمها إلا العلماء ، أقلها الأحاديث الباطلة والموضوعة! ولهذا السبب أستبعد أن يكون الإمام النووي صاحب المقولة أعلاه ، فليس من المنطقي برأيي أن يفوت محدث مثله ، وصاحب كتاب في الحديث كرياض الصالحين هذا الكم من الأحاديث التي لا تصح ثم يُتوِّج هذا كله بوصفه «كاد الإحياء أن يكون قرآناً!»

ومهما يكن من أمر ، يبقى الإحياء كتاباً جليلاً ، عظيم الفائدة لمن توفرت له نسخة فيها تخريج للأحاديث الواردة فيه ، فمقتل الغزالي في الكتاب أنه أكثر من رواية الحديث ولم يكن مُحدِّثاً ، وليس له باع في الجرح والتعديل بمقدار ما له في مجالات أخرى!

ومن طريف ما يُروى عن الإمام الغزالي أنه في إحدى رحلاته لطلب العلم باغتته جماعة من اللصوص ، فجردوه من ماله وحاجاته ، وانتزعوا مخلاته التي تحوي أوراقه ومذكراته .

وتركوه يذهب ، ولكنه ظل يمشي وراءهم ، فنهره رئيس العصابة طالباً منه الذهاب في طريقه مهدداً إياه بالقتل ، ولكن الغزالي استمر في متابعة العصابة لعدة ساعات!

فسأله رئيس العصابة عن سبب متابعته لهم وعدم انصياعه لتهديده بالقتل وهو الأعزل من السلاح .

فقال له : أريد مخلاتي فهي تحوي أوراقي ومذكراتي .

فقال زعيم العصابة : ألهذا تتبعنا؟

قال : أجل .

فرماها إليه بازدراء وقال له : ما نفع الـمعرفة إذا كانت مدونة في دفاتر حتى إذا ضاع الدفتر ضاعت الـمعرفة!

ولعل هذا القول من أجمل ما قاله اللصوص على مر التاريخ!

٢ فبراير / شباط

في مثل هذا اليوم من العام ١٩٧٠م توفي «برتراند راسل» الفيلسوف وعالم الرياضيات والمؤرخ والناقد البريطاني الشهير والحائز على جائزة نوبل للآداب عام ١٩٥٠م!

كان راسل ضد الحروب وقد سُجن بسبب دعوته للسلام أثناء الحرب العالمية الأولى ، كذلك كان من أشد منتقدي أدولف هتلر وسياساته الاستعمارية والعنصرية ، وبطبيعة الحال كان ضد ستالين وشيوعيته ، وكان ضد حرب فييتنام ، وهو من دعاة نزع الأسلحة النووية من العالم!

وُلد راسل لأبوين مسيحيين ، ثم ما لبثَ أن صار ملحداً! وكانت نظرته إلى الدين نظرة غاية في السلبية ، فقد كان يرى أن الدين يعمل على إعاقة المعرفة ، وتعزيز الخوف والاعتمادية! كما أنه المسؤول عن الحروب في العالم! ولإثبات عدم وجود الله اعتمد راسل على منطق أعوج ، فقد كان يرى أن الله لو كان موجوداً فيفترض أن يكون خيِّراً ، وإن وجود الشر في العالم دليل على عدم وجود الله! ومن أقواله في هذا المجال : لا يستطيع أحد الجلوس إلى جانب سرير طفل يُحتضر ويحتفظ بإيمانه بالله!

إن اعتقاد راسل أن الدين يعمل على إعاقة المعرفة له تبرير برأيي ، وهو أنه يقيس كل الأديان على الدين المسيحي في العصور الوسطى ، فالكنيسة كانت قد جعلت الكثير من الخرافات بمثابة الحقائق الإلهية التي يُعتبر الإيمان بها واجباً ومجرد التفكير بردِّها كفر وهرطقة ولم تستلم أوروبا راية العلم إلا بعد أن أقصت الكنيسة عن قيادة المجتمع! خطأ راسل أنه اختصر الدين بالكنيسة ، واختصر الله بالأساقفة والقساوسة ، ولا أدري كيف فاته أنه ما من شيء نقل العرب من رعي الماشية والاقتتال على الكلأ والملأ إلى صانعي حضارة وقادة للمعرفة البشرية لمئات السنوات غير هذا الدين!

إن العربي الذي هزم كسرى وقيصر هو العربي الذي كان متفرغاً للثأر والخمر والغزو والوأد ، لم ينقله هذه النقلة النوعية إلا هذا الدين الذي قلب المجتمع رأساً على عقب وحوّل هذه الأمة من ذيل تابع للأمم الأخرى إلى رأس يقود البشرية جمعاء!

٣ فبراير / شباط

في مثل هذا اليوم من العام ١٩٧٤م أصدر الكاتب البريطاني «كولن ويلسون» روايته الشهيرة «عالم العناكب»!

والرواية باختصار تروي سيطرة عناكب ضخمة على كوكب الأرض ، وقامت باحتجاز البشر وتربيتهم لأكلهم لاحقاً!

ويهربُ بعض الناس إلى كهوف داخل الأرض ، كان منهم عائلة «ينال» الذي استمع من جده «جومار» قصص الماضي المجيد عندما كان البشر يحكمون هذا الكوكب! والرواية على الخيال العلمي الذي فيها إلا أنها في الحقيقة مليئة بالرموز والإسقاطات ومن قرأ ما بين السطور أدرك أن الدول القوية المتعاقبة كانت تشبه إلى حد بعيد أمة العناكب الجديدة!

وبعيداً عن الرواية ، فإن العناكب أمة غريبة ، في القرآن الكريم سورة باسمها «العنكبوت» وقد جاء ذكرهم في السورة ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾

ولمصطفى محمود رحمه الله قول جميل في تفسير الآية في كتابه «القرآن : محاولة لفهم عصري»! حيث يرى أن الوهن ليست صفة للخيط فقط وإنما للبيت! فإن خيط العنكبوت الرقيق يضاهي بقوته خيط النحاس لو كان بمثل رقته ، وإنما الوهن راجع إلى نظام بيت العناكب وطقوسها الاجتماعية!

فبيت العنكبوت هو أبعد البيوت عن صفة البيت لغياب الأمن والسكينة عنه ، فالعنكبوت الأنثى هي التي تنسج ولا يستطيع الذكر أن ينسج ، لهذا فإن الأنثى هي الحاكمة والمسيطرة وهذه واحدة!

ثم إن الأنثى بعد أن يتم تلقيحها من قبل الذكر تقوم بقتله وأكله! وكذلك فإن الأبناء يأكل بعضهم بعضاً لتخفيف عدد الأفواه في البيت والحصول على كمية طعام أكبر من الأم وهذه الثانية!

كما أن بيت العنكبوت في الأصل ليس للسكن وإنما هو مصيدة وفخ للحشرات ، فهو بهذا المفهوم مسلخ للآخرين وليس مأوى لأهله وهذه الثالثة!

٤ فبراير / شباط

في مثل هذا اليوم من العام ٢٠٠٤م تم إطلاق موقع التواصل الاجتماعي الأشهر «فيسبوك» ، ومنذ ذلك التاريخ لم يعد كوكب الأرض كما كان من قبل! صار فيسبوك في زمننا كالـمتنبي في زمنه : مالئ الدنيا وشاغل الناس!

- ثلث حالات الطلاق التي وقعت في أمريكا في الـخمس سنوات الأخيرة ورد في عريضة أسباب الطلاق كلمة «فيسبوك»!
- ذكرت صحيفة «الإندبندنت» البريطانية أن رسائل «واتس أب» الـمملوك لفيسبوك تسببت بأربعين بالـمئة من حالات الطلاق في إيطاليا وحدها!
- وفي دراسة لموقع «ديفورس أون لاين» البريطاني تبين أن موقع فيسبوك تسبب في ثلث حالات الطلاق عام ٢٠١١م في بريطانيا!
- أربعون ألف حالة طلاق في مصر كانت بسبب الفيسبوك!

هذه الدراسات أوردْتُها من باب الاستشهاد وليس بغرض التصديق ، طبعاً لا شك عندي أن مواقع التواصل كانت سبباً في إغلاق كثير من البيوت ، ولكن بشأن الأرقام الواردة فحقيقة لا أُصدقها ولا أُكذبها!

ولكن مهما يكن من أمر فإني أرفض فكرة أن الفيسبوك قد ضرب بيوت الناس ، والسبب أن الفايسبوك وغيره من مواقع التواصل هي في النهاية مجرد أدوات ، والـمشاكل في البيوت تقع بسبب الاستخدام الـخاطئ لهذه الأدوات وليس لمجرد أنها موجودة!

إذا طعن أحدهم زوجته بسكينة فليس من العقل ولا الـمنطق أن نُحمِّل السكينة مسؤولية هذه الـجريمة ، إن الاستخدام الـخاطئ لهذه الأداة ، والعقلية التي أدت إلى استخدامها بهذه الطريقة هي الـمسؤولة!

طبعاً لا أنكر أن مواقع التواصل ، وتعلق الناس الشديد بها ، عامل محفز ومساعد على التشتت الأسري ، ولكن بالـمقابل كلنا نعرف آلاف الفقراء الذين لديهم ألف سبب ليسرقوا ولكنهم لا يفعلون! بمنطق التحفيز هذا سنلغي إرادة الإنسان ، وكونه كائنًا مُقرِّرًا لا مجرد ضعيف تابع ، وإلا لو ساد هذا الـمنطق لتم تبرير كل جرائم العالـم ، كالذي يبرر الاغتصاب بوجود النساء!

٥ فبراير / شباط

في مثل هذا اليوم من العام ١٨٨١م تُوفي الكاتب الإسكتلندي النبيل «توماس كاريل»! وقد وصفته بالنبيل لأن الإنصاف الذي تحدث به عن النبي ﷺ في كتابه «الأبطال وعبادتهم» يندر أن نجد له مثيلاً ، حتى أنني أستغربُ أن يصدر هذا الكلام عن شخص يرى نبينا بهذه العين ولا يتبعه ، إنه أشبه ما يكون في كتاباته هذه بأمية بن الصلت الذي قال عنه النبي ﷺ : آمن شِعره وكفرَ قلبه!

لم يختر «توماس كاريل» بطلاً واحداً لكتابه «الأبطال وعبادتهم» وإنما اختار في كل مجال بطلاً :

البطل حاكماً اختار نابليون ، والبطل أديباً اختار شكسبير ، والبطل راهباً اختار مارتن لوثر ، والبطل نبياً اختار محمداً عليه الصلاة والسلام ، وقائمة الأبطال تطول!

من أقواله الـجميلة في رسولنا الكريم في فصل كتابه الـمعنون ب «البطل نبياً» :

- لو وُضع قيصر بتاجه وصولجانه وسط هؤلاء القوم بدل هذا النبي لما استطاع أن يجبرهم على طاعته كما استطاع هذا النبي بثوبه الـمرقع! هكذا تكون العظمة والبطولة والعبقرية! ولولا ما وجدوا فيه من النبل والفضل ما خضعوا لإرادته!
- كان محمد زاهداً في مسكنه ومشربه وملبسه ، تمضي الأيام ولا تُوقد في بيته نار لطعام ، كان متقشفاً ، زاهداً ، دائباً في نشر دينه غير طامح إلى رتبة أو سلطان!
- أحبُّ محمداً لبراءة طبعه من الرياء والتصنع ، فقد كان ابن الصحراء مستقل الرأي ، لا يعتمد إلا على نفسه ، ولا يدعي ما ليس فيه!
- من العار أن يصغي أي إنسان مثقف إلى وهم القائلين أن دين الإسلام كذب! وأن محمداً لم يكن على حق ، لقد آن أن نحارب هذه الادعاءات السخيفة ، فالرسالة التي دعا إليها هذا النبي ظلتْ سراجاً منيراً أربعة عشر قرناً من الزمن لملايين كثيرة من الناس! فهل من الـمعقول أن تكون هذه الرسالة أكذوبة كاذب ، أو خديعة خادع؟ هل رأيتم رجلاً كاذباً يستطيع أن يخلق ديناً ويتعهده بالنشر بهذه الصورة؟! إن الرجل الكاذب لا يستطيع أن يبني بيتاً من

طوب فما بالك بالذي يبني بيتاً دعائمه هذه القرون العديدة ، وتسكنه هذه الـملايين من الناس!

- الرسالة التي أداها محمد هي تجسيد للصدق والـحق ، وما كلمته إلا صوت حق صادق وما هو إلا شِهاب أضاء العالـم أجمع!

أخيراً أسأل الله أن تكون كلمات توماس كاريل في قلبه وأخفى ما فيه ولم تكن في قلمه فقط!

٦ فبراير / شباط

في مثل هذا اليوم من العام ١٢٢٨م دخل المغول بقيادة هولاكو إلى بغداد! سقطتْ عروس الأرض في ذلك اليوم تحت براثن الغزاة!

لم يطل الزمان بالغزاة الهمج في بغداد ، سرعان ما نظفت هذه الأمة جرحها ، وأصلحت علاقتها بربها ، وفي العام ١٢٦٠م كانت جيوشنا ترد الصفعة للغزاة في عين جالوت وتعيد بغداد إلى هذه الأمة حيث تنتمي!

قد يسأل سائل : لماذا سقطتْ بغداد ، ولماذا سقطتْ بعدها الأندلس؟

إليك الجواب في هذه القصة :

بينما كانت ابنة هولاكو تتجول في شوارع بغداد رأتْ حشداً غفيراً من الناس يجتمعون بمجلس أحد العلماء ، فسألت متعجبة : من هذا؟

فأخبروها أنه رجل من علماء المسلمين ، فأمرتْ أن يأتوها به مربوط الرجلين واليدين بعمامته! ففعلوا ، ولما صار بين يديها دار بينهما حوار :

قالت ابنة هولاكو : أنت عالم من علماء المسلمين

قال : نعم

- إن الله يحبنا ولا يحبكم ، فقد نصرنا عليكم ، ولم ينصركم علينا ، وقد علمتَ أن الله يقول : ﴿والله يؤيد بنصره من يشاء﴾!
- أتعرفين راعي الغنم؟
- كلنا يعرفه
- أليس الغنم غنمه؟
- بلى
- ألا يوجد بين يديه بعض الكلاب؟
- بلى
- ما عمل الكلاب؟
- تحرسُ له غنمه ، وتعيد إليه الغنم الشاردة
- إنما مثلنا ومثلكم كذلك ، الله سبحانه هو الراعي ، ونحن غنمه ، وأنتم كلابه ، فلما شردنا وابتعدنا عنه ، سلطكم علينا ، ومتى عدنا إليه كف شركم عنا!

ما أشبه اليوم بالأمس ، الحكاية القديمة ذاتها ، كلاب مسلطة حتى تعود هذه الأمة إلى ربها!

٧ فبراير / شباط

في مثل هذا اليوم من العام ١٩٦٥م أعلن الـملاكم الأمريكي «كاسيوس كلاي» إسلامه ، وغيّر اسمه إلى «محمد علي كلاي»!

محمد علي كلاي رياضي القرن بحسب «سبورتس ألستريتد» ، والشخصية الرياضية للقرن بحسب «بي بي سي» ، وصاحب أسرع وأقوى لكمة في تاريخ البشرية ، حيث تعادل قوتها ألف باوند ، لم يجد نفسه في كل هذا كما وجدها في سورة طه كما يقول!

الذي تعرفونه جميعاً أن محمد علي كلاي كان ملاكماً له قبضة مهولة ، ولكن الذي لا يعرفه الكثيرون أن قلبه كان أقوى من لكمته ، لقد رفضَ الذهاب إلى فيتنام ليشارك في الـحرب التي شنتها أمريكا هناك! عقد مؤتمراً صحفياً وقال فيه : لن أذهب للحرب هناك ، نحن الـمسلمون لا نخوض حروباً إلا في سبيل الله ، لماذا عليَّ أن أحارب أشخاص لا أعرفهم ولم يلقبوني يوماً بالزنجي!

سُحب منه اللقب ، ومُنع من ممارسة الـملاكمة لثلاث سنوات ، وعندما عاد عام ١٩٧٠م حصل على بطولة العالـم في الـملاكمة!

أسلم على يديه أكثر من مليون أمريكي ، وخصص مئتي مليون دولار لطباعة القرآن وكتيبات تعريفية بالإسلام ، حوّل قصره إلى مسجد ومدرسة لتعليم القرآن ، وأخيراً بنى أكبر مسجد في شيكاغو من ماله الـخاص!

عام ١٩٩٠م وقف في البيت الأبيض بين كبار مستقبلي الرئيس السوفياتي ميخائيل غورباتشوف وأهداه نسخة من القرآن الكريم ، ودعاه إلى الإسلام على مرأى الرئيس الأمريكي بوش الأب!

رفض عرض هوليوود بوضع نجمة باسمه على الأرض إلى جانب مشاهير العالـم ، وقال لهم : اسم النبي لا يوضع على الأرض! فرضخوا لشرطه ووضعوا نجمة باسمه على جدار الـممر وليس على أرضه كبقية الـمشاهير ، لتصبح نجمته هي النجمة الوحيدة التي لا تطؤها الأقدام!

رحم الله محمد علي!

٨ فبراير / شباط

في مثل هذا اليوم من العام ٥٥م تولّى نيرون الـحكم في الإمبراطورية الرومانية ، ليكون بذلك إمبراطور روما الـخامس ، واليوم بعد مضي ما يقارب ألفي سنة على توليه الـحكم ما زال يُضرب به الـمثل في الاستبداد والتسلط وجنون العظمة!

تُجمع كتب التاريخ على رسم صورة نيرون غاية في الـجنون والتطرف والإجرام ، فقد تولى الـحكم صغيراً وكانت والدته وصية عليه ، حاولت إعداده للحكم ولكنه كان طائشاً عديم الـمسؤولية ، ماجناً يكثر من التردد على بنات الهوى ، وانتهى به الأمر أن تزوج إحداهن ، فغضبتْ والدته وطلبت منه أن يتركها ، فما كان منه إلا أن أرسل صديقه الـمقرب إلى قصرها ليقتلها ، فذهب إليها ، وطعنها بالسيف في بطنها ثم أحرق جثتها!

من أكثر أعمال نيرون جنوناً هو إحراقه لروما! لم تكن تعجبه روما بالشكل الذي هي عليه ، فقرر هدمها وإعادة بنائها ولكنه لقي معارضة شديدة ، وعندما علم أن الأمر لن يتم بالـحسنى أشعل النار في كل أرجاء روما ، فاحترق منها عشرة أحياء من أصل أربعة عشر حياً ، وكان هو في هذه الأثناء قد اتخذ له كرسياً في برجٍ عالٍ وأخذ يراقب بلذة ألسنة النار وهي تلتهم الـمدينة!

إن صحَّ كل ما كُتب عن نيرون فلا أعتقد أن مستبداً في تاريخ البشرية يمكن أن ينافسه على هذا اللقب! وإن كان ما كتب عنه فيه مبالغات وأعمال لـم يرتكبها فهذا برأيي يرجع إلى خلفية أوروبا الدينية ، فتاريخ روما دُوِّن وأوروبا تدين بالـمسيحية برمتها ، ونيرون هو الإمبراطور الذي اضطهد الـمسيحيين ونكَّل بهم يوم كانت الوثنية هي دين الإمبراطورية ، ولا شك أن التاريخ يخضع دوماً لهوى كاتبيه ، ولكن حتى وإن زِيدَ في جنونه فقد كان فيه من الـجنون ما يكفي ليجعل منه مستبداً!

٩ فبراير / شباط

في مثل هذا اليوم من العام ١٨٨١م توفي «فيودور دوستويفسكي» الأديب الروسي الشهير الذي يُصنفه كثيرون بأنه الروائي الأول في تاريخ البشرية ، فصاحب الجريمة والعقاب ، والأبله ، والإخوة كارامازوف ، ومذكرات قبو ، وحلم رجل مضحك ، والمقامر ، والمراهق ، والفقراء ، كان روائياً بحق ولا أعتقد أن اثنان قد يختلفان على هذه الحقيقة وإن اختلفا حول إن كان هو الروائي الأول في العالم أم لا!

وفي الآونة الأخيرة انتشرت أقوال كثيرة لدوستويفسكي ، البعض قالها الرجل حقاً ، والبعض منها نسبها إليه «أشباه المثقفين» الذين أعجبتهم تلك المقولات فلم يعرفوا لها صاحباً ، فنسبوها للرجل من باب البرستيج الثقافي ، وهذه إحدى الطامات الكبرى التي ابتلينا بها!

أغتنمُ هذه المناسبة لأشارككم بأقوال قد قالها الرجل فعلاً!

١- ليذهب كل الرجال إلى الجحيم ، هذا ما ستقوله امرأة غاضبة الآن ، وفي الصباح ستجري اتصالاً بالجحيم لتخبره أنها لم تنم لأنها لم تسمع نبرة صوته!

٢- لا حرية صادقة حيث تُشترى الطاعة بالخبز ، لقد أجبتَ بقولك : ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان!

٣- اعلَمْ يا عزيزي أن جميع النصائح التي تستهدف نفع الآخرين ليست إلا تدخلاً في شؤونهم!

٤- إنّ الذي نحبه أكثر من غيره ، نعذبه قبل غيره ، هذا يحدث دائماً!

٥- أنا آسف لأنني سيء في الحب ، ولكني أحببتك بكل ما أملك من سوء!

٦- ماذا لو كان العنكبوت الذي قتلته في غرفتك يظن طوال الوقت أنك رفيقه في السكن!

٧- يعتمد قبول الناس لرأيك على مقدار ما تملك من مال ، لذلك إن كنت فقيراً فالصمت أفضل لك!

٨- يحدث أن تمر بك فترة صمت ، لا مزيد من الكلام ، لا مزيد من الشعور ، لا مزيد من الأشخاص!

٩- إنني أرى كثيراً من الناس ولكني أظل وحيداً!

١٠- أن تُخطئ بطريقتك أفضل من أن تصيب بطريقة غيرك!

١٠ فبراير / شباط

في مثل هذا اليوم من العام ١٩١٨م توفي السلطان عبد الحميد الثاني السلطان الخامس والثلاثون للخلافة العثمانية . والحق يُقال أن الخلافة العثمانية قد حملتْ الإسلام على أكتافها قروناً طويلة ، ومن الإجحاف اختصار تاريخ هذه الخلافة العظيمة بالمئة سنة الأخيرة حيث أصابها ما يصيب الدول عندما تترهل ، فوقعت ضحية أخطائها القاتلة وضحية أطماع أوروبا في أراضي الرجل المريض كما كانت تسمى الخلافة العثمانية في آخر أيامها!

وبالعودة إلى السلطان عبد الحميد ، فالرجل كان عظيماً ، شهماً ، وليس له عيب سوى أنه تولى دولة آيلة للسقوط ، منخورة من الداخل ، وهذا ليس له يد فيه على أية حال ، وسيذكر التاريخ دوماً موقفه الخالد ، يوم عرض عليه ثيودور هرتزل أن يسدد له كافة ديون الخلافة مقابل أن يسمح لليهود بالإقامة في فلسطين ، فكان رد السلطان عبد الحميد : لا أستطيع بيع شبر واحد من هذه الأرض ، هذه الأرض ليست ملكاً شخصياً لي ، بل هي ملك للأمة ، وإن قطعتم جسدي قطعة قطعة لن أتخلى عن شبر واحد من فلسطين!

الذين يؤمنون أن الناس ليسوا بالضرورة أن يكونوا على دين ملوكهم يستشهدون بحياة السلطان عبد الحميد ، فقد كان هو في وادٍ ، والطبقة المحيطة به في وادٍ ، ومن خلفهم حزب الاتحاد والترقي ، والجمعية العثمانية الفتاة ، والتعصب للقوميةً التركية بعد أن كانت الخلافة لقرون تسوس الناس على مبدأ لا فرق بين عربي وأعجمي إلا بالتقوى ، لقد كان الرأس صالحاً ولكنه لم يستطع أن يعالج الجسد الهزيل للدولة ، كل ما حققه أنه خرج من الدنيا بموقف مشرف يُحسب له!

والذين يؤمنون أن الناس على دين ملوكهم يستشهدون بعمر بن عبد العزيز ويقولون بقول ابن كثير في البداية والنهاية :

كانت همة الوليد بن عبد الملك في البناء ، فكان الناس كذلك ، يلقى الرجلُ الرجلَ فيقول له : ماذا بنيتَ وماذا عمَّرتَ؟!

وكانت همة أخيه سليمان في النساء ، وكان الناس كذلك ، يلقى الرجلُ الرجلَ فيقول له : كم تزوجتَ؟ وما عندك من السراري (جمع سَرية)؟

وكانت همة عمر بن عبد العزيز في قراءة القرآن وفي الصلاة والعبادة ، وكان الناس كذلك ، يلقى الرجلُ الرجلَ فيقول : كم وردك؟ وكم تقرأ كل يوم؟ وماذا صليتَ البارحة؟!

١١ فبراير / شباط

في مثل هذا اليوم من العام ١٠٩٣م وُلد الملك الألماني الشهير «كونراد الثالث» .

في العام ١١٤٠م احتل كونراد قلعة ونسبيرغ ، وأمر النساء فقط بالرحيل وحمل ما يمكنهن حمله ، فقُمنَ بحمل أزواجهنّ الجنود على أكتافهنَّ! سُميتْ فيما بعد قلعة ونسبيرغ بقلعة الزوجات الوفيات!

ومع الزوجات الوفيات نكمل :

بكى عمر المختار حين ماتت زوجته

فقالوا له : ما يبكيك؟!

فقال : كنتُ كلما جئتُ إلى خيمتي بعد معركة ضد الإيطاليين ، ترفع باب الخيمة لأدخل ، فأسألها : لِمَ تفعلين هذا؟

فتقول : كي تبقى رافعاً رأسك ولا تنحني!

أما خديجة بنت خويلد ، فكانت أعظم زوجة في التاريخ ، منذ اللحظة الأولى لنزول الوحي أخذت مكانها في المعركة ،لقد كانت جبهة النبي ﷺ الداخلية ، وخطوط إمداده المالي والعاطفي ، فحتى قبل أن يخبره ورقة بن نوفل أنه سيكون نبي هذه الأمة ، وأن ما نزل عليه هو الوحي الذي كان ينزل على موسى ، قالت له هي : واللهِ لا يخزيك الله أبداً ، إنك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث ، وتحمل الكُلَّ ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الدهر!

وأصدق كلام تُوصف به المرأة هو ما يكون من زوجها بعد موتها ، إذ أنه لا يرجو منها دنيا يصيبها ، ولا عاطفة يستميلها ، وكل ما يقوله النبي ﷺ صدق بغض النظر متى قاله ، ولكن لوضع القول في سياقه الزمني كانت هذه الكلمات ، وقد قال عنها :

«آمنتْ بي إذ كفر بي الناس ، وصدقتني إذ كذبني الناس ، وواستني بمالها إذ حرمني الناس ، ورزقني الله عز وجل ولدَها إذ حرمني أولاد النساء»!

١٢ فبراير / شباط

في مثل هذا اليوم من العام ١٥٠٢م بدأ الإسبان حملةً لتنصير كل الـمسلمين في غرناطة بعد انهيار دولة الـمسلمين هناك!

طوال مئات السنوات لم يهدم الـمسلمون في الأندلس كنيسة واحدة ، ولم يجبروا مسيحياً على اعتناق الإسلام ، وتقول الـمستشرقة الألمانية «سيغريد هونكه» صاحبة كتاب «شمس العرب تشرق على الغرب : أثر الحضارة العربية في أوروبا» :

أن التسامح الديني في الأندلس لم يشهد له مثيل في التاريخ ، كانت الكنائس تقرع أجراسها بحرية حين لم يكن في الأندلس غيرها مظهراً من مظاهر الـمسيحية!

الفرق بيننا وبينهم ، أننا ذهبنا إليهم بـ«لا إكراه في الدين» ، وهم جاؤوا إلينا يريدون أن يُكرهونا حتى على بيتزا هات وماكدونلد فضلاً عن ديمقراطيتهم السامجة التي تكيل بألف مكيال!

حملة التنصير التي بدأها الإسبان في الأندلس لم تكن مناظرات فكرية ، ولا حوارات ثقافية ، لقد كانت محاكم التفتيش ، أبشع مؤسسة تعذيب في التاريخ بشهادة الأوروبيين أنفسهم ، وما زالت أدوات تعذيبهم تُعرض في الـمتاحف ، وإن أفلام الرعب التي تشاهدونها على التلفاز تُعتبر شيئاً مخففاً من التعذيب الذي لاقاه الـمسلمون في الأندلس!

قبل محاكم التفتيش بثمانمئة سنة ، هدم الوليد بن عبد الـملك جزءاً من كنيسة يوحنا ليبني الـمسجد الأموي في دمشق ، وحين ولي عمر بن عبد العزيز الـخلافة ، شكا إليه نصارى الشام ما حدث لكنيستهم!

فأصدر عمر أمره :

يُهدم ذلك الـجزء من الـمسجد ويُعاد إلى النصارى!

أرسل فقهاء الشام وفداً إلى الـخليفة ليُقنعوه بالعدول عن رأيه ، والتعويض الـمادي على النصارى ، فرفض ، وقال الأرض أرضهم ، ولكم أن ترضوهم أنتم أو تعيدوا لهم ما كان لهم!

وبالفعل تم الاتفاق على أن يُعطوا أرضاً تفوق أرضهم مساحة مقابل أن يبقى الـمسجد كما هو ، عندها قال عمر : أما الآن فنعم!

١٣ فبراير / شباط

يُصادف اليوم ، اليوم العالـمي لسرقة البنوك نسبة إلى «جيسي جيمس» الذي نجح في ١٣ فبراير/شباط عام ١٨٦٦م بأول سرقة لبنك في العالـم!

وعلى سيرة اليوم العالـمي لسرقة البنوك ، قرأتُ مرةً قصة طريفة في هذا الـمجال :

أثناء عملية السطو على أحد البنوك في كوانغتشو في الصين ، صرخ اللص في الناس الـمنبطحين على أرض البنك : لا تتحركوا ، الـمال ملك الدولة وحياتكم ملك لكم! هذا ما يسمى بمفهوم تغيير التفكير!

أخذ اللصوص الـمال ، وعندما وصلوا إلى وكرهم ، قال لص صغير موجهاً كلامه لرئيس العصابة : أيها الرئيس دعنا نحصي ما سرقناه من مال!

قال له زعيم اللصوص : يا لك من غبي ، إن عدَّ النقود يستغرق وقتاً ، في الـمساء سنعرف من نشرات الأخبار كم سرقنا من مال! هذا ما يسمى الـخبرة!

في البنك ، وقبل إبلاغ الشرطة ، طلب مدير البنك من مساعده أن يخفي عشرة ملايين دولار! لا أحد سيشك بنا صدقني كل ما اختفى أخذه اللصوص هذا ما قاله الـمدير ، وهذا ما يسمى السباحة مع التيار!

في الـمساء قالت نشرة الأخبار أن خمسة عشر ملايين دولار قد سُرقت ، عدَّ اللصوص الـمال فوجدوا معهم خمسة ملايين فقط! عندها قال زعيم اللصوص : خاطرنا بحياتنا لأجل خمسة ملايين دولار وسرق مدير البنك عشرة ملايين دون أن تتسخ ملابسه ، يبدو أنه من الأفضل أن يكون الـمرء لصاً متعلماً على أن يكون لصاً أمياً ، وهذا ما يسمى الـمعرفة تساوي وزنها ذهباً!

١٤ فبراير / شباط

تحتفل البشرية في مثل هذا اليوم من كل عام بعيد الحُبِّ!

تتعددُ الروايات حول الخلفية التاريخية لهذا العيد ، وأكثر الروايات رواجاً هما روايتان تصلان بينهما إلى التضاد!

تقول الرواية الأولى ، أنه في العام ٢٠٧م وقعَ القسيس «فالنتينو» بحب ابنة الإمبراطور «كلاوديوس» ، ثم لم يطل الأمر حتى وقع بينهما علاقة محرمة ، فما كان من الإمبراطور إلا أن أصدر حكماً بإعدام القسيس ، وبحسب هذه الرواية ، إن كان من بطل للقصة فهو كلاوديوس ، لقد ثأر الرجل لشرفه ، خصوصاً أن فالنتينو كان يكبر ابنة الإمبراطور بأعوام ، بالإضافة إلى أن فالنتينو قسيس تحرم عليه النساء عن طريق الزواج حسب تعاليم الكنيسة فكيف عن طريق الزنى؟!

أما الرواية الثانية فتقول ، أنه في العام ٢٠٧م ، أصدر الإمبراطور كلاوديوس قراراً يمنعُ فيه جنود مدينة روما من الزواج كي لا ينشغلوا عن أمر الحروب التي كان يخوضها ، ولكن القسيس فالنتينو كان يعقد زواج المتحابين من الرجال والنساء سراً ، وعندما علم الإمبراطور به قام بإعدامه! إن صحت هذه الرواية فإن فالنتينو قام بدور بطولي فعلاً!

ولكن يبقى السؤال : بغض النظر عما إذا كان فالنتينو مجرد زانٍ نال عقابه أو بطل دفع حياته ثمناً للتقريب بين المتحابين وفق تعاليم الكنيسة ، ما شأننا نحن بكل هذا؟!

ألا يوجد عندنا ما يكفي من العشاق ، وقصص العشق وأبطاله ، وشهدائه حتى نستورد من الخارج ما نحتفل به؟!

لماذا علينا أن نكون ذيلاً تابعاً لرأس ليس لنا فيه ناقة ولا جمل؟!

إلى متى تبقى عقدة النقص تجاه الأوروبيين كامنة فينا؟!

ولماذا يجب على أولادنا أن يعرفوا أن ثمة قسيس بطل كان يعقد زواج المتحابين ، ولو سألت ملايين المحتفلين اليوم بعيد الحب أن يحدثوك مثلاً عن بطولة الإمام أحمد ووقوفه في وجه المأمون لاكتشفت أن الذين سمعوا بالقصة أعداد قليلة ، إنها لمهزلة أن تستورد هذه الأمة حتى أبطالها وعشاقها!

١٥ فبراير / شباط

في مثل هذا اليوم من العام ٣٩٩ ق .م حُكم على سقراط بالإعدام!

وفي يوم تنفيذ الحكم ، وقبل أن يتناول جرعة السم التي أودت بحياته نظر إلى زوجته فإذا هي تبكي

فقال لها : ما يبكيكِ؟

قالت : لأنك ستموتُ ظلماً

فقال لها : كأنكِ تريدين أن أُقتلَ عدلاً!

كانت هذه زوجته الثانية ، أما الأولى فتلك حكاية أخرى!

كان سقراط يقول لتلاميذه : يجب على كل شاب أن يتزوج ، فإن رُزق بزوجة حكيمة طيبة صار سعيداً ، وإن رُزق بزوجة حمقاء شريرة يُصبح فيلسوفاً!

وقد كان سقراط فيلسوفاً بحق!

لقد عاش حياة زوجية أشبه بالجحيم ، كانت زوجته «كزانتيب» في وادٍ وهو في وادٍ ، تشاجرت معه مرةً ، فلم يرد عليها هذه كانت عادته ، أن لا يخوض معها كثيراً في المشاكل ، كل ما فعله أنه توجه إلى فناء البيت حيث ينتظره تلاميذه ليبدأ معهم درس اليوم!

شعرتْ «كزانتيب» أنها لم تشفِ غليلها من كل الصراخ الذي صرخته في وجه سقراط ، فحملت دلواً مملوءاً بالماء ، وتركته واقفاً يشرح لتلاميذه ، وصبَّتْ الماء الذي بالدلو على رأسه! ولشدة برود دم سقراط ، لم يفعل أكثر من أن مسحَ الماء عن وجهه ، وقال لتلامذته : لا عجبَ إن أمطرتْ فقد كانت منذ قليل ترعد!

يُقال أن برود سقراط هو الذي قتلها ، قتلها حقيقة لا مجازاً ، فعلى الرغم من أنها تصغره بسنوات طويلة ، فقد كانت تلميذته أول الأمر ، إلا أنها ماتتْ قبله ، حصل بينهما شجار معتاد ، وكالعادة بدأت تصرخ ، وكالعادة أيضاً ، تركها سقراط ومضى إلى مكتبته ، زاد صراخها ، ثم ما لبثت أن أصيبت بسكتة قلبية!

على أية حال لو كان زواج سقراط موفقاً ربما لم نكن لنسمع به ، فشكراً لكزانتيب!

١٦ فبراير / شباط

في مثل هذا اليوم من العام ١٨١٥م غادر نابليون إلى منفاه في جزيرة ألبا ، لم يطل الأمر به هناك ، سرعان ما هرب في نفس العام ، لا ليختبئ وإنما ليسترد عرشه من الملك لويس الثامن عشر الذي جلسَ مكانه!

بقدرته الرهيبة على الإقناع ، بمهارته الخطابية ، بإرث ماضيه الحافل بالمجد ، وبحب الفرنسيين له ، استطاع أن يُكوِّن نواة جيشه الذي سيعيده ملكاً على فرنسا ، ومن قرية إلى أخرى في الريف الفرنسي كان نابليون يكسب مقاتلين جدداً ، وسيوفاً إضافية يحتاجها لمعركته مع غريمه الملك الجديد!

في هذه الأثناء ، كتبت جريدة «المونيتر أونفيرسال» التي كانت من قبل جريدته الرسمية التي تتغزل ببطولاته وتتغنى بأمجاده :

إن الفرنسيين يتشوقون لهفةً للموت دفاعاً عن لويس الثامن عشر ، الحاكم الشرعي للبلاد ، وسيقفون صفاً واحداً ضد نابليون ، مغتصب الوطن بقوة السلاح ، المأجور والخارج على القانون ، وزعيم قطاع الطرق!

ولكن لويس الثامن عشر سرعان ما هرب أمام جيش نابليون ، فاعتلى نابليون العرش مجدداً دون أن يُطلق طلقةً واحدة! ولم يمت أحد من الذين قالت الصحيفة أنهم يتشوقون للموت في سبيل الملك لويس!

الطامة الكبرى ، أن صحيفة «المونيتور أونفيرسال» كتبت في اليوم التالي :

أحدث خبر دخول نابليون السَّعيد إلى العاصمة ابتهاجاً ، والجميع يتبادلون العناق ، وهتافات يحيا الإمبراطور تملأ الأجواء!

إن كان هناك من درس من كل هذا فهو : لا تأخذ علومك من الصحف الرسمية!

١٧ فبراير / شباط

في مثل هذا اليوم من العام ١٦٧٣م توفي «جون باتيست بوكلان» كان هذا اسمه الحقيقي الذي لم يعرفه به الناس! أما اسمه المستعار الذي تعرفونه جميعاً فهو «موليير»!

يُعتبر موليير من أهم رواد المسرح الأوروبيين ، وإليه يُحسب فضل إعادة إحياء المسرح الإغريقي ، فقد كان المسرح الإغريقي ينقسم قديماً إلى قسمين هما : المأساة والملهاة!

المأساة هي الأعمال المسرحية الحزينة ، أما الملهاة فهي الأعمال المسرحية الفكاهية! وكانت الملهاة ميدان كتابة موليير ، فقد كتبَ أدباً ساخراً مرحاً يحسبه القارئ أول وهلة تهريجاً ، ولكنه في الحقيقة أبعد من هذا أثراً ، وأبلغ قيمة! فشأن الأدب الساخر دوماً أن يُقدِّم الغصة والدمعة مغلفتين بابتسامة وضحكة ، وفي هذا لا أعرف من الذي قال : إذا أردتَ أن تعرف ما الذي يخشاه الناس ، فانظرْ إلى ما يسخرون منه!

وإليكم بعض ما أعرف أن موليير قد قاله :

١- خير للإنسان أن يكون في عداد المجانين من أن يكون العاقل وحده!

٢- نحن لسنا مسؤولين عما نفعل فقط ، وإنما عما لم نفعل أيضاً!

٣- دور الملهاة أن تُصلح أخطاء الإنسان من خلال إضحاكه!

٤- الشجرة التي تنمو ببطء تعطي ألذ الفاكهة!

٥- الكتابة كالبِغاء ، في البداية تمارسها لأجل الحب ، ثم من أجل الأصدقاء ، ثم من أجلِ المال!

٦- أفضل أن تكون زوجتي بشعة وطيبة على أن تكون جميلة ومستبدة!

٧- المحب لا يتورع عن إرضاء كلاب الحي كي لا تنبح في وجهه عندما يزور حبيبته!

٨- صديق الجميع ليس صديقي!

٩- كلما كبرت العوائق كلما عظم المجد المترتب على تجاوزها!

١٠- عندما نتعلم الإنصات نتكلم بشكل جيد!

١٨ فبراير / شباط

في مثل هذا اليوم من العام ١٥٤٦م توفي «مارتن لوثر» مؤسس البروتيستانتية!

يُعتبر مارتن لوثر من أشهر الثائرين على الكنيسة على مر التاريخ ، والحق يُقال أن الإصلاحات التي أضافها على الكاثوليكية ليصل أخيراً إلى البروتيستانتية كانت في غالبيتها تتماشى مع المنطق السليم والسياق العام الذي جاءت به الأديان السماوية ، ولكن كما هي عادة البشر حين ينبرون للتشريع ، كان عند مارتن لوثر بعض الأفكار الغريبة ، ومنها الإساءة للأديان الأخرى ، فرغم أنه نادى بحرية الأديان ، إلا أنه وصف الإسلام بأنه دين شيطاني وكتبَ بضرورة التضييق على اليهود وإغلاق كنسهم!

من الأشياء التي نادى بها مارتن لوثر أنه رفض حق البابا في أن يكون المسؤول الوحيد عن تفسير الكتاب المقدس ، كما أنه سمح للقساوسة بالزواج ، ورفض فكرة المُطهر أي قول الكنيسة أن المسيح -والعياذ بالله- قد صُلب ليكون ألمه تطهيراً لأتباعه من الذنوب!

وعلى رغم إيماني الذي لا يخامره شك «أن الدين عند الله الإسلام» وأن «من ابتغى غير الإسلام ديناً فلن يُقبل منه» إلا أنه ما من حرج أن أذكر لكم أين التقت تعاليم مارتن لوثر مع تعاليم الإسلام!

- رأى مارتن لوثر أن الدنيا دار سعي وعمل وأن الفقر ليس طريق الجنة كما تقول الكنيسة لاستعباد الناس ، ومن أحد أهداف الإسلام العظيم تحقيق عمارة الأرض ، والعدالة الاجتماعية!
- نادى مارتن لوثر بإلغاء الوساطة بين العبد وربه ، ورفض أن يكون رجال الكنيسة هم حلقة الوصل ، قبل ألف سنة نزل جبريل عليه السلام بقول الله تعالى : «وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعان»!
- سمح مارتن لوثر بزواج القساوسة الذي حرمته الكاثوليكية ، وفي الحديث الشريف «لا رهبانية في الإسلام» وفي الحديث أيضاً «إني أصوم وأفطر ، وأقوم وأنام ، وأتزوج النساء ، فمن أعرض عن سُنتي فليس مني»!

- أعطى مارتن لوثر الناس الحق في معارضة الكنيسة في تنظيماتها الاجتماعية ، وقبل هذا بألف عام أراد عمر بن الخطاب أن يحدد المهور ، فقامت الشفاء بنت عبدالله وقالت له : لا يحق لك يا أمير المؤمنين ، إن الله يقول : «وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً» .

فقال : أصابت امرأة وأخطأ عمر!

١

١٩ فبراير / شباط

في مـثل هذا اليـوم من العـام ١٩٥١م توفي «أندريه جـيـد» الأديب الفـرنسي الـحاصل على جائزة نوبل للآداب عام ١٩٤٧م .

ربطتـه صـداقـة قـوية مع طه حـسين ، وهو الذي كـتب له تقـديماً لـكتـاب الأيام الـمترجم إلى اللغة الفرنسية .

على عكس أدبه الـمستقر نوعاً ما ، كانت حياة أندريه جيد غير مستقرة ، عانى طفولة قاسية جداً ، توفي أبوه باكراً ، وكانت أمه «فنورمندية» متسلطة مما جعله يكره صنف النساء!

نشأ شـاذاً جنسيـاً ، وكـان لا يجرؤ على البـوح بهـذا الشـذوذ ، إلى حين التـقى بأوسكار وايلد عام ١٨٩٣م الذي أخبره أن عليه أن لا يخجل بنفسه مهما كانت ، فاعترف بشذوذه ، وتحدث عن علاقاته الشاذة مع الـمراهقين!

كتب أدباً جيداً ، وله جمل أعجبتني منها :

١- العطاء هو الشيء الوحيد الذي يُثبت أنك مالك الشيء!

٢- تجرأ على أن تكون نفسك!

٣- تحتاج إلى البراعة لتتكلم وتحتاج إلى الذكاء لتصغي!

٤- يعتقد الإنسان أنه يملك الأشياء ، في الـحقيقة هي التي تملكه!

٥- الـمنافق الـحقيقي هو الذي لا يدرك خداعه لأنه يكذب بصدق!

٦- التفهم هو بداية الاستحسان!

٧- صدِّقْ من يبحثون عن الـحقيقة ، وشُك بمن وجدوها!

٨- من الأفضل أن تكون مكروهاً لما فيك على أن تكون محبوباً لما ليس فيك!

٩- الإبداع لا وطن له!

١٠- لا يكتـشف الـمـرء بلاداً جديدة إلا إذا قـبل أن يغـيب السـاحل عن نظره لفترة طويلة!

٢٠ فبراير / شباط

في مثل هذا اليوم من العام ١٨٩٨م وُلد «إينزو فيراري» مؤسس شركة صناعة السيارات العملاقة والشهيرة «فيراري»!

إينزو لم يؤسس شركة فيراري فحسب ، بل بسبب عجرفته ساهم في تأسيس أقوى الشركات التي تنافسه اليوم ، وهي شركة «لامبورغيني»!

كان «فيروتشيو لامبورغيني» أول الأمر مجرد مزارع عادي ، يهوى صناعة الجرارات الزراعية من مخلفات الدبابات التالفة ، واستطاع بذلك أن يحقق ثروة لا بأس بها ، وكان يهوى امتلاك السيارات الرياضية ، وكان قد اشترى أكثر من سيارة فيراري ، ولكنه لاحظ أن محركات فيراري تعاني من مشكلة ما ، فطلب مقابلة «إينزو فيراري» ، وكان ذلك اللقاء مصيرياً في حياة الرجلين ، شرح لامبورغيني لفيراري الخلل الذي وجده في سياراته ، ولكن فيراري قال له : أنت لا تفهم إلا في صناعة الجرارات الزراعية ، دع عنك صناعة السيارات لأهلها!

شعر لامبورغيني بالإهانة ، وعزم على منافسة فيراري ، وبعد عمل دؤوب استمر لسنوات ، وُلدت أول سيارة لامبورغيني في التاريخ ، لتصبح اليوم أقوى منافس لفيراري في الأسواق!

شخصية إينزو فيراري تعلمنا درساً بليغاً مفاده : نحن نصنع أشرس أعدائنا!

وشخصية فيروتشيو لامبورغيني تعلمنا درساً بليغاً مفاده : نحن مدينون بتميزنا لأعدائنا!

٢١ فبراير / شباط

في مثل هذا اليوم من العام ١٩٦٥م تمَّ اغتيال «مالكوم إكس» أحد أشهر دعاة الإسلام في الولايات المتحدة الأمريكية!

بدأ حياته ماسح أحذية ، ثم نادلاً في مطعم ، ثم ارتكب جنحة قادته إلى السجن ، وفي السجن أصبح حراً كما ينبغي فقد اعتنقَ الإسلام!

خرج من السجن إنساناً آخر ، ماسح الأحذية القديم صار أحد أبرز دعاة الإسلام ومناهضي العنصرية في أمريكا ، هذا هو الإسلام العظيم يرينا معجزاته مرة أخرى ، الدين الذي حول رعاة الغنم في جزيرة العرب إلى صانعي حضارة ، ومقارعي إمبراطوريات عظمى ، هو ذاته الذي قلب حياة مالكوم إكس رأساً على عقب!

وفي رحلته إلى الحج كتب مالكوم :

«في حياتي كلها لم أشهد أصدق من هذا الإخاء بين أناس من جميع الألوان والأجناس ، إن أمريكا بحاجة إلى فهم الإسلام لأنه الدين الوحيد الذي يملك حل مشاكل العنصرية فيها»!

ورغم أنه لم يكن أديباً ، إلا أنه ترك خلفه أقوالاً خالدة ، وعلى ما يبدو أن الأفكار تعيش أكثر مما يعيش الناس ، ومن أقواله الجميلة :

١- الخطوة الأولى للنجاح تكمن في رفضك للاستسلام للظروف المحيطة!

٢- الثقة كالإنسان ، سنوات لتكبر وثوانٍ لتموت!

٣- ليس للعذر أي قيمة عندما تكرر نفسٍ الخطأ كل مرة!

٤- الحياة لا تُصبح أسهل ، أنتَ من تُصبح أقوى!

٥- إذا لم تتقن فن التجاهل ستخسر الكثير وأولهم عافيتك!

٦- الخيبة الأولى موجعة ، أما البقية فهي دروس تقوية لا أكثر!

٧- المسافة التي نبقيها بيننا وبين بعض البشر لا تعني الغرور إنما الرغبة في استمرار الاحترام!

٨- الحقيقة مع المقهورين!

٩- لراحة بالك ، اصمتْ كأنك لم تفهم ، وتجاهل كأنك لم ترَا!

١٠- وحده الأحمق من يترك عدوه يُعلم أولاده!

٢٢ فبراير / شباط

في مثل هذا اليوم من العام ١٨٧٣م وُلد «محمد إقبال» شاعر الإسلام وفيلسوفه!

وعائلة إقبال بالأصل إحدى العائلات المرموقة التي تدين بالبراهمية ، ولكن جده الأكبر أسلمَ قبل ميلاد حفيده بثلاثمئة سنة ، وعلى الإسلام وُلد محمد إقبال وعلى الإسلام مات ، وبينهما يقول : أكثر نصيحة أثرتْ في حياتي هي نصيحة أبي ، كنتُ صغيراً أقرأ القرآن في عُجالة ، فأخذ بيدي ، وقال لي : يا بُنيَّ ، اقرأ القرآن وكأنه قد أُنزل عليك!

كان مثقفاً من الطراز الأول ، وأكاديمياً عريقاً ، درسَ الفلسفة والاقتصاد في كامبردج ، وحصل على الدكتوراة في الفلسفة من جامعة ميونخ ، ثم عاد إلى لندن وحصل على إجازة في الحقوق ، ولكنه اختار أن يُدرِّس اللغة العربية في الجامعة ، بدل الفلسفة والحقوق والاقتصاد ، كان يعشق كل ما هو عربي ، وكل ما يمتُّ إلى النبي ﷺ بصلة ، وكان يقول : العقل العربي كان الأقدر على فهم الإسلام وحمل أمانته!

محمد إقبال من الشعراء القلائل الذين سخّروا شعرهم للإسلام ، فمضامين شعره غالباً تدور في فلك القرآن الكريم والسنة الشريفة ، وتغوص عميقاً في مجد هذه الأمة التليد ، وتحاول أن تدل المسلمين على مكامن الخطأ وأسباب تدهورها وتنصح وترشد وتدل على الطريق التي تعيدها إلى سالف عهدها!

لم يترك محمد إقبال فرصة للدعوة إلى الله إلا واغتنمها ، وعندما علمَ أن لينين قرأ له كتاباً ، أرسلَ إليه رسالته الشهيرة التي قال فيها : اتقِ الله يا لينين ، فإنك قصمتَ ظهر الرأسمالية فأحسنتَ ، فاتبعْ هذا العمل بلا إله إلا الله!

ومن جميل ما تركه محمد إقبال من أقوال :

١- إن السادة يدينون بسيادتهم لعبيدهم ، فلولاهم ما سادوا!

٢- قلتُ يا رب : هذا العالم لا يعجبني! فوجدته قد قال : اهدمه وابنِ أفضل منه!

٣- إن للعبودية ضحايا وهي عبودية ، أفلا يكون للحرية ضحايا وهي حرية!

٤- إلى متى صمتي وحولي أمة يلهو بها السلطان والدرويش واحد بسيفه وواحد بسبحته!

٥- يا الله : أعطِني القوة لأقول لا ، والعقل لأعرف كيف أقولها ، والحكمة لأعرف متى أقولها!

٦- يا رب : إذا أعطيتني نجاحاً لا تأخذ تواضعي ، وإذا أعطيتني تواضعاً لا تأخذ اعتزازي بكرامتي!

٢٣ فبراير / شباط

في مثل هذا اليوم من العام ١٩١٩م أعلن موسيليني تأسيس الحزب الفاشي في إيطاليا!

ولقد كان موسيليني بحق أحد أشهر العنصريين في تاريخ البشرية ، وعلى طريق صديقه هتلر في كتاب كفاحي ، ألَّف هو الآخر كتاباً قال فيه في بيانه عن العِرق : إن الطابع البدني والنفسي الأوروبي للإيطاليين يجب أن لا يتبدل بأي طريقة ، لقد حان الوقت لأن يعلن الإيطاليون عنصريتهم بكل صراحة!

كان موسيليني ديكتاتوراً بكل ما تعنيه الكلمة من معنى ، ألغى كل الأحزاب في إيطاليا ، وأجرى انتخابات خاضها حزبه فقط ، وأجبر الشباب الإيطاليين على تعلم مبادئ الفاشية كما يتعلمون الحروف اللاتينية ، وكان على الأطفال أن يلتحقوا بمعسكراته ، ليتم إعدادهم كجنود ، وكان شعاره لهم : الإيمان والطاعة والقتال!

وفوق كل هذا لم يكن يرى إلا نفسه ، ملأ شوارع إيطاليا بتماثيله ، وأجبر الإيطاليين على وضع صورته في غرف نومهم ، وعلى إيقاد الشموع في ذكرى مولده!

بعد خسارته الفادحة للحرب العالمية الثانية ، ثار عليه الإيطاليون ، وقبضوا عليه مع عشيقته كلارا ، وأُعدم في ساحة ميلانو ، ثم تم تعليقه من قدميه ورأسه إلى أسفل ، وتحية للشعوب التي تعلق طغاتها!

من أقوال موسيليني :

١- أن تعيش يوماً واحداً كأسد ، أفضل من أن تعيش مئة سنة كخروف!

٢- من الجيد الثقة في الآخرين لكن عدم الثقة بهم أفضل بكثير!

٣- نحن نصبح أقوياء عندما لا يكون لنا أصدقاء نعتمد عليهم!

٤- الحرب بالنسبة للرجل كالأمومة بالنسبة للمرأة!

٥- الدماء وحدها هي التي تحرك عجلة التاريخ!

٢٤ فبراير / شباط

في مثل هذا اليوم من العام ١٩٥٥م ولد ستيف جوبز مؤسس شركة آبل ومديرها التنفيذي ، وعن عظمة آبل قيل :

ثلاث تفاحات غيرتْ تاريخ البشرية :

تفاحة آدم «هذا ما يقوله العهد القديم» ، وتفاحة نيوتن ، وتفاحة ستيف جوبز!

كان ستيف جوبز ابناً بالتبني للعائلة التي منحته اسمها ، وأصوله سورية ، ولم يلتقِ بعائلته الحقيقية بعد تبنيه أبداً! كان عبقرياً ، كل من التقى به قال أنه كان دوماً ينظر للأمور من زاوية أخرى غير التي ينظر إليها الناس! لهذا كان من الطبيعي أن يصل حيث لم يصل الناس!

أصيب جوبز بسرطان البنكرياس في سن مبكرة وهو تلميذ في الجامعة ، وشُفي منه ، ولكنه عاوده مرة أخرى وكان سبباً في وفاته عام ٢٠١١م .

عام ٢٠٠٥م ألقى كلمة الخريجين في جامعة ستانفورد ، ويُقال أنها أبلغ كلمة خريج قد تم قولها يوماً هناك ، ومما قال فيها :

إن تذكر أني سأموت لا محالة كان دافعي لاتخاذ الخيارات الكبيرة في الحياة ، لأن كل شيء تقريباً ، المظاهر الخارجية ، الكبرياء ، الخوف من الإحراج والفشل ، كل هذه الأشياء تتساقط في وجه الموت تاركة فقط ما هو مهم حقاً!

تذكر أني سأموت هو أفضل طريقة عرفتها لتجنب الوقوع في فخ التفكير بأن لديَّ ما سأخسره! أنا عارٍ أصلاً ، ولا يوجد سبب يمنعني من اتباع قلبي! إن وقتكم محدود فلا تضيعوه في عيشٍ حياة شخص آخر!

ولا تقعوا في فخ المُسلَّمات التي تقبع في نتائج تفكير الآخرين ، لا تسمحوا لضجيج الآخرين أن يطغى على صوتكم الداخلي الخاص!

والأهم من ذلك كله تحلوا بالشجاعة ، واتبعوا حدس قلوبكم ، فهي بطريقة ما تعرف حقاً ما الذي تريدونه وكل شيء آخر يصبح بعد ذلك ثانوياً!

ومن أقواله الـجميلة الـمتفرقة :

١- لا يهـمني أن أكـون أغنى رجل في العـالـم بقـدر مـا يهـمني أن أعـود إلى سريري في الـمساء وأنا أشعر أني قمتُ بشيء رائع!

٢- أن تكون قرصاناً أعظم متعة من أن تلتحق بسلاح البحرية!

٣- انتقِدْ أعداءك بشكلٍ راقٍ وصحيح ولكن بأمانة!

٤- الـخطوة الأولى دائماً هي الـخطوة الأصعب!

٥- كنت أملك مليون دولار عندما كان عمري ٢٣ سنة ، وعشرة ملايين عندما كان عمري ٢٤ سنة ، ومئة مليون عندما كان عمري ٢٥ سنة ، لكن لم يكن لذلك أي أهمية لأنني لم أكن أفعلها من أجل الـمال!

٢٥ فبراير / شباط

في مثل هذا اليوم من العام ١٩٩٤م وقعت مجزرة الـحرم الإبراهيمي في مدينة الـخليل في فلسطين ، يومها عنونَتْ أكثر من صحيفة عالـمية تعليقاً على الـمجزرة : قُتلوا وهم يُصلون!

كان ذلك اليوم الـخامس عشر من شهر رمضان ، أما الصلاة فكانت صلاة الفجر ، وعندما قال الإمام خاتماً سورة الفاتحة «ولا الضالين» ، اختلط صوت الرصاص الذي خرج من بندقية «باروخ غولدشتاين» بصوت آمين الذي خرج من حناجر الـمصلين!

كان غولدشتاين طبيباً ، ينتمي لحركة كاخ الإرهابية ، وليس في إسرائيل حركة إلا وهي إرهابية ، إنما يتفاوتون بمدى قذارة خطاباتهم الـخارجة إلى العلن!

تبين فيما بعد أن جيش الاحتلال الإسرائيلي كان متورطاً في الـمجزرة حتى أخمص قدميه ، فقد دخل غولدشتاين ببذلة عسكرية على أنه من حراس الـمسجد الـمتواجدين هناك ، رغم أنه لم يكن في الـخدمة العسكرية وقتها ، وإنما كان من جيوش الإحتياط!

على أية حال هذه الدولة الإرهابية هي عبارة عن ثكنة كبيرة ، وكل ما فيها جندي من طلاب الـمدارس حتى الـجدات القابعات في منازلهن التي ليست منازلهن! وعند دخول غولدشتاين إلى الـمسجد أقفل الـجنود أبواب الـمسجد كي لا يهرب أحد من الـمصلين ، ولكن الـمصلين لم يهربوا قاموا إلى غولدشتاين فقتلوه بعد أن استشهد منهم ثلاثون مصلياً!

أقيمت بعدها لجنة تحقيق اسمها «شمغار» ، وكانت أقرب للمسرحية الـمخزية منها إلى لجنة تحقيق ، قالت إن غولدشتاين يعاني من اضراب عقلي ، وقسمت الـحرم الإبراهيمي بين الـمسلمين واليهود ، مع السماح لليهود باستخدام كل الـمسجد في أعيادهم ولا أحد يعرف ما علاقة إبراهيم عليه السلام باليهود أصلاً ، فقد بُعث ومات قبل سيدنا موسى بأكثر من ألف سنة!

٢٦ فبراير / شباط

في مثل هذا اليوم من العام ١٨٠٢م وُلد «فيكتور هوغو» أبرز أدباء فرنسا في الحقبة الرومانسية ، ولعله أبرزهم في كل الحقبات ، الغريب أنه يُعرف في فرنسا على أنه شاعر ، أما خارجها فيعرف على أنه روائي ، ولعل السبب أن ترجمة الشعر تفقده الكثير من رونقه بعكس النثر الذي لا يفقد من بريقه إلا قليلاً!

ولكن الذي لا جدال فيه أن روايتيه البؤساء وأحدب نوتردام هما من أشهر الروايات الإنسانية الخالدة ، خصوصاً البؤساء التي أمضى عشرين سنة في كتابتها ، وتُعتبر من حيث الحجم أطول رواية في التاريخ إذا اعتبرنا أن الإلياذة ملحمة شعرية وليستْ رواية على ما فيها من نفحات روائية!

كتب فيكتور هوغو قصيدة طويلة عن النبي ﷺ في كتابه «أسطورة القرون» تحدث فيها عن عدة مواقف إنسانية في حياة النبي العظيم ، وأبدى إعجاباً كبيراً بحنكته ﷺ وحسن أخلاقه وسياسته ، وتوقف طويلاً عند موقفه النبي ﷺ في آخر أيامه ، يوم وقف على المنبر وطلب من المسلمين أن يقتصوا منه إن كان قد أخطأ بحق أحدهم ، فقام إليه عكاشة في القصة الطويلة المشهورة في كتب الحديث ، من أرادها فهي هناك!

ومن أقوال فيكتور هوغو الجميلة :

١- الحب هو أسوأ تقدير بين الرجل والمرأة!

٢- الألم ثمرة ، والله لا يضع ثماراً على غصن ضعيف لا يقدر على حملها!

٣- احذر من المبالغة ، الثقة الزائدة تصبح غروراً ، والمديح الزائد يصبح نفاقاً ، والتفاؤل الزائد يصبح سذاجة!

٤- نحن لا نحب أشخاصاً كاملين ولكننا نرى الكمال في من نُحب!

٥- يبقى الحب كلمة حتى يأتي شخص ويعطيها معنى!

٦- المعاملة الطيبة جواز مرور إلى قلوب الآخرين!

٧- لا أطلب إلا عفواً واحداً ، هو عفو ضميري عني!

٨- جميع النساء قد يلدن الذكور ، وحدها المواقف تلد الرجال!

٩- حذار يا صديقي من النساء الجميلات فعندما تبدأ رقتهن تبدأ عبوديتنا!

١٠- الضمير هو حضور الله في الإنسان!

٢٧ فبراير / شباط

في مثل هذا اليوم من العام ٢٠١١م توفي نجم الدين أربكان أشهر رجال الإسلام السياسي في تركيا!

لم يكن أربكان شيخاً ، ولم يدرس الشريعة ، كان مهندس ميكانيك ، يحمل درجة الدكتوراة فيها من جامعة آخن في ألمانيا ، ولكنه كان يؤمن أن الإسلام لم يُبعث لينزوي في المساجد وإنما ليحكم المجتمع!

كان نجم الدين أربكان يقول : المسلمون الذين لا يهتمون بالسياسة يحكمهم ساسة لا يهتمون بالإسلام! لهذا قرر أن يخوض معترك السياسة ، نجح أول مرة نائباً ولكنه مُنع من دخول البرلمان بسبب معاداته للعلمانية ، مع أن أحد أهم مبادئ العلمانية احترام قرارات الشعب في الانتخابات!

لم يستسلم أربكان ، وبقي يقوى شيئاً فشيئاً ، حتى صار نائب رئيس الوزراء في تركيا ، فصنفه الجيش على أنه خطر على العلمانية كلها! فقام قائد الجيش كنعان أفريم بانقلاب عسكري ، وتم سجن أربكان لثلاث سنوات ، خرج بعدها ليؤسس حزب الرفاه .

لم يكن أربكان بعيداً عن حياة المسلمين عموماً ، كانت له مواقف معادية لإسرائيل ، ووساطة طيبة في الخلاف بين مجاهدي أفغانستان ، ويقول عنه «علي عزت بيغوفيتش» في مذكراته : أقمنا جمهوريتنا بثلاثين بندقية هربها إلينا أربكان!

أربكان لم يكن خليفة راشداً ، كان إنساناً مسلماً في دولة علمانية ترى الإسلام خطراً عليها ، وفي هذا الوضع وهذه البيئة عمل أربكان وهذا ما لا يفهمه منتقدوه ، أحايين كثيرة نحن ننتقد لأننا لا نفهم الواقع ، ولا نقدر ظروف الآخرين ، وقد قال الخشب للمسمار يوماً : لقد ثقبتني! فقال له المسمار : لو رأيتَ الطرق على رأسي لعذرتني!

والحق يُقال أن تركيا اليوم تجني غرساً كان أربكان قد زرعه في وقت كان امتحان دخول الجيش في تركيا أن يكشف المتقدم عن ركبتيه ليرى الضباط هل من أثر لسجود فيهما ليتم رفضه!

٢٨ فبراير / شباط

في مثل هذا اليوم من العام ١٥٣٣م وُلد «ميشيل دي مونتين» الذي قال يوماً : إن كان يوجد شيء اسمه زواج جيد ، فالسبب أن فيه من الصداقة أكثر مما فيه من الحُب!

بالمناسبة إنني أوافقه في قوله هذا ، ليس تقليلاً من قيمة الحُب ، ولكن إعلاء من قيمة الصداقة ، ومن جميل ما قرأتُ في هذا المجال :

مسكين من يعتقد أن الحب وحده كاف لاستمرار الزواج ، الحُبُّ بالكاد يوصلكما إلى عتبة بيتكما بفستانها الأبيض وبدلتك الأنيقة ثم أما بعد : فهو احترام وتفاهم ، ومودة وتغافل ، وصبر ، ثم صبر ، ثم صبر!

الجمع بين القلوب المتحابة فضيلة ، وهو من هدي النبي ﷺ ، وهدي صحابته من بعده! فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلاً قال : يا رسول الله في حجري يتيمة قد خطبها رجلٌ موسر ورجل معدم ، فنحن نحبُّ الموسر وهي تحب المعدم ، فقال رسول الله ﷺ : لم يُرَ للمتحابين مثل النكاح! رواه ابن ماجة والطبراني والحاكم وابن عسكر في تاريخ دمشق .

وقد روى البخاري من قصة بريرة التي كانت أَمَة مملوكة فلما اعتقتْ اختارت فسخ زواجها من مغيث الذي كان عبداً ، وكان يحبها ، ويمشي وراءها في الطرقات يبكي كي ترجع إليه ، فقال لها النبي ﷺ : يا بريرة ، اتقي الله ، فإنه زوجك ، وأبو ولدكِ! فقالت يا رسول الله : أتأمرني؟ فقال : لا ، إنما أنا شافع! فقالت : لا حاجة لي به!

وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لو أدركتُ عفراء وعروة لجمعتُ بينهما!

ولكن هذا كله شيء ، وفهم الحياة الزوجية شيء آخر ، إن الحب أساس متين للزواج ، ولكن الأساس إما أن يقوى وإما أن يهوي ، وهو إنما يقوى بالتفاهم ، والتغافل ، والتنازل ، والصبر ، ومعرفة أن شريك العمر ليس ملاكاً ، وأن التقصير سمة بشرية وأن الكمال لله وحده ، وأن الذي يطلب الكمال في الناس فلينظر إلى الكمال في نفسه أولاً ، فإن وجده فليشترط بعد ذلك!

كلكم تعرفون أن زواجات تمت بسبب قصة حب ملتهب ، ثم ما لبث الأمر أن انتهت بالطلاق ، وكلكم تعرفون أن زواجات أيام زمان كان الزوج لا يرى زوجته إلا يوم تُحمل إليه وكانت البيوت تستمر!

الفكرة من كل هذا ، الحب لا يغني عن الصداقة في الزواج ، أو لَعَلِّي أتطرف أكثر فأقول : وهل يوجد حب لا صداقة فيه؟!

١ مارس / آذار

في مثل هذا اليوم من العام ١٨٦٣م أصبحت «ريبيكا لي» أول سيدة سوداء البشرة تحصل على شهادة الطب في أمريكا!

من الجدير بالذكر أن الحقوق التي نالها مواطنو أمريكا من أصحاب البشرة السوداء جاءت بعد مبادرات وتضحيات ومواقف شجاعة فردية! كان على أحدٍ ما أن يفتح الباب أمام الآخرين ليعبروا خلفه! تماماً كما حدث مع «روزا باركر» فقد كانَ من الممنوع أن يجلس شخص أسود في الباص بينما يقف شخص أبيض ، وفي أحد الأيام كانت روزا تجلس في مقعدها مطمئنة فطلب منها رجل أبيض أن تقوم ليجلس مكانها ، فرفضتْ ، فأخبرها السائق أن القانون يمنعها من الجلوس ، فقالت له : هذا قانون غير جدير بالاحترام! تم اعتقالها من قبل الشرطة تنفيذاً للقانون العنصري وبعد ذلك شهدت أمريكا احتجاجات واسعة ، فتم تغيير القانون!

وبالعودة إلى «ريبيكا لي» فإنها لم تكتفِ بدراسة الطب العام ، وإنما تخصصت في طب الأطفال حتى أصبحت من أشهر أطباء أمريكا في مجالها ، وتوّجت هذا كله بتأليف كتابها ذائع الصيت «الطب والأسرة»!

وعلى سيرة النساء الطبيبات ، وقبل ريبيكا بأكثر من ألف سنة كانت بعض نساء العرب يمارسن الطب ببراعة ، وفي قصص العرب عن بشر بن الفضل أنه قال :

خرجنا نريدُ الحج ، فمررنا بمياه من مياه العرب ، فحدثونا عن ثلاث أخوات فائقات الجمال ، وقيل لنا أنهن يُطببن ويُعالجن ، فأحببنا أن نراهُنّ!

فعمدنا إلى صاحب لنا فحككنا ساقه بعود حتى نزل منه الدم ، ثم ذهبنا به إليهن وقلنا : هذا صاحبنا قد لدغته حية!

فقالت إحداهن وكانت كفلقة القمر : لم تلدغه حية ، وإنما هذا خدش عود بالتْ عليه حية ذكر ، والدليل أنه إذا طلعتْ عليه الشمس مات!

فلما كان الصباح ، وطلعتْ الشمس ، مات فعلاً!

٢ مارس / آذار

في مثل هذا اليوم من العام ١٩٤٠م وُلد الشاعر والروائي والسفير والدبلوماسي والوزير السعودي غازي القصيبي!

كان القصيبي إنساناً رائعاً بحق ، وهو من الأدباء الذين تعجبني كتاباتهم ، وقبل كتاباتهم تعجبني أخلاقهم!

يقول غازي القصيبي : لا أذكرُ أنني نمتُ ليلة واحدة وعلى مكتبي ورقة تحتاج إلى توقيع! لأنني أدرك أن التوقيع الذي لن يستغرق مني سوى ثانية قد يُعطل مصالح الناس لأيام!

هذا الإحساس بالمسؤولية ، وهذه الدماثة في الأخلاق ، هي ما نفتقدها اليوم في وزراء هذا الوطن العربي الممتد من الماء إلى الماء!

عندما كان غازي القصيبي وزيراً للكهرباء ، حصل انقطاع في التيار في أحد أحياء الرياض ، فذهب إلى مقر الشركة ، وجلس مع موظفي السنترال يتلقى بنفسه شكاوى الناس ، ومن طريف ما حدث معه أن مواطناً غاضباً قال له : قل لوزيركم الشاعر أنه لو ترك شعره واهتم بعمله ما انقطعت الكهرباء عن الرياض!

فقال له غازي : شكراً لكَ ، لقد وصلت رسالتك!

فقال المواطن : ماذا تعني؟

فقال له : أنا الوزير ، وشكواك وصلت!

ومن طرائفه الكثيرة أختم بهذه :

يقول غازي القصيبي : زارني أحد رجال الأعمال البارزين في مكتبي ، وطلبَ تحديد موعد للغداء أو العشاء ليدعوني إليه . وكنتُ وما زلتُ أكره هذه المجاملات الفارغة ، فقلتُ له : أنتَ تعرفني مذ كنتُ أستاذاً في الجامعة ، ولم تفكر بدعوتي إلا عندما صرتُ وزيراً!

فقال لي : هذه الدعوة ليست لك ، إنها للكرسي الذي تجلس عليه!

فقلتُ له : تقديراً لصراحتك سوف أقبل الدعوة!

فقال لي بفرح غامر : ومتى الموعد؟

فقلتُ له وأنا أشير إلى كرسيي : ضيف الشرف أمامك ، متى أحببتَ أن تطعمه فافعلْ ، أما أنا فليس عندي وقت!

٣ مارس / آذار

في مثل هذا اليوم من العام ١٨٤٧م وُلد «ألكسندر غراهام بيل» مخترع الهاتف الذي أمضى جلَّ حياته لصيقاً بالذين لا يستطيعون الكلام!

أدار مدرسة للصُمِّ ، وتبنّى سياسات غريبة لمساعدتهم ، ولكنهم كرهوه بسببها! من أفكاره الغريبة والمتناقضة أنه دفع مالاً لأجل تمرير قانون يمنع الصم من الزواج ، فهذه بنظره الطريقة الوحيدة للقضاء على هذه الظاهرة الأليمة! الجدير بالذكر أن والدته كانت صماء ، وأنه في بداية شبابه وقع في حب «مابل هابارد» وتزوجها ، وكانت هي الأخرى صماء!

على ما يبدو أن نواياه كانت حسنة ، ولكن تفكيره كان أعوجاً ، والنية الحسنة لا تُصلح الفكر الأعوج! لقد رأى معاناة أمه وزوجته فأراد أن لا يعاني أحد ، مع أن أمه كانت خارقة الذكاء ، خبيرة بلغة الإشارة ، وعازفة ماهرة على البيانو! وزوجته كانت فائقة الجمال وبارعة الذكاء! وربما لم تكن نيته حسنة وأنه لم يكن يريد أن تتوقف معاناة الصم وإنما معاناة الذين يعيشون معهم ، جزء من معاناته كان وراء سوداوية أفكاره!

كره ألكسندر لغة الإشارة التي ملأتْ حياته ، وكان يتمنى لو تقوم الدول بحظرها! وفي العام ١٨٨٠م ذهب إلى المؤتمر الدولي لمعلمي الصم وقدم مشروعاً يقضي بحظر لغة الإشارة من المدارس!

الجدير بالذكر أن آخر كلماته في الحياة كانت باللغة التي كرهها ، كان على فراش الموت ، ولم يكن معه إلا زوجته ، فسألته بلغة الإشارة : هل تقدر على الكلام؟ فأجابها بالإشارة : لا! وكانت هذه آخر كلمة قالها بأصابعه!

في الحقيقة لم يكن غراهام بيل هو مخترع الهاتف! لقد سرق اختراعه من «أنطونيو ميوتشي» ، رفع ميوتشي قضية ضده في المحكمة وربحها ، ولكن دون أن يحصل على أي تعويض مادي ، وبعد وفاته بـ١١٣ عاماً أقرت أمريكا باسم مخترع الهاتف الحقيقي ، وخصص غوغل يوماً للاحتفال به تكريماً لاختراعه المسروق!

٤ مارس / آذار

في مثل هذا اليوم من العام ١١٩٣م توفي محرر المسجد الأقصى ، وبطل معركة حطين ، السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي .

لو كانت الدنيا بالأسباب لما عاش صلاح الدين حتى صار سلطاناً ، ولكنه عاش وصار سلطاناً لأن الدنيا بقدر الله ليس إلا! فعندما كان رضيعاً ، هاجم الصليبيون حصناً كان أبوه يُشرف على الجند فيه ، وعندما تبين له أن الحصن ساقط لا محالة ، قرر أن يعمل بنصيحة جنده ومستشاريه ، فقد قالوا له : خسارة الحصن أيسر من خسارة السلطان!

وبالفعل هرب تحت جنح الظلام ، ولكن في تلك الليلة كان الرضيع صلاح الدين يبكي بكاءً شديداً ، فطلب السلطان الوالد من زوجته أن تُسكت ابنها ، لأنه سيرشد الأعداء إليهم ببكائه هذا!

حاولت الأم إسكاته ولكن دون جدوى!

عندها نزل الأب عن فرسه ، وتوجه إلى العربة التي فيها المتاع ، أزاحه جانباً ، ووضع صلاح الدين أسفل العربة ، ووضع المتاع فوقه ، وقال لزوجته : إن كان له عمر فسيعيش!

وقد كان له عمر ، فعاشَ بما يكفي ليصبح سلطاناً ، ويحارب ، ويحرر!

إن كان ثمة درس يُستفاد فهو قول جدتي رحمها الله : من كان له عُمرْ لا تقتله شِدة!

عشية معركة حطين ، كان صلاح الدين يتفقد جنوده ، مرَّ على خيمة ، فإذا الجنود فيها بين قائم يصلي ، وبين مضطجع يقرأ القرآن ، فقال : من هنا يأتي النصر!

ثم مرَّ على خيمة أخرى ، فإذا الجنود فيها يتمازحون ويتضاحكون ، فقال : من هنا تأتي الهزيمة!

للأسف نحن اليوم نملك الكثير من الأسلحة ، وهذا شيء جيد ، ولكننا لا نملك أسباب النصر ، وهذا شيء سيء ، سيء جداً!

٥ مارس/ آذار

في مثل هذا اليوم من العام ١٩٥٣م أعلنت الإذاعة السوفياتية عن وفاة ستالين .

وعن آخر يوم في حياة ستالين يقول خليفته «خروشوف» : قضينا ليلة ممتعة مع ستالين في قصره الخاص ، وكانت صحته جيدة ، وشرب خمراً كثيراً تلك الليلة ، وأصر على أن يرافقنا إلى الباب لتوديعنا ، ثم عاد بنشاط كامل إلى مكانه .

لكني في اليوم التالي تفاجأتُ باتصال يخبرني بتدهور حالته الصحية ، فأسرعنا إليه ، فقال لي خادمه : الرفيق ستالين مضطجع على أرض الغرفة مغمى عليه ، حاولنا إنعاشه دون جدوى ، فتح عينيه مرة واحدة دون أن يتكلم كلمة واحدة ثم مات!

هذه كانت آخر لحظات في حياة ستالين ، أما حياته كلها ، وطريقة حكمه ، فتلخصها القصة التالية :

اتصل ستالين يوماً ب «بريا» صديقه المخلص ، ورئيس استخباراته وأمنه الداخلي ، وقال له : لقد فقدتُ غليوني الخاص ، أخشى أن أحداً قد سرقه!

وفي اليوم التالي ، رفع ستالين سماعة الهاتف مجدداً ، وقال لـ«بريا» : يا رفيق «بريا» لا تُضيع وقتك لقد عثرتُ على الغليون!

فقال له بريا : أخبرتني متأخراً يا رفيق ، لقد ألقيتُ القبض على أربعمئة شخص بتهمة سرقة الغليون ، واعترف منهم مئة وثمانون شخصاً بالسرقة على أثر التعذيب ، وقد قمتُ بإعدامهم!

ومن أقوال الديكتاتور ستالين :

- لا أثق بأحد ، حتى نفسي!
- التعليم سلاح يعتمد تأثيره على من يمسك به وإلى من يتم توجيهه!
- يُظهر التاريخ أنه لا يوجد جيوش لا تُقهر!
- وفاة شخص واحد هي تراجيديا/مأساة ، وفاة مليون شخص هي إحصائيات!
- الموت هو الحل لكل المشاكل ، بدون ناس لا يوجد مشاكل!
- الأفكار أقوى من الأسلحة ، نحن لا نسمح لأعدائنا بالحصول على الأسلحة فلماذا نسمح لهم بالحصول على الأفكار!

٦ مارس/آذار

في مثل هذا اليوم من العام ١٠٤٠م توفي العبقري ابن الهيثم! كان خارق الذكاء ، نابغة عصره ، يسابق في أكثر من مضمار ، الفيزياء ، علم الفلك ، الهندسة ، الفلسفة ، أما البصريات فقد كانت لعبته!

من إنجازاته في الحياة :

– هو أول من ردَّ على نظريات أرسطو وبطليموس وإقليدس القائلة أن عملية الرؤية تتم عبر ضوء يخرج من العين إلى الشيء المرئي ، وأثبت العكس ، أن الرؤية تتم من انعكاس ضوء الشيء إلى العين ، وقد استقاها من قول الله تعالى : «وجعلنا النهار مبصراً»! وكان اكتشافه هذا ثورة في علم البصريات!

– هو أول من قام بتشريح العين ، وبيّن أجزاءها ، ووظيفة كل جزء منها .

– هو أول من درس تأثير العوامل النفسية للإبصار .

– هو أول من وضع كتاباً خاصاً بعلم البصريات سماه «المناظر» .

– هو أول من قال أن القمر لا يضيء بذاته وإنما يعكس ضوء الشمس!

واليوم بعد ما يقارب ألف عام على وفاته ، ما زال حاضراً :

– يُعرف في جامعات أوروبا بواضع علم البصريات .

– له خرائط سماوية بقيت لسنوات مرجعاً لعلماء الفلك .

– احتفى به غوغل عام ٢٠١٣م ، ووضع محرك البحث يومها اسمه تقديراً لإنجازاته .

– كتبه اليوم أغلبها موجود في المكتبة الوطنية في فرنسا ، أخذها الفرنسيون يوم احتل نابليون مصر ، وبعضها موجود في متحف برلين .

ويقول ابن الهيثم عن نفسه :

سعيتُ دوماً نحو المعرفة والحقيقة ، وآمنتُ بأني كي أتقرب إلى الله فليس هناك طريقة أفضل من أن أبحث عن المعرفة والحقيقة

٧ مارس / آذار

في مثل هذا اليوم من العام ٣٢٢ ق .م توفي أرسطو ، تلميذ أفلاطون وأستاذ الإسكندر! مؤسس علم المنطق ، ومؤسس علم الأحياء بشهادة داروين نفسه ، مع أنَّ شهادته مجروحة إلا أن الشيء بالشيء يُذكر!

في البداية لم يعترف أحد به ، ولم تلق فلسفته رواجاً ، يومها لم يُصدر بياناً ، ولم يُلقِ خطاباً يتحدث عن مآثره ، وقيمة فلسفته ، وإنما قرر أن يعطيهم درساً عملياً ، فقد عَرَفَ بفضل خبرته في علم الفلك ، أن موسم جَنيَ الزيتون سيكون رائعاً ، وقد عرف هذا شتاءً ، فاستأجر معصرتي «ميلتوس» و«خيوس» بسعر زهيد جداً ، حيث لم تكن هناك منافسة ، وعندما جنى الناس الزيتون احتاجوا للمعاصر ، فاستغلَ أرسطو هذا الأمر ، وحدد السعر الذي أراده ، وربح مالاً وفيراً ، ثم قال للناس : أستطيعُ أن أكون غنياً ، ولكن ليس هذا ما يحركنا نحن الفلاسفة!

ومن أقوال أرسطو الخالدة :

- أؤمن أن الأصدقاء يبقون إلى الأبد ، لهذا جميع من ذهبوا لم يكونوا أصدقاء!
- افعلْ ما تود أن يعود لكَ يوماً!
- فن الحياة أن تعرف ما عليك أن تتجاهله!
- بالنسبة للزواج أو العزوبية دعوا الإنسان يقرر الطريقة التي سوف يندم عليها!
- تشويه السمعة وسيلة كل حاقد!
- لا نشعر بحب آبائنا لنا حتى نصبح آباءً!
- الجاهل يُؤكد ، والعالم يشكُّ ، والعاقل يتروى!
- من يهزم رغباته أشجع ممن يهزم أعداءه ، لأن أصعب انتصار هو الانتصار على الذات!
- لم يحدث أبداً أن وُجد عبقري ليس فيه مس من الجنون!
- ليست الشجاعة أن تقول كل ما تعتقد ، وإنما أن تعتقد كل ما تقول!

٨ مارس / آذار

في مثل هذا اليوم من العام ١٠١٠م ، انتهى «الفردوسي» من صياغة الشاهنامة ، ملحمة بلاد فارس ، وأشهر أدبها على مرِّ العصور!

جعل الفردوسي الشاهنامة في ستين ألف بيت شعر! هذا حدها الكتابي ، أما حدها الزماني فمن أول ما تذكره بلاد فارس حتى الفتح الإسلامي ، وأما مضمونها فكل ما عرفه الفرس من أساطير ، وحكايا ، وأحداث ، وخرافات ، ووقائع!

تختلف الشاهنامة ملحمة بلاد فارس ، عن الإلياذة ملحمة الإغريق ، أنها لا تروي حدثاً واحداً ، فالإلياذة جل أبياتها في حرب طروادة ، بينما الشاهنامة هي عبارة عن تاريخ كامل متصل ، كذلك إن هوميروس جعل في الإلياذة بطلاً واحداً ، أما الفردوسي فنأى بالشاهنامة عن البطل الواحد ، ولكل قصة بطلها!

ستون ألف بيت شعري ، استغرقَ نظمها ثلاثين سنة! والشاهنامة بالفارسية تعني «رسالة الملوك» ، فهي وإن كانت ممتعة في أحداثها ، حيث أن القصص والأساطير والخرافات والتراث مادة مرغوبة للقراءة ، إلا أنها في الدرجة الأولى أقرب إلى كتب السلاطين ، وتنضوي تحت لواء الأدب السياسي تماماً كما هي الحال في كتاب كليلة ودمنة فهو كتاب سياسي بالدرجة الأولى وإن كان قد اتخذ القصة وسيلة يهشُّ بها على المعاني البعيدة! لهذا يمكن القول أن الشاهنامة عبارة عن رسالة موجهة إلى الملوك وقادة العالم وعلى مدى الدهر لحثهم على رعاية حقوق الرعية ، وأداء العدل فيها ، وعدم الظلم والطغيان!

النسخة الأصلية للشاهنامة موجودة اليوم في برلين! وقد تُرجمت إلى عشرات اللغات العالمية ، أما النسخة العربية منها فترجمها نثراً «فتح الأصفهاني» في القرن الثامن الهجري . وأحدث نسخة عربية منها أصدرتها الهيئة المصرية العامة لقصور الثقافة!

٩ مارس / آذار

في مثل هذا اليوم من العام ١٩٩٦م توفي الشيخ محمد الغزالي .

لم يكن الغزالي داعية تقليدياً ، يروي ما يحفظ ، ويقول ما يقرأ دون أن يخرج عن السطر قيد أنملة! على العكس من يقرأ كتبه يدرك أنه كان مفكراً عظيماً ، وإنساناً رحيماً ، فهم الإسلام فهماً صحيحاً ، وحاول جاهداً أن يُخرج مبادئ الشريعة من بطون الكتب إلى منعطفات الحياة!

كان الغزالي قارئاً نهماً ، واسع الثقافة ، ما من كتاب له إلا وتجد فيه عشرات الاستشهادات تارة لأديب ، وأخرى لمفكر ، ومرة لعالم نفس ، وأخرى لمؤرخ ، حتى أن «جدد حياتك» أشهر كتبه ، يقول في مقدمته أنه خطر له تأليفه بعد قراءته لكتاب ديل كارنيجي الشهير «دع القلق وابدأ الحياة»!

يُحسبُ له أنه كان إنساناً بامتياز ، رحيماً بالناس ، بعيداً عن الغلو ، متمسكاً بالشريعة بعزم ، أحسبه كذلك ولا أزكي على الله أحداً من خلقه!

سأله شاب مرة : ما حكم تارك الصلاة يا شيخ؟

فقال له : حكمه أن تأخذه معكَ إلى المسجد!

هذه هي عقلية محمد الغزالي وهذا هو فكره السمح!

ومن أقواله الجميلة المطبوعة في ذاكرتي :

١- التدين المغشوش قد يكون أنكى بالأمم من الإلحاد الصارخ!

٢- إني أكره إيمان الأغبياء لأنه غباوة تحولت إلى إيمان ، وأكره تقوى العجزة لأنه عجز تحول إلى تقوى!

٣- إن انتشار الكفر في العالم يحمل نصف أوزاره متدينون بغضوا الله إلى خلقه بسوء صنيعهم وسوء كلامهم!

٤- الإكراه على الفضيلة لا يصنع الإنسان الفاضل ، كما أن الإكراه على الإيمان لا يصنع الإنسان المؤمن ، إن الحرية أساس الفضيلة!

٥- الإسلام قضية ناجحة ولكن محاميها فاشل!

٦- مهمة الدين أنه إذا رأى عاثراً يعينه على النهوض ، لا أن يتقدم للإجهاز عليه!

١٠ مارس / آذار

في مثل هذا اليوم من العام ١٩٣٣م وُلد «عبد الحميد كشك» ، كان أعمى البصر ، متفتح البصيرة! كان يُلقبُ بفارس المنابر ، وحُقَّ له ، فهو أشهر خطيب في القرن العشرين ، له ما يزيد عن ألفي خطبة مُسجلة ، لا يوجد فيها خطأ واحد في اللغة العربية عندما يتحدث بالفصحى! ولكنه كما هو معروف كان يتحدث بالعامية أيضاً!

بالإضافة لفصاحته وبلاغته ، كان خفيف الظل ، مرحاً إلى أبعد حد ، ومن طرائفه الكثيرة :

١- قال في إحدى خطبه : بسبب بعدنا عن الله كل شيء يحدث معنا بالعكس ، كنا نبحث عن إمام عادل ، فطلع لنا عادل إمام!

٢- وامتلأ مسجده ذات جمعة ، فقال وهو يخطب : الإخوة المباحث في الصف الأول يتقدموا عشان إخوانهم المصلين في الخارج يخشوا المسجد!

٣- وقال مرة : اللهم صل على الصف الثاني ، والثالث ، والرابع ، فقيل له : والصف الأول يا شيخ ، فقال : دا كله مباحث يا إخوان!

٤- وتحدث مرة عن الطعام الذي كانوا يقدمونه لهم في السجن فقال : في السجن جابوا لنا سوس مفوِّل ، السوس كان أكثر من الفول!

٥- وقال مرة : إذا احتكمت دولتان صغيرتان إلى الأمم المتحدة ضاعت الدولتان ، وإذا احتكمت دولة صغيرة ودولة كبيرة إلى الأمم المتحدة ضاعت الدولة الصغيرة ، وإذا احتكمت دولتان كبيرتان إلى الأمم المتحدة ضاعت الأمم المتحدة!

٦- عُرض عليه الخروج من مصر بدل السجن فقال : «هذا التولي يوم الزحف» «السجن أحب إليَّ مما يدعونني إليه»!

٧- وقال مرة متهكماً على عبد الحليم حافظ : هذا العندليب ظهرت له معجزتان : الأولى أنه يمسك الهوى بيديه ، والثانية أنه يتنفس تحت الماء!

٨- وقال عن أم كلثوم : امرأة في السبعين تغني وتقول : خذني لحنانك خذني! يا شيخة ربنا ياخدك!

٩- في إحدى الـمرات التي سْجن فيها ، قال له ضابط الـمباحث : ما مهنتك!
فقال ساخراً : مساعد طيار!

١٠- سُجن مـرة مع السيـد الأبنودي ، تحـدث الأبنودي عن إنجـازاته ، فـسـأله كـشك : وما هي؟ قـال : أنا مؤلف أغنيـة «تحت الشـجر يا وهيبـة»! فقـال له كشك : إيه التجلي دا يا واد ، تحت الشجر يا وهيبة!

١١ مارس / آذار

في مثل هذا اليوم من العام **١٩٥٥**م توفي مكتشف البنسلين «ألكسندر فليمنج»!

لاحظ «فليمنج» أن البكتيريا تتأثر سلباً بعفن الخبز، وهذه الملاحظة جاءت عن طريق الصدفة، ولكن الصدف لا تلقي بمعارفها إلا للعقول المستعدة لالتقاطها، فقبل نيوتن مثلاً سقط تفاح كثير، ولكن من باب الصدفة سقطت تفاحة أمام نيوتن، فأعمل عقله فيها، فاكتشف قانون الجاذبية!

وبالعودة إلى «فليمنج» فإن الرواية تقول أنه نسي قطعة خبز متعفنة قرب صحن البكتيريا التي كان يجري عليها تجاربه في المعمل، فلاحظ في اليوم التالي أن عفن الخبز قد تسبب بقتل الكثير منها، وأوقف نمو ما تبقى! ولكنه لم يستطع اكتشاف البنسلين حرفياً وإنما دل الناس على الفكرة!

«هوارد فلوري» و «إرنست تشين» هما من قاما باستخلاص البنسلين من عفن الخبز!

إلى هنا تبدو القصة عادية، فإليكم ما هو غير عادي!

كان الفراعنة في مصر يضعون الخبز المتعفن على الجرح، ثم يربطونه بضماضة لعدة أيام فيُشفى، وقد دونوا في مخطوطاتهم الطبية التي استطاع الناس قراءتها بعد أن تمكن شامبليون من فك رموز الهيروغليفية: أنه كلما زادت كمية العفن في الخبز كلما تماثل الجرح للشفاء بطريقة أسرع!

اكتشاف البنسلين بعد آلاف السنوات من علاج الفراعنة للجروح بالخبز المتعفن يثبت بالدليل القاطع أن كثيراً من علوم الأمم الغابرة قد ضاع وطواه الزمن، وأن الناس قد استغرقوا سنوات طويلة لإعادة اكتشاف ما اكتشفه الأوائل، إذا كانت هذه هي الحال اليوم مع كل هذا التقدم، فكيف كانت لتكون لو أن كل علوم البشرية بقيت! تخيلوا أن ابن النفيس تحدث عن الدورة الدموية قبل مئات السنوات من مجيء «وليام هارفي» للحديث عنها، لتسجلها البشرية باسم الأخير، ويضيع حظ الأول!

١٢ مارس / آذار

في مثل هذا اليوم من العام ١٩٦٤م توفي الأديب الرائع «عباس محمود العقاد» صاحب العبقريات ، وأوسع الكُتاب العرب ثقافة في القرن العشرين ، وبرأيي الشخصي فإن شخصاً واحداً يمكن أن يضاهيه بكمية ثقافته المذهلة وهو محمود شاكر ، أما البقية فبينه وبينهم بون شاسع!

في كل صوره الشخصية يبدو العقاد متجهماً حزيناً كأنما يحمل الدنيا على كتفيه ، ولكن في الحقيقة أن مسحة الجدية والهم كانت مظهراً خارجياً لا علاقة له بها ، فقد كان رحمه الله ، خفيف الظل ، ظريفاً ، دائم النكتة ، وقد ربطَتْه بالمازني صداقة عميقة ، وكان المازني قصيراً جداً بينما كان العقاد فارع الطول ، فكان العقاد يقول له : أنا وأنتَ كالرقم عشرة ، أنا واحد وأنت صفر!

وكانا مرة في القدس في زيارة لصديق لهما ، فتعرضوا لإطلاق نار ، فأما صديقهما فهرب ، وأما العقاد فانبطح أرضاً ، بينما تسمر المازني مكانه من شدة الخوف ، بعد زوال الخطر سأل العقاد المازني : لمَ وقفتَ مكانك؟

فقال : خشيتُ إن تحركت أن يرانا!

فقال له العقاد : معك حق ، أنت بهذه القامة لا تُرى إلا إذا تحركتَ!

ومن أقوال العقاد الجميلة :

١- الوظيفة رقُّ القرن العشرين!

٢- تذكر دائماً أن تنام على حلم وتستيقظ على هدف!

٣- التجارب لا تُقرأ في الكتب ، ولكن الكتب تساعد على الانتفاع بالتجارب!

٤- ليس الحاسد هو الذي يطمع أن يساويك بأن يرقى إليك بل هو الذي يريد أن تساويه بأن تنزل إليه!

٥- الكتاب الذي لا يجد فيه المرء ما يخالفه ليس جديراً بالقراءة!

٦- أحسِنْ الظن بالناس كأنهم كلهم خير ، واعتمدْ على نفسك كأنه لا خير في الناس!

٧- إن الإسلام لا يُحارب بالسيف فكرة يُمكن أن تُحارب بالبرهان والاقناع!

٨- إذا كانت المرأة الجميلة جوهرة ، فالمرأة الفاضلة كنز!

٩- أنا لا يهمني كم من الناس أرضيتُ ولكن يهمني أي نوع من الناس أقنعتُ!

١٣ مارس / آذار

في مثل هذا اليوم من العام ٦٢٤م وقعتْ غزوة بدر الكبرى ، أما تأريخنا فكان يوافق السابع عشر من رمضان للسنة الثانية من الهجرة النبوية الشريفة!

بدر لم تكن مجرد غزوة ، كانت أول مرة سلّ فيها الإسلام سيفه معلناً أنه بعد اليوم لن يكون هذا الدين مهيض الجناح فقد «أُذِنَ للذين يُقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير»! ومن غزوة بدر تعلمنا ما يلي :

١- إرادة الله فوق الجميع ، أراد المسلمون القافلة ، وأرادت قريش نجاتها ، ولكن الله أراد الحرب فكانت!

٢- الغطرسة تقود الناس إلى مصارعهم ، أراد أبو جهل أن يقضي على القلة المؤمنة ويقيم عند بدر حفلاً ، فكان هناك مأتمه!

٣- لا أحد يعلم الغيب إلا الله ، حتى النبي ﷺ ما دار في خلده أنه سيكون قتال!

٤- العقيدة أغلى من القبيلة ، وأثمن من الوطن ، وأشرف من العائلة!

٥- القائد لا يُخبئ أقاربه ، دفع النبي ﷺ بأقاربه لخوض جولة المبارزة قبل المعركة ، عمه ، وصهره وابن عمه ، وابن عمه الآخر!

٦- النبيل لا ينسى معروفاً أُسدي إليه ، يرى النبي ﷺ أسرى بدر ، فيتذكر صنيع مطعم بن عدي يوم حماه وأجاره ، فقال : لو كان مطعم بن عدي حياً وكلمني في هؤلاء لأطلقتهم له!

٧- الجهاد عبادة كالصلاة والصيام ، والرب الذي قال «كُتب عليكم الصيام» هو الذي قال «كُتب عليكم القتال»!

٨- الدعاء سلاح المؤمن مهما كان سيفه مسلطاً ، اعتزل النبي ﷺ جيشه ، ولجأ إلى ربه ، وناداه ملء قلبه : اللهم نصركَ الذي وعدتَ ، اللهم إن تهلك هذه العصابة فلن تُعبد في الأرض أبداً!

٩- لو استغنى أحد عن الشورى لاستغنى عنها النبي ﷺ وهو المؤيد بالوحي ، ولكنه أراد أن يعلمنا أن الله مع الجماعة يداً ورأياً!

١٠- علمتنا غزوة بدر أن من طلب الآخرة ، جاءته الدنيا منقادة ، ومن طلب الدنيا خسر الاثنين معاً!

١٤ مارس / آذار

في مثل هذا اليوم من العام ١٨٧٩م وُلد العبقري آلبرت آينشتاين ، يُقال أنه كان ثاني أذكى شخص في تاريخ البشرية ، أما الأول فهو إسحاق نيوتن ، ولا أعرف على أي أساس تم هذا التصنيف ، ولكن الذي نعرفه جميعاً أن الرجلين كانا عبقريين فعلاً!

من بين نظرياته الفذة ، تبقى النسبية أشهرها ، وعلى سيرة النسبية ، كان لا يمضي أسبوع إلا ويحاضر آينشتاين بها في جامعة ، أو مؤتمر ، أو محفل ، لدرجة أن سائقه الشخصي الذي كان شديد الشبه به صار خبيراً بها ، وفي أحد الأيام وهما في طريقهما إلى المحاضرة ، شكا آلبرت لسائقه إرهاقاً يشعر به

فقال له السائق : أنا خبير أيضاً في النسبية ، ما رأيك أن ألبس ثيابك وتلبس ثيابي ، وأحاضر أنا مكانك ، بينما تجلس أنتَ في الخلف مكاني؟!

راقتْ الفكرة لآينشتاين ، وهكذا كان .

ولكن أمراً لم يكن بالحسبان قد وقع ، فقد قام أحد دكاترة الفيزياء الحاضرين بتوجيه سؤال صعب للسائق الذي لم يعرف بما يجيبه ، ولكنه كان حسن التخلص ، فقال له : سيدي ، هذا سؤال بسيط جداً ، لدرجة أني سأترك سائقي يجيبك عليه!

فقام آلبرت وأجاب على السؤال ببراعة ، فأثنى الجميع على ذكاء السائق الذي يجلس في الخلف!

ترك آلبرت آينشتاين أقوالاً جميلة هذه بعضها :

١- العلم دون دين أعرج ، والدين دون علم أعمى!

٢- الثقافة هي ما يبقى بعد أن تنسى كل ما تعلمته في المدرسة!

٣- لستُ أذكى شخص في العالم ، كل ما في الأمر أني لا أسمح لأحد أن يفكر نيابة عني!

٤- إذا لم تستطع أن تعبر عن فكرتك ببساطة فأنتَ لم تفهمها بعد!

٥- المفكرون يحلون المشاكل أما العباقرة فيمنعون حدوثها!

٦- الفرق بين الغباء والعبقرية هو أن العبقرية لها حدود!

٧- لا يمكن حل المشاكل بنفس العقول التي أنتجتها!

٨- في المدرسة يعلمونك الدرس ثم يختبرونك ، أما الحياة فتختبرك ثم تعلمك الدرس!

١٥ مارس / آذار

في مثل هذا اليوم من العام ٦٣٢م عاد النبيُّ ﷺ من حجة الوداع ، كان يعرفُ أن الأجل قد اقتربَ ، لهذا كان لا بُدَّ من وصية ، فصعد على جبل الرحمة ووضع النقاط على الحروف ، كانت خطبة رائعة ، وكيف لا تكون والمتحدث أفصح الناس قاطبة وقد أُوتي جوامع الكلم! ولكنها كانت خطبة موجعة أيضاً ، وما زالت كذلك بعد ألف وأربعمئة سنة ، أي وجع أكبر من أن يضم نبينا وحبيبنا قبر في هذه الدنيا!

«إنَّ دماءكم وأعراضكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا ، ألا هل بلغتُ ، اللهم فاشهد»!

لقد بلّغتَ يا رسول الله ، ووصلنا البلاغ ، وما عملنا به إلا قليلاً ، وإن أقواماً منا سيحول الله بينهم وبين شفاعتك ، ويقول لك : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك!

«وإن ربا الجاهلية موضوع ، وأول ربا أضعه ربا عمي العباس ، وإن دماء الجاهلية موضوعة وأول دم أضعه دم عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب»!

ما أعظمكَ ، بنفسك تبدأ دوماً ، وأقاربك يجري عليهم ما يجري على الناس ، ومن قبل قد قُلتَ : لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعتُ يدها! وحاشا فاطمة! ولكنك تعلمنا أن الدين فوق الجميع ، وأن الناس سواسية ولو كانوا أحب هذه الأمة إلى قلب نبيها!

«واستوصوا بالنساء خيراً» ما أحنَّكَ وما أشفقك إذ تجعل النساء من ضمن مسؤولياتنا لا من ضمن ممتلكاتنا!

وينزل جبريل بـ«اليوم أكملتُ لكم دينكم وأتممتْ عليكم نعمتي ورضيتُ لكم الإسلام ديناً» فيبكي أبو بكر ، كان يعلم أنه ليس بعد التمام إلا النقصان ، وأن صاحبه عما قليل مغادر ، ومن غيرك يُبكى على فراقه يا رسول الله ، نشهد أنكَ بلغت الرسالة وأديتَ الأمانة والموعد الحوض إن شاء الله!

١٦ مارس / آذار

في مثل هذا اليوم من العام ١٤٠٦م توفي ابن خلدون أبرع علماء الاجتماع في تاريخ البشرية! يلومه البعض أنه قال : العرب بدون الإسلام لا يساوون جناح بعوضة! فوالله ما قرأتُ أصدق من هذا التوصيف للعرب في حياتي!

كان ذكياً فذاً ، يرى في الأشياء أشياءً لا يراها غيره ، فعلى سبيل المثال قال في مقدمته :

إن العرب أكلوا الإبل فأخذوا منها الغيرة والغلظة ، وأكل التُرك الخيول فأخذوا منها الشراسة والقوة ، وأكل الإفرنج الخنزير فأخذوا منه الدياثة ، وأكل الأفارقة القرود فأخذوا منها حب الرقص والطرب!

لم يكن ابن خلدون يرى واقعه بوضوح فقط ، فعلى ما يبدو أنه بلغ من العبقرية درجة جعلته يرى المستقبل كذلك ، وها هو يحدثنا عن انهيار الدُول :

عندما تنهار الدول يكثر المنجمون والمتسولون والمنافقون والمدعون والكتبة والقوالون والمغنون النُشاز والشعراء والنظامون والمتصعلكون وضاربو المندل وقارعو الطبول والمتفيهقون وقارئو الكف والطالع والمتسيسون والمداحون والهجاؤون والانتهازيون!

تتكشف الأقنعة ويختلط ما لا يُختلط . يضيع التقدير ويسوء التدبير ، ويختلط الصدق بالكذب والجهاد بالقتل!

عندما تنهار الدول يسود الرعب ويلوذ الناس بالطوائف ، وتظهر العجائب وتعم الإشاعة ، ويتحول الصديق إلى عدو والعدو إلى صديق ، ويعلو صوت الباطل ويخبو صوت الحق ، وتظهر على السطح وجوه مريبة! ويتقاذف الناس التهم .

إلى هذا الحد كان ابن خلدون يرانا ، وبهذه البراعة ، وهذا العمق ، وهذه الواقعية كتب عنا! البعض يا سادة يرون الأشياء بنور الله ، وعلى ما يبدو أن ابن خلدون كان منهم!

١٧ مارس / آذار

في مثل هذا اليوم من العام ١٩٦٩م تم انتخاب «غولدا مائير» رئيسة لوزراء دولة الاحتلال الإسرائيلي . كانت أول امرأة تتولى هذا المنصب ، وبقيت المرأة الوحيدة التي تقلدته حتى جاءت «تسيبي ليفني»!

سألها صحفي مرة : ما أتعس يوم مرَّ عليكُ في دولة إسرائيل ، وما أسعد يوم؟

فقالت له : أتعس يوم مرَّ عليَّ في دولة إسرائيل كان يوم أحرقنا المسجد الأقصى! قلتُ في نفسي : سيهجم علينا العرب ويذبحوننا!

أما أسعد يوم فكان صبيحة اليوم التالي عندما لم يفعلوا شيئاً!

قاتلها الله كانت تحسن بنا الظن ، وما أتعسنا ، يكفي المرء تعاسة أن يُخيب ظن عدوه به!

وللعجوز الشمطاء غولدا أقوال لا بد أن نتأملها بعمق ، من المهم أن نعرف كيف يفكرون :

١- يمكننا أن نسامح العرب على قتلهم أطفالنا ، ولكن لا يمكن أن نسامحهم على إجبارنا على قتل أطفالهم!
٢- كل صباح أتمنى أن أصحو ولا أجد طفلاً فلسطينياً واحداً على قيد الحياة!
٣- أعرف أن المسلمين سينتصرون علينا نهاية المطاف ، ولكن الذين نراهم الآن ليسوا هم ، لن نُهزم حتى يصبح عدد المصلين في صلاة الفجر كعدد المصلين في صلاة الجمعة!
٤- إني أشم رائحة أجدادي في خيبر!
٥- سيتفاجأ العرب ذات يوم أننا قد أوصلنا أبناء إسرائيل إلى حكم بلادهم!
٦- يجب أن يغرق الشعب المصري في المشاكل والهموم حتى لا يستفيق لأنه إذا مات رأس الأفعى مات معها كل من يتبعها وإذا نهضت ستتخلص من كل أعدائها!

١٨ مارس / آذار

في مثل هذا اليوم من العام ٧٢٩م وُلد أبو دلامة ، كان عبداً لرجل من أهل الرقة من بني أسد ثم أعتقه! كان شاعراً ظريفاً ، خفيف الظل ، حلو الدعابة ، عاصر ثلاثة من خلفاء بني العباس هم : أبو العباس السفاح ، وأبو جعفر المنصور ، والمهدي .

اسمه الحقيقي «زند بن الجون» ، أما لقبه «أبو دلامة» فلحقه نسبة إلى جبل دلامة في مكة ، حيث يشتهر بطوله وسواده وكذلك كان شاعرنا!

وكما كانت سيرة الشعراء في التكسب من الخلفاء ، كانت كذلك سيرة أبي دلامة ، كان متسولاً بارعاً ، وإليكم هذه القصة :

دخل مرة على أبي العباس السفاح ، فأضحكه وخفف عنه ، فقال له السفاح : سلني حاجتكَ يا أبا دلامة!

فقال أبو دلامة : أريد كلب صيد يا مولاي

- أعطوه إياه
- والصيد لا بد له من دابة
- أعطوه إياها
- والكلب والدابة لا بد لهما من غلام يقوم بأمرهما
- أعطوه إياه
- والصيد الذي نصيده لا بد له من جارية تطبخه
- أعطوه جارية
- هؤلاء عبيدك يا أمير المؤمنين أما من دار يسكنونها
- أعطوه داراً
- يا أمير المؤمنين فإن لم يكن لهم بستان فكيف يأمنون الزمن
- أعطوه بستاناً!

وهذه بعض الوجوه التي كانت تُنفقُ فيها أموال بيت المال يا سادة!

١٩ مارس / آذار

في مثل هذا اليوم من العام ١٩٣٠م توفي بلفور ، رئيس وزراء بريطانيا ، وصاحب الوعد الـمشؤوم!

مئة وثلاثون كلمة فقط غيرت العالـم إلى الأبد!

كان هذا هو أهم ما جاء في نص الرسالة التي أرسلها بلفور إلى اللورد البريطاني اليهودي «روتشيلد» :

«عزيزي اللورد روتشيلد ، يسرني جداً أن أبلغكم بالنيابة عن حكومة صاحبة الـجلالة ، التصريح التالي الذي ينطوي على العطف على أماني اليهود والصهيونية ، وقد عُرض على الوزارة وأقرته :

«إن حكومة صاحبة الـجلالة تنظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قومي لليهود في فلسطين ، وستبذل غاية جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية!»

ما لم يأخذه اليهود بالذهب من السلطان عبد الـحميد ، أخذوه بالسياسة من بريطانيا!

هذا هو وعد من لا يملك لمن لا يستحق!

ولكنه في نهاية الـمطاف هناك وعد الله ، فقد قضتْ حكمته أن يأتي بهم لفيفاً حتى يتحقق وعد الآخرة! وما تبقّى أسباب ليس إلا!

وإن كان معهم وعد البشر اليوم ، فإن معنا وعد الله غداً ، وإن كان وعد بلفور محفوظ في أرشيف وزارة الـخارجية البريطانية ، فإن وعد الله محفوظ في سورة الإسراء :

﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾

فطوبى لمن سينادي عليهم الـحجر والشجر ذات يوم : يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي ورائي تعال واقتله!

٢٠ مارس/ آذار

في مثل هذا اليوم من العام ١٧٢٧م تُوفي «إسحاق نيوتن» الذي غيرتْ تفاحته شكل العالـم إلى الأبد!

جلس إسحاق نيوتن مرةً بجوار إحدى السيدات في مأدبة عشاء أقيمت على شرفه ، ودون سابق إنذار سألته السيدة : قُلْ لي يا سيد نيوتن ، كيف استطعت أن تصل إلى اكتشافك هذا؟

فقال لها : الـمسألة في غاية البساطة أيتها السيدة ، لقد كنتُ أقضي جزءً كبيراً من وقتي أفكر في هذه القوة التي تجعل الأشياء تسقط على الأرض بدل أن ترتفع مثلاً! إن التفكير الطويل هو وحده الذي أرشدني إلى اكتشاف جاذبية الأرض!

فقالت له : ولكني أقضي ساعات طويلة من يومي أُفكر ، وأفكر وبالرغم من ذلك لم أستطع أن أكتشف شيئاً!

– وبِمَ كنتِ تفكرين يا سيدتي؟
– في زوجي الذي هجرني ، ثم ما لبثَ أن طلقني!
– وهل كنتِ تفكرين بزوجكِ قبل الطلاق كما تفكرين به الآن بعد الطلاق؟
– لا طبعاً ، تفكيري بعد الطَلاق انصبَ حوله ، كيف تجرأ أن يفعل هذا بي ، إني لا أصدق كيف فعلها!
– لو أن تفكيرك بزوجك قبل الطلاق كان بهذا الشكل ، وهذا العمق ، وهذا الوقت ، لاستطعتِ أنتِ أيضاً أن تكتشفي جاذبية من نوع آخر!

أراد نيوتن أن يقول لها ولنا :

الاهتمام يجذب الناس إلينا كما تجذب الأرض الأشياء إليها ، اصنعوا جاذبيتكم الخاصة ولن تبتعد عنكم الأشياء التي تحبونها!

٢١ آذار / مارس

في مثل هذا اليوم من العام ١٩٧٥م تمَّ إلغاء منصب «النجاشي/الإمبراطور» في أثيوبيا ، وإعلان الـجمهورية!

نجاشي واحد يعنينا من بين كل النجاشيين الذين تداولوا الـحكم في أثيوبيا أو كما كانت تُسمى قديماً : بلاد الـحبشة! وهو النجاشي الذي كان على عهد رسول الله ﷺ .

تولى الـحكم وهو ابن تسع سنوات بعد وفاة عمه بصاعقة ، فكبر على كرسي الـمُلك حاكماً عادلاً ، انتشرتْ سيرته الطيبة في البلدان الـمجاورة للحبشة ، لهذا عندما ضاقتْ مكة على الـمسلمين ، قال لهم رسول الله ﷺ : «اذهبوا إلى الـحبشة فإن فيها ملكاً لا يُظلم عنده أحد»!

وبالفعل كان «أصحمة بن أبجر» وهو اسمه الـحقيقي عند ظن النبي ﷺ ، فعندما عرفت قريش أن الـمسلمين هاجروا إلى الـحبشة ، جُنَّ جنونها ، وأرسلت عمرو بن العاص ليعيدهم إلى مكة وقد كان من قبل صديقاً مُقرباً للنجاشي بحكم التجارة والسفر .

رفضَ النجاشي أن يعيد الـمسلمين إلى مكة رغم الهدايا التي أحضرها له عمرو بن العاص ، وقال لا بد أن أسمع منهم ، فجرتْ الـمناظرة الشهيرة بين جعفر بن أبي طالب رئيس وفد الـمسلمين ، وعمرو بن العاص رئيس وفد قريش ، وكانت خاتمة الـمناظرة أن قرأ جعفر على النجاشي آيات خلق سيدنا عيسى من سورة مريم ، فبكى ، وقال : إن الذي جاء به نبيكم والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة! اذهبوا وعيشوا في أرضي بسلام حتى يأذن لكم رسولكم بالعودة!

أسلمَ النجاشيُّ ، وآمن بدعوة الهادي البشير ، وكتم إسلامه عن قومه ، وعندما أبلغ جبريل النبي ﷺ بوفاة النجاشي ، قال للمسلمين : «ماتَ اليوم رجل صالح ، فقوموا فصلوا على أخيكم أصحمة»!

وكانت هذه هي الـمرة الوحيدة التي صلى فيها رسول الله ﷺ صلاة الغائب!

هنيئاً للنجاشي ، إن رجلاً جمع عزَّ الدنيا والآخرة ليُغبط فعلاً!

٢٢ آذار / مارس

في مثل هذا اليوم من العام ٢٠٠٤م استشهد الشيخ أحمد ياسين ، الرجل المشلول الذي كان يركضُ إلى الله بقلبه ترجَّلَ أخيراً عن كرسيِّه المدولب!

لم يكن العثور عليه صعباً بالنسبة لـ«إسرائيل» ، فالمجاهد القعيد لم يكن يترك صلاة الفجر ، لهذا انتظرته طائرة الأباتشي عند باب المسجد ، وعندما خرج ، قصفته بأربعة صواريخ! يأبى الله إلا أن يُميت الناس على الطريق التي أفنوا فيها أعمارهم ، وعلى درب الجهاد والاستشهاد قبضه الله إليه ، نحسبه كذلك ولا نزكي على اللهِ أحداً من خلقه!

بعيَداً عن رحلة الحياة المريرة ، بعيداً عن إعاقته ومرضه ، عن صبره وثباته ، عن جهاده واستشهاده ، عن سنوات السجن والمطاردة والإقامة الجبرية ، كان للرجل حكاية من صلاة الفجر التي استشهد بعدها بلحظات!

سأل مرةً أحد القادة الميدانيين لكتائب القسام : كم عنصراً في مجموعتك؟

فقال له : ثمانون!

قال له : كم واحداً منهم يشهد صلاة الفجر مع الجماعة

قال : أربعون تقريباً

فقال له الشيخ : حسناً ، عندما أسألك في المرة القادمة عن عدد عناصر مجموعتك ، قل لي أربعين!

ما أحوجنا اليوم لمثل هذا الفهم لعوامل النصر والهزيمة

ما أحوجنا للقادة الذين يعرفون أن تخرج الضباط من الكليات العسكرية لا يكفي لتحقيق النصر ، وإنما يجب أن يتخرجوا من سورة الأنفال أولاً!

ما أحوجنا للقادة الذين يعرفون أن سر النصر ليس في البندقية وإنما في اليد التي تحملها!

٢٣ مارس / آذار

في مثل هذا اليوم من العام ٦٢٥م وقعتْ غزوة أحد ، أما تقويمنا فكان يشير إلى أنه السابع من شهر شوال للسنة الثالثة من الهجرة الشريفة! قبلها بأيام رأى النبي ﷺ في المنام كسراً في سيفه ، فأوّلها بمقتل أحد أقاربه ، فكان استشهاد أسد الله وأسد رسوله حمزة بن عبد المطلب!

انقضتْ غزوة أحد ، أما دروسها فما زالت صالحة لكل زمان ومكان ، ومنها :

١- قد يخسر الحق معركة ولكنه نهاية المطاف يكسب الحرب ، علينا أن لا ننشغل بالنصر والهزيمة بقدر انشغالنا في أن نكون في الحق فعلاً وبعيداً عن الباطل فعلاً!

٢- معصية أمر واحد من أوامر النبي ﷺ أدت إلى الهزيمة يوم أحد ، فلا تُمني الأمة نفسها بالنصر بغير طاعة أوامر نبيها ، لا نصر إلا بالطاعة!

٣- النصر والهزيمة مجرد طقس ، أما الإيمان مناخ! لا يجعلكم تقلب الطقس تشكوا في صحة المناخ!

٤- هزيمة تجعلك تلجأ إلى الله ، خير من نصر يجعلك تطغى ، وسبحان من يؤدب عباده بما يكرهون ليجعلهم له كما يُحب!

٥- القتل واحد ، ولكن العاقبة ليست سواء : قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار!

٦- في الملمات تظهر معادن الناس ، هناك انكشفَ ابن سلول ، وهناك أيضاً صدقَ أنس بن النضر ربه ، فأنزل فيه «من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه .»

٧- النصر والهزيمة ساعة وساعة ، يُهزم الحق كي لا تمتلئ صفوفه بالمنافقين ، ويكسبُ كي لا يشك أصحابه في سلامة المنهج ، وصحة الطريق!

٨- وضع الرماة على الجبل يخبرك إلى أي حد كان النبي ﷺ يأخذ بالأسباب ، لم يقل أنا نبي وسأنتصر على أية حال ، كان يأخذ بالأسباب ما استطاع ، ولكنه يعقد ثقته برب الأسباب لا بالأسباب!

٩- القائد لا يحتمي بجنده بل يتقدمهم ، وعندما أصاب الصحابةُ الهلعَ ، كان عليه الصلاة والسلام ثابتاً يرمي «أُبي بن خلف» بالحربة فيخور أمامه كالثور ويقع ميتاً!

١٠- إن أشد ما في يوم أحد من وجع ، لا نزول الرماة مع أنه موجع ، ولا استشهاد حمزة مع أنه يفطر القلب ، ولكنه الدم الذي سال من النبي ﷺ يوم شجوا رأسه وكسروا رباعيته/مقدمة أسنانه ، وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول : «كيف يفلح قوم شجوا رأس نبيهم وكسروا رباعيته»! واللهِ إن كوكباً سال فيه دم رسول الله لهو كوكب سوء!

٢٤ مارس / آذار

في مثل هذا اليوم من العام ٨٠٩م تولّى الأمين الخلافة خلفاً لأبيه هارون الرشيد ، كان الرشيد قد عقدَ ولاية العهد للأمين لأنه أكبر سناً من المأمون وإلا فإنه كان على يقين أن المأمون أصلح للحكم . وهذا حق ، فالمأمون على أنه من المعتزلة ، وعلى سجنه للإمام أحمد ، إلا أنه كان رجل دولة من الطراز الأول ، والزين ما يكمل كما تقول الجدات في مثلِهِنّ السائر!

أخذ الرشيد الميثاق من ابنيه عند الكعبة ، على أن يكون من بعده الأمين خليفةً والمأمون ولياً للعهد ، ولكن الأمين حنثَ ، واستغل ذهاب المأمون للحرب في خراسان فعزله ، فما كان من المأمون إلا أن جاء إلى بغداد ، وحاصر قصر الخلافة ، وقتل أخاه ، وتولّى الحكم ، وتباً للكراسي ما الذي تفعله بالناس!

وبالعودة إلى أن المأمون أجدر بالحكم وأصلح لأمور الدولة ، فقد كانت السيدة زبيدة والدة الأمين دوماً ما ترفع من شأن ابنها عند الرشيد وتحاول أن تنتقص من قيمة المأمون الذي كانت والدته فارسية . ولكن الرشيد كان يعلم أنها عاطفة أم لا حكم عقل ، ولما طال بها الأمر على أنّ ابنها أفضل ، قال لها سأريكِ أن المأمون أفضل ، فدعاهما إليه ذات ليلة ، وسهر معهما حتى كاد الفجر أن يطّلع ، ثم طلب منهما الانصراف ، وبعد ساعة أرسل في طلبهما!

فجاء الأمين بثياب حريرية ، يتثاءب ، مستفسراً عن سبب طلب أبيه له!

أما المأمون فقد جاء لابساً لبس الحرب ، درعه على صدره ، وخوذته على رأسه ، وسيفه على خاصرته ، فقال له الرشيد : ما هذا الذي تلبسه؟

فقال له المأمون : قد كنتُ بين يدي أمير المؤمنين منذ ساعة ، ولو أرادني في أمر لأخبرني ، ولكني لما انصرفتُ أرسلتَ في طلبي ، فعلمتُ أن أمراً قد حدث فجئتُك هكذا كي أمضي لتحقيق أمرك فوراً ، وإن كنت تريدني لغير هذا فلا أيسر من خلع ثياب الحرب!

هذا هو الفرق بين الأمين والمأمون!

٢٥ مارس / آذار

في مثل هذا اليوم من العام ١٨١١م طُرد الشاعر الإنكليزي «بيرسي بيش شيلي» من جامعة أكسفورد لنشرِهِ كُتيباً عن ضرورة الإلحاد!

وبرأيي لا أحد يستحق الشفقة أكثر من الملحدين ، فلا عاهة أصعب من عاهة الإلحاد ، وإن الذي لا يرى الله في بديع صنعه ، ودقة خلقه ، وحسن تنظيمه لهذا الكون الفسيح ، فهو أعمى ، أعمى بصيرة وما عمى البصر بشيء مقابل عمى البصيرة!

ومن طرائف الإلحاد والملحدين :

تُوفي والد أحد الملحدين فعزاه مؤمن ساخراً :

للطبيعة ما أعطتْ وللطبيعة ما أخذتْ ، وكل شيءٍ عندها بالصُّدف! لا قيمة لصبرك ولا طائل من جزعك ، ولا تنتظر من أحدٍ شيئاً ، فلا قيمة لميت أو حي!

ما نحن إلا حثالة كيميائية -كما قال صاحبك الملحد ستيفن- زائلة لا محالة!

كلنا وجدنا لنهلك ، وبُعثنا من العدم وإلى العدم سنعود ، البقاء للأقوى والأصلح ، فلو لم يكن أبوك فاسداً وضعيفاً لما ماتَ كما تموت القرود!

وستنتخبُ الطبيعة خيراً منه ليسود النوع الأفضل!

عظّمتْ الطبيعة أجرك ، وشكرتْ سعيك ، ولتقرأ على أبيك صفحات من كتاب «أصل الأنواع» لداروين عسى أن يتطور بعد الموت من القرد إلى السعدان ، والسلام!

طبعاً لا شماتة في الموت ، فكلنا سنموت مؤمنين كنا أم ملحدين ، والرسالة وإن كانت قاسية قليلاً ، فما أساء كاتبها إلى متلقيها بقدر ما أساء متلقيها إلى كاتبها ، أي إساءة أكبر يوجهها إليك امرؤ يقول لك : لا وجود لربك!

أحياناً أيها السادة لا بُد من الضرب تحت الحزام عسى أن تُزال الغشاوة ، ولكن هيهات ، من لا يرى الله في كل شيء حوله لا يرى شيئاً!

٢٦ مارس / آذار

في مثل هذا اليوم من العام ٩٢٢م أُعدم الحلاج! وبعد قراءات كثيرة ، وبحث وتنقيب ، أرى أن الحلاج بدأ متصوفاً وانتهى به الأمر أن صار عاهة فكرية ، فقد قفزَ من التصوف إلى الزندقة ، وقوله بحلول الله تعالى في مخلوقاته ثابت في شعره لا سبيل إلى رده وإنكاره ، حتى الذين عارضوا ويعارضون اليوم إعدامه إنما ينادون بحرية التفكير وقلَّ من يزعم أنه لم يقل ما قال!

وعلى أية حال لم يُعدم الحلاج غيلة ، ولا أُخِذ فجأة ، وإنما سجنه المقتدر بالله ، ثم بعد فترة أجرى مناظرة بينه وبين أشهر فقهاء ومحدِّثي عصره وأجمعوا على زندقته بعدما تمسك بقوله بحلول الله فيه!

قَال عنه ابن الجوزي ما مختصره أنه كان محتالاً يتعامل بالسحر!

أما ابن كثير فنقل إجماع العلماء في عصره على زندقته!

وروى الخطيب البغدادي حِيل الحلاج وخزعبلاته التي كان يقوم بها ما تقشعر له الأبدان!

والحلاج عند الشيعة لا يختلفُ الرأي فيه عما هو عند السُّنة ، فقد ذكر الطوسي في كتابه الغيبة أنه زنديق ، وفوق هذا يدّعي التواصل مع صاحب الزمان في سردابه وليس المجال مناقشة فكرة السرداب كي لا يخرج الكلام عما أُريد له!

حتى أن الكثير من الصوفية أنكروه ، وقالوا أنه لا ينتمي لهم ، وله تجاوزات لا يقبل بها دين ولا منطق ، وأخف رأي فيه كان لعبد القادر الجيلاني حين قال : لم يجد الحلاج من يأخذ بيده ولو أدركته لأخذتُ بيده!

وللحلاج شعر رقيق أختارُ صدر البيت أو عجُزه فقط :

- الناس موتى وأهل الحب أحياءُ
- ديني لنفسي ودين الناس للناسِ
- فأنتَ القريبُ بكل ما أوتيتَ من بُعدٍ
- كل الوصال دون وصلك هجر
- يراه قلبي وإن غاب عن بصري
- أدنيتُك مني حتى ظننتُ أنك أني!

٢٧ مارس / آذار

في مثل هذا اليوم من العام ١٩٧٣م رفض الـممثل «مارلون براندو» تسلُّم جائزة الأوسكار بسبب سوء معاملة هوليوود والـمجتمع الأمريكي للهنود الـحمر!

ورفض الـجوائز برأيي من أرقى مظاهر الاحتجاج!

وعلى سيـرة رفض الـجـوائز ، فـقـد رفض عـدد من الأدباء تسلُّم جـائزة نوبل للأدب ، منهم الروائي «بوريس باسترناك» عن روايته «الدكتور زيفاجو» التي يتناول فيها دكتاتورية الـحكم الشيوعي ، طبعاً لم تُمنح له الـجائزة كرمى لعيون الرواية ، وإنما حصل عليها بضغط من الـمخابرات الأمريكية والبريطانية أيام عدائهما للنظام الشيوعي ، هنا قام الاتحاد السوفياتي بضغط مقابل وبهجمة مرتدة ساحقة حيث أجبر باسترناك على رفض الـجائزة!

وإن كان باسترناك قد رفض الـجائزة قهراً فقد رفضها برنارد شو اختياراً! ففي العام ١٩٢٥م مُنح برنارد شو جائزة نوبل وكانت الـمفاجأة أنه أول شخص في التاريخ يرفضها ، وقال معلِّلاً : «هذه الـجائزة أشبه بطوق نجاة يُلقى به إلى شخص وصل فعلاً إلى بر الأمان ، ولم يعد عليه خطر»!

وقال ساخراً من ألفرد نوبل : «إني أغفر لألفرد نوبل اختراعه الديناميت ولكني لا أغفر له اختراعه جائزة نوبل»!

وفي العـام ١٩٦٤م تم منح جائزة نوبل لـلآداب لسارتر ، فلم يقبلها موضِّحاً أن رفضه لها نابع من معتقداته ، فصاحب الـمدرسة الوجودية كان ضد الـمؤسسة وأمضى حياته يُوجِّه نقداً لاذعاً لكل أشكال الـمؤسسات ، وأن على الكاتب أن لا يسمح لنفسه أن يتحول إلى مؤسسة ، كذلك رفض القيمة الـمالية للجائزة وقال : أنا لا أتخلى عن مبادئي لأجل الـمال!

٢٨ مارس / آذار

في مثل هذا اليوم من العام ١٨٦٨م وُلد «مكسيم غوركي»!

هذا هو الاسم الذي يعرفه به العالم ، أما اسمه الحقيقي فهو «ألكسي مكسيموفيتش بيشكوف»! وأن يكون للإنسان اسم ولقب فيغلب اللقب على الاسم فهذا شائع في الأدب العالمي ، وأدبنا العربي زاخر بهذا (المتنبي–أبو تمام–البحتري–الأخطل–الأعشى–تأبّط شراً–أبو نواس .) كل هذه ألقاب أو كنى أو أسماء مستعارة لثلة من أروع أدبائنا على مر العصور! ولكل لقب بالطبع قصة وسبب!

وبالعودة إلى مكسيم غوركي فإنه اختار كنيته غوركي لأنها تعني بالروسية «المُر» وقد استقاها من المرارة التي كان يذوقها الشعب تحت حكم النظام القيصري قبل الثورة الشيوعية!

كان مكسيم غوركي يسارياً حتى العظم ، تربطه علاقة شخصية بـ«لينين» وإليه يرجع سبق إنشاء مدرسة الواقعية الاشتراكية التي تعبر عن الفلسفة الماركسية في الأدب ، ونظرة الماركسيين للأدب لا تختلف عن بقية نظراتهم ، لا بد أن يكون الاقتصاد وراء كل شيء! لهذا فالأدب عندهم مبني على النشاط الاقتصادي في نشأته وتطوره وحتى نهايته .

قدّم غوركي أدباً اجتماعياً جميلاً من زاوية أدبية صرفة ، وتبقى روايته «الأم» علامة فارقة في أدبه ، وفي الأدب الروسي بشكل عام!

ومن جميل أقوال مكسيم غوركي :

- إنها لوظيفة استثنائية فائقة أن تكون إنساناً على الأرض!
- لا يكفي أن تعرف ، لا بد أن تفهم!
- عندما يكون كل شيء سهلاً يصبح المرء غبياً بسرعة!
- الطيب قد يكون أحمقاً ولكن الشرير يجب أن يكون ذكياً!
- يجب أن نُسلح العقول قبل أن نُسلح الأيدي!
- ليس من المستحسن أن يكون للكاتب الكثير من المعجبين!
- علينا أن نثبت للذين يقبضون على أعناقنا ويعصبون أعيننا أننا نرى كل شيء!

٢٩ مارس / آذار

في مثل هذا اليوم من العام ١٣٦٤م وُلد «المقريزي»! كان يُلقب بشيخ المؤرخين العرب ، ويُعدُّ كتابه «السلوك لمعرفة دول الملوك» تحفة تاريخية أدبية ، لما فيه من كثرة الأخبار والروايات ، توّجها بلغة بلغت من المتانة مبلغاً كبيراً!

ولكن ما لا يعرفه الكثيرون أن المقريزي كان أحد أهم علماء الاقتصاد في تاريخ البشرية ، فله فلتات اقتصادية ، وآراء متناثرة في كتبه تثبت كم كان الرجل نابغة اقتصادية قلّ أن يكون لها نظير في عصره!

في العام ١٥٧٩م عرف العالم «قانون غريشام» وقد وضعه الاقتصادي الإنكليزي الشهير توماس غريشام . وملخص هذا القانون أن العملة الرديئة تطرد العملة الجيدة من السوق . وفي الحقيقة كان قانون غريشام اجترار لما كتبه المقريزي قبل مئتي عام في رسالته «إغاثة الأمة بكشف الغمة» تناول فيها المجاعات والكوارث الاقتصادية التي لحقت بمصر ، وخلص فيها أن أحد أسباب المجاعات والهزات الاقتصادية هو رواج النقود أو بتعبير أدق غش النقود عن طريق سك العملات النحاسية بدلاً من العملات الذهبية والفضية ، وهذه هي مأساة الاقتصاد العالمي اليوم حيث تُطبع العملة الورقية بكثرة دون أن يكون وراءها تغطية ذهبية تناسب قيمتها!

يأخذ المقريزي في فكره الاقتصادي بمبدأ السببية ويرفض مبدأ القدرية رفضاً قاطعاً . بمعنى أدق وتعبير أبسط فهو يرى أن الكوارث إذا عُرفت أسبابها سهل علاجها ، وأن المجاعات والهزات الاقتصادية ليست شيئاً مفروضاً على الإنسان من علٍ كالموت مثلاً ، وإنما هي ظواهر مادية اجتماعية لم تلازم البشر دائماً ، ولكنها تحدث إذا وقعت أسبابها وترتفع إذا عملنا على إزالة هذه الأسباب ، كان المقريزي كأنما يقول ما قاله بعده محمد الغزالي بمئات السنوات : الإنسان مُخيّر فيما يعلم مُسيّر فيما لا يعلم ، فكلما اتسعت معرفته اتسعت حريته!

٣٠ مارس / آذار

في مثل هذا اليوم من العام ١١٩٣م توفي «مرضي بن علي الطرطوسي» أحد أوائل الذين ألّفوا كتباً في الشؤون العسكرية والحربية في العالم ، كان مقرباً من صلاح الدين الأيوبي ، وألّفَ له دليلاً عسكرياً أسماه «تبصرة أرباب الألباب في كيفية النجاة من الحروب والأسواء» وكانت أغلب خطط صلاح الدين العسكرية مستقاة من هذا الكتاب!

ويذكر الطرطوسي في كتابه هذا أن المسلمين هم أول من اخترعوا الغواصة! فمن المعروف أن البشرية تقول أن تاريخ الغواصات بدأ عام ١٦٣٠م على يد الهولندي «كورنيلوس فان دريل» بينما بحسب الطرطوسي فإن المسلمين اخترعوها في القرن الأول للهجرة ، ففي محاولة المسلمين فتح القسطنطينية في عهد معاوية بن أبي سفيان استعملوا كل وسائل الحرب المعروفة وفنونها ، ولكن حين تبين لهم مدى تحصين القسطنطينية ، خلصوا أن ما ينقصهم هو «سفينة تمخر عباب البحر وتلج قاعه ، غائصة لقلب سفن الأعداء رأساً على عقب وإغراقها»! وبالفعل اخترعوا ما أسماه الطرطوسي سمكة البحر وتم استعمالها ولكن كما هو معروف فإن التجارب الإنسانية الأولى غالباً ما تكون غير ناضجة ولا مكتملة ، فتأتي الأجيال اللاحقة لتكمل من حيث انتهى الأوائل!

إن كان من درس في كل هذا فهو أن المسلمين الأوائل على إيمانهم العظيم بالله إلا أنهم كانوا يأخذون بالأسباب وحيل الحرب وأسلحتها ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً ، كانوا يعرفون أن الدنيا دار أسباب ، وأن الله إذا أراد أن ينصر ، ينصر دون سبب ، ولكن الله جلّت قدرته جعل لهذا الكون سُنناً وقوانين! وعندما تمّ فتح القسطنطينية فعلاً ، على يد محمد الفاتح الحائز على وسام «نعم الأمير أميرها» الذي قلّده إياه النبي ﷺ قبل ميلاده بمئات السنوات ، كان يملك يومذاك بالإضافة إلى كونه نعم الأمير أقوى مدفع على وجه الأرض!

٣١ مارس / آذار

في مثل هذا اليوم من العام ٧١٩م وُلد «أبو العيناء» . هذه هي كنيته التي اشتهر بها في كتب الأدب ، أما اسمه الحقيقي فكان «محمد بن القاسم بن خلاد الهاشمي» .

كان فصيحاً ، ظريفاً ، يغشى قصور الخلفاء والحُكام ، ورُويتْ عنه نوادر كثيرة!

ومن نوادره التي يرويها هو عن نفسه ، قال :

كان سبب خروجي من البصرة وانتقالي عنها أنني مررت يوماً بسوق النخّاسين ، فرأيتُ غلاماً يُنادَى عليه وقد بلغ ثلاثين ديناراً ، فاشتريته . وكنت أبني داراً ، فدفعتُ إليه عشرين ديناراً على أن ينفقها على الصُنّاع ، فجاءني بعد أيام يسيرة فقال : قد نفدت النفقة .

فقلت : هات حسابك!

فرفع حساباً بعشرة دنانير .

قلت : أين الباقي؟

قال : قد اشتريت به لنفسي ثوباً .

قلت : من أمرك بهذا؟

قال : لا تعجل يا مولاي ، فإن أهل المُروءةِ لا يعيبون على غلمانهم إذا فعلوا فعلاً يعود بالزَّين على مَواليهم!

فقلت في نفسي : أنا اشتريت الأصمعيّ ولمْ أَعلم!

وكانت هناك امرأة أردّتُ أن أتزوجها سِرّاً من ابنة عمي . فقلت له يوماً : أفيكَ خير؟

قال : إي لعَمري . فأطلعته على الخبر .

فقال : أنا نِعم العَون لك . فتزوجتُ المرأة ودفعتُ إليه ديناراً ، وقلت له : اشترِ لنا به بعض السَمك الهَازبي . فمضى ورجع وقد اشترى سمكاً من صَنفٍ آخر . فغاظني ذلك

وقلت : ألم آمرك أن تشتري من السمك الهازبي؟

قال : بل ، ولكن الطبيب أبقراط كتب يقول إن الهازبي يُولِّد السوداء ، وهذا سمك أقل غائلة!

فقلت : يا ابن الفاعلة! أنا لم أعلم أني اشتريت جالينوس!

وقمتُ عليه فضربته عشر مقارع . فلمّا فرغتُ من ضربه أخذني وأخذ المقرعة وضربني سبع مقارع ، وقال : يا مولاي ، الأدب ثلاث ، والسَّبْعُ فضل ، وذلك قِصاص ، فضربتك هذه السَّبع خوفاً من القصَاص يوم القيامة! فغاظني هذا ، فرميته بحجرٍ فشَجَجتُه ، فمضى من وقته إلى ابنة عمي ، فقال لها : يا مولاتي ، إن الدِّين النصيحة ، وقد قال النبي ﷺ : «مَنْ غَشَّنا فليس منا» . وأنا أُعْلِمُك أن مولاي قد تزوج فاستكتمني ، فلمّا قلت له لا بُدّ من تعريف مولاتي الخبر ضربني وشجّني . فمنعتني بنت عمي من دخول الدار ، وحالت بيني وبين ما فيها ، فلم أرَ الأمر يصلُحُ إلا بأن طلّقتُ المرأة التي تزوجتها .

وقلت في نفسي : أعتقه وأستريح ، فلعلّهُ يمضي عني . فلمّا أعتقته لزِمَني وقال : الآن وجبَ حقُّك عليّ . ثم إنه أراد الحج ، فجهّزته وزوّدته وخرج . فغاب عني عشرين يوماً ورجع .

فقلت له : لِمَ رجعت؟

فقال : فكّرت وأنا في الطريق فإذا الله تعالى يقول : ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ البَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾ ، وكنتُ غير مُستطيع ، وفكرت فإذا حقك أوجب ، فرجعت!

ثم إنه أراد الغزو للجهاد ، فجهّزته ، فلمّا غاب عني بِعتُ كل ما أملك بالبصرة من عقار وغيره ، وخرجت عنها خوفاً من أن يرجع!

لا أدري لماذا أشعر أنَّ في حياة كلٍّ منا أشخاصاً وأشياءً يتمنى أن يرميها وراء ظهره ويهرب بجلده هروب أبي العيناء من العبد الذي اشتراه!

١ إبريل / نيسان

في مثل هذا اليوم من العام ١٩٥٧م أعلنت الإذاعة البريطانية الشهيرة «بي بي سي» أن الـمزارعين في سويسرا قد استطاعوا حصد محصول وافر من الـمعكرونة هذا العام! وقالت الإذاعة إن سبب هذا الـمحصول الوافر يعود إلى نجاح الـمزارعين السويسريين بالقضاء على «سوسة الـمعكرونة» التي كانت تتلف الـمحصول في الـماضي ، أما هذا العام فكان موسم حصاد رائع!

وبعد عرض هذا التقرير تهافتت الاتصالات على الإذاعة ، كثيرون أرادوا أن يعرفوا كيف بإمكانهم زراعة الـمعكرونة ، قلة من الناس انتبهوا أنه الأول من نيسان ، وأن الـ«بي بي سي» قد أوقعتهم ضحية كذبة أول نيسان!

لا يوجد تاريخ محدد ، ولا كلام مقنع لبداية احتفال الناس بكذبة أول نيسان ، أو لأسبابه ، ولكن الذي أميلُ له بعد بحث طويل في الـمسألة هو أن أوروبا كانت تتبع تقاويم عديدة حتى جاء البابا «غريغوري الثالث عشر» في نهاية القرن السادس وقرر أن يبدأ العام في ١ يناير كما هو معمول به اليوم ، ولكن لأن التقويم القديم في فرنسا كان يُنهي الاحتفالات برأس السنة في الأول من إبريل ، جاءت هذه الكذبة للسخرية منهم فهم كانوا في أول أعوامهم كالأطرش في الزفة ، الناس في توقيت وهم في آخر ، فأطلق الناس النكات ، ثم ما لبث أن صار الأمر تقليداً لم يتخلص الناس منه حتى بعد زوال أسبابه ، وما مشاركة الـ«BBC» إلا تأكيداً منها على سريان الكذبة بين الناس!

أعرفُ أن البعض يقولون الكذبات ، أو يُركِّبون الـمقالب بالآخرين من باب الـمزاح والاستظراف ، ولكن لا بد من ذكر نقطة نظام ، واقتدوا بالذي هو خير ، كان رسول الله ﷺ لا يكذب ولو كان مازحاً ، وعندما قال للعجوز «لا يدخل الـجنة عجائز» إنما كان يلاطفها صادقاً ، فالـجميع يدخلونها في عمر واحد هو عمر سيدنا عيسى قبل رفعه إلى السماء ، وإن الصدق يهدي إلى البر!

٢ إبريل / نيسان

في مثل هذا اليوم من العام ٢٠١٨م توفي الأديب الجميل «أحمد خالد توفيق» ، ترك وصية بسيطة خلفه ، فالرجل لم يكن معقداً البتة ، قال اكتبوا على قبري : حاول أن يجعل الشباب يقرأون!

كان أحمد خالد توفيق خفيف الظل ، مثقفاً إلى أبعد حد ، كتبه تشي بالكثير ، تخبرك أنه قارئ نهم ، ومقالاته الصحفية تخبرك أنك أمام إنسان عظيم فعلاً ، وعلى سيرة خفة الدم والظل يبقى كتابه «زغازيغ» من أجمل ما كُتب في الأدب الساخر في العصر الحديث ، وأعجبني ما أطلق عليه تسمية «القوانين الخفية للفيزياء» وهي :

- قانون الطابور : عندما تُغيِّر الطابور فإن الطابور الذي تركته سوف يتحرك بشكل أسرع من الطابور الذي كنت فيه!
- قانون الميكانيكية : بعد أن تتسخ يداك بالشحم تشعر برغبة كاسحة في حك أنفك!
- قانون اللقاءات اللصيقة : تزداد فرصة رؤية شخص لا تريد أن تراه كلما كنت مع شخص لا تريد أحداً أن يراك معه!
- قانون الميكانيكا الحيوية : قوة الاحتكاك الذي تشعر به يتناسب مع صعوبة الوصول إلى موقع الهرشة!
- قانون الهاتف : عندما تطلب رقماً خاطئاً فمن المستحيل أن تجده مشغولاً!
- قانون القطارات : لو وصلت للمحطة مبكراً تأخر القطار ، ولو تأخرتَ فاتكَ القطار!
- قانون اللحظة : لولا اللحظة الأخيرة لما أنجز البشر أي عمل!

هذا وترك أحمد خالد توفيق وراءه أقوالاً جميلة هذه بعضها :

- في حياة كل إنسان لحظة لا تعود الحياة بعدها كما كانت قبلها!
- النسيان بالنسيان ، والبعد بالبعد ، وأنا لنفسي وأنتَ لأمثالك!
- إذا كانت الأمور تسير معك بسلاسة فأنت في الغالب تجري على منحدر!
- الذين يهددون بالرحيل يريدون أن يُطلب منهم البقاء ، أن يشعروا أن وجودهم مرغوب به فالذين يريدون الرحيل حقاً يرحلون دون تهديد!

- الحل الوحيد للمشاكل النفسية لا تكن عاطلاً ولا تكن وحيداً!
- النجاح في الزواج لا يحتاج أن تتزوج الشخص الصحيح النجاح يتطلب أن تكون أنت الشخص الصحيح!
- الأقسى أن تتحمل هذا كله من أجل شيء لا تريده!
- نظرية المؤامرة لذيذة وتروق للبعض لأنها تعطيك على الفور انطباعاً بأنك أذكى من الآخرين وأنك تعرف خفايا الأمور!
- ببطء ولكن بثبات ، وبنفس الطريقة التي يُحول بها الخريف وجه الغابة حولتني آلاف التغيرات البسيطة إلى شخص آخر!
- يرعبهم كونك مختلف ، كونك لا تُشبه تكرارهم!

٣ إبريل / نيسان

في مثل هذا اليوم من العام ٢٠٠٦م توفي محمد الماغوط ، وُلد فقيراً ومات فقيراً بينما اغتنى الفنانون من تمثيل مسرحياته!

كان الماغوط متفرداً في ثلاثة مجالات :

١- قصيدة النثر -طبعاً مع تحفظي عليها- إلا أنه أول من أرسى دعائمها في الشعر العربي الحديث وإن كان السبق إليها عالمياً يرجع إلى الفرنسية سوزان برنار .

٢- المسرح الساخر ، حيث كان الماغوط أول وربما آخر من كتب مسرحيات ساخرة فعلاً تنتقد الواقع السياسي والاجتماعي بهذه الجرأة ، وإن كان قد تم اغتنام هذه المسرحيات للتنفيس عن الشعب كما فعل دريد لحام في «ضيعة تشرين» و «كاسك يا وطن» .

٣- المقالة الصحفية الساخرة ، فلم يسبقه أحد إلى هذا الفن -بحسب علمي- فلم تكن قبله زاوية ساخرة في صحيفة .

كان الماغوط خفيف الظل ، مرحاً ، على عكس ما يبدو ساخطاً في كتاباته ، ومن لطائفه وطرائفه أنه علق على انتمائه للحزب السوري القومي الاجتماعي في شبابه قائلاً : أجريتُ جولة على مكاتب الأحزاب كلها فلم أجد حزباً يمتلك مدفئة غير الحزب القومي فانتسبتُ إليه!

ترك الماغوط أقوالاً جميلة ، هذه بعضها :

- ينبغي أن تعلم أن كل شخص تقابله يعلمك شيئاً ما!
- أنا لا أطيق العودة إلى البيت فما بالك بالعودة إلى التراث!
- لن أيأس ولن أستسلم ما دام هناك عربي واحد يقول لا ولو لزوجته!
- لا يستقيم الحب إلا على ساقين ساق الاهتمام وساق الاحترام فإن فقد أحدهما فهو حب أعرج!
- لا شيء يربطني بهذه الأرض سوى الحذاء!
- كلما اجتمع عربيان كانت المخابرات ثالثهما!

- كل طبخة سياسية في المنطقة أمريكا تعدها وروسيا توقد تحتها وأوروبا تبردها وإسرائيل تأكلها والعرب يجلون الصحون!
- العرب كطائرة الهليكوبتر ضجيجها أكثر من سرعتها!
- من أنتم؟ نحن العرب! ماذا تشتغلون؟ لا شيء العالم يشتغل بنا!
- الطغاة كما الأرقام القياسية لا بد أن يأتي يوم وتتحطم!

٤ إبريل / نيسان

في مثل هذا اليوم من العام ٨٠٤م وُلد «ألفارو» أُسقف قرطبة ، نقلَ عنه «زيجريد هونكه» في كتابه «الله ليس كذلك» أنه قال :

«إن كثيرين من أبناء ديني يقرأون أساطير العرب ، ويتدارسون كتابات المسلمين من الفلاسفة وعلماء الدين ، ليس ليدحضوها وإنما ليتقنوا اللغة العربية ، ويُحسنوا التوسل بها حسب التعبير القويم والذوق السليم ، وأين نقعُ اليوم على المسيحي من غير المتخصصين الذي يقرأ التفاسير اللاتينية للإنجيل؟ بل من ذا يدرس منهم حتى الأناجيل الأربعة والأنبياء ورسائل الرُسل؟ إن شبابنا المسيحي الذين لمعوا وبزوا أقرانهم بمواهبهم لا يعرفون سوى لغة العرب والأدب العربي ، إنهم يتعمقون بدراسة المراجع العربية باذلين في قراءتها ودراستها كل ما في وسعهم من طاقة ، منفقين المبالغ الطائلة في اقتناء الكتب العربية ، ويذيعون جهراً في كل مكان أن ذلك الأدب العربي جدير بالإكبار والإعجاب! ولئن حاول أحد إقناعهم بالاحتجاج بكتب المسيحيين فإنهم يردون باستخفاف ذاكرين أن تلك الكتب لا تحظى باهتمامهم! وامصيبتاه! إنك لا تكاد تجد اليوم واحدًا من الألف يستطيع أن يدبلج رسالة بسيطة باللاتينية السليمة ، بينما العكس من ذلك لا تستطيع إحصاء عدد من يُحسن العربية تعبيراً وكتابةً وتحبيراً بل إن منهم من يقرضون الشعر بالعربية ، حتى لقد حذقوه وبزوا في ذلك العرب أنفسهم!»

هذا كلام ألفارو بالحرف!

على ما يبدو أن حياة اللغة صورة مصغرة عن حياة الناطقين بها! لا تتربع لغة على قائمة لغات الأرض إلا إذا تربع الناطقون بها على قائمة البشرية علماً وفكراً ورقياً وحضارة . وعلى ما يبدو أن ابن خلدون يوم قال «إن المغلوب مولع بتقليد الغالب» كان يعني أنه يقلده في لسانه ولغته أيضاً ، ولو نسج شيخ عربي رسالة عن أبنائنا على منوال ما نسجه القس ألفارو يومذاك ما كان مُغالياً!

اللغة هي الناس وكما تكونوا تكن لغتكم!

٥ إبريل / نيسان

في مثل هذا اليوم من العام ١٩٥٥م استقال «وينستون تشرشل» من منصبه كرئيس لوزراء بريطانيا ، وبعيداً عن موضوع الاستقالة ، يقول تشرشل في مذكراته :

ركبتُ سيارة الأجرة يوماً متجهاً إلى مكتب الـ«بي بي سي» لإجراء مقابلة ، وعندما وصلتُ ، طلبتُ من سائق التاكسي أن ينتظرني أربعين دقيقة ريثما أعود . ولكنه اعتذر مني قائلاً : اعذرني يا سيدي ، لا أستطيع الانتظار ، يجب أن أذهب إلى البيت لأستمع إلى وينستون تشرشل في الراديو!

فرحتُ جداً لشوق هذا الرجل للاستماع إليَّ ، وأخرجتُ مبلغ عشرة جنيهات وأعطيتها له ، فقال لي بفرح غامر : ليذهب تشرشل والبي بي سي إلى الجحيم ، سأنتظرك هنا ريثما تعود يا سيدّي!

أعتقد أن القصة لا تحتاج إلى تعليق ، كل ما قد يُقال عنها قالته هي بنفسها!

وبالعودة إلى استقالة تشرشل من منصبه ، فهذا يثبت أن الشعوب تهتم بالدرجة الأولى بالسياسة الداخلية ولا تعنيها البطولات والعنتريات الخارجية ، تشرشل بطل الحرب العالمية الثانية لم يكن بمقدوره أن يستمر ، لأن المواطنين ينتظرون خدمات صحية وتعليمية وتخفيضاً للضرائب وإنشاء الطرق وإيجاداً لفرص العمل وهذا كله لا يتحقق على أمجاد نصر قد انتهى!

لتشرشل أقوال جميلة هذه بعضها :

- التاريخ يعيد نفسه لأن الحمقى لم يفهموه جيداً!
- في كل قصة نجاح هناك شخص اتخذ قراراً شجاعاً!
- لا تتخلَ عن شيء لا يمكن ليوم أن يمر بدون أن تفكر به!
- نفوذ الدول يُقاس بمسافة نيران مدافعها!
- عندما تقول والدتك ستندم على فعل ذلك ، فستندم غالباً!
- قلما يجتمع الخير والعظمة في شخص واحد!
- لن تصل لوجهتك طالما تنوي التوقف عند كل كلب ينبح لتحذفه بالحجارة!
- كل شعب في العالم ينال الحكومة التي يستحقها!
- الدبلوماسية هي أن تقول لأحدهم اذهب إلى الجحيم بطريقة تجعله يتطلع لتلك الرحلة!

٦ إبريل / نيسان

في مثل هذا اليوم من العام ٩٤٥ للميلاد وُلد «الصاحب بن عباد» أشهر وزراء الدولة البويهية ، وأشهر أدبائها وشعرائها ، كان له باع طويل في الحكمة والطب والمنطق وسمي بالصاحب لأنه صحبَ الملك مؤيد الدولة البويهي من الصبا!

يقول الصاحب بن عباد : ما أخجلني قط غير ثلاثة ، منهم أبو الحسن البويهي ، فإنه كان في نفرٍ من جلسائي على مائدتي ، فقلتُ له وقد أكثر من أكل المشمش : لا تأكله فإنه يُلطِّخ المعدة!

فقال : ما يعجبني من يُطبب الناس على مائدته!

وآخر قال لي وقد خرجتُ من دار السلطان وأنا ضجرٍ من أمرٍ عرضَ لي : من أين أقبلتَ يا مولانا؟

فقلتُ : من لعنةِ الله

فقال : ردَّكَ الله من غربتك!

وصبي ذكي قلتُ له يوماً وهو يحمل وعاءً مستوراً : ما في الوعاء يا غلام؟

فقال : ولِمَ سترناه؟!

قصة على اقتضابها تصلح أن تكون درساً للحياة برمتها!

من أول حادثة نتعلم أدب الموائد ، فالإنسان لا يليق به أن يكون طبيباً على مائدته ، وإن كان يريد أن ينصح من قلبه فعلاً! ولكن متى حضر الطعام أغلِقوا عياداتكم ، فإن أي ملاحظة ستبدو إهانة للضيوف!

ومن الحادثة الثانية نتعلم أن الآخرين ليسوا «فشة خلق» ولا كيس ملاكمة نُفرغ فيه غضبنا ، وقد أحسن الرجل إذ كان حليماً ورد على الصاحب بأدب جعله لا ينسى هذا الرد ويقول أنه قد أخجله!

أما الحادثة الثالثة فتُذكرنا درساً نبوياً شريفاً كنا قد عرفناه من قبل : من حُسنِ إسلام المرء تركه ما لا يعنيه!

٧ إبريل / نيسان

في مثل هذا اليوم من العام ٣٣٢ ق .م وضع الإسكندر المقدوني حجر الأساس لمدينة الإسكندرية . هكذا شاءت إرادة الله ، أن يأتي فاتح من الغرب ليبني واحدة من أجمل وأعرق مدن الشرق!

وعلى ذكر الفاتحين ، لَمَّا تمَّ للإسكندر المقدوني فتح البلاد ، أمرَ بالقبض على لص من لصوص البحر ، ولما جيء به بين يديه ، سأله : بأي حق تسرقُ مال الغير؟

فقال له : أنا أسرقُ بسفينة صغيرة فيسمونني لصاً ، وأنتَ تسرق بأسلوب كبير فيسمونك فاتحاً!

هذا هو شأن البشرية يا سادة ، أن تمجد الأقوياء ، وتصفق للفاتحين!

درس الإسكندر على يد أرسطو ، وعنه أخذ الحكمة ، وترك أقوالاً كثيرة عاشت أكثر مما عاش هو ، منها :

- أعطِني خطيباً مفوهاً وخذ ألف مقاتل شجاع!
- تذكر أن سلوك كل فرد يتوقف عليه مصير الجميع!
- لقد استفدتُ من أعدائي أكثر مما استفدتُ من أصدقائي ، فأعدائي كانوا يعايرونني بأخطائي فأنتبه لها ، أما أصدقائي فكانوا يزينون لي أخطائي ، فاللهم احفظني من أصدقائي!
- لا أخاف من جيش من الأسود يقوده خروف بل أخاف من جيش من الخراف يقوده أسد!
- لا يوجد مستحيل أمام من يحاول!
- أدين بحياتي لأبي لكنني أدين بالعيش جيداً لمعلمي!
- لا تحتمل السماء شمسين ولا تحتمل الدولة سيدين!
- إنني أموت بمساعدة العديد من الأطباء!

٨ إبريل / نيسان

في مثل هذا اليوم من العام ١٩٧٣م توفي «بابلو بيكاسو» ، أما عن حياته فيقول :

قالت لي أمي يوماً : إذا أصبحتَ جندياً فستصبح جنرالاً ، وإذا أصبحتَ قسيساً فستصبح البابا ، وإذا أصبحتَ تاجراً فستصبح أثرى رجل في العالم! ولكني أصبحتُ رساماً وصرتُ بابلو بيكاسو!

كان ذات ليلة يسهر خارج البيت حتى وقت متأخر ، وعاد مصطحباً معه بعض أصدقائه ، ففوجئ الجميع أن الأثاث مبعثر ، والبيت مقلوب رأساً على عقب ، وكان واضحاً أن لصوصاً قد اقتحموا البيت ، وسرقوا منه أشياء ثمينة . وبعد أن استطلع بيكاسو الأمر بدت عليه علامات الانزعاج والعصبية ، فسأله أصدقاؤه : هل سرق اللصوص شيئاً ثميناً؟!

فقال : لم يسرقوا سوى النقود ، وجميع ما خفَّ وزنه وغلا ثمنه! ثم أضاف بكبرياء جريح : ما يؤلمني حقاً هو أنهم لم يسرقوا شيئاً من لوحاتي هذا يعني أنهم لم يروها أشياء ثمينة!

بالإضافة للوحاته الرائعة ترك بيكاسو خلفه أقوالاً رائعة أيضاً ، هذه بعضها :

- اتقِنْ القواعد كمحترف حتى تتمكن من كسرها كفنان!
- أحب أن أعيش كرجل فقير ومعي الكثير من المال!
- الفن يمسح عن الروح غبار الحياة اليومية!
- المرأة في نظري خليط من الأشكال والألوان!
- كل طفل فنان ، المشكلة كيف تظل فناناً عندما تكبر!
- تقليدك للآخرين ضروري أما تقليدك لنفسك فمثير للشفقة!
- أرسمُ الأشياء كما أفكر بها لا كما أراها!
- الفنان السيء ينسخ ، الفنان الجيد يسرق!
- كل شيء يمكنك أن تتخيله فهو حقيقي بالنسبة لك!
- يُحول بعض الرسامين الشمس إلى بقعة صفراء ويحول البعض الآخر البقعة الصفراء إلى شمس!

٩ إبريل / نيسان

في مثل هذا اليوم من العام ٨٥١م تُوفي حاتم الأصم ، أحد أشهر فقهاء المسلمين في القرن الثالث الهجري ، غلبَ عليه الورع والزهد ، أما الأصم فهذا لقب لحق به إثر حادثة تنم عن دماثة أخلاقه وحُسن أدبه ، جاءته امرأة تستفتيه في مسألة ، فاتفقَ أنه خرج منها في تلك اللحظة صوت ريح ، فخجلتْ! فتظاهر حاتم أنه لم يسمع كي لا يحرجها وإنما قال لها : ارفعي صوتكِ فإني لم أسمع سؤالك ، فأراها أن به بعض الصمم وسمي بذلك الأصم!

وما أروع من جبرَ خاطراً وسترَ عيباً ورأى فتظاهر أنه لم يرَ!

روى الزركلي في رائعته «الأعلام» ، أن حاتم الأصم قال لأولاده إني أريد الحج . فبكوا وقالوا : إلى من تكلنا؟

وكان له ابنة مباركة قد رزقها الله بنعمة التوكل واليقين ، فقالت : دعوه يذهب فإنه ليس برازق!

فخرج ، فباتوا جياعاً ، فجعلوا يوبخون تلك البنت ، فقالت : اللهم لا تُخجلني بينهم!

فمرَّ بهم أمير البلاد فقال لبعض أصحابه : اطلبْ لي ماءً!

فناوله أهل حاتم كوزاً جديداً وماءً بارداً ، فشرب ، فقال : دار من هذه؟

قالوا : دار حاتم الأصم!

فرمى فيها صرة من ذهب وقال : من أحبني فليصنع مثلما صنعتُ ، فرمى مرافقوه ما معهم!

فجعلت البنت تبكي .

فقالت أمها : ما يبكيك وقد وسّع الله علينا؟

فقالت : لأن مخلوقاً نظر إلينا نظرة فاغتنينا فكيف لو نظر إلينا الخالق؟!

هذه الدنيا لا شكَّ دار أسباب ، ونحن مأمورون أن نأخذ بها ، والأخذ بالأسباب لا يتنافى مع اليقين على الله ، ولو استغنى أحد عن الأسباب لاستغنى عنها الأنبياء وهم أعلى الناس إيماناً ، ألمْ ترَ أن موسى عليه السلام أخذ معه زاداً يوم ذهب للقاء الخضر ، وأن النبي ﷺ استأجر دليلاً يوم هاجر من مكة إلى المدينة!

الفكرة في الموازنة بين الأخذ بالسبب وبين اليقين بالله ، أن نأخذ بالأسباب كأنه لا ينفع شيء غيرها ، وأن نتيقن بالله وكأن الأسباب لا تنفع بشيء!

١٠ إبريل / نيسان

في مثل هذا اليوم من العام ٦٧٥م استشهد الصحابي الجليل «أبو أيوب الأنصاري» على مشارف القسطنطينية وكان يومها قد تجاوز المئة عام من عمره ، رغم كل الخدمات الجليلة التي قدمها للإسلام من قبل إلا أنه أبى أن يحيل نفسه على التقاعد ، خرج للجهاد ليجمع اللهُ له أجر الصُحبة وأجر الشهادة ، وهذا هو الفرق الجوهري بيننا وبين المسلمين الأوائل ، كانوا يرون الإسلام كل حياتهم وليس جزءاً منها ، غفر الله لنا!

عايش أبو أيوب الإسلام منذ بداياته ، فقد شهد بيعة العقبة الأولى ، ولم يتخلف عن أية غزوة من غزوات النبي ﷺ ، وهذا واللهِ شرف يُغبط عليه ، أما الشرف الأعظم الذي غبطه عليه الصحابة أنفسهم فهو أنَ النبي ﷺ نزل ضيفاً في بيته يوم وصل المدينة المنورة وبقي عنده حتى بنى بيته ومسجده ، قال له رسول الله ﷺ يومذاك : يا أبا أيوب هيِّء لنا مقيلاً!

يا لحظك يا أبا أيوب!

تدخل بيتك لتهيِّء له مقيلاً ، سيد الناس حل ضيفاً عليك!

وأثناء تهيئة المقيل انتبه أبو أيوب لأمر جوهري ، بيته طابقان ، وجرت العادة أن ينزل الضيف في الأسفل وأهل البيت في الأعلى ، ولكن أبا أيوب غيّر هذه العادة ، قال له : يا رسول الله إني لا أطأ سقفاً أنت تحته ، كن أنتَ في الأعلى!

كانت أم أيوب تهيِّء طعام رسول الله ﷺ ، ثم ينتظر الجميع أن يفرغ النبي ﷺ من طعامه ليأكلوا بعده ، ليس عن فقر طبعاً ، كان أبو أيوب مقتدراً ، وإنما ليضع هو وأم أيوب أيديهما حيث وضع النبي ﷺ يده في الصحن ، وليأكلا من حيث أكل!

هنيئاً لأبي أيوب سقفًا فوق رأسه يجلس عليه النبي ﷺ ولقمة يأكلها حيث أكل رسول الله ﷺ ،

أيعلمُ أبو أيوب أننا نبيعُ الدنيا كلها بلقمته تلك؟!

١١ إبريل / نيسان

في مثل هذا اليوم من العام ٦٨٥م بويع عبد الملك بن مروان بالخلافة ، ويُسمى في التاريخ بأبي الملوك ، لأن أربعة من أولاده تولوا الخلافة من بعده وهم الوليد وهشام ويزيد وسليمان! أما ابنته فاطمة فقد كانت زوجة الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز ، وقيل أنها أعرق امرأة نسباً في الحكم في التاريخ ، فزوجها وأبوها وجدها وإخوتها كانوا خلفاء ، حتى قال فيها الشاعر :

بنت الخليفة والخليفة جدها

أخت الخلائف والخليفة زوجها

يُعتبر عبد الملك بن مروان المؤسس الثاني لحكم بني أمية ، وشأنه شأن الساسة على مر العصور ، له الكثير وعليه الكثير ، كان بحق رجل دولة من الطراز الأول ، داهية في السياسة ، عالماً بمعادن الرجال ، وله إنجازات سياسية وحضارية كثيرة ليس هذا مقام ذكرها ، أما ما عليه فقد كان مستهيناً بالدماء ، قتل خلقاً كثيراً ، وسلّط على الأمة قائد جيشه الحجاج الذي كان كسيِّده عبد الملك لا يتورع عن فعل شيء لأجل الحفاظ على الملك حتى ولو كان قصف الكعبة بالمنجنيق!

بعيداً عن أمور الحكم والسياسة «تلك أمة قد خلت لها ما كسبتْ ولكم ما كسبتم ولا تُسألون عما كانوا يعملون» كما يقول ربنا في القرآن الكريم .

دخل رجل من بني عُذرة على عبد الملك يمتدحه بقصيدة وعنده الثالوث الأموي المشاغب جرير والفرزدق والأخطل ، والأعرابي لا يعرفهم ، فقال عبد الملك للأعرابي : هل تعرف أهجى بيت قالته العرب؟

قال : نعم ، قول جرير :

فغُضَّ الطرف إنك من نمير

فلا كعباً بلغتَ ولا كلابا

فقال عبد الملك : أحسنتَ ، فهل تعرف أمدح بيت قالته العرب؟

قال : نعم ، قول جرير :

ألستم خير من ركب المطايا

وأندى العالمين بطون راحِ

قال عبد الـملك : أحسنتَ ، فهل تعرف أرقَّ بيت قالته العرب؟

قال : نعم ، قول جرير :

إن العـــيـــون التي في طرفـــهـــا حـــور
قـــتلننا ثم لـم يُحـــيـين قـــتــــلانا

فقال له عبد الـملك : أتعرفُ جريراً يا أعرابي؟

قال : لا!

فأشار عبد الـملك إلى جرير وقال له : هذا صاحبك!

وكان جرير كلما حدَّث بهذه القصة يقول : ذاك يوم ما يسرني به لو أني كنت على كرسي الـخلافة مكان عبد الـملك!

١٢ إبريل / نيسان

في مثل هذا اليوم من العام ١٩١٦م تأسست شركة «بي أم دبليو» لصناعة السيارات ، وفي مثل هذا اليوم من العام ٢٠١٦م كانت الشركة تحتفل بعيد ميلادها المئة . إلى هنا يبقى الأمر عادياً روتينياً إن لم يكن مملاً لا يستحق أن يُكتب عنه!

ولكن شركة «مرسيدس» الغريم التقليدي ل «بي أم دبليو» والتي تأسست قبلها بثلاثين عاماً أرادت أن تضفي بعض الإثارة على هذه المئوية ، فأرسلت لها رسالة تهنئة مبطنة بالتهكم وتذكيراً بأنها الأقدم تقول فيها :

شكراً «بي أم دبليو» على مئة عام من المنافسة لقد كانت الثلاثين سنة الأولى مملة فعلاً!

رد «بي أم دبليو» لم يتأخر كثيراً ، ولم يكن أقل إبداعاً وتهكماً! لقد أرسلت إلى شركة مرسيدس صورة لشاحنة مرسيدس وهي تحمل سيارات «بي أم دبليو» من مدينة إلى أخرى ، وكتبوا على الجهة الأخرى من الصورة :

شكراً مرسيدس على نقل المتعة!

بعيداً عن طرافة الموقف ، لطالما كانت المنافسة في صالح الزبون! بغض النظر عن السلعة التي يتنافس المنتجون في تقديمها للزبائن!

قصائد المتنبي في بلاط سيف الدولة كانت لتكون أقل إثارة لو كان المتنبي شاعر البلاط الوحيد ، ولكن وجود ثلة من المنافسين جعلت المتنبي يُكشر عن أنياب بلاغته ، فترك لنا قصائد عاشتْ أكثر منه ، وحسبك من هذا كله بيت واحد قاله لسيف الدولة وهو يمسح الدم عن وجهه :

إن كان سركم ما قال حاسدنا

فما لجرح إذا أرضاكم ألمُ!

الأمر نفسه ينطبق على الثالوث الأمويِّ العذب جرير والأخطل والفرزدق ، فالمنافسة المحمومة التي دارت بين الثلاثة نتج عنها شعر النقائض الذي يُعتبر من أعذب ما قالته العرب على مر الدهر ، بمعنى تجاري نحن كزبائن/متلقي الشعر كنا الرابح الأكبر!

١٣ إبريل / نيسان

قي مثل هذا اليوم من العام ٨٦٤م وُلد ابن الرَّيوندي وبعض الكتب تقول ابن الراوندي والصحيح الريوندي نسبة إلى قرية ريوند قُرب مرو من قرى خراسان!

كان ابن الريوندي ذكياً داهية ، واسع الثقافة ، عنده علم بالتوراة والإنجيل ، ضليعًا في فلسفة الإغريق ،له معرفة واسعة بالقرآن محكمه ومتشابهه ، وهذا من باب الأمانة العلمية ، وأدب النقل!

أما من باب وضع الأمور في نصابها فقد كان ملحداً ، أضله الله على علم ، شأنه شأن مثقفي الملحدين الذين عاشوا معنا وما «ستيفن هوكينغ» منا ببعيد ، فداهية القرن الواحد والعشرين في الفيزياء كان يرى أن هذا الكون المنظم ، والغاية في الدقة قد جاء عن طريق الصُدفة! وكرائد الفضاء الذي يعبد بقرة بالهند ، وكجراح الأعصاب الذي لم يرَ وراء كل هذا الإتقان في جهازنا العصبي خالقاً قديراً!

القضية باختصار يا سادة قضية قلوب وليست قضية عقول ، وأتعس عباد الله من كان نصيبه من الدنيا عقلاً منيراً وقلباً مظلماً! وصدق الإمام الذهبي يوم قال في آخر ترجمته لابن الريوندي : لعنَ الله الذكاء بلا إيمان ورضيَ الله عن البلادة مع التقوى!

كتبَ كتاباً أسماه الدامغ يزدري فيه القرآن الكريم ويقول أن فيه لحناً وأخطاءً نحوية!

وكتب كتاباً أسماه الزمردة يسخر فيه من النبوات والمعجزات وكان يقول : كلام أكثم بن صيفي أفصح من سورة الكوثر!

عاش ستاً وثمانين سنة ثم مضى إلى الرب الذي كان ينكر وجوده! فلعنَ الله الذكاء بلا إيمان ورضيَ عن البلادة مع التقوى!

١٤ إبريل / نيسان

في مثل هذا اليوم من العام ١٧٧٥م تولى جورج واشنطن منصب القائد العام لجيش الولايات المتحدة الأمريكية فيما عُرف بحرب الاستقلال التي انتهت بقيام الولايات المتحدة الأمريكية كما نعرفها اليوم وأصبح جورج واشنطن أول رئيس لها وذلك عام ١٧٨٩م .

أثناء حرب الاستقلال الأمريكية تولى أحد ضباط الصف قيادة مجموعة من المجندين كُلفت بإنشاء بعض التحصينات ، وكان الضابط يصرخ ويزجر جنوده وهو يلقي إليهم الأوامر لحمل عارضة خشبية ثقيلة بينما كان الأمر يحتاج أن يضع يده معهم للمساعدة نظراً لوزن العارضة الخشبية .

وبينما الجنود يحاولون رفعها توقف عابر سبيل في ثيابه الأنيقة وسأل ضابط الصف عن سبب عدم مساعدته لجنوده!

رفع الضابط رأسه بتعالٍ وكبرياء ونفخ صدره كأنه إمبراطور وقال له : أنا الضابط المسؤول كيف أحمل خشبةً!

خلع الرجل معطفه وساعد الجنود على رفع الخشبة ، ثم بعد إنجاز العمل ارتدى معطفه وقبعته وقال للضابط : عندما يكون لديك عمل آخر كهذا ولا يكون عندك رجال يكفيك عددهم فأرسل خبراً إلى قائدك الأعلى فسيأتي لمساعدتك مرة أخرى!

انعقد لسان الضابط من الذهول فالرجل الذي كان يكلمه هو جورج واشنطن نفسه!

سواءً في الشرق أو الغرب ، وبغض النظر عن العِرق والدين واللون ، الشعوب تحفظ في ذاكرتها قادتها الذين يتميزون بحسهم الإنساني ، وبشعورهم بمن هم تحت أيديهم .

من أكبر مآسينا اليوم أن أحدنا يعتبر العاملين تحت يده عبيد أبيه! صارت المناصب تشريفاً بعد أن كانت تكليفاً وكان خليفتنا يقول : لو أن دابة عثرتْ عند شاطئ الفرات لخشيتُ أن يسألني الله عنها : لِمَ لم تُصلح لها الطريق يا عمر!

وروى الطبري أن رسول الله ﷺ في بعض أسفاره أمر بإصلاح شاة ، فقال رجل : يا رسول الله عليَّ ذبحها ، وقال آخر : عليَّ سلخها ، وقال آخر : عليَّ طبخها ، فقال رسول الله ﷺ : وعليَّ جمع الحطب!

فقالوا : يا رسول الله نحن نكفيك!

فقال : علمتُ أنكم تكفوني ولكني أكره أن أتميز عليكم!

١٥ إبريل / نيسان

في مثل هذا اليوم من العام ١٩١١م وُلد ترجمان القرآن في العصر الحديث الشيخ محمد متولي الشعراوي! كان رحمه الله نابغة في التفسير، فتح الله عليه فتوح العارفين فأبدع في استنباطاته القرآنية .

كان رحمه الله خفيف الظل، يملك روحاً فكاهية عالية، ومن طرائفه أثناء عمله وزيراً للأوقاف أن أنور السادات أقام حفلاً ساهراً على شرف صديقه الديكتاتور «شاوشيسكو» رئيس رومانيا، وتفاجأ الشيخ أن الحفل فيه وصلة غنائية، فما كان منه إلا أن قلبَ كرسيه وأعطى ظهره للرئيس وضيفه، وانتبه السادات لهذا المشهد الذي اعتبره مهيناً له ولضيفه فأرسل من يقول للشيخ : اعتدل يا شيخ!

فردَّ الشعرواي قائلاً : أنا اللي اعتدل، اعتدل أنت يا ريس!

وسأله السادات مرةً : هل صحيح يا شيخ أنك لا تجلس على مكتبك في الوزارة وتركت الكرسي الوثير وجلست على كرسي خشبي بجوار الباب؟

فقال له الشعراوي : أجل صحيح

فسأله السادات : ولِمَ؟

فقال : حتى أكون قريباً من الباب عندما «ترفدني» فأجري سريعاً وأقول يا فكيك!

بعيداً عن روعته في التفسير، ترك الشعراوي أقوالاً كثيرة خالدة، هذه بعضها :

- لا تقل إن فلاناً لا يعرفني إلا عند الحاجة، بل قل الحمد لله الذي أكرمني لقضاء حوائج الناس!
- في العادة لا يقلق من كان له أب فكيف يقلق من كان له رب!
- إذا رأيت علاقة ناجحة بين اثنين فاعلم أن الله ثالثهما!
- لا تعبدوه ليُعطي ولكن اعبدوه ليرضى فإنه إذا رضيَ أدهشَ بعطائه!
- لعل الله حرمكَ مما تريد ليعطيك ما تحتاج!
- إن كنت لا تعرف عنوان رزقك فإن رزقك يعرف عنوانك!
- أكرمك الله بعقلك فلا تُهن نفسك بفعلك!

١٦ إبريل / نيسان

في مثل هذا اليوم من العام ١٨٨٩م وُلد «تشارلي شابلن» الذي يُصنف اليوم كأعظم ممثل في تاريخ السينما رغم أنه لم يكن يتكلم ، يبدو أن الناس يؤمنون أن الأفعال أبلغ من الأقوال ولكنهم يتجاهلون ذلك فيتكلمون أكثر مما يفعلون!

يقول شارلي شابلن :

عندما كنتُ صغيراً ذهبتُ برفقة أبي لمشاهدة عرض في السيرك ، وقفنا في صف طويل لقطع التذاكر ، وكان أمامنا عائلة مكونة من ستة أولاد والأم والأب ، وكان الفقر بادياً عليهم ، ملابسهم قديمة لكنها نظيفة ، وكان الأولاد فرحين جداً وهم يتحدثون عن السيرك ، وعندما جاء دورهم ، تقدم الأب إلى شباك التذاكر ، وسأل عن سعر البطاقة ، فلما أخبره عامل شباك التذاكر عن سعرها ، تلعثم الأب ، وأخذ يهمس إلى زوجته وعلامات الإحراج بادية عليه!

فرأيتُ أبي قد أخرج من جيبه عشرين دولاراً ورماها على الأرض ، ثم انحنى والتقطها ، ووضع يده على كتف الرجل وقال له : لقد سقطت نقودك!

نظر الرجل إلى أبي وقال له والدموع في عينيه : شكراً يا سيدي!

وبعد أن دخلوا ، سحبني أبي من يدي ، وتراجعنا من الطابور لأنه لم يكن يملك غير العشرين دولار التي أعطاها للرجل! ومنذ ذلك اليوم وأنا فخور بأبي ، وكان ذلك الموقف أجمل عرض شاهدته في حياتي ، أجمل بكثير حتى من عرض السيرك الذي لم أشاهده!

تعجبني هذه الطريقة في التربية ، أن يكون المرءُ قُدوة بدل أن يكون خطيباً ، جميل أن يحث الأب أولاده على الصدقة ولكن الأجمل أن يشاهدوه يتصدق ، وجميل أن يحثهم على النظافة ولكن الأجمل أن يشاهدوه يلقي الأوراق في سلة المهملات ، موقف واحد كفيل أن يزرع في الأولاد قيمة لا يمكن أن تزرعها فيهم عشرات المحاضرات!

١٧ إبريل / نيسان

في مثل هذا اليوم من العام ٦٤٢م وُلد الحسن البصري، لم ينلْ شرف رؤية النبي ﷺ فقد وُلد قبل سنتين من نهاية خلافة عمر بن الخطاب، ولكنه عاش بما يكفي ليلتقي كبار الصحابة ويأخذ عنهم، وقد لازم أنس بن مالك وأخذ عنه.

كان للحسن البصري تلميذ اسمه حبيب، يخدمه ويلازمه، فتأخر ليلةً في إحضار العَشاء للحسن، فقال له الحسن: أين العشاء يا حبيب، لقد هلكنا من الجوع!

فقال له حبيب: يا إمام لقد جاء مسكين فأعطيته كل ما عندنا لأني سمعتك تقول أن الإيمان أن تكون فيما عند الله أوثق مما في يدك!

فقال له الحسن: يا حبيب إنك رجل كثير اليقين قليل العلم! لو أعطيته النصف وتركتَ لنا النصف نتقوى به!

وبينما هم كذلك يُطرق الباب، فيفتحه حبيب، فإذا بغلام يحمل إناء مليئاً بما لذَّ وطاب، وقال: هذا هدية من سيدي للإمام الحسن!

فتبسّم حبيب وقال للحسن ممازحاً: يا إمام إنك رجل كثير العلم قليل اليقين!

فردَّ الحسن الابتسامة وقال له: يا حبيب تقدمناك ولكنك سبقتنا!

وهذا الذي ينقصنا اليوم، اليقين بما عند الله أكثر من اليقين بما في أيدينا، ولستُ أقول افعلوا ما فعل حبيب، فتصدقوا بكل ما تملكون، على العكس، إني أقول بقول الحسن: لو تصدقتَ بالنصف وتركتَ نصفه نتقوى به، ولكن ما أقوله أن نؤمن أن العوض من الله أجمل وأثمن مما أنفقنا، أن تأخذ بالأسباب كأنه لا ينجينا غيرها، وأن نتيقّن بالله كأن الأسباب لا تضرّ ولا تنفع!

تعالجوا إن مرضتم ولكن لا تنسوا أن الشافي الله وما الطبيب إلا سبب، واعملوا وتاجروا ولكن لا تنسوا أن الرازق الله وما العمل إلا باب رزق! وقد اتفق العارفون بالله أنه ما من أحد وضع يقينه على الأسباب إلا أركنه الله إليها، وما من أحد وضع يقينه على الله إلا هيَّأ له من الأسباب ما لم يكن بالحسبان حتى يقضي حاجته!

١٨ إبريل / نيسان

في مثل هذا اليوم من العام ١٣٧٧م وُلد «فيليبو برونليسكي» أعظم نحَّات في أوروبا في عصر النهضة!

وعندما أرادتْ الكنيسة ترميم قبة كاتدرائية «سانتا ماريا» كان من البديهي أن تُوكل الأمر «لبرونليسكي» الذي تقبَّل هذه الـمُهمة بسعادة عارمة ، إنه اعتراف من البابا شخصياً بقدراته الرهيبة في النحت!

ولم تمضِ أيام على بدء العمل على قبة الكاتدرائية حتى تفاجأ «برونليسكي» أن السلطات الـمحلية قد عيّنتْ مساعداً له هو النحات «غيبرتي» الذي كان هاوياً ويفتقر إلى الـخبرة ، الأمر الذي أزعج «برونليسكي» جداً ، وقال في نفسه : من هذا الغبي الـمتنفذ الذي سيُقاسمني الـمجد؟!

فكَّر «برونليسكي» بطريقة يُبعد فيها «غيبرتي» ولكن لم يهتدِ إلى خطة ناجحة نظراً لمكانة «غيبرتي» عند السلطة ، عندها قال : إذا كان «غيبرتي» يريد هذا العمل فليحصل عليه!

تظاهر «برونليسكي» بالـمرض ، وابتعد عن مكان العمل ، الأمر الذي جعل الـجميع في مشكلة ، البابا ينتظر خبر الانتهاء ، و«غيبرتي» أعجز من أن يسد مكان «برونليسكي» ، وعندما جاءه حاكم الـمدينة ليراه ، قال له : ليكمل العمل السيد «غيبرتي» إنه نحات بارع!

ولكن سرعان ما اكتشف الـجميع ضعف «غيبرتي» وتمَّ عزله ، وبقدرة قادر استعاد «برونليسكي» عافيته في اليوم التالي ، وبدأ يعمل على إصلاح قبة كاتدرائية «سانتا ماريا» في فلورنسا!

إن كان من درس من هذه القصة فهو : لا تسمح لأحد أن يسرق جهدك ليبني مجده!

١٩ إبريل / نيسان

في هذا اليوم من العام ٧٩٦م توفي الـخليفة الأموي هشام بن عبد الـملك ، وهو على فراش الـموت نظر إلى أهله يبكون حوله فقال لهم : جاء هشام إليكم بالدنيا وجئتم له بالبكاء ، تركَ لكم ما جمعَ وتركتم له ما حمل ، ما أعظم مصيبة هشام إن لم يرحمه الله!

يبدو أن الناس جميعاً حكاماً ورعية لا يدركون حقيقة الدنيا إلا في الوقت الضائع! نجمع الـمال من حلال وحرام ثم نتركه خلفنا ونمضي ، يستمتع به من بعدنا ونحاسب عليه وحدنا ، وما أكثر العِبر وأقل الـمعتبرين!

وحضر أعرابي سُفرة هشام بن عبد الـملك ، فبينما هو يأكل إذ رأى هشام شعرة في لقمة الأعرابي فقال له : عندكَ شعرةٌ في لقمتك يا أعرابي!

فقال له الأعرابي : وإنك لتراقبني مراقبة من يرى الشعرة في لقمتي والله لا أكلتُ عندكَ أبداً!

وهذا أيضاً درس آخر ، جميل أن ينتبه صاحب البيت لضيوفه فيقدم لهم ما ينقصهم ، ولكن في الـمقابل عليه أن لا يُشعرهم أنه برج مراقبة وإن كانت نيته حسنة!

وهشام بن عبد الـملك هو السبب في إثارة قريحة الفرزدق الشعرية حتى أخرج لنا إحدى أروع قصائده ، فقد جاء هشام إلى الـحج والبيت مكتظ ، فلاقى صعوبة في الوصول إلى الـحجر الأسود وهو ولي العهد يومذاك لم يصر الـخليفة بعد ، ولكن رجلاً من الـحجيج لما حضر أوسع له الناس ليصل إلى الـحجر الأسود فسأل هشام عنه ، وأجابه الفرزدق شعراً :

هذا الذي تعرفُ البطحاء وطأته
والبيتُ يعرفه والحِلُ الحرمُ
هذا ابن خير عباد الله كلهم
هذا التقي النقي الطاهر العلم
هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله
بجده أنبياء الله قد خُتموا!

والـمقصود من الأبيات هو زين العابدين علي بن الـحسين رضي الله عنهما .

٢٠ إبريل / نيسان

في مثل هذا اليوم من العام ٢٠٠٥م ألقى «وارن بافيت» محاضرة لطلاب جامعة كنساس ، و«وارن بافيت» لمن لا يعرفه رجل أعمال وأشهر مستثمر أمريكي في بورصة نيويورك ، وهو ثالث أغنى أغنياء العالـم لعام ٢٠١٤م بحسب مجلة فوربس الأمريكية بثروة ٦٥ مليار دولار!

ما يعنينا من هذا كله ، الذي قاله «وارن بافيت» في تلك الـمحاضرة ، فقد قدم نصائح حياتية مهمة من الـجميل الاطلاع عليها :

– الـماضي ورقة فارغة ، أما الـحاضر فهو جريدة اليوم ، والـمستقبل هو ورقة امتحان! اُخرج من ماضيك ، تحكّم في حاضرك ، وقُمْ بتأمين مستقبلك!

– عند حدوث شيء سيء لديك خياران : إما أن تجعله يدمرك ، وإما أن تجعله يُقويك!

– في الـمجازفة : لا تقِسْ أبداً قاع نهر برجليك الاثنتين!

في كسب الـمال : لا تعتمد أبداً على مصدر دخل واحد!

في الاستثمار : لا تضع بيضك كله في سلة واحدة!

في الإنفاق : إذا كنت ستشتري أشياء لا تحتاجها بعد وقت ستضطر لبيع ما تحتاجه!

في التوقعات : الصدق هو هدية ثمينة لا تتوقع خروجه من أناس رخيصة!

في التوفير : لا توفر ما بقي مما أنفقته ، بل انفق ما بقي بعد ما وفرت!

٢١ إبريل / نيسان

في مثل هذا اليوم من العام ١٩١٠م توفي الكاتب الأمريكي «صمويل كليمنس» هذا اسمه الـحقيقي الذي لا يعرفه به أحد ، أما اسمه الـمستعار الذي نعرفه به فهو «مارك توين»!

جمع مارك توين بين السخرية وعبقرية الكتابة ، وكان مرحاً خفيف الظل ، كتب مرةً رسالة إلى عشرة أمريكيين يحتلون مناصب كبيرة في الدولة ، وجاء فيها العبارة التالية : «اهربوا لقد اكتشفوا أمرنا»!

وفي صبيحة اليوم التالي كان العشرة قد غادروا الولايات الـمتحدة الأمريكية!

حضرَ مرةً سهرة تضم علِية القوم ، وكان يتحدث إلى سيدة وأطرى عليها قائلاً لها : أنتِ جذابة!

فقالَت له : لا أستطيع قول نفس الشيء عنك!

فقال لها : اكذبي كما كذبت!

وكان مولعاً بالنوم والاسترخاء ، يكتب ويأكل ويقرأ في سريره ، وجاءه صحفي لإجراء مقابلة فدخلتْ عليه زوجته وأبلغته بوصول الصحفي ، فقال لها : أدخليه!

فقالت : هذا لا يليق ، هل سيجري معك حواراً هو يقف وأنت نائم في السرير؟

فقال لها : معك حق ، اطلبي من الـخادمة أن تعد له سريراً بجانبي!

من أقوال مارك توين الـجميلة :

- تستطيع الإشاعة أن تدور حول الأرض بينما الـحقيقة تلبس حذاءها!
- أصدقاء جيدون وكتب جميلة وضمير نائم هذه هي الـحياة الـمثالية!
- الإقلاع عن التدخين سهل جداً لقد أقلعتُ عنه خمسين مرة!
- السرير هو الـمكان الأكثر خطورة في العالـم ٩٩٪ من الناس يموتون هناك!
- كان من الرائع اكتشاف أمريكا ولكن الرائع حقاً لو لم يتم اكتشافها!
- آدم هو الرجل الوحيد الذي عندما قال شيئاً مدهشاً كان واثقاً أن لا أحد قاله قبله!
- إذا وجدتَ نفسكَ في صف الأغلبية فقد حان وقت التغيير!
- اجرحْ شخصاً بالصدق ولكن لا تسعده بالكذب!

٢٢ إبريل / نيسان

في مثل هذا اليوم من العام ٢٠٠٢م دخلَ جوناثان لي ريتشز إلى سجن كنتاكي الفيدرالي لأنه دهسَ امرأةً وهود يقود سيارته تحت تأثير الخمر!

أعرفُ أن هذا حدث عادي لا يستحق أن يُكتب عنه ، وأن أحداً ما منكم قد قال في نفسه : تباً لك ألهذا جمعتنا!

في الحقيقة لقد جمعتكم لشيء طريف ، جوناثان هو أكثر شخص رفع قضايا في المحكمة في تاريخ البشرية!

رفع قضية على أمه لأنها لم تحسن تربيته كما يقول وحصل على تعويض قيمته ٢٠ ألف دولار!

رفع قضايا على جميع أصدقائه متهماً إياهم بالمزاح الثقيل والسخرية والتأخر عن مواعيدهم!

رفع قضايا على أغلب جيرانه ومدرسيه!

رفع قضية على خطيبته!

ولكن على ما يبدو أنه أحب أن يوسع دائرة قضاياه فرفع قضية على الرئيس الأمريكي جورج بوش الأب ، وعلى المغنية بريتني سبيرز ، وعلى أفلاطون ، وعلى نصب لينكولن التذكاري ، وعلى برج إيفيل ، وعلى رئيس إيران والقائمة تطول!

اختارته موسوعة غينيس للأرقام القياسية كأكثر شخص قام برفع قضايا ، فرفع عليهم قضية لأنهم لم يستشيروه في نشر بياناته الشخصية!

بعد هذه الحادثة استضافوه في التلفاز وكان يتساءل بدهشة لماذا لا يحبني الناس! فأخذ المذيع يضحك على هذا التساؤل ، فقام برفع قضية على القناة والمذيع وحصل على تعويض قيمته ٥٠ ألف دولار!

لم يربح جوناثان كل القضايا التي رفعها ولكنه استطاع أن يجمع مبلغ ٨٥٠ ألف دولار من قضاياه المرفوعة ، أخيراً أتمنى أن لا تصله هذه المقالة!

٢٣ إبريل / نيسان

في مثل هذا اليوم من العام ١٩٢٠م أقامت نقابة الأطباء في بريطانيا حفلاً لتخريج مجموعة جديدة من الأطباء بحضور رئيس الوزراء لويد جورج .

اعتلى نقيب الأطباء المنصة وأخذ يُحدث المتخرجين عن أن الطب رسالة ومهنة إنسانية ، وأن المال الذي سيتقاضونه سينسونه ولن يبقى لهم إلا أعمالهم الإنسانية ليتذكروها ، ثم قال سأروي لكم قصة :

منذ أربعين سنة تقريباً طرقت باب بيتي امرأة وقالت لي : يا دكتور إن ابني في حالة خطيرة ، أرجوك افعل شيئاً لإنقاذه ، فأسرعتُ غير مبالٍ بالزوابع والعواصف حيث كان منزلها في إحدى ضواحي لندن ، وبعد رحلة شاقة وصلنا للمنزل ، فوجدتُها تعيش في غرفة صغيرة وابنها الصغير يئن ويتألم بشدة . وبعد أن أديتُ واجبي نحو الطفل ناولتني الأم بعض المال الذي كان أقل بكثير من الأجرة المفترضة ، فقلتُ لها : سيدتي لا أريدُ مالاً ، أتمنى لابنك الشفاء ، وغادرتُ منزلها ، وما زلتُ حتى اليوم أتذكرُ كلام الشكر الذي قالته لي والدموع تنهمرُ من عينيها!

وما كاد نقيب الأطباء ينهي كلامه حتى قفز رئيس الوزراء من مقعده واتجه إلى المنصة ، وقال للطبيب : سيدي النقيب لتسمح لي أن أقبل يدك ، منذ زمن طويل وأنا أبحث عنك ، أنا ذاك الطفل الذي عالجتَه تلك الليلة ، فلتسعد أمي الآن فقد كانت وصيتها لي أن أعثر عليك لأكافئك ، كيف يمكن لي أن أفعل» .

قال له النقيب : حصلتُ على مكافأتي منذ زمن بعيد ، كلمات الشكر ودموع أمك كانت أكثر مما أستحق!

ما أجمل أن يكون المرءُ إنساناً ، إنساناً فحسب!

٢٤ إبريل / نيسان

في مثل هذا اليوم من العام ٨١٤م توفي «وكيع بن الجراح» ، كان من كبار فقهاء زمانه ، حافظاً ورعاً ثبتاً زاهداً! أخذ العلم عن مالك بن أنس ، وسفيان الثوري ، وسفيان بن عيينة ، والإمام الأوزاعي ، وتتلمذ على يديه خلق كثير أشهرهم الشافعي وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وعبد الله بن المبارك!

يقول الإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء على لسان علي بن خشرم :

رأيتُ وكيع بن الجراح ولم يكن بيده كتاب وكان يحفظ ما لا نحفظ!

فعجبتُ من ذلك فسألته : يا وكيع إنك لا تحملُ كتاباً ولا تكتب سواداً في بياض وتحفظُ أكثر مما نحفظ!

فقال وكيع وقد أسرَّ في أذني : يا عليّ ، إن دللتكَ على دواءٍ للنسيان أتعملُ به؟

قلت : أي والله!

فقال : تركُ المعاصي! فواللهِ ما رأيتُ أنفعَ للحفظ من ترك المعاصي!

وعلى ما يبدو أن هذه كانت نصيحة وكيع لكل من عانى من النسيان من تلامذته ، وقد خلَّد هذه النصيحة الإمام الشافعي شعراً حين قال :

شكوتُ إلى وكيع سوء حفظي
فأرشدَني إلى ترك المعاصي
وأخبرني بأن العلم نور
ونور اللهِ لا يُهدى لعاصي

وصدقَ وكيع رحمه الله ، واللهِ لا أجلبَ للرزق والحفظ والسعادة من الطاعة ، ولا أجلبَ للضيق والهم والنسيان من المعاصي ، وصدقَ ربنا تعالى حين قال : ﴿ولو أنّ أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركاتٍ من السماء والأرض .﴾!

نص صريح! لا أجلبَ للبركة من الإيمانٍ والتقوى ولا أمحقَ للبركة من الكفر والمعاصي!

٢٥ إبريل / نيسان

في مثل هذا اليوم من العام ٧٧٢م توفي سُوار القاضي ، عيَّنه أبو جعفر الـمنصور أميراً على البصرة وقاضياً لـها ، فلحقه لقب القاضي وغلب عليه لما عُرف من عدله وذكائه!

أراد أهل البصرة أن يتخلصوا منه ، فشكوه زوراً إلى الـمنصور أنه لا يعدل ولا يحسن القضاء ، فاستدعاه الـمنصور لينظر في أمره ، وبينما هو يسمع منه ومن خصومه إذ عطسَ ، فقام كل من في الـمجلس بتشميت الـخليفة إلا سواراً القاضي .

فقال له الـمنصور : أراك لم تُشمتني إذ عطستُ

فقال له سوار : لم أشمتك لأنك لم تحمد الله ، وقد عطسَ رجلان عند النبي ﷺ ، فشمَّتَ أحدهما ولم يُشمِّت الآخر ، فقال الرجلُ الذي لم يُشمَّت : يا رسول الله شمَّتَ هذا ولم تُشمتني .

فقال رسول الله ﷺ : إنَّ هذا حمد الله وأنتَ لم تحمد الله!

فقال الـمنصور لسوار : ارجع إلى عملك وقضائك ، ودُمْ على ما كنتَ عليه ، فمن لم يُسامح الـخليفة في عطسة لن يسامح غيره في غيرها!

إن أكبر مصائبنا اليوم ليستْ في الـحُكام بقدر ما هي في الـحاشية الـمحيطة بهم التي تُطبل لهم على كل صغيرة وكبيرة ، وعلى الـخطأ والصواب ، وعلى الـحلال والـحرام ، من أين سيعرف الـحاكم أنه أخطأ ما لم يكن في حاشيته من لا يجامله حتى في عطسة ، ولكن الـحال كما تعلمون لو أن حاكماً قام وذبح ألف رجل لخرجتْ في صبيحة اليوم التالي ألف فتوى خسيسة ، وألف إعلامي قذر ، وألف صحيفة عفنة ، تُسبح بحمد الـحاكم وتستخلص الـمنافع والـحكم من أخطائه!

٢٦ إبريل / نيسان

في مثل هذا اليوم من العام ٦٤٤م وُلد عُمر بن أبي ربيعة .

كان وسيماً ، غارقاً في النرجسية يتغزل بنفسه أكثر مما يتغزل بمحبوباته ، والأهم من ذلك كله أنه كان شاعراً عظيماً ، يلعب بالـمفردات بخفة ، ويختار من الألفاظ أعذبها ، وبرأيي أنه لا يقل براعة عن الـمتنبي ولكن عيبه الوحيد أنه كان مهووساً بالنساء فلا يخرج شعره عن هذا وإلا فهو بحق من أبرع شعراء العرب!

أرسل إليه عبد الـملك بن مروان ليمدحه ، فقال للرسول : أقرِئ أمير الـمؤمنين مني السلام ، وقل له : عمر لا يمدح إلا النساء!

ومما يُروى عنه أن امرأةً قدمتْ مكة تريد الـحج والعمرة ، وكانت جميلة فاتنة ، فلما رآها ابن أبي ربيعة أعجبته ، فكلمها فلم ترد عليه! فلما كانت الليلة الثانية تعرَّض لها ، فصاحت به : إليكَ عني فإني في حرم الله!

فألحَّ عليها ، فخافت من افتضاح أمرها ، فتركته ورجعت إلى خيمتها . فقالت لأخيها في الليلة الثالثة : اُخرجْ معي فأرني الـمناسك ، فلما رآها عمر مع أخيها ، ارتدع ولم يكلمها ، فأنشدت تقول :

تعــدو الكلاب على من لا أســود له

وتتقي صولة الـمستأسد الضاري

ومن أمانة النقل أن أذكر لكم ، أني قرأتُ مرةً أن عمر بن أبي ربيعة وهو على فراش الـموت أخذ يطلب رحمة الله ويستغفر ، فقيل له : أبعدَ كل ما كان منك؟

فأمسك إزاره وقال : واللهِ ما فككته على حرام!

٢٧ إبريل / نيسان

في مثل هذا اليوم من العام ١١٦٢م وُلد «جنكيز خان» ، كان سفاحاً بكل ما تعنيه الكلمة من معنى ، استطاع في قرابة عشرين سنة أن يقيم إمبراطورية شاسعة تضم دول العالم الحالية : الصين ومنغوليا وفيتنام وكوريا وتايلاند وأجزاء من سيبيريا وميانمار!

عندما توجه جنكيز خان بجيوشه إلى بخارى إحدى بلاد خراسان المسلمة عجزَ عن اقتحامها ، فعمدَ إلى الحيلة ، وكتب لأهل المدينة أن من سلَّم لنا سلاحه ووقف في صفنا فهو آمن ومن رفض التسليم فلا يلومنَّ إلا نفسه!

انقسم الناس إلى قسمين ، قسم قال : لو استطاعوا غزونا لما طالبوا بالتفاوض معنا! فهي إحدى الحُسنيين إما نصر وإما شهادة!

وقسم قال : نريد حقن الدماء ولا طاقة لنا بقتالهم ألا ترون عددهم وعدتهم؟!

فكتب جنكيز خان لمن وافق على الرضوخ والتسليم أن أعينونا على قتال من رفض منكم ونوليكم بعدهم أمر بلدكم!

فاغترَّ الناس بكلامه رهباً ورغباً فنزلوا عند أمره ، ودار قتال بين الطرفين ، طرف دافع عن دينه ومبدئه حتى قضى نحبه ، وطرف وافق الغازي حتى انتصر!

ولكن الصدمة الكبرى كانت أن التتار عندما دخلوا إلى المدينة سحبوا السلاح من الذين عاونوهم وقتلوا إخوانهم ، ثم ذبحوهم كالنعاج! وقال جنكيز خان يومها وهو يصدر أمر ذبح الخونة : لو كان يُؤمن جانبهم لما غدروا بإخوانهم من أجلنا نحن الغرباء!

كم تكررت هذه القصة وما زالت معنا ، كم قتلنا أجمل أبطالنا كرمى لعيون أنذل أعدائنا ثم ما سلمنا!

٢٨ إبريل / نيسان

في مثل هذا اليوم من العام ٦٨١م وُلد عمر بن عبد العزيز ، الـخليفة الـخامس كما يُسميه الـمسلمون ، ملأ الأرض عدلاً بعدما مُلئت ظُلماً وجوراً ، لم يكن فيه شيء يشبه حكام بني أمية الذين سبقوه ولا الذين أتوا بعده ، حتى قال عنه قيس بن جبير : عمر بن عبد العزيز كان في بني أمية كمؤمن آل فرعون!

كان في عدله وزهده يشبه عمر بن الـخطاب جده لأمه ، وعندما كان الفاروق يقول لو أن دابة عثرتْ عند شاطئ الفرات لخشيتُ أن يسألني الله عنها : لِمَ لمْ تُصلح لها الطريق يا عمر ، كان عمر بن عبد العزيز يقول : انثروا القمح على رؤوس الـجبال كي لا يُقال جاع طير في بلاد الـمسلمين!

اختار عبد العزيز والد عمر الفقيه العلامة صالـح بن كيسان ليكون أستاذاً ومربياً لابنه عمر ، فتولى تأديبه وتعليمه وحببه إلى القرآن والـحديث وكان شديداً حازماً معه ، حتى أن ابن كثير يروي أن صالـح بن كيسان لم يكن يسمح لعمر أن يتغيب عن صلاة الـجماعة ، وفي أحد الأيام فاتت عمر بن عبد العزيز صلاة في الـمسجد ، وكان ما زال طفلاً ، فسأله عمّا أخّره ، فأخبره أن الـخادمة كانت تُسرِّح له شعره ، فكتبَ ابن كيسان من الـمدينة الـمنورة إلى عبد العزيز في الشام بالأمر ، فأرسل عبد العزيز إليه أن احلق له شعره هذا الذي فوَّت عليه صلاته!

في معلم كصالـح بين كيسان ، وأب كعبد العزيز ، وقبلهما اصطفاء الله وفضله لم يكن مستغرباً أن يصبح عمر بن عبد العزيز ما أصبح عليه يوم تولّى الـخلافة!

إن كان من درس يُستفاد من كل هذا فهو : نحن نصنع أبناءنا يا سادة!

٢٩ إبريل / نيسان

في مثل هذا اليوم من العام ١٩٤٥م تزوج «أدولف هتلر» من عشيقته «إيفا براون» ثم انتحرا في اليوم التالي! لقد اختارا الـموت على الهزيمة والاستسلام كما جاء في وصيته التي أملاها على سكرتيره «تراودل يونغه»!

عُرف هتلر بالـمحرقة التي نكّل فيها باليهود ، وإن كان لا سبيل إلى إنكار الـمحرقة إلا أن أكثر ما استفاد منه اليهود على مر التاريخ هو الـمحرقة التي أقامها لهم هتلر ، ضخموا أرقامها ، ونالوا من مخالفيهم بتهمة معاداة السامية ، لدرجة أنك الآن تستطيع في أوروبا أن تنتقد آيات في الإنجيل ولكن جرِّب أن تشكك في تفاصيل ما يرويه اليهود ، ستُقام لك محكمة كالتي أقيمت للفيلسوف الرائع «روجيه غارودي» الذي لم ينكر الـمحرقة ولكنه انتقد أرقام الضحايا فتم سجنه في فرنسا!

وعن اليهود يروي أحد السجناء الروس الذين كانوا في حوزة هتلر في مذكراته يقول :

أنزل الـجنود الألمان مجموعة من اليهود في حفرة وطلبوا منا أن ندفنهم أحياء ، فرفضنا ، فقال لنا الضابط الألماني حسناً ، ثم قام بإخراج اليهود من الـحفرة وأنزلَنا مكانهم وقال لليهود ادفنوهم أحياء ، فبدأوا يهيلون علينا التراب وعندما وصل التراب إلى رقابنا أمر الضابط الألماني بإخراجنا ، وقال لنا لهذا السبب كنا نقتلهم!

بعيداً عن السياسة وجنون هتلر وديكتاتوريته إلا أن الرجل ترك أقوالاً جميلة منها :

- يظل الرجل طفلاً حتى تموت أمه فإذا ماتت شاخ فجأة!
- من حسن حظ الـحُكام أن الناس لا يُفكرون!
- إن لم تكن تعلم أين تذهب فكل الطرق تفي بالغرض!
- صادق الذئاب على أن يكون فأسك مستعداً دائماً!
- الكلمات قد تكذب لكن التصرفات دوماً تقول الـحقيقة!
- اعتمد في السياسة على النساء يتبعك الرجال تلقائياً!
- البعض يعتقدون أنهم رجال لأنهم ليسوا نساء!
- أحقر الأشخاص الذين قابلتهم هم الذين ساعدوني على احتلال بلادهم!

٣٠ إبريل / نيسان

في مثل هذا اليوم من العام ١٣١٥م توفي «صفي الدين الهندي» ، كان شافعي الـمذهب ، أشعري العقيدة ، جرتْ بينه وبين ابن تيمية مناظرات كثيرة في العقيدة ، اتفقا في توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية واختلفا في الأسماء والصفات!

كان عالـماً ثبتاً حافظاً ، لا يقل عن شيخ الإسلام معرفة واطلاعاً!

ترجم له السبكي في طبقات الشافعية الكبرى ، وابن كثير في البداية والنهاية ، وابن حجر في الدرر الكامنة ، والشوكاني في البدر الطالع!

كان لطيفاً ظريفاً خفيف الدم ، يُلقي الطرائف ولو كانت على نفسه ، ومما يرويه عن نفسه :

وجدتُ في سوق الكتب مرةً كتاباً بخط ظننته أقبح من خطي ، فغاليتُ في ثمنه ، واشتريته لأحتجَّ به على من يدَّعي أن خطي أقبح الـخطوط ، فلما عدتُ إلى البيت وجدتُ أنه كتابي وأن هذا خطي القديم!

هذه الطرفة تقول لنا حقيقة مهمة يجب أن لا تغيب عن بالنا ونحن نُقيِّم أنفسنا والآخرين ، ألا وهي : أن براعتنا في مجال لا يعني براعتنا في كل الـمجالات ، وضعفنا في مجال لا يعني ضعفنا في كل الـمجالات ، فلا تدع نقاط ضعفك تكبلك!

كان سيبويه على عظمته فيه حُبسة في لسانه!

وكان أحمد شوقي على عبقريته الشعرية لا يُحسن إلقاء الشعر!

وكان حسان بن ثابت على شرف صحبته للنبي ﷺ ودفاعه عنه لا يحارب ولا يشارك في الغزوات!

كلٌّ على ثغر ، فليحمِ كل واحد ثغره!

١ مايو / أيار

في مثل هذا اليوم من العام ١٩٤٥م انتحرَ «جوزيف غوبلز» وزير الدعاية النازية في حكومة هتلر!

كان أحد أشهر غاسلي الأدمغة على مرّ التاريخ ، وهتلر مدين له بالولاء والطاعة العمياء اللتين حصل عليهما من الألمان ، فالوزير الـمُحنّك ، والخطيب الـمُفوَّه هو أحد أهم أعمدة النازية وصانعي مجد هتلر!

اخترع غوبلز نظرية «التأطير» وهي نظرية تُوهِم الشعب بأنه يختار ولكنه في الحقيقة لا يختار إلا ما تريده له الحكومة أن يختاره!

ولشرح نظرية التأطير للعامة يضرب خبراء السياسة هذه الأمثلة ليسهل فهم النظرية :

عندما تزور صديقك في بيته ويسألك هل تشرب الشاي أم القهوة فهو قد ألغى من ذهنك بقية الأشياء المتاحة وجعلكَ تختار أحد أمرين يوافقانه ، لقد قام فعلياً بتأطير تفكيرك!

عندما تقول أم لطفلها هل ستنام في السابعة أم التاسعة فإن الطفل سيختار الساعة التاسعة موعداً لنومه ويشعر بنشوة النصر بأنه حقق نصراً في مفاوضاته مع أمه دون أن يدري أن أمه تريده أن ينام في التاسعة فعلاً وقد جعلت ما تريده هي خياره الأمثل!

نظرية التأطير هذه هي التي تعتمدها الدول الكبرى اليوم ، بعد أحداث ١١ سبتمبر خرج جورج بوش ليقول للعالم : إما أن تكونوا معنا أو تكونوا مع الإرهاب! وحتى اللحظة لا يوجد تعريف واضح للإرهاب ، ولكن بسبب نظرية التأطير صار من تُحاربه أميركا إرهابياً وليس على العالم إلا موافقتها ، حتى مساحة الحياد الرمادية ممنوعة ، إن لم تكن معها فأنتَ ضدها!

من أقوال غوبلز الشهيرة :

- أعطني إعلاماً بلا ضمير أعطيكَ شعباً من الحمير!
- كلما كبرت الكذبة كلما سهل تصديقها!
- اكذبْ حتى يصدقك الآخرون!
- كلمَا سمعتُ كلمة مثقف تحسستُ مسدسي!
- الدعاية الناجحة يجب أن تحتوي على نقاط قليلة وتعتمد على التكرار!

٢ مايو / أيار

في مثل هذا اليوم من العام ٧٢٣م تُوفي الشعبي ، أعرفُ أهل العراق بالحديث والفقه ، اسمه الحقيقي عامر بن شُراحيل الكوفي ، عيّنه عمر بن عبد العزيز على القضاء ، وقال عنه الإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء كان لماعاً حافظاً ثبتاً .

وقال عنه ابن حجر : ثقة فاضل

وقال عنه ابن سيرين : أتيتُ الكوفة وللشعبي حلقة عظيمة والصحابة يومئذٍ كثير!

على يديه درسَ خلق كثير ، وأشهر تلامذته الإمام أبو حنيفة .

كان الشعبي ظريفاً لطيفاً خفيف الدم حاضر النكتة محباً للدعابة .

– سأله رجل عن الحصاة في المسجد هل يجوز رميها خارجاً! فقال له الشعبي : يجوز

فقال الرجل : سمعتُ أنها تصيح حتى تُعاد إلى المسجد

فقال له الشعبي : دعها تصيح حتى ينشق حلقها

فقال الرجل : هل لها حلق

فقال الشعبي : فمن أين تصيح؟!

– جاءه رجل وقال له : إني تزوجتُ امرأةً فوجدتها عرجاء فهل لي أن أردها؟

فقال له : إن كنتَ تنوي أن تُسابق بها فردها!

– سأله رجل : ما اسم زوجة إبليس

فقال له : ذلكَ عرسٌ ما شهدته!

– لقيه رجل مغفل ومعه امرأة فقال : أيكما الشعبي؟

فقال الشعبي مشيراً إلى المرأة : هذه هي الشعبي!

– سأله رجل عن المسح على اللحية فقال له خللها أي ادخِل أصابعك فيها .

فقال : أخاف أن لا تبتل

فقال له الشعبي : انقعها من أول الليل!

٣ مايو / أيار

في مثل هذا اليوم من العام ١٤٦٩م وُلد نيكولا ميكافيلي ، صاحب كتاب «الأمير» أحد أكثر الكتب قلة في الأخلاق على مرِّ التاريخ!

يعتبره كثيرون حول العالم شيطاناً من لحم ودم لأنه كتب دستور استبداد للحكام ، وكثيرون يعتبرونه عبقرياً ، استطاع أن يفهم محركات السياسة وطريقة ترويض الشعوب! ومهما يكن من أمر هذا الجدل حول شخصيته سيبقى إلى الأبد ، فصاحب مقولة : «الغاية تبرر الوسيلة» سيجد دوماً أنصاراً ومعارضين!

كتاب الأمير عبارة عن دراسة في الفقه السياسي ، وإعادة تعريف أخلاقيات السياسة ولم يكن سبقه إلى هذا المضمون أحد .

والكتاب على صغر حجمه إلا أنه دسم المحتوى ، في غالبيته العظمى نصائح للحاكم حول كيفية تطويع الشعب ، والأمير المثالي عند ميكافيلي هو الذي يملك قوة الأسد ودهاء الثعلب ويقدم المصلحة على كل مبدأ!

الدين بحسب ميكافيلي في كتاب الأمير هو أداة للحاكم يسيطر بها على الشعب ، فعلى الحاكم أن يستغل ما يؤمن به الناس ليحقق أكبر قدر من النفوذ والسلطة ، أما دين الحاكم فيجب أن يكون مصلحته الشخصية ، وأن الحاكم الناجح هو من يبحث عن طاعة شعبه العمياء لا حبهم وعواطفهم!

وأنتَ تقرأ الكتاب تدرك السبب وراء أن كل الديكتاتوريين في العالم قد اتخذوا منه دستوراً عليه يسيرون وبه يحكمون!

ومن أقوال ميكافيلي :

- أول طريقة لتقييم ذكاء الحاكم بأن تنظر للرجال الذين حوله!
- لا علاقة بين السياسة والأخلاق!
- ليست الألقاب هي من تُشرف الرجال ولكن الرجال هم من يشرفونها!
- قمة السعادة أن تخدع المُخادع!
- من الأفضل للحاكم أن يكون مخشياً أكثر من كونه محبوباً!
- من يريد أن يُطاع فعليه أن يعرف كيف يأمر!
- الحاكم الحكيم لا يحتفظ بإيمانه عندما يكون ضده!
- يجب على الأمراء تفويض المهام الصعبة للآخرين والحفاظ على المهام الشعبية المحبوبة لأنفسهم!

٤ مايو / أيار

في مثل هذا اليوم من العام ٦٩٩م وُلد الإمام أبو حنيفة أول أصحاب المذاهب، لقيَ أنس بن مالك رضي الله عنه وأخذ عنه، ثم تتلمذ بعد ذلك على يد حماد بن سلمة والشعبي وربيعة الرأي، وقال عنه الشافعي: الناس في الفقه عيال على أبي حنيفة!

كان أبو حنيفة تاجراً ثرياً، ولكن المال لم يشغله عن العلم لا تعلماً ولا تعليماً، وكان ذكياً داهية! يروي ابن الجوزي أنّ رجلاً جاء إلى أبي حنيفة، فشكا إليه أنه دفنَ مالاً في موضع ولم يعد يتذكر ذلك الموضع، فقال أبو حنيفة: هذا ليس فقهاً فأحتالُ لك فيه ولكن اذهبْ فصلِّ الليلة إلى الغداة فإنك ستذكره إن شاء الله! ففعلَ الرجلُ، ولم يمضِ إلا أقل من ربع الليل حتى تذكّر أين خبأ ماله، فجاء إلى أبي حنيفة فأخبره، فقال: علمتُ أن الشيطان لن يدعك تصلي حتى تتذكر، فهلاّ أتممتَ ليلتك قياماً شكراً لله!

في تاريخ بغداد للخطيب البغدادي أنه كان بالكوفة رجل يقول: إن عثمان بن عفان كان يهودياً! فأتاه أبو حنيفة فقال له: أتيتُكَ خاطباً!

فقال: لمن؟

قال: لابنتك، رجل شريف، غني بالمال، حافظ لكتاب الله، سخيٌّ يقوم الليل في ركعة، كثير البكاء من خوف الله!

قال الرجل: من يرفض مثله لابنته؟

فقال أبو حنيفة: فإن فيه خصلة لا ترضيك هو يهودي!

فقال الرجل: أترضى أن أزوج ابنتي ليهودي؟

فقال أبو حنيفة: لقد رضيتَ أنتَ هذا لرسول الله! أما زوّج ابنتيه لعثمان، وهو فوق هذا الرجل الذي ذكرتُ لك صفاته! فأقلعَ الرجل عما كان فيه!

واتفقَ يوماً مع جماعة من الملاحدة أن يُناظرهم، فتعمَّدَ أن يتأخر، ثم جاءهم أخيراً!

فقالوا له: ما الذي أخَّركَ؟

فقال : أتيتُ شاطىء الفُرات لأعبر إليكم فلم يكن هناك سفن ، فجلستُ انتظر أن تمر سفينة ، ثم فجأة رأيتُ أشجار النخيل تتقطع من تلقاء نفسها ، ثم تصير ألواحاً من خشب ، ثم تتجمع بجانب بعضها ، ثم تصير سفينة!

قالوا له : أتنتظرُ منا أن نُصدقك أن شجرة تصير من تلقاء نفسها سفينة!

فقال : أنتم تُؤمنون بأكثر من هذا ، تُؤمنون أن أرضاً وسماءً ونجوما وكواكب قد أتت من تلقاء نفسها ولم تحتج صانعاً ، كيف لا تصدقون بشأن سفينة؟! «فبُهِتَ الذي كفر»!

٥ مايو / أيار

في مثل هذا اليوم من العام ١٨١٨م وُلد كارل ماركس صاحب كتاب رأس المال الذي اتخذه الشيوعيون قرآناً لهم في الاقتصاد ، على أية حال توفي ماركس في العام ١٨٨٣م وهو مديون!

وعن رأس المال يقول : لم يكتب أحد هذا الكم من الكتابة عن المال وهو لا يملكه ، رأس المال لن يكفي لتسديد ثمن التبغ الذي دخنته وأنا أكتبه!

ترك كارل ماركس بعض الصواب وراءه فكما يقول باولو كويلو : لا شيء في هذا العالم خاطئ تماماً فحتى الساعة المتوقفة تكون صحيحة في اليوم مرتين!

من طوام كارل ماركس أنه ربط كل تغيير في المجتمعات بالاقتصاد والإنتاج ، وجعل هذه حتمية لا يمكن أن تخطئ مع أنه لو تأمل في العالم حوله لوجد أن النبي ﷺ قلب جزيرة العرب رأساً على عقب دون أن يقوم بثورة صناعية أو يُغير أدوات الإنتاج ، فاته أن الأفكار هي التي تُغيِّر المجتمعات!

كواحد من أشهر الملحدين في تاريخ البشرية ، قال ماركس : الدين أفيون الشعوب!

ومن أقواله أيضاً :

- الطاغية مهمته أن يجعلك فقيراً وشيخ الطاغية مهمته أن يجعل وعيك غائباً!
- من لم ينفعه العلم لم يأمن ضرر الجهل!
- تاريخ البشرية هو تاريخ البحث عن الطعام!
- الرأسمالية ستجعل كل الأشياء سلعاً ، الدين والفن والأدب وستسلبها قدسيتها!
- الذي لا يعرف التاريخ محكوم عليه بتكراره!
- الفلاسفة يكتفون بتفسير العالم في حين المطلوب هو تغييره!
- على عبيد العالم أن يتحدوا فلا شيء سيخسرونه إلا أغلالهم!

٦ مايو / أيار

في مثل هذا اليوم من العام ٧٧٦م توفي إبراهيم بن أبي عبلة ، كان رحمه الله من كبار التابعين ، أخذ العلم عن أنس بن مالك وعبد الله بن عمر ، ثم عن الأوزاعي والإمام مالك ، قال عنه ابن حجر : ثقة معروف ، وقال عنه الذهبي في السير : صدوق مشهود له!

يقول إبراهيم بن أبي عبلة : أراد هشام بن عبد الملك أن يوليني على خراج مصر ، فأبيتُ ، فغضبَ حتى احمرَّ وجهه ، ونظر إليَّ حانقاً وقال :

لتقبلنَّ طائعاً أو لتقبلنَّ كارهاً!

فأمسكتُ عن الكلام حتى ذهب عنه الغضب ، ثم قلتُ له : يا أمير المؤمنين أتأذن لي بالكلام؟

فقال : تكلم

قلتُ : إن الله قال في كتابه العزيز : «إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبينَ أن يحملنها»!

فواللهِ يا أمير المؤمنين ما غضبَ عليهنَّ إذ أبينَ ، ولا أكرههنَ إذ كرهنَ ، وما أنا بحقيق أنَ تغضب عليَّ إذ أبيتُ ، وتُكرهني إذا كرهتُ ، فضحك وأعفاني!

لفتَ نظري في القصة أمرين :

الأول : حرص الفقهاء الأوائل على رفض المناصب العامة ، وطبعاً كان هذا الرفض إبراءً لذممهم من عدم القيام بما تقتضيه هذه المناصب رغم امتلاكهم للإمكانيات المطلوبة ، وعلى سبيل المثال رفضَ أبو حنيفة أن يتولى القضاء بينما له مؤلفات فيه!

الثاني : أن من توفيق الله بالعبد أن يُلقنه حُجته ، وصدق الله إذ قال : «ومن يُؤت الحكمة فقد أوتيَ خيراً كثيراً»! فاستشهاد إبراهيم بن أبي عبلة بالآية معللاً رفضه كان استشهادا رهيباً ، فاز بالحسنيين ، أن لم يقبل المنصب وأن ينجو من غضب الخليفة!

٧ مايو / أيار

في مثل هذا اليوم من العام ١٧٧٠م صدر في بريطانيا قانون يمنع الـمكياج!

وجاء في مقدمة القانون ما يلي : أولئك الغادرات اللواتي يغوين رعايا جلالة الـملك ، ويدفعنَ بهم إلى الزواج باستخدام فنون خبيثة مثل العطور ، والأصباغ ، والـحمامات التجميلية ، والأسنان الاصطناعية ، والشعر الـمستعار ، وحشوات الصوف لتكبير الصدر ، والـخواتم والأقراط ، والكعوب العالية ، هؤلاء نسوة مخادعات وتُعتبر زيجاتهنَّ باطلة منحلة!

وقبل هذا بسنوات طويلة أنشد الـمتنبي متغزلاً بجمال البدويات الطبيعي ، ذاماً مكياج الـحضريات قائلاً :

ما أوجه الـحضر الـمستحسنات به
كأوجه البدويات الرعابيبِ
أفدي ظباء فلاة ما عرفنَ بها
مضْغَ الكلًام ولا صبغَ الـحواجيبِ
ومن هوى كل من ليست مموهةً
تركتُ لون مشيبي غير مخضوبِ

رحم الله الـمتنبي ماتَ قبل أن يرى التمويه على أصوله!

على أية حال كان الصينيون واقعيين ، وأحسنوا تخريج الـمسألة ، فقالوا :

الـمرأة تعشقُ بأذنيها والرجل يعشقُ بعينيه!

ثم جاء بعد ذلك من زاد على قول أهل الصين فقال :

الـمرأة تعشقُ بأذنيها والرجل يعشقُ بعينيه ، لهذا يكذبُ الرجال وتضع النساء مستحضرات التجميل!

٨ مايو / أيار

في مثل هذا اليوم من العام ١٩٣٦م أصدرت فرنسا قراراً تعتبر فيه اللغة العربية لغة أجنبية في الـجزائر!

في الـحقيقة هذا القرار واحد من أكثر القرارات وقاحة في تاريخ البشرية ،لم يكفهم أن احتلوا الـجزائر ، وقتلوا مليوناً ونصف الـمليون من أهلها ، وسرقوا خيراتها ، حتى أرادوا أن يكملوا الأمر ويسرقوا منهم لغتهم وانتماءهم وهويتهم!

قال ابن جني صديق الـمتنبي واللغوي العربي الفذ في تعريف اللغة : هي أصوات يُعبِّر بها كل قوم عن أغراضهم!

وجاء «دي سوسير» بعده بمئات الأعوام ليجترَّ قول ابن جني ، فطار الناس به رغم أنه ما زاد أن ترجم قول ابن جني بلسانه!

وإن كان اللغويون يعتبرون أن تعريف ابن جني أبلغ وصف في تعريف اللغة ، إلا أني في الـحقيقة أراها أعمق من هذا بكثير ، اللغة هوية القوم قبل أن تكون أداة تواصل وتفاهم ، والأمة التي تُفرِّط في لغتها إنما تفرط في وجودها فيستحيل أن تقوم أمة دون لغة ، هذه بديهية لا أعتقد أنها تحتاج إلى كثير جدال لإثباتها! فقبل إنشاء الغدة السرطانية الـمسماة دولة إسرائيل أحيا اليهود لغتهم العبرية الـميتة لأنهم كانوا يعرفون أن الأرض والـجيش لا يكفيان لقيام دولة ، لا بد من لغة!

معرفة لغات الآخرين شيء جميل ، نحن لا نعيش على هذا الكوكب وحدنا ، ولكن الشيء القبيح هو أن يتحدث عربيان فيما بينهما فترى أحدهما أو كليهما يقحم كلمة إنكليزية وأخرى فرنسية من باب أنا مثقف ومتحضر! بئس الـحضارة هذه ، إنها الـمياعة والهزيمة النفسية ، والتبعية في أقبح صورها!

٩ مايو / أيار

في مثل هذا اليوم من العام ١٩٩٤م فاز «نيلسون مانديلا» بالانتخابات الرئاسية في جنوب أفريقيا .

عندما كان مانديلا طالب حقوق في الـجامعة كان هناك أستاذ عنصري جداً اسمه «بيتر» يُكِنُّ لنيلسون مشاعر الكراهية ، وفي يوم من الأيام بينما كان بيتر يتناول طعامه في مطعم الـجامعة جاء مانديلا وجلس إلى جواره ، فقال الأستاذ مغتاظاً : ألا تعرف يا نيلسون أن العصفور والـخنزير لا يجلسان على طاولة واحدة؟

فقال له مانديلا بكل برود : أعتذر ، سأطيرُ بعيداً عنك!

في محاضرة اليوم التالي ، وجه الأستاذ بيتر إلى مانديلا سؤالاً قال فيه :

يا سيد مانديلا لو كنتَ تمشي في الطريق ووجدتَ صندوقاً فيه كيسين ، كيس فيه الـحكمة وكيس فيه الـمال ، أي كيس ستأخذ؟

فقال له مانديلا : سآخذ كيس الـمال بالطبع!

عندها قال له الأستاذ : على عكسك أنا كنت سآخذ كيس الـحكمة ، أعرفتَ الفرق بين طريقتي وطريقتك في التفكير؟

عندها قال له مانديلا : كل إنسان يأخذ ما ينقصه!

ترك مانديلا وراءه أقوالاً جميلة هذه بعضها :

- في السجن تصبح الذاكرة عدواً وصديقاً في آنٍ واحد!
- أنا لا أفشل ، إما أن أنجح أو أتعلم!
- الشجاعة ليست غياب الـخوف ولكن القدرة في التغلب عليه!
- الشعور بالآخرين حاسة سادسة لا يملكها إلا الأنقياء!
- حافظ على كرامتك حتى لو كلفك الأمر أن تصبح صديقاً لجدران زنزانتك!
- إذا قبضتُ الـمال ثمناً لنضالي سأتحول من مناضل إلى مرتزق!

١٠ مايو / أيار

في مثل هذا اليوم من العام ٧١٨م وُلد «الـخليل بن أحمد الفراهيدي» ، يعرفه الـجميع بأنه واضع علم العروض الذي يُعرف به صحيح الشعر من فاسده ، على أن الرجل أبرع من هذا بكثيـر ومـا علم العـروض إلا نقطة في بحـر علمـه! برأيي إن الـخليل بن أحمد كـان أبرع العرب وأعرفـهم باللغـة ، فـأستـاذ سيـبويه والأصمعي والكسائي هو صاحب معجم العين أول معجم عربي في التاريخ ، ونحو سيبويه كله استقاه من الـخليل فإذا كان هذا حال التلميذ فكيف كان حال الأستاذ!

كـان زاهداً في الدنيـا ، لا تعنيـه الـمناصب ، حتى قـال عنه تلميـذه النضـر بن شُميل : أقام الـخليل في البصرة لا يملك دينارين وتلامذته يكسبون بعلمه الأموال!

وكـان سـفيـان بن عُيينة يقول عنه : من أراد أن ينظر إلى رجل خُلق من الذهب والـمسك فلينظر إلى الـخليل!

بالإضافة إلى علمه كان دمث الأخلاق ، عذب الروح ، ما عاشره أحد إلا أحبه ، وعنه يقول محمد بن مناذر :

كنتُ أمشي مع الـخليل فانقطع شسع نعـالي فمـشيتُ حـافيـاً ، فخلع الـخليل نعليه ومشى حافياً ، فقلتُ له : ماذا تفعل يرحمك الله؟

فقال لي : أواسيك في الـحفاء!

وعنه قال اليزيدي :

رأيتُ الـخليل بن أحـمـد جـالسـاً على حصير ، فـأوسعَ لي ، فكرهتُ أن أُضـيِّق عليه

فقـال لي : يا يزيدي ، لا يضـيق سَمُّ خيـاطٍ على متـحـابين ، ولا تتـسع الدنيـا لمتباغضينِ!

١١ مايو / أيار

في مثل هذا اليوم من العام ١٩٧٠م تولى» إدوارد هيث « رئاسة وزراء بريطانيا ، بعد تولي الـمنصب بأيام كان في مقابلة تلفزيونية ، سأله الـمذيع عن علاقته بوالده

فقال : لم يكن في بيتنا كهرباء ، وكنت أقرأ دروسي على ضوء الشمعة ، وكان أبي يحزن عليَّ ، ويقول لي لماذا لا تترك هذا الشيء وتبحث عن عمل شريف!

عندها قال له الـمذيع : وماذا قال لك أبوك عندما أصبحتَ رئيساً للوزراء؟

فقال له : قال لي أَلَمْ أنصحك دائماً بالبحث عن عمل شريف؟!

وعن السياسة والسياسيين قالوا :

- في عـالـم السـيـاسـة عـرفتُ أن رجـال السلطة لا يعـرفـون إلهـاً غـيـر عروشهم ./الـمختار الثقفي
- الإخلاص والنبل والأمانة تصير رذائل في السياسة ./هرتزل
- اعتمد في السياسة على النساء يتبعك الرجال تلقائياً ./هتلر
- إذا طرحتَ سؤالاً على رجل السياسة فإنه يجيبك بطريقة تجعلك عاجزاً عن فهم سؤالك ./أرسطو
- السياسة فن السفالة الأنيقة ./أنيس منصور
- الغباء في السياسة ليس عائقاً ./نابليون
- في السياسة عندما تحتاج إلى الكلام اسألْ الرجال وعندما تحتاج إلى الأفعال اسألْ النساء ./تاتشر
- هو لا يعرف شيئاً ويظن أنه يعرف الكثير إذاً هو سياسي ./برنارد شو
- لغة السياسة تم تصميمها لتجعل الكذب يبدو صادقاً والقتل محترما! / جورج أورويل
- كل الـمحاولات لتجميل السياسة تنتهي بالـحرب ./والتر بنجامين
- السلطة : إدارة الشؤون العامة بما يخدم الـمصلحة الـخاصة ./إمبروس بيرس
- السياسة هي فن منع الناس من التدخل فيما يخصهم ./بول فاليري

١٢ مايو / أيار

في مثل هذا اليوم من العام ٦٠٩م وقعتْ معركة «ذي قار» بين العرب والفرس في الجاهلية . أما عن سبب نشوب الحرب فهو أن كسرى ملك فارس غضب على النعمان بن المنذر ملك الحيرة لأنه رفض تلبية طلبه بإرسال نساء من العرب ليصبحن جواري في قصره!

أرسل كسرى في طلب النعمان ، فتوجس النعمان شراً ، وأودع ماله وأهله عند هانئ بن مسعود الشيباني وتوجه إلى كسرى ، وبالفعل كان ظن النعمان في مكانه فقد قتله كسرى ، وولى مكانه إياساً بن قبيصة ، فقد كانت دولة فارس في ذاك الوقت تُعين الحكام في اليمن!

وطلب منه أن يرسل له مال النعمان وزوجاته ولكن هانئ بن مسعود رفض ، فغضب كسرى وأرسل جيشاً كبيراً ليأخذ المال والنساء عنوة ويقضي على هذا التمرد!

عندها حميت النخوة العربية ، وتوحدت القبائل لأول مرة في تاريخها ، والتقى الجيشان عند ماءٍ يُقال له ذي قار ، ودارت معركة شرسة انتهت بانتصار كاسح للعرب!

يا الله كيف يتكرر التاريخ بحذافيره ، أو لعلنا نحن الذين لا نتعلم من الدروس!

كان العرب قبائل متناحرة ، الفرس يُعيِّنون حكامهم في اليمن ، والرومان يعينون حكامهم في الشام ، ثم لما اتحدوا نخوة وحمية لا تحت راية دين ولا قرآن انتصروا على من كانوا بالأمس أسيادهم ، هذه هي الحقيقة المرة التي نعرفها ونتجاهلها : الأمة التي لا ترحم بعضها لن يرحمها أعداؤها!

والحقيقة الأخرى : عندما اجتمعنا حمية ونخوة كسبنا معركة ، وعندما اجتمعنا ديانةً وقرآناً فككنا الإمبراطوريات التي كانت تستضعفنا وتذلنا!

١٣ مايو / أيار

في مثل هذا اليوم من العام ٨٩٨م توفي «الـمُبرد» أحد جهابذة اللغة العربية على مرِّ العصور ، اسمه الحقيقي محمد بن يزيد ، أما الـمبرد فلقب لحق به لجماله وحُسن وجهه!

جمع الـمبرد أكثر من ضرب من ضروب اللغة ، كان نحوياً فذاً ، ولعله أعلم العرب بالنحو بعد سيبويه ، وكان يحفظ أشعار العرب وأخبارهم ، فكان فوق براعته النحوية من أهل الحكايا

والأخبار ، ومما يروي ، قال :

كنتُ عند «ابن الـماجشون» فجاء بعض جلسائه وقال له : يا أبا مروان ، أعجوبة والله :

خرجتُ إلى بستاني بالغابة ، فتعرض لي لص فقال : اخلعْ ثيابك

قلتُ : لِمَ؟

قال : لأني أخوك وأنا عريان!

قلتُ : فتعريني؟

قال : قد روى مالك أنه لا بأس أن يغتسل الرجل عرياناً!

فقلتُ : دعني حتى أدخل بستاني فأبعث بها إليك .

قال : كلا ، إنما تريدُ أن تبعث إليّ عبيدك فيمسكوني!

قلتُ : أحلف لك .

فقال : رُويَ إلينا من غير واحد أنه لا يمين على الـمُكره .

فقلتُ : والله لأبعثنَ لك بها طيبة من نفسي مع هدية .

فتفكر قليلاً ثم قال : تصفحتُ أمر اللصوص من عهد النبي ﷺ إلى وقتنا فلم أجد لصاً أخذ ربا ، فأكره أن أبتدع ، فخلعتُ ثيابي له!

الشاهد في القصة أن العلم شيء والتقوى شيء آخر ، فاللص كان يعرفُ الأحاديث ، ويُحدث عن الربا!

الأمر لا يختلف عندنا كثيراً ، اليوم تجد عاقًا لو اعتلى منبراً لحدثك بآيات وأحاديث عن البر ، ولصاً يحفظ أشعاراً عن الأمانة ، علم بلا تقوى ولو كان العلم وحده يكفي ما ذمَّ الله أحبار ورهبان أهل الكتاب ، ولو تأملنا قليلاً لعرفنا أن إبليس أعلم الناس بالحلال والحرام ، فرزقنا الله وإياكم العلم مع العمل والعمل مع التقوى!

١٤ مايو / أيار

في مثل هذا اليوم من العام ٩٣٠م وُلد رجاء بن حيوة ، كان من كبار التابعين وعلمائهم ، جمع بين الفقه والهندسة وهو الذي أشرف على الزخارف في قبة الصخرة!

كان مستشاراً لسليمان بن عبد الملك ، وهو الذي أشار عليه أن يولي عمر بن عبد العزيز ، أسأل الله أن يجعل عدل عمر بن عبد العزيز في ميزانه!

كان مرةً يجلسُ مع نفر من أصحابه يتذاكرون نعم الله ، فقال : ما أحد يقوم بشكر نعم الله كما يجب ، فسمعهم رجل على رأسه كساء وقال له : ولا حتى أمير المؤمنين؟

فقال رجاء : وما ذكر أمير المؤمنين هنا؟! إنما هو رجل من الناس!

ثم قام الرجل ومضى ، فعرف رجاء أنه سينقل الكلام إلى سليمان بن عبد الملك ، وكان سليمان مستهيناً في الدماء ، يده والسيف!

فقال لهم رجاء : إن استحلفكم أمير المؤمنين فاحلفوا أننا ما قلنا!

لم يمضِ وقتٌ طويل حتى استدعاه الخليفة وقال له : أتقول وأصحابك أني لا أشكر نعم الله ، وأني رجل من الناس ، تُؤلب القوم عليَّ يا ابن حيوة؟

فقال رجاء : واللهِ ما كان يا أمير المؤمنين!

فأمر سليمان بصاحب الكساء فجُلد ، فمرَّ عليه رجاء وهو متلوث بدمه من أثر السياط فقال له : تحلف كذباً وأنت رجاء بن حيوة؟

فقال له : سبعون سوطاً في ظهرك ولا سيف الخليفة في رقاب المسلمين!

فكان رجاء بن حيوة إذا جلس مجلساً بعد ذلك يقول : احذروا صاحب الكساء!

الشاهد في الأمر أن الحياة أحياناً تضعنا بين خيارين أحلاهما مُرّ!

وقد قال عمر بن الخطاب : ليس الفَطِن من عرف الخير من الشر ، إنما الفطن من عرف خير الشرين!

في حياتنا ، في تعاملنا مع الناس ومشاكلهم ، في العمل ، في الطريق ، نضطر دوماً أن نختار خير الشرين ، يمين كاذبة وسبعون سوطاً ، خير من يمين صادقة وسيف في رقاب المسلمين!

١٥ مايو / أيار

في مثل هذا اليوم من العام ٧٤٨م وُلد مالك بن دينار ، كان عابداً زاهداً ، سمع حديث رسول الله ﷺ من خادمه أنس بن مالك رضي الله عنه!

روى عنه أصحاب الصحاح ، أبو داوود والترمذي والنسائي وابن ماجة والبخاري استشهاداً!

قال عنه الذهبي في سير أعلام النبلاء : من كبار التابعين ، ثقة معروف مشهود له لا يختلف عليه الناس!

دخلَ لصٌّ بيتَ مالك بن دينار فما وجدَ شيئاً يأخذه ، فناداه مالك : لم تجد شيئاً من الدنيا ، أفترغب بشيءٍ من الآخرة؟

قال : نعم

فقال مالك : توضأ وصلِّ ركعتين .

فقام اللص وتوضأ وصلى ركعتين ومضى . .

وفي صلاة الفجر من الليلة ذاتها تقدم منه الرجل بعد أن فرغ من الصلاة وقال له : واللهِ لا أعود لمثلها ، ومضى!

وكانَ مالك بن دينار كلما حدَّث بالقصة قال : رحمه الله جاء ليسرقنا فسرقناه!

هذا الرقي ، هذا النبل ، هذه الرحمة هي التي يفتقدها عصاة المسلمين اليوم من متدينيهم!

الناس دوماً بحاجة إلى من يأخذ بأيديهم إلى الله ، ثمة بذرة خير في كل إنسان مهما بلغ من الشر ، متى ما وضعنا أيدينا على هده البذرة وسقيناها بماء التواضع والرحمة والاهتمام حتى ينقلب حال الناس ، وما أُرسل الأنبياء إلا في العُصاة ، ولو كان الناس أنقياء أتقياء على الدوام لما كانت الرسالات ولا كان الأنبياء ، وإنما كان الله سبحانه يرسل الأنبياء ليعيدوا أقدام الناس إلى الطريق المؤدية إليه ، وإن كانت النبوات قد خُتمت فإن مهمة الأنبياء باقية إلى قيام الساعة ، فهنيئاً لكل من حبب الله إلى خلقه!

١٦ مايو / أيار

في مثل هذا اليوم من العام ٧٠٨م وُلد ابن هرمة ، شاعر غزل أهل المدينة المنورة ، كان من أبخل الناس على ادعائه الكرم في شعره!

أتاه يوماً جماعة ، فقال لهم : ما جاء بكم؟

فقالوا : شِعركَ حيث تقول :

أغشى الطريق بقبتي ورواقها
وأحلُّ في قبب الربى وأقيمُ
إني امرؤ جعل الطريق لبيته
طنباً وأنكر حقه للئيم

فقال لهم : والله ما على الأرض عُصبة أسخف منكم عقولاً!

أما سمعتم قول الله تعالى عنّا معشر الشعراء : «وأنهم يقولون ما لا يفعلون»؟!

واللهِ إني لأقولُ ما لا أفعل ، وأنتم تريدون أن أفعل ما أقول ، واللهِ ما عصيتُ ربي في رضاكم!

يقولُ الناس الكثير والقليل ، وقلما تجد شخصاً يشبه قوله فعله ، فخذوا القول ودعوا القائل ، فكما ترون أنه منذ قديم الدهر وكتابات الناس وأشعارهم في واد ، وأفعالهم وأخلاقهم في واد إلا من رحم ربي فاجعلني اللهم فيمن رحمتَ!

وأزيدكم من الشعر بيتاً ، عن هذا الذي نحن فيه يقول الجاحظ :

الفرزدق زير نساء ، وليس له في هذا بيت شعر واحد! وجرير عفيف لم يعشق امرأةً قط ولكنه من أغزل الناس شِعراً!

١٧ مايو / أيار

اليوم هو اليوم العالـمي ضدَّ رهاب الـمثليَّة!

بمعنى أنكَ إذا سمعتَ أن فلاناً شاذ جنسياً فأصابك الاشمئزاز والقرف منه ، ولم تعد تطيق النظر في وجهه فأنتَ تعاني من رُهاب الـمثلية ، وعليكَ أن تتعالـج قبل أن يفوت الوقت!

أرأيتم إلى أية درجة انقلبت الـمعايير ، صرنا مرضى علينا أن نبحث عن علاج ، وصار الشاذون حالة طبيعية ليس لنا الـحق في رفضها ، وها هم قد أقاموا يوماً لمكافحتنا ، نحن الـمتخلفون ، غير الأسوياء الذين نؤمن بفطرة الله التي فطر عليها الناس ، ونكفر بقرف بعض الناس!

يقول الله سبحانه وتعالى في سورة الأعراف : ﴿ولوطاً إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها أحد من العالـمين﴾!

نص صريح محكم على أن أول شواذ جنسي عرفته البشرية كان في قوم لوط ، وهي ما تُعرف تاريخياً بقُرى سادوم ، وكانت سبع قُرى ، ولوط عليه السلام كان نقياً مثلنا يُعاني من رهاب الـمثلية كما يشخص حالتنا هذا الكوكب الغارق في سفالته وانحطاطه! حاول أن يعيد قومه إلى الصواب وفطرة الله ، ولكنهم أبوا إلا الانسياق وراء غرائزهم الـمريضة ، عندها أمر الله تعالى سيدنا لوطاً أن يترك قومه ويمضي ، أما ما حدث بعد ذلك فيحدثنا عنه ابن كثير!

يقول رحمه الله أن جبريل عليه السلام حمل القرى السبع بطرف جناحه وحلّق بها عالياً ، عالياً جداً ، حتى كاد أن يلصقها بالسماء ، إلى درجة أن الـملائكة في السماء الأولى سمعوا نُباح الكلاب في القُرى ، ثم قلبها رأساً على عقب وأعادها مكانها لتتشكل هناك أكثر مناطق الأرض انخفاضاً عن مستوى سطح البحر!

فإلى كل الأنقياء الأصحاء الذين يُعانون من رُهاب الـمثلية تحية من القلب!

١٨ مايو / أيار

في مثل هذا اليوم من العام ٧٧٨م وُلد في قرطبة «طالوت بن عبد الجبار المعافري» ، كان إمام المذهب المالكي في زمانه ، عالماً عابداً ، ترأسَ علماء الأندلس الذين أرادوا أن يخلعوا الحكم بن هشام لانتهاكه الحرمات!

وحدثتْ فتنة عظيمة ، ألقى فيها الحكمُ القبضَ على كثير من العلماء وقتلهم ، ولكن طالوت اختبأ سنة عند رجل يهودي ، ثم تركه وذهب ليختبئ عند الوزير أبي البسام ، فما كان من أبي البسام إلا أن أبلغ عنه الحكم بن هشام فأمر بإحضاره إلى مجلسه!

ولما حضر بين يديه قال له يُذكره بمعروفه معه : يا طالوت أما قربتك مني كما لم أُقرب أحداً ، ومشيتُ في جنازة امرأتك ، ثم ناديتَ بعد ذلك بسفك دمي!

فقال له طالوت : والله إني لا أنكر معروفك معي ، ولكني أبغضتك لله لما كان منكَ وقد وعظتك ولم تتعظ!

فقال له الحكم : أعلم أن مثلك لا يُحب ولا يبغض إلا في الله وهذا الذي جعلني اليوم أعفو عنكَ ، ولكن أخبرني كيف ظفرَ بك وزيرنا أبو البسام؟

فقال طالوت : أنا الذي أظفرته بنفسي صبيحة هذا اليوم!

فقال : وأين كنتَ في عامك الذي مضى؟

قال : في دار يهودي حفظني لله وخانني وزيرك المسلم وقد أعطاني الأمان!

فسكتَ الحكم بن هشام لدقائق ثم قال لأبي البسام : أخزاكَ الله ، حفظه يهودي لعلمه وورعه وخنته أنتَ لدنياك ، اغربْ عن وجهي ولا أراك في مجلسي ثانية!

هذه هي الدنيا ، قصص مكررة ، قد يحميك من لا تظن أنه يفعل ، وقد يخونك من تظن أنه لا يفعل ، ولقد كان في قصصهم عبرة!

١٩ مايو / أيار

في مثل هذا اليوم من العام ٩٦٥م وُلد في الكوفة «الأعمش» ، اسمه سليمان بن مهران ، ولُقِّب بالأعمش لشدة ضعف بصره!

قال عنه الإمام الذهبي : كان شيخ المقرئين والمحدثين في عصره .

وسُئل شريك القاضي عنه ، فقال : أما لو رأيتم الأعمش ومعه لحم يحمله وسفيان الثوري عن يمينه وأنا عن يساره ، وكلانا ينازعه حمل اللحم عنه في السوق ، لعلمتم أي رجل كان هو!

كان ظريفاً ، خفيف الظلّ ، حلو الدعابة مرحاً ، ومن طرائفه :

- كان له ولد مغفل ، فقال له : اذهب فاشترِ لنا حبلاً للغسيل .

فقال له : يا أبتِ بطول كم؟

قال : بطول عشرة أذرع .

فقال : بعرض كم؟

فقال له : بعرض مصيبتي فيك!

- وجاءه رجل ضخم اللحية ، كبير العمامة ، فسأله سؤالاً بسيطاً في الصلاة ، فقال الأعمش : له لحية من يحفظ أربعة آلاف حديث ، وله سؤال الصبيان في الكتاتيب!

- خرج يوماً إلى الناس وعلى ظهره فروة خروف مقلوبة ، فقال له رجل : يا أبا محمد لو لبستها وصوفها إلى الداخل كان أدفأ لك!

فقال له الأعمش : لو أنكَ تشيرُ على الخراف بهذه المشورة!

- وقال وكيع بن الجراح : جاء يوماً إلى الأعمش قوم لا يحبهم ، فطرقوا عليه الباب ، فخرج إليهم ، وقال لهم : واللهِ لولا أن في منزلي من هو أبغضُ إليّ منكم ما خرجتُ إليكم! وتشاجر بسبب قوله هذا مع زوجته!

٢٠ مايو / أيار

في مـثل هذا اليـوم من العـام ٩٤٨م وُلد «الفـضل بن دكين» ، كـان إمـامـاً في الـحديث ، ذا معـرفـة بالشيـوخ وأنسـابهم ، له باعٌ طويل في علم الرجـال والـجـرح والتعديل ، حدَّثَ عنه البخاريّ كثيراً ، كذلك حدّثَ عنه مسلم!

أدركَ فتنة خلق القرآن أيام الـمأمون والـمعتصم مع الإمام أحمد ، وكان له موقف مشرف ، فسُجنَ ، ولكنه لم يُجلد كما حدث مع الإمام أحمد!

جمع بين العلم وخفة الدم ، فقد كان ظريفاً ، حلو الـمعشر .

دقَّ رجل عليه الباب ، فقال : من هذا؟

فقال الرجل : أنا!

فقال : من أنا؟

قال : رجل من بني آدم!

فخرج إليه الفضل بن دكين واحتضنه وقبله وقال له : مرحباً وأهلاً ، ما ظننتُ أنه بقي من هذا النسل أحد!

تحدثنا فيما مضى عن الشعبي وظرفه وخفة دمه ، وتحدثنا البارحة عن الأعمش وحلو دعابته وخفة ظله ، وها نحن اليوم مع أبي نعيم ، وهي كنية الفضل بن دكين ، والثلاثة كما رأيتم شخصيات متشابهة جمعوا عظيم العلم وخفة الدم والدعابة!

ولا أعرف حقيقة من قال لبعض الـمشايخ أنه لتكون مُهاباً يجب أن تكون فظاً غليظاً لا تضحك للرغيف الساخن كما تقول جدتي!

الأمر أيسر من ذلك يرحمكم الله!

٢١ مايو / أيار

في مثل هذا اليوم من العام ١٢٥٦م وُلد «أبو الـمكنون النحوي» ، كان بارعاً في علم النحو ، يحفظ كتاب سيبويه عن ظهر قلب ، إلا أن عيبه أنه كان متقعراً في اللغة ، يتكلف النطق بالغريب من الألفاظ!

حضرَ أعرابي مجلس أبي الـمكنون ، فإذا به يأمر طلابه أن يتجهزوا لصلاة الاستسقاء ، فقاموا وقام معهم الأعرابي ، فصلى أبو الـمكنون فيهم ركعتين ، ثم رفع يديه يدعو ، فقال :

اللهم ربنا وإلهنا ومولانا من أراد بنا سوءاً فأحِطْ به كإحاطة القلائد على ترائب الولائد ، ثم ارسخه على هامته كرسوخ السجل على هام أصحاب الفيل ، اللهم اسقِنا غيثاً مغيثاً ، سريعاً مجلجلاً ، مُسْحنفراً هزجاً ، شحاً ثجاجاً ، طبقاً غدقاً متغنجراً!

فقال له الأعرابي : يا خليفة نوح هذا الطوفان ورب الكعبة ، دعني آوي إلى جبل يعصمني من الـماء!

والـمتقعرون في اللغة كُثر ، وطرائفهم تحتاج كتاباً وحدها ، منهم أبو علقمة الذي قال يوماً لخادمه : أصقَعَتْ العتاريف؟!

فقال له : زيقيلم!

فتعجب أبو علقمة ، وقال له : يا غلام ما زيقيلم هذه؟

فقال له : وأنتَ ما صقعتْ العتاريف؟

فقال أبو علقمة : معناها أصاحت الديكة؟

فقال خادمه : وزيقيلم معناها لم تَصِحْ بعد!

أحياناً يبكي الـمرء على الـحال التي وصلت إليها اللغة العربية ، ثم عندما يقرأ عن أبي الـمكنون ، وأبي علقمة يحمد الله أنها قد صارت إلى ما نحن عليه اليوم!

٢٢ مايو / أيار

في مثل هذا اليوم من العام ١٠٥٨م توفي» أبو العلاء المعري « ، الذي أوصى أن يُكتب على قبره :

هذا ما جناه عليّ أبي
وما جنيتُ على أحد!

حضر أبو العلاء يوماً مجلس الأمير الشريف الرضي ، فذكروا المتنبي ، وكان الشريف لا يحب شعر المتنبي ، فأخذ يطعن فيه ، ويُضعِّف شعره ويذكر مقابحه ، وكان المعري يحب المتنبي ويكره الشريف الرضي ، فقام وأثنى على المتنبي وقال : واللهِ هو أشعر الناس ولو لم يكن له إلا قصيدته التي أولها «لكِ يا منازلُ في القلوب منازِلُ» لكفته شرفاً وفخراً!

فأمر به الأمير أن يُخرج من مجلسه ويُجلد ، فتعاطف معه بعض من حضروا المجلس وقالوا للأمير : رجل كبير في السن تضربه لقول له عن المتنبي؟!

فقال : الأمر ليس كما قلتم ، وإنما أمرتُ بجلده على تعريضه بي .

قالوا : وكيف ذلك؟

قال : لأنه لم يُفضله بقصيدة من عالي شِعره ، وإنما فضله بتلك القصيدة ، لأنه يقول فيها :

وإذا أتتكَ مذمتي من ناقصٍ
فهي الشهادة لي بأنيَ كاملُ!

فاستحسنوا فهمه ، وحدة ذكائه ، وعذروه في فعله .

وسُئل المعري بعد ذلك عما دار بينه وبين الأمير ، فقال : واللهِ ما أردتُ غير ما فهمَ الأمير!

وإني وإن كنتُ أرفع القبعة لذكاء الشريف الرضي وثقافته ، إلا أني مع المعري في رأيه بالمتنبي ، ما أنجبَت العربُ أشعر منه!

٢٣ مايو / أيار

في مثل هذا اليوم من العام ٧٩٥ م تُوفي «الإمام مالك بن أنس» ، الرجل الذي كانت تُضربُ أكباد الإبل إليه لأجل فتوى لَمِا عُرف عنه من سعة الحفظ ودهاء القياس والاستنباط! ويكفي في هذا المجال قول الشافعيّ عنه ، فلا يحفظ فضل الكبار إلا الكبار ، قال الشافعي : إذا ذُكر العلماء فمالك النجم!

وضع الإمام مالك كتابه الأشهر» الموطأ « وهو أول كتاب في الحديث النبوي الشريف ، ومن تواضعه وأخلاقه لم يكن يتعصب لرأيه حتى ، وكان دائماً يُردد وهو يشير إلى قبر النبي ﷺ : كُل يُؤخذ منه ويُردُّ عليه إلا صاحب هذا القبر!

ولعلّ أشهر ما قيل عنه : لا يُفتى ومالك في المدينة! وللمقولة قصة هي :

توفيت سيدة في المدينة المنورة ، وجيء لها بمُغسِّلة لتغلسها ، ولما صبَّتْ الماء على جسدها ، قالت كثيراً ما زنت ، فالتصقتْ يد المغسلة بجسم الميتة ، بحيث أصبحت لا تقوى على تحريك يدها ، فأغلقت الباب حتى لا يراها أحد ، وهي على هذه الحال ، وأهل الميتة خارج الحجرة ينتظرون تكفين الجثة .

فقالوا لها : أنحضِرُ الكفن؟ فقالت لهم مهلاً ، وكرروا عليها القول ، فقالت مهلاً ، وبعد ذلك دخلت إحدى النساء فرأت ما رأت ، فأخذوا رأي العلماء!

بعضهم قال نقطع يد المُغسلة لندفن الميتة لأن دفن الميت أمر واجب ، وقال بعضهم بل نقطع قطعة من جسد الميتة لنخلّص المُغسّلة لأن الحي أولى من الميت . واحتدم الخلاف!

ثم قال علماء المدينة كيف نختلف وبيننا الإمام مالك ، فذهبوا إليه وسألوه ، وإذا بالإمام يأتي على جناح السرعة ، وبينه وبين المغسلة والميتة باب ، وسألها من وراء حجاب وقال لها : ماذا قلت في حق الميتة؟

قالت المغسلة : يا إمام رميتها بالزنا؟

فقال الإمام : تدخل بعض النسوة على المغسّلة وتجلدها ثمانين جلدةً مصداقاً لقول الله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلاَ تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ .

فدخلت النساء وجلدن المرأة المُغسِّلة ، وبعد تمام الثمانين جلدة ، رفعتْ يدها عن جسد الميتة!

ومن هنا قيل لا يُفتى ومالك في المدينة! فاتقوا الله في أعراض الناس!

٢٤ مايو / أيار

في مثل هذا اليوم من العام ٧٢١م وُلد «أبو العباس السفاح : أول الخلفاء العباسيين ، ولُقِّب بالسفاح لكثرة القتل في عهده ، على أية حال من باب التوصيف لا من باب التبرير أكثر مراحل التاريخ دموية هي التي تكون بين هدم سُلطة وقيام أخرى ، وقد هدم أبو العباس حكم بني أمية وأقام حكم بني العباس!

بعيداً عن الدماء التي سفكها ، فالرجل أفضى إلى ما قدَّم وصار هو وأعماله عند الله كما سنصير جميعاً نهاية المطاف ، غير أن الحق يُقال أنه كان سياسياً محنكاً ، عرف كيف يلعب على التناقضات ، ويستفيد من أخطاء الأمويين ، ليقيم واحدة من أقوى ممالك العرب على مر التاريخ!

كان أبو العباس يوماً مشرفاً على صحن داره ينظر إليها ومعه زوجته ، فأخذتْ تُحرك خاتمها فسقط من يدها في فناء الدار ، فخلع خاتمه وألقاه حيث سقط خاتمها ، فقالت له : يا أمير المؤمنين لِمَ فعلتَ هذا؟

فقال لها : خشيتُ أن يستوحش خاتمك هناك فآنسته بخاتمي!

إن كان ثمة درس يُستفاد من هذه القصة القصيرة ، فهو أنه في داخل كل منا إنسان آخر غير ذاك الذي يظهر للناس! الحياة أحياناً تجبرنا على أن نكون في مواقف لا نريد أن نكون فيها ، وعلى أن نتصرف تصرفات ليستْ نحن على وجه الحقيقة ، في داخل كل إنسان رقة من نوع ما لا تظهر إلا في مواقف ضيقة ، فعلى سبيل المثال يروي ابن كثير أنّ الله أملى لفرعون سنوات طويلة بسبب أنه كان باراً بأمه ، فلما ماتت لم يعد له عند الله شيء يكرمه لأجله ، فأخذه كما يأخذ الطغاة غير مأسوف عليهم!

٢٥ مايو / أيار

في مثل هذا اليوم من العام ٨٦٨م وُلد «محمد بن داود الظاهري» ، كان محدثاً ، فقيهاً ، شاعراً وأديباً ، قال عنه الإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء :

محمد بن داود العلامة البارع ، ذو الفنون ، يُضربُ المثل بذكائه ، وهو صاحب كتاب الزهرة في الآداب والشعر!

كان محمد بن داود جالساً يوماً في المسجد يُدرِّس طلابه ، فدخلَ عليه رجل وأعطاه رقعة ، فأخذها ، وتأمل بها طويلاً ، فظنَّ من في المجلس أنها مسألة في الفقه يسأل الفتوى فيها ، فقلَبَها وكتبَ على ظهرها ، وردها إلى صاحبها!

كان الرجل صاحب الرقعة هو الشاعر علي بن العباس الرومي ، وكان قد كتب فيها :

يا ابن داودَ يا فقيه العراقِ
أفتنا في قواتلِ الأحداقِ
هل عليهنَّ في الجروح قصاصٌ
أم مباحٌ لها دم العشاقِ

أما ردُّ محمد بن داود فكان :

كيف يفتيكم قتيل صريعٌ
بسهام الفراقِ والاشتياقِ
وقتيل التلاقيَ أحسنَ حالاً
عند داود من قتيلِ الفراقِ

كان الفقهاء الأوائل فيهم رقة نفتقدها اليوم ، فعلى سبيل المثال ، قال «الإمام القشيري» في تفسير قول الله تعالى على لسان سليمان متوعداً الهدهد : «لأعذبنه عذاباً أليماً» ، قال العذاب الأليم أن يُفرق بينه وبين أحبته ، فإن فقد الأحبة غربة!

وقال معلقاً على قول الله تعالى ﴿قد شغفها حباً﴾ إن الهوى لا ينكتم!

٢٦ مايو / أيار

في مثل هذا اليوم من العام ٧٢٣م توفي «عبد الـملك بن مروان» ، كان شخصية متناقضة ، يحفظ القرآن عن ظهر قلب ، عالـماً بالفقه والـحديث واللغة ، مثقفاً من الطراز الأول ، سياسياً داهية ، في أخلاقه رقة دوّنها الـمؤرخون ، وفي الـمقابل كان شديداً ، يده والسيف ، وهو الذي سلَّط الـحجاج بن يوسف الثقفي على الـمسلمين فأعمل فيهم السيف ، وتوّج ذلك كله أن قصف الكعبة بالـمنجنيق وصلب عبد الله بن الزبير رضي الله عنه!

كان عبد الـملك يتشوق لرؤية الشاعر الفذ كُثير عزة لكثرة ما سمع عنه ، فلما دخلَ عليه كُثير ، كان قبيح الـمنظر ، قصير القامة ، رث الثياب ، فاستحقره عبد الـملك وقال : أن تسمع بالـمعيدي خير من أن تراه!

فثارت كرامة كُثير عزة وقريحته الشعرية معاً ، وقال له شعراً :

ترى الرجل النحيف فتزدريه
وفي أثوابه أسدٌ هصورُ
ضعاف الأسد أكثرها زئيراً
وأصرمها التي لا تزيرُ
بُغاثُ الطير أطولها رقاباً
ولم تطل البزاة ولا الصقورُ
وقد عظمُ البعير بغير لُبٍّ
فلم يستغنِ بالعظَم البعيرُ
يقوده الصبيُّ بكلِ أرضٍ
وينحره على التربِ الصغيرُ

فقال له عبد الـملك : لله درك ، ما أفصح لسانك ، وأضبطَ جنانك ، وأطول عنانكَ ، واللهِ إنك كما وُصفتَ لَي

وقام إليهِ فعانقه ، واعتذر منه ، وقربه إليه ورفع مجلسه!

ما بالـمظاهر يُقاس الناس ، ولا قيمتهم بما يملكون وإنما بما يعطون ، وإنما الـمرء بعقله وقلبه ولسانه ، لا بثيابه ومظهره ونسبه ، كان بلال بن رباح يُباع قبل الإسلام في الأسواق بدراهم معدودة ، ولكن كان له قلب وعقل جعل النبي ﷺ يقول له : أخبرني بأرجى عمل عملته في الدنيا فإني سمعتُ دفَّ نعليكَ في الـجنة!

٢٧ مايو / أيار

في مثل هذا اليوم من العام ٧٨٥م تُوفي الـخليفة العباسي الـمهدي عن عمر أربعين سنة وخلفه في الـحكم ابنه هارون الرشيد!

قعدَ الـخليفة الـمهدي يوماً للناس يدخلون عليه ، هذا الذي يرفع إليه شكوى ، وذاك الذي يمدحه بشعره ، ولما انتصفَ النهار دخلَ عليه رجل وفي يده حذاء ، ثم قال : يا أمير الـمؤمنين هذه نعلُ رسول الله ﷺ وقد جئتُ أهديها لك!

فقام الـمهدي عن كرسيه ، وأخذ النعل وقبّلها ، وقال للرجل : نِعمَ ما جئتَ به يا هذا!

وأمرَ له بعشرة آلاف درهم فأخذها الرجل وانصرف!

بعد أن غادر الرجل مجلس الـخليفة ، قال الـمهدي لجلسائه :

واللهِ إني لأعلمُ أن رسول الله ﷺ لم يرَ هذه النعل فضلاً عن أن يكون لبسها! غير أني لو كذبته لقال للناس : جئتُ أمير الـمؤمنين بنعل رسول الله ﷺ فردّها عليَّ! وكان من يُصدقه أكثر ممن يُكذبه فشأن العامة الـميل إلى أشكالها ، ونصرة الضعيف على القوي ولو كان الضعيف ظالـماً ، فاشترينا لسانه ، وقبلنا هديته ، وصدقنا قوله ، ورأينا الذي فعلنا أنجح وأرجح وأسلم!

في القصة درس عظيم للحياة مفاده :

أحياناً عليكَ أن تُراعي الناس لتسلم ، فإنك لو وقفتَ لكل قائل عند قوله ، ولكل فاعل عند فعله ، لصرتَ أنت الـجاني مع أنك الضحية ، وقد صدق الإمام أحمد يوم قيل له : تسعة أعشار العقل في التغافل ، فقال : بل العقل كله في التغافل!

وصدق الشاعر يوم قال :

ليسَ الغبي بسيد في قومه
ولكن سيد قومه الـمتغابي!

٢٨ مايو / أيار

في مثل هذا اليوم من العام ١١٠٠م وُلد «ابن الزقاق البلنسي» اسمه علي بن عطية ، والبلنسي نسبة إلى مدينة بلنسية الأندلسية والمعروفة اليوم بفالنسيا ، كان شاعراً غزلياً من الطراز الأول ، له أبيات عذبة ، جمع فيها بين الظرافة والجنون ، كثرت حبيباته فكثر فيهن شعره!

عشق امرأةً كان يلقاها كل يوم سبت ، فأنشد يقول أنه يُفضِّل السبت الذي هو عطلة اليهود ، على الجمعة الذي هو عطلة المسلمين ، فلُقيا المحبوبة عنده عيد ولو كان يوم السبت!

وحُبِّبَ يوم السبت عندي أنه
ينادمني فيه الذي أنا أحببتُ
ومن أعجب الأشياء أني مسلم
حنيفٌ ولكن خير أيامي السبتُ

وعشق مرة امرأة نحيفة ، وكان يحبُّ النساء الممشوقات رفيعات الخصر ، فأنشد فيها شعراً يفديها فيه بأبيه وكل عائلته :

بأبي وغير أبي أغنٌّ مهفهفٌ
مهضوم ما خلف الوشاح قميصه
لبسَ الفؤاد ومزقته جفونه
فأتى كيوسف حين قُد قميصه!

وإنصافاً لابن الزقاق ، ما جاء الحب إلا وكان الجنون والهياط والمبالغة معه ، ومن طريف ما قرأتُ في هذا الباب روى ابن عساكر في تاريخ دمشق قال :

مرَّ سليمان عليه السلام بعصفور يُكلم عصفورة :

فقال لأصحابه : أتدرون ما يقول لها؟

قالوا : وما يقول يا نبي الله؟

قال : يقول تزوجيني أسكنكِ أي قصور دمشقَ شئت!

وإنه عرف أن قصور دمشق مبنية من الصخر لا يَقدر أن يسكنها ، لكن كل خاطب كذّاب!

٢٩ مايو / أيار

في مثل هذا اليوم من العام ٩٥٥م توفي «ابن السّمَّاك» ، كان فقيهاً محدثاً ، قال عنه الدارقطني :كان من الثقات ، وقال عنه الخطيب البغدادي : كان ثقة ثبتاً ، وقال عنه الإمام الذهبي : صدوق في نفسه لا يُتهم ولكنه روى عن بعض من يُتهمون!

غلبَ على ابن السماك الزهد والورع ، فكان يدخل على الخلفاء ولا يحابيهم ، ويعظهم ويرفض أن يأخذ من دنياهم شيئاً!

دخلَ يوماً على هارون الرشيد ، فلما صار بين يديه قال له الرشيد : عظني يا ابن السماك ، وأوجِز!

فقال له : كفى بالقرآن واعظاً يا أمير المؤمنين ، قال الله تعالى : ﴿ويل للمطففين﴾! وهذا وعيد لمن طففَ في الكيل فما ظنك فيمن أخذه كله ، فاتقِ الله في نفسك!

وقال له الرشيد مرةً ، عظني ، وكان في يد الرشيد شربة ماء

فقال له ابن السماك : لو مُنع منك الماء بما كنت تفتديه لتحصل عليه؟

قال : بملكي كله!

فقال له : لو شربته وحُبس في جسمك بما كنت تفتديه لتتخلص منه؟

قال : بملكي كله!

فقال له : لا خير في مُلك لا يساوي شربة ولا بولة!

رحم الله فقهاءنا الأوائل ، زهدوا في دنيا الحكام ، فأورثهم الله مهابة ، حتى ليدخل أحدهم على الخليفة فيأمر وينهى ، ويَسمع منهم الحكام لأنهم قد علموا أنهم لا يريدون إلا وجه الله ، ثم دار الزمان دورته وطُلبت الدنيا بالدين ، فما عاد الحاكم يستدعي العالِم إلا ليطلب منه فتوى على هواه لأنه علم أنَّ هذا إنما يأكل بدينه!

٣٠ مايو / أيار

في مثل هذا اليوم من العام ٩٩١م تُوفي ابن حمدون النديم ، والنديم لقب لحق به لأنه كان نديماً للخلفاء العباسيين الثلاثة : الـمعتضد ، والـمعتمد ، والـمكتفي! قرَّبه الـخلفاء منهم لِما كان يحفظ في القصص والأخبار والأشعار ، فقد كان راوية من الطراز الأول!

يقول ابن النديم إن الـخليفة الـمعتضد العباسي كان قد شرط علينا أننا إذا رأينا منه شيئاً ننكره أن نقول له ، وإن رأينا منه عيباً واجهناه به ، فقلتُ له يوماً : يا أمير الـمؤمنين ، في قلبي شيء أردتُ سؤالك عنه منذ سنين!

فقال : ولِمَ أخرته إلى اليوم؟

قلتُ : لاستصغاري قدري ولهيبتك!

فقال : قُل ولا تخفْ!

قلتُ : اجتاز مولانا ببلاد فارس فتعرض الغلمان للبطيخ الذي كان في تلك الأرض ، فأمرتَ بضربهم وحبسهم وكان ذلك كافياً ، ثم أمرتَ بصلبهم وما كان ذنبهم يجوز عليه الصلب!

فقال : أوتحسبُ أن الـمصلوبين كانوا أولئك الغلمان؟! وبأي وجه ألقى الله لو صلبتهم لأجل البطيخ؟ وإنما أمرتُ بإخراج قوم من قطاع الطرق كانوا قد استولوا على قافلة وقتلوا من فيها ، فألبستهم ثياب الغلمان وصلبتهم أمام جنودي حتى يقولوا : صلبَ أمير الـمؤمنين أخصَّ غلمانه ومساعديه في شأن بطيخ سرقوه فكيف يفعل بغيرهم!

صدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ومن يُؤتَ الـحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً﴾!

درسان عظيمان في الـحكم يُستفادان من هذه القصة :

الأول : رائع هو الـحاكم الذي يكون شرطه في حاشيته ومساعديه وفق مبدأ عمر بن الـخطاب : رحم الله من أهدى إليَّ عيوبي!

الثاني : حزم الـحاكم على من حوله مدعاة للناس أن يلتزموا بالقانون ، لأنهم يقولون لم يرحم من حوله عندما خرجوا على القانون أفيرحمنا نحن ، وبالـمقابل إذا عاثت بطانة الـحاكم تبعهم الناس في فسادهم هذا ولطالـما كان الناس على دين ملوكهم!

٣١ مايو / أيار

في مثل هذا اليوم من العام ٧٢٢م وُلد «سَرِيُّ السقطي» في بغداد ، كان من أعلام التصوف الخالي من البدع في القرن الثالث الهجري ، وهو خال الإمام الجُنيد!

يقول «سرِيُّ السقطي» : منذ ثلاثين سنة وأنا في الاستغفار من قولي الحمد لله!

فقيل له : تستغفرُ من قولك الحمد لله؟

فقال : نعم ، ذاك أنه وقع ببغداد حريق ، فلقيني رجل فقال لي : احترق السوق ونجا حانوتك

فقلتُ : الحمد لله ، فأنا نادم من ذلك الوقت حيث أردتُ لنفسي خيراً من دون الناس!

رائع هذا النُبل ، يلوم نفسه على فرحه بنجاة دكانه من الحريق بينما احترقت دكاكين الناس ، لقد أراد الخير لهم كما أراده لنفسه ، ويا لقلوب هؤلاء الناس الذين لا تسرهم نجاتهم إذا هلكَ الناس لأنهم يريدون أن ينجوا ويسلم الجميع ، على أنه لا شيء في قوله الحمد لله ، ولكنه الإحساس العالي بالناس!

ترك السقطي أقوالاً جميلة منها :

- الأدب ترجمان العقل!
- من خافَ الله خافه كل شيء!
- من علامات الاستدراج للعبد عماه عن عيبه واطلاعه على عيوب الناس!
- احذرْ أن تكون ثناءً منشوراً وعيباً مستوراً!
- التوكل هو الانخلاع من حولك وقوتك إلى حول الله وقوته!
- من لم يعرف قدر النِعم سُلبت منه حتى يعلم قدرها!
- أحسن الأشياء خمسة : البكاء على الذنوب ، وإصلاح العيوب ، وطاعة علام الغيوب ، وجلاء الران عن القلوب ، وأن لا تكون لما تهوى ركوب!

١ يونيو / حزيران

في مثل هذا اليوم من العام ٧٦٧م توفي الدارميّ ، اسمه الحقيقي «سعيد» أما اللقب الذي غلب عليه فهو «مسكين» حتى ظنّ الناس أنه اسمه الحقيقي ، ولحق به هذا اللقب بسبب بيتيه الشهيرين اللذين يقول فيهما :

أنا مسكينٌ لمن أنكرني
ولمن يعرفني جدّ نطق
لا أبيع الناس عرضي إنني
لو أبيع العرض مني لنفق

كان في أول أيامه يُكثر من شعر الغزل ، ثم ما لبث أن تركه وتنسَّك وسكن المدينة المنورة وأقبل على شعر الزهد ، ثم إن صديقاً له من الكوفة جاء إلى المدينة لبيع خُمر/جمع خمار ، فباع كل الخُمر الملونة إلا السوداء منها بقيت بضاعة كاسدة في وجهه ، فشكا إليه عدم رواج تجارته ، فقال له الدارمي : لا عليكَ سأبيعها لك!

فقامَ وأنشد :

قل للمليحة في الخمار الأسود
ماذا فعلتِ بناسك متعبدِ
قد كان شمَّر للصلاة ثيًابه
حتى وقفتِ له بباب المسجدِ
رُدي عليه صيامه وصلاته
لا تفتنيه بحق دين محمدِ

فانتشرتْ الأبيات بين الناس انتشار النار في الهشيم ، وأقبلَت النساء على الخُمر السود ، وباع الكوفي بضاعته ومضى في سبيله وعاد الدارمي لتنسكه وعبادته!

يُقال أن هذه الأبيات كانت أول إعلان تجاري في التاريخ ، ثم بعد ذلك صارت الإعلانات التجارية مهنة لصوصية ليس فيها من المتعة شيء ، ليتهم تعلموا كيف يخدعونا بطريقة الدارمي العذبة ، على الأقل كنا وجدنا مقابل ما ندفع بعض السحر الأدبي!

٢ يونيو / حزيران

في مثل هذا اليوم من العام ٧٨٦م وُلد الخليفة العباسي «المأمون» ، تبنى أفكار المعتزلة وليس له سُبَّة غير هذه ، وإلا فإنه بحق واحد من أروع الخلفاء في التاريخ ، كان مثقفاً من الطراز الأول ، مُحِباً للعلم والشعر ، جرتْ في عهده أكبر عملية ترجمة كتب في التاريخ ، حيث كان يعطي على الكتاب المُتَرجم إلى العربية وزنه ذهباً ، وبرأيي هو الذي أثبتَ أن اللغة العربية تصلح أن تكون لغة علوم وفكر وفلسفة وليست لغة شعر وغزل وأدب فقط! هذا من ناحية بشرية صِرفة ، وإلا فالقرآن الكريم أثبتها من قبل!

كان حليماً قلَّما يغضب! دعا يوماً ولاته على الأمصار لاجتماع ، وهم في غمرة اجتماعهم إذ نادى على خادمه فلم يرد عليه ، فناداه مرة ثانية فلم يرد عليه ، وفي الثالثة خرج الخادم وبيده قطعة خبز وقال : ما هذا القصر الذي لا يستطيع فيه عبد أن يأكل لقمته!

أطرقَ المأمون وقبضَ على لحيته ، وغطّى الولاة وجوههم بثيابهم خوفاً من أن يصيبهم دم العبد ، ولكن المأمون رفع رأسه وقال : إن الملوك إذا حسنت أخلاقها ساءت أخلاق عبيدها ، وإذا ساءت أخلاقها حسنت أخلاق عبيدها ، وإنني لا أشتري حسن أخلاق عبيدي بسوء أخلاقي ، اذهبْ عني!

وجاءه يوماً أعرابي وقال له : أنا رجل من الأعراب .

فقال له : لا عجب .

قال : إني أريد الحج .

قال المأمون : الطريق واسعة .

قال الأعرابي : وليس معي نفقة . . .

قال له : سقط عنك الحج .

فقال الأعرابي : يا أمير المؤمنين جئتك مستعطياً لا مستفتياً .

فضحك المأمون وأمر له بمال يعينه على الحج!

لعل اعتناق المأمون للاعتزال لنعرف أن الكمال لله وحده ، وإلا فالرجل كان رجل دولة من الطراز الأول ولكن كما تقول جدتي : الزين ما يكمل!

٣ يونيو / حزيران

في مثل هذا اليوم من العام ١٥٢٠م تولى السلطان سليمان القانوني خلافة الدولة العثمانية ، بقي في الحكم مدة ٤٦ سنة تُعتبر أكثر فترات الحكم العثماني روعة وقوة ، فتح فيها بلاداً كثيرة في أوروبا ، وسن القوانين ، وأقام التنظيمات السياسية والإدارية ، وهذا سبب لقبه القانوني ، أما أوروبا فكانت تُسميه سليمان العظيم!

كان زاهداً ، لم يفتنه الحكم ، ولم تفسده السياسة ، وهو القائل : عندما أموت اخرجوا يديَّ من التابوت حتى يعلم الناس أن حتى السلطان يخرج من الدنيا فارغ اليدين!

كان قريباً من الناس ، يُحبهم ويحبونه ، دخلتْ عليه امرأة عجوز مرةً تشكو إليه سرقة أغنامها

فقال لها : ولِمَ لمْ تسهري على غنمك؟

فقالت له : ظننتُك ساهراً علينا ، فنمت!

فقال لمن حوله : أعطوها ثمن أغنامها فنحن الذين ضيعناها لها!

درس عظيم في الحكمة والسلطة ، ليس للحكام والساسة فقط وإنما لنا نحن العامة أيضاً ، كل واحد منا سلطان في مجاله ، الأب سلطان في بيته وعليه أن يكون ساهراً حتى لا يُسرق أولاده منه ، والأم سلطانة في بيتها وعليها أن تبقى ساهرة حتى لا يُسرق أولادها منها ، اللصوص كُثُر هذه الأيام ، الإعلام لص ، والأفكار المريضة لص ، ورفاق السوء لصوص!

مدير المدرسة سلطان ، ومدير الشركة سلطان ، حتى البواب والحارس الليلي ، سلاطين في أماكن عملهم ، لو تعلّم كل منا أن يقوم بواجبه ، ويُلقي بالتقصير على نفسه بدل أن يتهم الآخرين به ما كانت حالنا كما هي اليوم!

٤ يونيو / حزيران

في مثل هذا اليوم من العام ٨٦٨م توفي الـجاحظ أسطورة النثر العربي! والكلام عن الـجاحظ يطول ، وكل الكلام لا يكفيه ، ولكن أختار أن أحدثكم عن سمة واحدة من سمات أدبه وهي أنه كان صاحب روح رياضية إلى أبعد حد ، يروي الأشياء كما هي وإن كانت عليه!

كان الـجاحظ دميماً قبيحاً في مظهره ، ولم يكن هذا يزعجه ، كان متصالحاً مع نفسه يروي الطرائف حول هذا فيقول :

كنتُ في أحد حوانيت بغداد إذ جاءت امرأة قبيحة ، فقلتُ : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وإذا الوحوش حُشرتْ﴾

فقالت : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وضربَ لنا مثلاً ونسي خلقه﴾!

ومما يرويه في هذا الباب يقول : جاءتني امرأة وقالت أريد أن تسدي إليّ معروفاً فامشِ معي!

فمشيتُ معها حتى دخلتْ حانوت صائغ وقالت له : مثل هذا!

ومضتْ في طريقها ، فسألتُ الصائغ عن الأمر ، فقال لي : إن هذه جاءتني تريد أن أنقش على خاتمها وجه الشيطان ، فقلتُ لها : لا أعرف وجهه!

فقالت لي : أنا آتيك به تنظر إليه!

ومن طرائف ما يروي في مجال آخر يقول :

سألني بعضهم كتاباً بالوصية إلى أحد أصحابي ، فكتبتُ له رسالة وختمتها ، فلما خرج من عندي فتحها ، فإذا فيها : كتابي إليك مع من لا أعرفه ، فإنْ قضيتَ حاجته لم أحمدك ، وإن رددته لم أذمك!

فرجع إليّ الرجل غاضباً ، فقلتُ له : كأنك فتحت الرسالة!

قال : نعم .

فقلتُ : لا يضرك فهذه علامة لي إن أردتُ أن أوصي لأحد .

فقال لي : قطع الله يديك ورجليك .

فقلتُ له : ما هذا؟

فقال : هذه علامة لي إن أردتُ أن أدعو لأحد!

٥ يونيو / حزيران

في مثل هذا اليوم من العام ٥٦٠م تُوفي «السموأل» ، الشاعر الذي تضربُ به العرب الـمثل في الوفاء ، فتقول : فلان أوفى من السموأل!

وهي بهذا تقر أنه لا أوفى من السموأل ، كقولها : فلان أكرم من حاتم ، فهي تقر لحاتم بالكرم ولكن من باب الـمدح ليس إلا فإنهم يستخدمون أفعل التفضيل!

كان السموأل يهودياً عاش وماتَ قبل البعثة الشريفة ، واسمه مُعَرَّب من الاسم العبراني «شموئيل» أي الشخص الذي أسماه الله!

أما قصة وفائه فهي إن امرؤ القيس بعد مقتل أبيه أودع عند السمؤال مالاً وسلاحاً وذهب قاصداً قيصر ليعينه على استرداد ملك أبيه ، ووثّق ترحاله هذا ببيتيه الـخالدين :

بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه
وأيقن أنّا لاحقان بقيصرا
فقلتُ له : لا تبكِ عينك إنما
نحاول مَلكاً أو نموت فنعذرا

وبالفعل مات امرؤ القيس قبل أن يستعيد ملك أبيه ، ولُقِّب بالـملك الضليل ، ثم إن ملك كنده جاء قاصداً السموأل يريد تركة امرؤ القيس ، فأبى السموأل أن يعطيها إلا للورثة لا لمغتصب الـمُلك! وتحصن السموأل داخل حصنه عادة اليهود في ذاك الزمان ، وكانت الـمفاوضات قد اتجهت إلى طريق مسدود ، حتى جاء ابن السموأل وكان في رحلة صيد ، فأمسكه ملك كنده ، وقال للسموأل : إما أن تدفع لي بتركة امرىء القيس أو ذبحتُ ابنك!

فقال السموأل : ذبح ابني أمام ناظري أهون من أن تقول العرب لقد خان السموأل أمانته!

فما كان من ملك كنده إلا أن ذبح ابن السموأل ومضى في طريقه ، وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يُؤده إليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائماً﴾!

٦ يونيو / حزيران

في مثل هذا اليوم من العام ٧٨٠م وُلد أحمد بن حنبل ، وليتني أعرفُ ما الذي كان بينه وبين الله حتى رفعه إلى هذه المكانة ، حتى أن الأمة لتقول : حفظ الله الإسلام باثنين بأبو بكر يوم الردة وأحمد يوم الفتنة!

والفتنة يقصدون بها فتنة خلق القرآن عقيدة المعتزلة التي تبناها المأمون ومن بعده أخيه المعتصم ، ووقف الإمام كالجبل أمامها حتى انتهى الأمر إلى أن جلدوه على مرأى من الناس!

يقول عبد الله بن أحمد بن حنبل : كثيراً ما كنتُ أسمعُ أبي يقول : اللهم اغفِرْ لأبي الهيثم ، اللهم ارحم أبا الهيثم

فقلتُ له : ومن أبو الهيثم يا أبتِ؟

فقال لي : رجل من الأعراب لم أرَ وجهه! الليلة التي سبقتْ جلدي وضعوني في زنزانة ضيقة ، فوكزني رجل وقال : أأنتَ أحمد بن حنبل؟

قلت : أجل

قال : أتعرفني؟

قلتُ : لا

قال : أنا أبو الهيثم ، اللص ، شارب الخمر ، قاطع الطريق ، مكتوب في ديوان أمير المؤمنين أني جُلدتُ ثماني عشر ألف جلدة متفرقة ، وقد احتملتُ هذا في سبيل الشيطان ، فاصبِرْ أنتَ في سبيل الله يا أحمد!

ولما أوثقوني ، وبدأ الجلد ، كنتُ كلما نزل السوط على ظهري تذكرتُ كلام أبي الهيثم ، وقلتُ في نفسي : اصبِرْ في سبيل الله يا أحمد!

سبحان من يُؤيد هذا الدين بالبَرِّ والفاجر ، وبالتقي والفاسق!

وسبحان من جعل الحق محبوباً عند الناس ولو مالوا عنه ، وجعل الباطل مكروهاً ولو فعلوه!

٧ يونيو / حزيران

في مثل هذا اليوم من العام ٨١٨م تُوفي «عبد الله بن محيريز» ، كان من كبار التابعين ، وأدرك كبار الصحابة ، وتربى في بيت أبي محذورة مؤذن النبي ﷺ لأن أباه توفي وهو صغير فتزوجت أمه أبا محذورة .

قال عنه الذهبي في سير أعلام النبلاء : كان من كبار العلماء العاملين ومن سادة التابعين!

وقال عنه رجاء بن حيوة : إن يفخر علينا أهل المدينة بعابدهم عبد الله بن عمر فإنا نفخر عليهم بعابدنا ابن محيريز! وطبعاً هذه مبالغة من رجاء بن حيوة فأجر الصحبة لا يعدله شيء ثم هذا ابن عمر!

دخل عبد الله بن محيريز دكاناً يريدُ أن يشتري ثوباً ، فقال رجل قد عرفه لصاحب الدكان : هذا فقيهنا ابن محيريز فأحسِنْ بيعه!

فغضب ابن محيريز ، وألقى الثوب من يده وقال : إنما نشتري بأموالنا ولا نشتري بديننا!

ما أروعها من عبارة : إنما نشتري بأموالنا ولا نشتري بديننا!

رحم الله فقهاءنا الأوائل ، كانوا يخافون على دينهم من الدنيا ، حتى أن أحدهم لا يرضى أن يحسم له البائع من ثمن الثوب لأنه فلان ، كان يرى أن هذا المبلغ الزهيد المحسوم هو أكل بالدِّين!

ورحم الله الشافعي يوم قال : أن أترزق بالرقص أحبَّ إليَّ من أن أترزق بالدين!

ثم دار الزمان دورته ، وصارت الحال على الشكل الذي تعلمون ، عمائم تُباع وتُشترى ، وفتاوى مدفوعة الثمن ، أصلحَ الله لهذه الأمة ما أفسدته بنفسها!

٨ يونيو / حزيران

في مثل هذا اليوم من العام ٨٠٢م توفي أبو الأسود الدؤلي ، كان ذكياً نابغة ، فقيهاً شاعراً ، لغوياً لا يُشق له غبار ، ويُقال أنه هو الذي وضع علم النحو ، وبرأيي أن النحو إنما بدأ على يد الخليل بن أحمد الفراهيدي ، واكتمل على يد تلميذه سيبويه ، أما الذي وضعه أبو الأسود فهو علامات الإعراب ، ونقط الحروف العربية بأمرٍ من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب!

ربطته بعلي بن أبي طالب صداقة وثيقة ، فخاض معه الحروب كلها ، وكان يحبه جداً ، حتى أنه نقشَ على خاتمه : يا غالب فوق كل غالب ارحمْ عليّ بن أبي طالب ، وحُقَّ لأبي الأسود من ذا لا يُحبُّ علياً رضي الله عنه!

ولأن الكمال لله وحده ، ولأن الزين ما يكمل كما اعتدنا أن نرى في سيرة الخلفاء والنُحاة ووجوه الناس ، فقد كان أبو الأسود شديد البخل!

كان بين يديه طعام إذ جاءه أعرابي واشتهى طعامه ، فقال له : يا أبا الأسود إني قد مررتُ على أهلك

فقال له : هم في طريقك

- فوجدتُ امرأتك حُبلى
- كذلك تركتها
- وقد وضعتْ
- لا بد أن تضع!
- قد وضعتْ توأمين ذكرين
- كذلك كانت أمها
- فمات أحدهما
- ما كانت لتقوى على إرضاع الاثنين
- فمات الآخر
- حزناً على أخيه
- قد ماتت أمهما
- ما كانت لتعيش بعد فقد ولديها

- إن طعامك لذيذ

- لهذا أكلته وحدي!

والقصة ليست من باب الذم بقدر أن نعرف أنه ما من إنسان إلا وفيه عيب!

لربما كان كريماً ولكنه سريع الغضب!

ولربما كان ذكياً لكنه لا يحسن أن يصوغ جملة في مجلس!

ولربما كان فقيهاً ولكنه لا يعرف كيف يخالط الناس!

ولربما كان تاجراً ناجحاً ولكنه رب أسرة سيء!

علينا أن نعرف هذه الحقيقة ونحن نتعامل مع الناس!

٩ يونيو / حزيران

في مثل هذا اليوم من العام ١٨٧٠م توفي الروائي الإنكليزي «تشارلز ديكنز» صاحب الرواية الشهيرة «أوليفر تويست» والذي يُعدّ بإجماع النقاد أعظم روائي إنكليزي في العصر الفيكتوري!

تميز أدب تشارلز ديكنز بالدعابة الممزوجة بحس عال من السخرية ، ولطالما كان الأدباء الساخرون أبرع من غيرهم على مر العصور ، فالكّتابة الساخرة تحتاج إلى عنصرين أساسيين لا غنى عنهما هما : الفكرة الذكية واللغة السهلة!

وهذه لازمة في كل الأدب الساخر عند كل الشعوب ، فعلى سبيل المثال إن لغة الجاحظ في كتابه البخلاء الذي هو كتاب ساخر أسهل منها في تحفته الأدبية البيان والتبيين!

وحتى في العصر الحديث نجد أن مسرحيات الماغوط الساخرة أقل تعقيداً في لغتها وفكرتها من قصائده النثرية!

والذي يقرأ قصائد أحمد مطر من النادر أن يعثر على مفردة صعبة في ديوانه ، بل هي لغة تصل حداً من السلاسة تُشبه اللغة المحكية ، ولكنك إذا جئتَ لتتأمل الفكرة ، وجدتها عميقة جداً ، أعمق من كل الكلام المنمق الذي قد يُقال حول نفس القضية!

ومن أقوال تشارلز ديكنز الجميلة :

- كُنْ مبتهجاً حتى العاشرة صباحاً وسوف يتكفل بقية اليوم بنفسه!
- لا أستطيع أن أجلس تحت سلطة رجل دين يتصرف كأنه أخذ تذكرة ذهاب إلى الجنة!
- هناك بعض الكتب يكون غلافها أفضل جزء فيها!
- صحيح أن الأرض كانت موجودة قبل مجيئك ولكن عليكَ أن لا تتركها كما كانت عندما تغادرها!
- لا تخشَ الرفض ، من يرفضك صادقاً أفضل ممن يتقبلك كاذباً!
- لا يوجد شخص غير مفيد في هذا العالم ما دام يستطيع تخفيف عبء الحياة عن شخص آخر!
- يبدأ الإحسان من بيتك ، ويبدأ العدل في تعاملك مع جارك!
- نحن نقوم بصناعة الأغلال التي نرتديها!
- حتى أضخم الأبواب مفاتيحها صغيرة!

١٠ يونيو / حزيران

في مثل هذا اليوم من العام ١٢٠٣م تُوفي الرائع «ابن الجوزي» ، وعُرف بابن الجوزي لشجرة جوز كانت في داره ولم تكن في البلدة شجرة جوز غيرها!

من أكثر العلماء المسلمين تأليفاً وتصنيفاً ، له ما يُقارب الثلاثمئة كتاب ، حتى قال عنه الإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء : ما علمتُ أن أحداً من العلماء صنّفَ ما صنّفَ هذا الرجل!

فالممتع في كتابه الأذكياء ، وخفيف الظل في كتابه أخبار الحمقى والمغفلين ، والمؤرخ في كتابه تاريخ الأمم والملوك ، والوَرِعُ في كتابه التذكرة في الوعظ ، والتقي في كتابه صفوة الصفوة ، يأخذك من نفسك حين تقرأ له!

الكثير من العبارات التي قالها تصلح أن تكون حكمة لليوم ، أو تغريدة مميزة ، ومن الجمال المتناثر في كتبه ما يلي :

- زمّار الحي لا يطرب!
- الكُتب هم الأولاد الخالدون!
- ويحكَ إن عصيتَ المُغيث فبمن تستغيث!
- أشد أنواع العقوبات أن تنحرف ويوهمك الشيطان باستقامتك!
- إن مشقة الطاعة تذهب ويبقى ثوابها ولذة المعصية تذهب ويبقى عقابها!
- إذا أردتَ أن تُغيِّر ما بك من الكروب فغيِّر ما بك من الذنوب!
- إذا وجدتَ في قلبك ظلمة بعد معصية ارتكبتها فاعلم أن في قلبك نوراً لولاه ما وجدت تلك الظلمة!
- إذا خرقتَ ثوب دينك بالمعاصي فارقعه بالاستغفار!
- إذا جلستَ في ظلام الليل بين يدي الله فاستعمل أخلاق الأطفال فإن الطفل يبكي حتى يأخذ ما يريد!
- الطريق إلى الله ليست مما يُقطع بالأقدام وإنما بالقلوب!
- النِعم إذا شُكرت استقرتْ ، وإذا كُفِرتْ فرَّتْ!

١١ يونيو / حزيران

في مثل هذا اليوم من العام ١٢٩٢م وُلد صديقي «ابن القيِّم» مخطئ من يظن أنك بحاجة إلى أن تلتقي بأحدهم ليكون صديقك ، ثمة أشخاص حين تقرأ لهم تعرف في قرارة نفسك أنكما لو التقيتما لكنتما صديقين وليتني نلتُ هذا الشرف!

ابن القيم الذي يأخذك في رحلة ممتعة مع النبي ﷺ من الـمولد حتى الوفاة في كتابه « زاد الـمعاد» ، والذي يملأ قلبك شوقاً للجنة في كتابه «حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح» ، والذي يُزهدك في الدنيا في كتابه «مدارج السالكين» ، والـمحاور البارع في كتابه «هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى» ، الـمثقف في كتابه «أمثال القرآن» ، الـموسوعي في كتابه «بدائع الفوائد» ، الفيلسوف في كتابه «الروح والنفس» ، واللغوي البارع في كتابه «الكافية الشافية في النحو» ، هذا الرجل لم يأتِ إلى هذه الأرض من أمثاله إلا القليل!

في كتبه جُمل تستوقفك حتماً ، هذه بعضها :

- من أُلهمَ الدُعاء فقد أُريد له الإجابة!
- على قدر صلاح النوايا تأتي العطايا!
- لا يُبتلى الإنسان دوماً ليُعذّب وإنما قد يُبتلى ليُهذّب!
- لو علم الـمتصدق أن صدقته تقع في يد الله قبل أن تقع في يد الفقير لكانتْ لذة الـمعطي أكبر من لذة الآخذ!
- الدين كله خُلق فمن فاقك في الـخُلق فاقك في الدين!
- ما استجلبَ رزق بمثل ترك الـمعاصي!
- من ذاق لذة القرب من الله ثم انتكس فإنه يعيش في الدنيا معذباً ، لا راحة الـجاهلين ولا لذة العارفين!
- إذا لم تُخلص فلا تتعبْ!
- ما ضُرِبَ عبد بعقوبة أشد من قسوة القلب!
- متى كان الـمال في يدك وليس في قلبك لم يضرك ولو كثر ومتى كان في قلبك ضرك ولو لم يكن في يدك منه شيء!

١٢ يونيو / حزيران

في مثل هذا اليوم من العام ١٩٠٩م وُلد أديب الفقهاء وفقيه الأدباء الشيخ «علي الطنطاوي» رحمه الله! كان فقيهاً رقيق القلب سهلاً سلساً قريباً من الناس ، أديباً فذاً لا يُشق له غبار ، كُتُبه رحلة ثقافية وهو من أمتع الذين قرأتُ لهم ، له أسلوب ماتع أخَّاذ ، يستحيل أن تقرأ له ولا يترك بصمة في حياتك وتفكيرك!

الحديثُ عنه ماتع وذو شجون ، لا أعرفُ ماذا أنقلُ مما قرأتُ له وماذا أترك ، فحين يتحدث عن نفسه فصريح ، وحين يتحدث عن هذه الأمة فمحب غيور ، وحين يتحدث عن الإسلام فإمام عظيم ، وحين يتحدث عن الآداب العالمية والثقافات الأخرى فإنسان مع مرتبة الشرف!

هذه بعض أقواله التي وضعتُ تحتها خطوطاً بالقلم وأنا أقرأ له :

- عندما تُعطي الصلاة المكانة الأولى في حياتك فإن الأشياء الأخرى تأخذ أماكنها الصحيحة تلقائياً!
- أحِبُّوا ، فإن الذي لا يُحب ليس إنساناً!
- المرض أصغر رسالة تقول للإنسان : ما أضعفك!
- أكثر الأشياء وجعاً أن تنام كل ليلة وفي صدرك أحاديث النهار ولم تجد من تخبره بها!
- إذا أردتَ أن لا تندم على شيء فافعل كل شيء لوجه الله!
- لم أجد وصفاً للحياة إلا أنها تجارب إن لم تتعلم من الضربة الأولى فأنتَ تستحق الثانية!
- إذا كان الاعتذار ثقيلاً على نفسك فالإساءة ثقيلة على نفوس الآخرين أيضاً!
- اعلموا أن مهمتكم ليست شهادة تنالونها وإنما أمة تحيونها!
- كلنا مثقوبون بالعيوب ولولا رداء من الله اسمه الستر لكسرت أعناقنا خجلاً!
- لقد فقدتُ أنس قلبي يوم فقدتُ أمي فاستمتعوا بجمال الحياة مع أمهاتكم قبل فوات الأوان!

١٣ يونيو / حزيران

في مثل هذا اليوم من العام ٨١٥م وُلد «الفتح بن خاقان» أشهر وزراء الدولة العباسية! كان أبوه خاقان وزيراً للخليفة المعتصم ، أما هو فكان وزيراً عند المتوكل الذي ربطته به صداقة قلَّ نظيرها بين خليفة ووزير ، فالمتوكل كان يفضله على أقربائه وأولاده ، وبالمقابل كان الفتح بن خاقان وفياً للمتوكل ، حيث رفضَ أن يتركه عند قيام الثورة والاحتجاجات عليه رغم مناشدة المتوكل له ليفعل ، إلا أنه بقي معه حتى آخر لحظة ، فقُتلا في ساعة واحدة!

كان الفتح بن خاقان من أذكياء الدهر ، روى ابن الجوزي في كتابه الأذكياء بعضاً من دهائه ، كذلك روى بعض أخباره الأبشيهي في تحفته «المستطرف في كل فن مستظرف»!

ومما رواه ابن الجوزي عن الفتح ، قال :

ذهب المعتصم الخليفة العباسي لزيارة وزيره خاقان لمرض نزل به ، وكان يومذاك الفتح بن خاقان صبياً صغيراً ، فأراد المعتصم أن يمازح الصبي الصغير ويلاطفه ، فقال له : أيهما أجمل دار الخليفة أم دار أبيك؟

فقال الفتح : دار أبي لأن الخليفة فيها!

أُعجب المعتصم بدهاء الصغير وحسن جوابه ، وأراد أن يكافئه ، فرفع يده وقال له : أرأيتَ أجمل من هذا الخاتم؟

فقال له الفتح : أجمل منه اليد التي هو فيها يا أمير المؤمنين!

فذُهل المعتصم من الجواب ، ونزع خاتمه وأعطاه للفتح!

لا شكَّ أن الناس يولدون بقدرات عقلية ولغوية وجسدية وذكاءات مختلفة ، دور التربية من أهل ومدرسة أن ينتبهوا جيداً للمجال الذي يتميز به الصغار ويُعزِّزوه ، وللمجال الذي فيه ضعف ويعملوا على إصلاحه! والأولى مُقَدَّمة على الثانية إذ لا بد أن يكون في كل إنسان ضعفاً في مجال ما ، فتقوية المجال الذي للإنسان استعداد فطري أن يبرع فيه من شأنه أن يستر النقص فيما عداه!

١٤ يونيو / حزيران

في مثل هذا اليوم من العام ٧٦٧م توفي «مقاتل بن سليمان» ، كان من أوائل الذين ألّفوا في تفسير القرآن الكريم ، كان عالماً بالتوراة والإنجيل لذلك نجد في تفسيره «تفسير مقاتل» الكثير من الإسرائيليات ومرويات أهل الكتاب التي أوردها بناءً لحديث النبي ﷺ : «حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج»!

اختلف فيه العلماء اختلافاً كثيراً ، كان الشافعي يُثني عليه ويقول : «الناس في الفقه عيال على أبي حنيفة وفي التفسير عيال على مقاتل»!

أما الذهبي فلم يكن معجباً به البتة ، وكذلك البخاري ، أما ابن تيمية فكان بين بين!

دخل مقاتل بن سليمان على أبي جعفر المنصور يوم بويع بالخلافة ، فقال له المنصور : عظني يا مقاتل!

فقال مقاتل : بما سمعتُ أم بما رأيتُ يا أمير المؤمنين؟

فقال المنصور : بل بما رأيتَ!

فقال : يا أمير المؤمنين إن عمر بن عبد العزيز أنجب أحد عشر ولداً ، وترك ثمانية عشر ديناراً ، كُفِّن بخمسة ، واشتُرِيَ له قبر بأربعة ، ووُزع الباقي على أولاده!

وهشام بن عبد الملك أنجبَ أحد عشر ولداً ، كان نصيب كل واحد منهم ألف ألف دينار!

واللهِ يا أمير المؤمنين لقد رأيتُ في يوم واحد أحد أبناء عمر بن عبد العزيز يتصدق بمئة فرس للجهاد في سبيل الله ، وأحد أبناء هشام يتسول في الأسواق!

هل رأيتم إلى أي حد ينفع الله الأولاد بصلاح الآباء ، هذه حقيقة خلدها الله تعالى في القرآن الكريم ، ومن أصدق من الله قيلاً :

﴿وليخشَ الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولاً سديداً﴾!

وقد أرسل الله سبحانه الخضر وموسى عليهما السلام ليقيما جدار يتيمين كي لا يضيع كنزهما والسبب أن أباهما كان صالحاً!

١٥ يونيو / حزيران

في مثل هذا اليوم من العام ٦٧٤م توفي بطل معركة القادسية ، الصحابي الجليل «سعد بن أبي وقاص» ، كان من أوائل الذين أسلموا ، وهو أول من رمى بسهم في سبيل الله ، كان ذلك يوم بدر ، حين أمسك رمحه ، فقال له النبي ﷺ : «ارم فداك أبي وأمي»! كان أثيراً حبيباً إلى قلب رسول الله ﷺ ، وكان سعد من أخوَاله ، وكان النبي ﷺ إذا رأى سعداً قال : «هذا خالي فليُرِني امرؤٌ خاله»!

بعد النصر الساحق في القادسية ، أرسل سعد بن أبي وقاص رسولاً إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يبشره بالنصر ، سجد يومها الفاروق شكراً لله ، ثم لما رفع رأسه ، قال لرسول سعد : متى بدأ القتال؟

فقال : قبل الضحى!

فقال عمر : ومتى كان النصر؟

قال : قبل المغرب!

فقال عمر : لا حول ولا قوة إلا بالله! لا يصمد الباطل أمام الحق مثل هذا ، لعله ذنب أذنبتموه أنتم أو أنا!

بجملةٍ وحيدة يلخص لنا الفاروق أسباب النصر والهزيمة!

لا يصمد الباطل أمام الحق مثل هذا ، لعله بذنب أذنبتموه أنتم أو أنا!

هذه الأمة كانت تنتصر بطاعتها لربها ، وبمعصية أعدائها له! كانت الأسلحة شيئاً مكملاً للمشهد فحسب ، حيثما التقى الحق والباطل انتصر الحق بغض النظر عن موازين القوى ، وإذا اجتمع المتحاربون في المعصية ، كانت الغلبة للأكثر تسليحاً وتنظيماً وجهوزية!

هذا لا يعني أن لا تتسلح الأمة ، على العكس الدنيا دار أسباب ، ومن الحمق ترك السبب ، ولكن الحمق أيضاً أن يَطلبَ الإنسان من الله ما يُحب وهو يُقدم إليه ما يكره!

١٦ يونيو / حزيران

في مثل هذا اليوم من العام ٧٧٨م توفي «سعيد بن العاص» رضي الله عنه ، من صغار الصحابة وليس فيهم صغير! توفي النبي ﷺ ولسعيد من العمر تسع سنين! روى الحديث عن عمر وعائشة ، وعرضَ عليه عثمان المصحف بعد جمعه لأن قراءته كانت أشبه بقراءة رسول الله ﷺ!

كان من أثرياء الناس ، كريماً جواداً ، دمث الأخلاق ، طيب المعشر ولا غرابة هكذا هم الصحابة!

باع أبو الجهم العدوي داره ، وكان جاراً لسعيد بن العاص ، بمئة ألف درهم!

فلما قبضَ المال من المُشتري ، قال له : هذه ثمن الدار ، فادفعْ لي الآن ثمن الجوار!

قال : أي جوار؟

فقال أبو الجهم : جوار سعيد بن العاص!

فقال له المُشتري : وهل يُباع جوار قط؟!

فقال له : رُدَّ عليَّ داري إذاً ، لا أترك جوار رجل إذا غبتُ سأل عني ، وإذا رآني رحَّبَ بي ، وإذا غبتُ عنه حفظني ، وإن زرته قرَّبني ، وإن سألته قضى حاجتي ، وإن لم أسأله بدأني ، وإن نابتني نائبة فرَّج عني!

فبلغ ذلك سعيد بن العاص ، فبعث إليه بمئة ألف درهم وقال له : هذا ثمن دارك ، والدار دارك ، فالزمْ جوارنا!

إن كان من درس يُستفاد من هذه القصة فهو أن لا نُقيِّم أنفسنا بل نترك هذا للآخرين!

جارك هو الذي يقول أي جار أنتَ ، لا أنت!

أبواك هما اللذان يقولان أي ابن أنتَ ، لا أنت!

زوجتك هي التي تقول أي زوج أنتَ ، لا أنت!

أولادك هم الذين يقولون أي أب أنتَ ، لا أنت!

وما يصح في حال الرجال يصح في حال النساء!

١٧ يونيو / حزيران

في مثل هذا اليوم من العام ٧١٤م وُلد «أبو جعفر الـمنصور» ، ثاني خلفاء بني العباس ، يُعتبر الـمؤسس الـحقيقي للدولة العباسية ، كان شديداً حازماً يؤمن بمقولة الإسكندر الـمقدوني : لا تتسع السماء لشمسين ولا الدولة لحاكمين! لهذا قتل عمه عبد الله بن علي ، ثم قتل بعد ذلك أبا مسلم الـخراساني ، الذي وطَّد لـهم الـحكم وأخذ لهم البيعة ، لما أحسَّ أنه صار في بعض الأمور ينازعه السلطة!

بعيداً عن الكرسي ، كان سمحاً ، قليل البذخ والترف ، رجل دولة باقتدار ، سياسي محنك ، لم يُنسه الـحزم والشدة أن يقيم شيئاً من العدل!

غصبَ أحد ولاته بستاناً لرجل ، فجاءه الرجل شاكياً وقال له : أصلحَ الله الأمير ، أأذكر لكَ حاجتي أم أضرب لكَ قبلها مثلاً؟!

فقال الـمنصور : بل اضرِبْ الـمثل!

قال : إن الطفل الصغير إذا نابه أمر يكرهه يفزع إلى أمه إذ لا يعرف غيرها ، ظناً منه أنه لا ينصره سواها ، فإذا ترعرع واشتدَّ كان فراره إلى أبيه ، فإذا بلغَ وصار رجلاً وحدث به أمر شكاه إلى الوالي لعلمه أنه أقوى من أبيه ، فإذا زاد عقله شكاه إلى السلطان لعلمه أنه أقوى ممن سواه ، فإن لم ينصفه السلطان شكاه إلى الله لعلمه أنه أقوى من السلطان! وقد نزلت بي نازلة وليس أحد فوقك إلا الله ، فإن أنصفتني وإلا رفعتُ الأمر إلى الله ، فإني متجه إلى الـحج!

فقال الـمنصور : بل ننصفك ، وكتب إلى الوالي كتابين ، الأول بعزله ، والثاني بردِّ البستان إلى صاحبه!

لا يختلف الـمنصور في سيرته عن كل الـحكام الذين تحدثنا عنهم وسنتحدث عنهم ، لعله لا يختلف عنا نحن أيضاً ، إنه إنسان ، مزيج من الـخير والشر ، يأتي هذا ويأتي ذاك والسُلطة عزيزة والكرسي غالٍ وطوبى لمن أتى الله بريئاً من أي دم! وحبذا لو نستفيد نحن من القصة ، ونحذر أنْ نظلم هؤلاء الذين لا ناصر لهم إلا الله! إن دعوة مظلوم يقول الله لها وعزتي وجلالي لأنصرنكِ ولو بعد حين كفيلة أن توقعنا أرضاً بالضربة القاضية!

١٨ يونيو / حزيران

في مثل هذا اليوم من العام ٧١٠م توفي «الأخطل» أحد أضلاع المثلث الأموي الشهير «جرير، الأخطل، الفرزدق»! كان من قبيلة تغلب التي كانت تدين بالنصرانية قبل الإسلام، أسلمت تغلب إلا قليلاً منها، وكان من القليل الذي لم يُسلم والد الأخطل، فوُلد نصرانياً على دين أبيه، ومات نصرانياً على دين أبيه!

جرتْ بينه وبين جرير والفرزدق سجالات شعرية كثيرة عُرفت بشعر النقائض، وهي من أروع ما عرفه العصر الأموي من شعر، حيث كانت حرب الشعر مستعرة بين الثلاثة!

كان الأخطل على جمال شِعره سليط اللسان، فاحشاً، لا يُحابي، ولا يُجامل، ولا يتورع عن عرض إذا أراد أن يهجو، ولم يسلم من بذاءته خصم! حتى أنَّ أصدقاءه أحياناً لم يسلموا منه!

كان الأخطل صديقاً للشاعر الأعور بن بنان التغلبي، فدعاه الأعور مرةً إلى طعام، فلما دخل بيت صاحبه، فإذا هو فخم مهيب، نُجِّدَ بالفِراش الجميل والأثاث الزاهي، وكانت للأعور زوجة جميلة فاتنة، فقال للأخطل وهما يأكلان: يا أبا مالك إنك تدخل على كبار القوم في مجالسهم فهل ترى في بيتي عيباً؟

فقال له الأخطل: ما أرى في بيتك عيباً غيرك!

نحن نقرأ الأدب وفق المقولة الشهيرة: خُذْ القول ودع القائل! ولو أننا لم نسمع إلا كلام الأتقياء، ولا نقرأ إلا للأدباء الأصفياء، لن يبقى لنا إلا القليل من الأدب لنقرأه، ولكننا نقرأ الكلام ونستعذبه بغض النظر عن قائله، والحق يُقال أن الأخطل كان ذا قريحة شعرية رهيبة، يتنقل بين القوافي بخفة ورشاقة، وقد أوتي من البلاغة وحسن الصياغة كماً وفيراً! وأمر الناس جميعاً إلى الله!

١٩ يونيو / حزيران

في مثل هذا اليوم من العام ٧٥٥م توفي «خالد بن صفوان التميمي» ، كان من فصحاء العرب الـمشهورين ، ومن خطباء الدهر حتى لُقِّبَ بفصيح مُضر وبفصيح العرب! كان صديقاً لأبي العباس السفاح ، يدافع عنه وينافح ، ويجادل عنه الـخصوم ، وقد قيل أنه لم يُغلب في مناظرة قط!

كان ثرياً جداً ، ولكنه كان بخيلاً ، وقيل أنه لم يتزوج لبخله!

خطبَ يوماً امرأةً ، وقال لها : أنا خالد بن صفوان ، والـحَسَبُ والنسبُ على ما قد علمتِ ، وكثرة الـمال على قد ما بلغكِ ، وفيَّ خِصالٌ سأبينها لكِ ، فتقدمين عليَّ أو تدعيني!

فقالتْ له : وما هي؟

قال : إن الـحُرَّة إذا دنتْ مني أملَّتني ، وإذا تباعدتْ عني أعلَّتني! ولا سبيل إلى درهمي وديناري ، ويأتي عليَّ ساعة من الـملل لو أن رأسي بين يديَّ لنزعته ورميته!

فقالت له : قد فهمتُ مقالتكَ ، ووعيتُ ما ذكرتَ ، وفيك بحمدِ اللهِ خِصال لا نرضاها لبنات إبليس! انصرفْ عني رحمك الله!

إن كان خالد بن صفوان قد مات فإن منه نسخاً كثيرة اليوم تعيش بيننا!

ترى أحدهم يريدُ زوجةً ويسألك أن تساعده ليختار ، فإذا هو يريدها كالـخنساء بلاغة ، وكفاطمة الزهراء طُهراً ، وكبلقيس عزاً ، وكخديجة بنت خويلد مالاً ، وكالقمر جمالاً ، وكالبدر حُسناً ، وكالغزالة رشاقة وهو لو نظرتَ إليه لقلتَ في نفسك لو أني امرأة بهذه الـمواصفات فلماذا أقبل بمثل هذا!

من حق الرجل أن يسعى لزوجة فيها مواصفات رائعة ، وهذا من حق الـمرأة أيضاً ، ولكن لماذا على بعض الـخاطبين أن يشعرنا أنه آخر حبة على ظهر هذا الكوكب ويا لحظ من ستناله ، وتقيم له محمية كي لا ينقرض!

وكل يُعلي من شأن نفسه ، كالـمرأة التي قالت لزوجها الأعمى : لو رأيتَ حسني وجمالي!

فقال لها : لو كان الأمر كما تقولين ، ما تركَكِ الـمبصرون لي!

٢٠ يونيو / حزيران

في مثل هذا اليوم من العام ٧٤٧م وُلد «أبو العتاهية» ، أرقُّ شعراء العصر العباسي فؤاداً وأكثرهم زهداً ، هكذا انتهى به الـمطاف أما بدايته فلم تكن كذلك البتة!

بدأ حياته بائعاً للجرار ، لاهياً ماجناً! ثم انتبه إلى براعته في الشعر فقرر أن يقصد الـخلفاء للتكسب كما هو حال أغلب شعرائنا!

يوم بويع الـمهديُّ بالـخلافة أنشده أبو العتاهية قائلاً :

أتتــــه الــخـــــلافــــة منقــــادة
إلـيــــــه تجـــــرُّ أذيـالـهــــــا
فــلـــم تـــك تــصـــلـــح إلا لـــه
ولـم يـكُ يـصـلـح إلا لـهــــــا
لـو رامـــهـــا أحـــد غـــيـــره
لـزلـزلـت الأرض زلـزالـهـــــا

وكان بشار بن برد حاضراً في ذلك اليوم ، وبشار كما هو معروف أعمى ، فقال لمن حوله : انظروا إلى أمير الـمؤمنين هل طار عن كرسيه!

كذلك مدح أبو العتاهية هارون الرشيد ، ثم ما لبث أن قرر أن يترك حياة اللهو والـمدح والتكسب وأقبل على الله ، وحدث بينه وبين هارون الرشيد خلاف ، فقام الرشيد بسجنه ، فأنشد في السجن :

ســتــعلمُ في الـحــســاب إذا التــقــينا
غـــــداً عـنـد الإلـه مـن الـــمـلـومُ
إلـــى ديـــان يـــوم الـــديـــن نمـــضـــي
وعند اللهِ تجـــتـــمعُ الـخـــصـــوم!

فلما بلغت الأبيات هارون الرشيدَ خلّى سبيله!

القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يُقلبها كيف يشاء ، كم عرفنا من بشر كنا نحسدهم على تقواهم ثم دار الزمان دورته فإذا هم قد نكصوا على أعقابهم ، وكم من بشر كنا نرى أحوالهم فنقول الـحمد لله الذي عافانا مما ابتلاهم به ، ثم أشرقت شمس الهداية على قلوبهم فسبقونا!

اسألوا الله الثبات ، فإن العبرة بالـخواتيم!

٢١ يونيو / حزيران

في مثل هذا اليوم من العام ٦٦١م تُوفي «لَبيد بن ربيعة» ، كان أحد أصحاب معلقات العرب في الـجاهلية ، أوتي حظاً وافراً من البلاغة ، لهذا قرَّبَه الـملوك رغبةً في شِعره ، فكان يمدحهم ببراعة ويدفعون له بسخاء!

عاشَ في الـجاهلية تسعين عاماً ثم أراد الله سبحانه أن يختم له بخير فقذف نور الإسلام في قلبه ، فجاء إلى النبي ﷺ مؤمناً مبايعاً على السمع والطاعة ، فسُرَّ عليه الصلاة والسلام بقدومه!

كانت عائشة رضي الله عنها تحبُّ شِعره جداً ، ويقول ابن قتيبة أنها كانت تحفظ ألف بيت من شِعره! كذلك كان الفاروق رضي الله عنه معجباً بشعره ، لهذا كتبَ إلى عامله على الكوفة أن سَلْ لبيداً عما أنشد من الشعر في الإسلام نسمعه!

فقال لبيد : أبدلني الله بالشِّعر البقرة وآل عمران!

ويُقال أنه منذ أسلم لم يقل إلا بيت شعر واحد هو :

الـحـمـد لله إذ لـم يـأتـنـي أجلـي
حـتـى كُـسـيتُ من الإسـلام سـربالاً!

توفي في الكوفة في خلافة معاوية وله من العمر مئة وسبع وخمسون سنة! هنيئاً له من رجل جمع مجد الـجاهلية ومجد الإسلام!

ويا له من رجل ، كان من أصحاب الـمعلقات فترك الشعر لأجل البقرة وآل عمران!

طبعاً لا تعارض بين أن يُقبل الشاعر على شعره وعلى مصحفه ، ولكن على ما يبدو أن لبيد عندما أسلم في التسعين من عمره أراد أن يُعوِّض كل ما فاته ، وإلا فكثير من الصحابة كانوا شعراء ، وقد كان حسان بن ثابت شاعر النبي ﷺ ، وكان عليه السلام يطلب منه أن يدافع عنه قائلاً : أجِبْ عني ، اللهم أيده بروح القُدس!

٢٢ يونيو / حزيران

في مثل هذا اليوم من العام ٧٧١م توفي «أشعب» ، أشهر شخصية فكاهية في تاريخ العرب! وُلد في خلافة عثمان رضي الله عنه ومات في خلافة المهدي العباسي!

التقى بالكثير من الصحابة ، وحدَّث عنهم ، ولكن المحدثين تركوا أحاديثه ، ولم ينقلوا عنه لأنه لم يكن يُعرف جده من هزله! وقد قال مرةً حدثنا عكرمة عن عبد الله بن عباس أن رسول الله ﷺ قال : خصلتان من كانتا فيه دخل الجنة! فقيل له : ما هما؟ فقال : نسي عكرمة واحدة ونسيتُ أنا الأخرى!

جاءته يوماً امرأة بدينار وقالت له : هذا وديعة عندك

فقال لها : ها هو محفوظ تحت الآنية

فجاءته بعد أيام وقالت : أريد ديناري

فقال : ارفعي الآنية فقد ولدَ دينارك!

فرفعتْ المرأة الآنية فإذا دينار ودرهم ، فأخذتْ الدرهم وقالت له : اترك الدينار عندك ليلد مرة أخرى!

عادت بعد أيام وقالت أريد ديناري

فقال لها : لقد مات الدينار في نفاسه!

فقالت : وهل تموت الدنانير ، وهل لها نفاس؟

فقال لها : كيف تصدقين أنها تلد ولا تصدقين أن لها نفاساً!

والقصة في كتاب نهاية الأرب للنويري!

هذا بعض ما يُروى عنه ، وأخباره تملأ كتب التراث ، وبرأيي إن أغلبها مختلق لا علاقة لأشعب به ، فهو كان «ماركة مسجلة» للظرافة واللطف ، فكل من حدث معه قصة طريفة ، وكل من سمع نكتة ، رواها وجعل أشعب بطلها!

وهذا كثير في تراثنا العربي ، فكل بخل يلصقونه بأهل مرو الذي جعل منهم الجاحظ ماركة مسجلة أيضاً!

وكل حب وشغف وهيام يلصقونه ببني عذرة لأنهم كانوا أرق العرب قلوباً!

٢٣ يونيو / حزيران

في مثل هذا اليوم من العام ١٢٥٨م توفي الشاعر العذب «بهاء الدين زهير» ، كان رقيق الـمشاعر ، حلو الألفاظ ، له غزل يخطف القلب ، عيبه الوحيد هو عيب الغالبية الساحقة من شعرائنا أنه كان يتكسّب بشعره! صحبَ الـملك الصالح زمناً طويلاً وتبادلا الـمصالح ، الـملك يُغدق عليه الـمال والشاعر يُغدق عليه قصائد الـمديح!

كان بهاء الدين زهير يغار على حبيبته جداً ، حتى أنه كان يغار أن يذكر اسمها أمام الناس غيرةً أن تمر حروف اسمها على آذان الأغراب!

وكان يتحدث عنها كناية ، كأن يقول بعض الناس ، قالوا ، فعلوا ، قلتُ لهم ، وله ما قال عنهما النقاد أنهما أغيرُ بيتين في الشعر العربي كله :

وأنزه اسمك أن تمرَّ حروفه
من غيرتي بمسامع الجُلاسِ
فأقول بعض الناس عنك كنايةً
خوف الوشاةِ وأنتِ كل الناس!

وله أبيات عذبة هذه بعضها :

- واعزِمْ متى شئتَ فالأوقات واحدة
لا الريثُ يدفعُ مقدوراً ولا العَجلُ
- يزداد شعري حُسناً حين أذكركم
إن المليحة فيها يحسنُ الغزلُ
- إن الكرام إذا صحبتهمُ
ستروا القبيح وأظهروا الحسنا
- أنا الوفي لأحبابي وإن غدروا
أنا المقيم على عهدي وإن رحلوا
- فما الحبُّ إن ضاعفته لك باطلٌ
ولا الدمعُ إن أفنيته فيك ضائعُ
- وما لي ذنبٌ في هواك أتيته
وإن كان لي ذنبٌ فأنتَ حليمُ
- عذرتك إن الحب فيه مرارة
وإن عزيز القوم فيه ذليلُ

٢٤ يونيو / حزيران

في مثل هذا اليوم من العام ١٩٨٧م وُلد «ليونيل ميسي» ، وسواءً أحببنا فريق برشلونة أو كرهناه ، وأنا من الذين لا يحبونه! يبقى ليونيل واحداً من أمهر اللاعبين الذين لعبوا كرة القدم في تاريخ البشرية ، هذا إن لم يكن أمهرهم على الإطلاق!

ولكن ليس لهذا جمعتكم!

قبل عيد ميلاده الثلاثين بأسبوعين ، سأله صحفي قائلاً : سوف تبلغ الثلاثين بعد أسبوعين ، ماذا يعني لك ذلك؟

فقال له ميسي : هذا يعني أني ولدتُ قبل ثلاثين عاماً!

قد يبدو هذا الجواب في ظاهره ساخراً وسطحياً ، لكنه في باطنه عميق جداً ، وجميل ، يكاد يوازي بجماله الأهداف التي يسجلها ليونيل!

إن الثلاثين كالأربعين كالخمسين ، مجرد رقم ، والحياة ليست بتعداد السنوات وإنما بعمق التجارب!

لماذا علينا دائماً أن نسأل الآخرين عن عدد السنوات التي عاشوها بدل أن نسألهم عما فعلوا في تلك السنوات!

هناك أشخاص أتوا إلى هذا الكوكب وعاشوا أكثر من مئة عام ، ثم رحلوا دون أن يتركوا بصمة ، ويا له من إنجاز متواضع أن يكون إنجازك الوحيد أن تعد السنوات!

سعد بن معاذ اهتز عرش الرحمن لموته وهو في السادسة والثلاثين!

محمد الفاتح حاز على نيشان النبي ﷺ : نِعم الأمير أميرها وهو يوم فتح القسطنطينية كان في الثانية والعشرين من عمره!

أسامة بن زيد في السابعة عشرة من عمره قاد جيشاً فيه أبو بكر وعُمر!

الفكرة لم تكن يوماً بطول العمر وإنما بعرضه ، وكم أتمنى لو يكف الناس عن سؤال بعضهم البعض : كم عمرك؟ واستبداله بِ : ماذا فعلتَ على ظهر هذا الكوكب منذ مجيئك إليه!

٢٥ يونيو / حزيران

في مثل هذا اليوم من العام ١٩٠٣م وُلد «جورج أرويل» ، صاحب الرواية الرائعة مزرعة الـحيوان!

تدور أحداث الرواية في مزرعة مانور التي يملكها السيد جونز ، وتبدأ بخطبة عصماء يُلقيها الـخنزير ميجور على الـحيوانات يذكرهم فيها ظلم السيد جونز ويحثهم على الثورة فهي السبيل الوحيد للخلاص من الاستبداد .

يموت ميجور بعد ثلاثة أيام من خطبته ، فتندلع الثورة بقيادة الـخنزيرين نابليون وسنوبول ويتم خلع السيد جونز عن الـحكم وتعتقد الـحيوانات أنها تخلصت من الاستبداد!

يهاجم السيد جونز الـمزرعة محاولاً استرداد الـحكم ولكن الـحيوانات تتصدى له وهكذا تفشل الثورة الـمضادة!

استلم الـخنازير حكم الـمزرعة لأنهم أهل السابقة وصاروا يحكمون دون انتخابات ولا مشاورات فأمسكوا زمام الدولة بطريقة مستبدة لا تقل وحشية عما كان الأمر عليه أيام السيد جونز!

ولأن السلطة غالية ولا تقبل القسمة على اثنين ينقلبُ نابليون على سنوبول شريكه في الثورة والـحكم مستعيناً بكلاب من خارج الـمزرعة ، ويقيمُ له محاكمة تتهمه بالعمالة ويتم إعدامه!

وفي النهاية تضيع الثورة وتكتشف الـحيوانات أنهم استبدلوا قيود السيد جونز بقيود نابليون ، ومن الدلفة إلى تحت الـمزراب وكأنك يا أبو زيد ما غزيت في درس للناس مفاده : حاسبوا ثواركم كما حاسبتم طغاتكم!

أما شخصيات الرواية الثانوية فيقابلها من الناس الكثير!

فالـحصان بوكسر شجاع ومحب للمزرعة ويعمل بجهد ولكنه لا يُفكر وهذا النوع من الناس يسهل استعباده!

القطة مولي تبيع مبادئها وأخلاقها للحصول على امتيازات شخصية ومولي شخصية نملك منها آلافاً بل ملايين النسخ البشرية!

وويل للناس من السياسة والساسة الذين قال عنهم جورج أرويل :

السياسيون في العالم كالقرود في الغابة ، إذا تشاجروا أفسدوا الزرع ، وإذا تصالحوا أكلوا الـمحصول!

٢٦ يونيو / حزيران

في مثل هذا اليوم من العام ٧١٦م وُلد «سُفيان الثوري» ، قال عنه بشر الحافي : سفيان في زمانه كأبي بكر وعمر في زمانهما! وقال عنه الإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء : هو شيخ الإسلام ، إمام الحُفاظ ، سيد العلماء العاملين في زمانه ، المجتهد ، الفقيه ، مصنف كتاب الجامع!

كان زاهداً في السياسة والخلفاء ، طلبه المنصور للقضاء فرفض ، وطلبه من بعده ابنه المهدي فرفض ، فغضب عليه وطارده ، حتى توفي في آخر أيامه متخفياً في البصرة عام ٧٧٧م!

لما تولى المهديُّ الخلافة ، بعثَ إلى سُفيان الثوري ، فلما دخلَ عليه ، خلعَ المهدي خاتمه وقال له : يا أبا عبد الله ، هذا خاتمي ، فاعملْ بهذه الأمة بالكتاب والسُّنة!

فردَّ عليه سفيان خاتمه ، وقال له : أتأذن لي بالكلام؟

فقال له المهدي : تكلم

فقال : لا تبعثْ لي حتى آتيك ، ولا تُعطني حتى أسألك!

فغضب منه المهدي وطرده من مجلسه!

فلما خرج سفيان من عند المهدي اجتمع حوله أصحابه وقالوا له : ما منعكَ أن تعمل في الأمة بالكتاب والسُّنة؟

فقال : إني لا أخاف إهانة الأمراء لي ، وإنما أخاف إكرامهم لي حتى لا أرى سيئاتهم سيئات ، ولم أرَ للعلماء والسلاطين مثلاً إلا مثلاً ضُربَ على لسان الثعلب ، قال : عرفتُ سبعين حيلة للتخلص من الكلب ، ليس منها حيلة أفضل من أن لا أرى الكلب ولا يراني!

والأمثال طبعاً بمعناها لا بألفاظها ، والمعنى واضح يقابله قول جدتي رحمها الله : باب اللي يجيك منه الريح سده واستريح!

٢٧ يونيو / حزيران

في مثل هذا اليوم من العام ١٨٥٨م وُلد «بوبي ليتش» أول شخص في العالم استطاع القفز من فوق شلالات نياغرا شاهقة الارتفاع!

بعد ذلك بخمسة عشر عاماً ، انزلقَ على قشرة برتقال ، وكسر ساقه ، فالتهبتْ وأصيبتْ بالغارغرينا فقام الأطباء ببترها! ليموت بعد ذلك بشهرين بسبب المضاعفات الناجمة عن تلك الحادثة!

تقول الجدات في مثلهن العامي : اللي له عُمر لا تقتله شدِة!

عندما قفز بوبي ليتش من فوق شلالات نياغرا كان لَه عمر لهذا لم تقتله القفزة/الشدة! وعندما انزلقَ على قشرة برتقال لم يكن قد بقي له عمر لهذا قتله ما هو أقل من شدِة!

وصدَق المتنبي حين قال :

من لم يمت بالسيف ماتَ بغيره
تعددت الأسباب والموت واحدُ!

أقدار مكتوبة ، وأعمار محسوبة ، وصدق ربنا في محكم التنزيل : «لكل أجل كتاب فإذا جاء أجلهم لا يستقدمون ساعة ولا يستأخرون»!

ومن طريف ما قرأتُ عن الوفيات :

- البابا بولس الثاني كان معروفاً بنهمه للطعام ، وتوفي بسبب بذرة بطيخ دخلت في رئته!
- ملكة تايلاند ساناندها كوماريراتانا انقلب بها القارب وهي تعبر النهر ، فوقف حراسها يتفرجون عليها وهي تغرق لأن القانون كان يقول إن لمس الملكة عقوبته الإعدام!
- ملك اليونان ألكسندر مات بسبب تعرضه لعضة قرد!
- ملك السويد أدولف فريدريك أكل طبقاً كبيراً من الحلوى ولم يكن يعرف أنه يعاني من السكري فمات بعد ساعة!
- ملك إنكلترا جورج الثاني تزحلق في الحمام ووقع على رأسه فمات!
- الفيلسوف اليوناني إسخيلوس مات بعد أن ألقى نسر على رأسه سلحفاة كان يحاول تحطيم قوقعتها ليأكلها!

٢٨ يونيو / حزيران

في مثل هذا اليوم من العام ٥٧٠م توفي «الـحارث بن عبَّاد» ، كان من حكماء العرب في الـجاهلية ، ومن فرسانهم الأشداء وشعرائهم الـموهوبين!

في أيامه دارت حرب البسوس التي استمرت أربعين عاماً بين تغلب وبكر بعد أن قتلَ الـجساس بن مرة كُليب بن ربيعة! في أول الأمر اعتزل الـحارث الـحرب ، ولكن الـمهلهل قتل ابنه بُجيراً ، فثار الـحارث ونادى بالثأر ، وأنشد بيته الشهير : قرِّبا مربط النعامة مني!

والنعامة هي فرسه ، فجاؤوه بها ، فجزَّ ناصيتها ، وقطع ذيلها وهو أول من فعل ذلك من العرب فاتخذتها العرب سُنة عند إرادة الأخذ بالثأر!

وبه نُصرت بكر على تغلب ، وأسرَ الـمهلهل وجزّ له شعره وأطلقه إذلالاً له ، وأقسم أن لا يكف عن تغلب حتى تكلمه الأرض فيهم ، فأدخلوا رجلاً في سَرب تحت الأرض ومرَّ به الـحارث ، فأنشد الرجل :

أبا الـمنذر أفنيتَ فاستبقِ بعضنا

حنانيك بعض الشر أهون من بعض

فأوقف القتال ، وتصالح العرب!

في الـحرب كان الـحارث يطلب رجلاً يُقال له عدي بن أبي ربيعة ليقتله ، فبينما هو في بعض معاركه إذ أسرَ رجلاً ، وطلب منه أن يدله على عدي بن أبي ربيعة

فقال له الرجل : هل تطلق سراحي إن دللتك عليه؟

فقال : نعم

فقال الرجل : أنا عدي بن أبي ربيعة!

فأطلقه الـحارث بن عباد وفاءً بوعده!

على جاهليتهم كان فيهم أخلاق وشهامة ومروءة أقرَّ بها الإسلام وقال عنها النبي ﷺ : إنما بُعثتُ لأتمم مكارم الأخلاق!

٢٩ يونيو / حزيران

في مثل هذا اليوم من العام ٧٠٩م وُلد الـخليفة الأموي «الوليد بن يزيد بن عبد الـملك بن مروان»!

عندما كان ولياً للعهد عشقَ امرأةً يُقال لها سُعدى ، ثم تزوجها ، ثم ما لبث أن وقع بينهما خلاف فطلّقها! فلما انقضتْ عدتها تزوجتْ غيره فاشتدَّ ذلك عليه!

فدخلَ عليه أَشعب ، فقال له الوليد :

–هل لك أن تبلِّغَ سُعدى عني رسالة ، ولك عندي خمسةُ آلاف درهم؟

قال : عجّلها .

فأمر له بها ، فلمّا قبضَها قال :

هات رسالتَك .

قال : ائتِها وأنشدها :

أسُـــعـــدى هل إليكِ لنا ســـبـــيلٌ
ولا حـــتى القـــيـــامـــةِ من تلاقِ؟
بـــلـــى ولـــعـــلّ دهـــرًا أن يـــواتـــي
بموت من خَـلـيـلِـكِ أو فـــــــــراق

فأتاها أشعب ، فاستأذن عليها ، فأذنت له ، فقالت : ما بدا لك في زيارتنا يا أشعب؟

فقال : أرسَلني إليك الوليد برسالة . وأنشدها الشعر .

فقالت لجواريها : عليكنّ بهذا الـخبيث .

فلما هَممن به قال لها : لقد جعل لي الوليدُ خمسةَ آلاف درهم إن أنا فعلت .

فقالت له : والله لئن لم تَرجع إليه برسالتي هذه لأُعاقبنّك .

فقال أشعب : ياسيدتي اجعلي لي أجرا .

فقالت : لك بساطي هذا . فأخذه وقال : هاتِ رسالتك .

قالت : قل له :

أَتبكي على سُـعـدى وأنت تركـتَـهـا؟
لقـد ذَهبَت سُـعـدى فـمـا أنت صـانعُ؟

فلما بلغت الرسالةُ الوليد ، ضاق صدرُه واغتاظ غيظًا شديدا ، وقال لأشعب :

اختر مني ثلاثا : إما أن نقتلَك ، أو نطرحَك من هذا القصر ، وإما أن نُلقيَك إلى هذه السباع .

فتحيّرَ أشعب وأطرق ، ثم رفع رأسَه فقال :

يا سيدي ، ما كنت لِتُعذِّبَ عينَين نَظرتَا إلى سُعدى!

فتبسّم الوليدُ وخلّى سبيلَه!

يبدو أنَّ الناس جميعاً خاصتهم وعامتهم لا يعرفون قيمة الأشياء التي بين أيديهم حتى يفقدوها! فإن كان يمكن الخروج من هذه القصة بدرس فهو :

حافِظْ على أشيائك التي لا تريد أن تراها في يد غيرك!

٣٠ يونيو / حزيران

في مثل اليوم من العام ٦٨٠م تُوفي «وائل بن حجر» ، كان أبوه من ملوك اليمن ، وأدرك وائل الإسلام ووفد على النبي ﷺ ، وكان النبي ﷺ قد بشّر أصحابه بقدومه قبل أن يصل بأيام ، وقال : يأتيكم وائل بن حجر من أرض بعيدة ، من حضرموت ، طائعاً راغباً في الله وفي رسوله ، وهو بقية أبناء الملوك!

فلما دخل عليه رحّب به وأدناه من نفسه ، وقرب مجلسه وبسط له رداءه ، وأجلسه عليه مع نفسه ، وقال : اللهم بارك في وائل وولده!

وأعطاه النبي ﷺ أرضاً في المدينة نظير ما تركَ وراءه وجاء مسلماً ، وأرسل معه معاوية ابن أبي سفيان ليدله على الأرض ، وكان معاوية وقتها من شدة فقره لا ينتعل حذاءً!

فقال معاوية لوائل : أردفني على الناقة خلفك

فقال وائل : ليس شحًا بالناقة ولكنك لست رديف الملوك!

فقال معاوية : إذن أعطني نعلك!

فقال له وائل : ليس شحًا بالنعل ، ولكنك لستَ ممن ينتعل أحذية الملوك!

ولكن امشِ في ظل الناقة!

ثم أخذ الزمن يدور ، وآلت الخلافة إلى معاوية ، وجاء وائل إلى الشام وقد جاوز الثمانين ، ودخل على معاوية ، وكان جالسًا على كرسي الملك ، فنزل وأجلس وائلاً مكانه ، ثم ذكّره بالذي كان بينهما فيما مضى ، وأمر له بمال .

فقال وائل : أعطه من هو أحق به مني ، ولكني وددتُ بعد ما رأيت من حلمك لو رجع بنا الزمان لأحملك يومها بين يديّ!

إن كان ثمة درس يُستفاد في هذه القصة فهو :

الدنيا دولاب الزمن دوَّار! والناس يدورون معه! أغنياء اليوم قد يصبحون فقراء الغد ، وأعزاء اليوم قد يصبحون أذلاء الغد! الصحيح ما يلبث أن يمرض ، والمريض ما يلبث أن يشفى ، الذي يلعب بالمال لعباً قد يمد يده إلى الناس ، ومن لا يجد لقمة قد يصبح فاحش الثراء! العزباء قد تتزوج ، والمتزوجة قد تتطلق!

فلا تستكبر ، ولا تستحقر ، فلا تعرف غداً على أي حالٍ تكون!

١ يوليو / تموز

في مثل هذا اليوم من العام ١٩٤٠م ، وُلد «جاكسون براون» صاحب الكتاب الشهير «حِكم أب» وهو عبارة

عن نصائح وجّهها جاكسون لابنه ، لاقتْ هذه النصائح قبولاً مُنقطع النّظير في أمريكا ، وبعد ذلك تمّت ترجمتها لخمسٍ وثلاثين لغة .

من نصائح «جاكسون براون» لابنه :

- اخترْ زوجتك بعناية لأنها مسؤولة عن ٩٠٪ من سعادتك .
- تقبّلْ أطفالك كما هُم وليس كما تُريدهم أنتَ .
- لا تتركْ عملك قبل أن تؤمِّن غيره .
- لا تدفعْ لأحد أُجرة قبل أن يُتِمّ عمله .
- لا تثِقْ بذاكرتك اكتب كل شيء على الورق .
- الجميع يُحبّ المديح فلا تبخل به على أحد .
- إذا استعرْتَ شيئاً أكثر من مرتين قُم بشرائه .
- لا تُضيعْ الوقت في الرد على منتقديك .
- لا تثِق بأي سياسي .
- عندما تستعير سيارة صديق ، املأها بالوقود قبل إِعادتها .
- لا تُناقشْ أمورك المادية مع من يملك أكثر بكثير منك ، أو أقل بكثير منك .
- السعر المناسب ليس ما هو مكتوب على السلعة ، بل ما هو مناسب لميزانيتك .
- عندما تسمع مديحاً لشخص تعرفه ، أخبره بذلك .
- كُنْ طبيعياً ، وابتعد عن التصنع .

٢ يوليو / تموز

في مثل هذا اليوم من العام ١٨٧٣م قدَّم هاورد كيلي أوراق تسجيله في كلية الطب بجامعة بنسلفانيا .

بالنسبة لشاب ليس له أُسرة غنية تُنفق عليه ، فضلاً أنّه كان يعمل ليتكفّل بمصاريف دراسته بدا الأمر أشبه بمعجزة!

قبل هذا بسنوات كانتْ كل أحلام هاورد كيلي أن يبيعَ كل ما يحمله من حلوى ليحصل على مالٍ يشتري به الطعام وليبني حلمه في أن يُصبح طبيباً!

كان عفيفَ النفس منذ صغره ، لم يكُن يطلب من أحد شيئاً ، ومرة ضربه الجوع ، فقررَ أن يطلب طعاماً ، ولكنه عندما طرقَ باب منزلٍ وفتحت سارة ابنة السيد هانسن الباب خجِل هاورد أن يطلب طعاماً واكتفى بطلب كوب ماء ، ولكن سارة قد شعرت بما يُريده هاورد ، أحضرتْ له كوباً من الحليب وقطعة بسكويت ، التهمها الصبيّ ثم سألها : بكم أنا مدين لكِ؟

قالت له سارة ببراءةِ الأطفال : نحن لا نأخذ مقابل على فعل الخير!

مرّتْ سنوات ، مرضتْ سارة مرضاً عَجِزَ عنه الأطباء في ولايتها ، وجاؤوا بها إلى العاصمة ، عندما سمع هاورد بالاسم هرع سريعاً ليجدها فعلاً سارة ابنة السيد هانسن ، فقال للجميع هذه مريضتي منذ اللحظة ، أجرى لها عملية جراحية ناجحة ، وعندما حانتْ لحظة خروجها من المستشفى دخلت المُحَاسِبة إلى مكتب هاورد ليُوقِّع لها على التكاليف التي من المُفترض أن تدفعها سارة ، ولكن هاورد شطب كل الأرقام الموجودة في الفاتورة ، وكتب تحتها جملة لم تفهمها المُحَاسِبة وقتذاك!

ولكن عندما ناولتْ المُحاسِبَة الفاتورة لسارة ، بدأت سارة تبكي ، وقصّت على المُحاسِبة قصتها مع هاورد البائع الصغير المتجول ، وعرفتْ المُحاسِبة ما معنى لقد تمّ تسديد الحساب منذ زمن بعيد بكأس من الحليب وقطعة من البسكويت!

رائعون أولئك الذين ينتهزون الفُرص ليرُدّوا معروفاً أُسدي إليهم ، الأروع منهم هم أولئك الذين يصنعون المعروف ثم يديرون ظهورهم ويمضون دون انتظار كلمة شكر حتى!

٣ يوليو / تموز

في مثل هذا اليوم من العام ١٩٢١م وُلد الـمليارديـر الشهير «والاس جونسون» ، صاحب سلسلة الفنادق التي تجتاح العالـم «هوليداي إن»!

على أنّ رحلة الـمليـارات لم تكُن مُـعـبّـدة بالورود ، ولـم تكُن في سن مـبكرة كذلك ، عندما كان والاس جونسون في العشرين من عمره التحقَ بورشة كبيرة لنشرِ الأخشاب ، هناك تعرّف على أنواع الأخشاب ، ومن أين تأتي ، وكيف تُباع ، وأيُّها الذي يصلُح للبناء وأيّها الذي يصلُح للأثاث ، وبعد أن أصبح خبيراً في الأربعين من عمرِهِ استدعاه رئيسه في العمل وأخبره أنهم قرروا الاستغناء عن بعض الـموظفين وأنّه سـيكون منهم! خـرجَ والاس إلى الشـارع والدنيـا سـوداء في عـينيـه : رجلٌ بلا عمل ، بلا هدف ، يشعرُ بالـمرارة والـخذلان!

ولكن مـا هي إلا أيام حتى انتبـه أن لا أحد في الـمـدينة يعـرف عن الـخشب أكثر ممّا يعرف هو ، فقرّر أن يبني بيوتاً خشبية صغيرة ، وقد رهنِ بيته ليُؤمِّن رأس مال لمشروعه ، وبالفعل بدأ صيته يَذيع في الولاية شيئاً فشيئاً ، حتى أصبح أشهر رجل بناء منازل خشبية في أمريكا ، ليقوم بعدها ببناء سلسلة فنادقه العالـمية «هوليداي إن»!

في الـحقيقة ليس هدفي التحدُّث عن مآثر السيد والاس ، ولا التغنِّي بثروته ، هناك أشياء بطولية في الـحياة أهم من جمع الـمال يمكن أن يقوم بها الـمرء ، وإن كان لا عيب ولا حرج في جمع الـمال ما دُمنا نحن الذين نملكه لا هو الذي يملكنا!

ولكن ما لفتَ نظري في سيرة والاس هو أن ما نعتقده نهاية الدنيا قد لا يكون أكثر من بداية جديدة لحياة أجمل! حبّذا لو نضع هذه الـحقيقة نصب أعيننا ونتفاءل خيراً ، كل واحد منا خسر شيئاً في حياته ظنّ أن لا شيء سيُعوِّضه ثم دارت الأيام وكان العوض من الله أجمل!

عندما ماتَ أبو سلمة وقال النبي ﷺ لأم سلمة أن تدعو أن يُخلفها الله خيراً منه ، قالتْ في نفسها وهي تدعو وهل في الناس خير من أبي سلمة ، ثم تزوجها النبي ﷺ بعد ذلك فتبين أن العوض لم يكن خيراً من أبي سلمة فقط بل خيرًا من الناس أجمعين!

٤ يوليو / تموز

في مثل هذا اليوم من العام ١١٨٧م وقعتْ معركة حطين بين الـمسلمين بقيادةِ صلاح الدين الأيوبي والصليبيين بقيادة ريكاردوس قلب الأسد!

انتهت الـمعركة بنصر ساحق للمسلمين ، وصارت الطريق مُمهّدة إلى بيت الـمقدس وما هي إلا أيام حتى كان الأذان يُرفع في الـمسجد الأقصى بعد ٨٨ سنة من توقفه!

وقعَ كثيرٌ من قادة الصليبيين أسرى بيد صلاح الدين ، فعامَلَهم بأخلاقه لا بأخلاقهم حتى أنه أمرَ بمعالجةِ ريكاردوس قلب الأسد خصمه اللدود من جروح أصابته ، وهذه صفحة مُشرقة دوّنها الأوروبيون في تاريخهم عن الحروب التي جرتْ بينهم وبينه ، لم يقتل صلاح الدين إلا أسيراً واحداً هو «ريمون دي شاتيون» قام إليه وضرب عنقه ، وقال للجميع أمّا هذا فلا عفو عنه لقد أقسمتُ على قتله مرتين ، مرةً لّما سمعتُ أنه تجهّز للسير إلى مكة والمدينة ، ومرةً لما أغار على قافلةٍ للحُجَّاج فقتلهم جميعاً!

عشية الـمعركة كان صلاح الدين يتفقّد الـجُند في خيمهم ، فمرَّ على خيمةٍ فيها جند يتسامرون ويضحكون فقال : من هنا تأتي الهزيمة! ثُم مرَّ على خيمة أخرى فإذا هم قد اصطفّوا خلف إمام يُقيمون الليل فقال :من هنا يأتي النصر!

طبعاً لم يخُض صلاح الدين الـمعركة بالدعاء والصلاة فقط ، لقد جهّز جيشه أحسن تجهيز ، والـمجانق التي فاجأ فيها الصليبيين في الـمعركة كان لها أبعد الأثر في حسم الـمعركة ، ولكنها عقيدتنا التي تُخبرنا أنّنا مهما امتلكنا من أسبابِ النصر الـمادية ، فإن السبب الأول في النصر هو طاعة ربنا ، هذا ما نحتاج أن نعرفه اليوم ونحن نعقد صفقات أسلحة بمبالغ خيالية ، علينا أن نعرف أن شراء البندقية والصاروخ أمر جيد ، ولكن سرّ النصر ليس في البندقية وإنما في اليدِ التي تحملها ، والأهم في القلب الذي يقف خلف هذه اليد!

٥ يوليو / تموز

في مثل هذا اليوم من العام ١٨٩٨م زارَ الـملكُ الألماني غليوم الثـاني دمشق ، فخرجتْ الـمدينة عن بُكرةِ أبيها لاستقباله وكان على رأسها واليها التركي «مصطفى عاصم باشا» . رأتْ زوجة الـملك غليوم الثاني أثناء زيارتها لقلعةِ دمشق حماراً أبيضاً فأعجبها لونه وشكله وطلبتْ من زوجها أن يشتريه لها لتأخذه معها إلى برلين كذكرى منِ زيارتهما للشام .

بحثَ مصطفى باشا عن صاحب الـحمار فإذا هو لرجلٍ بسيطٍ يُدعى «أبو الـخير» فطلبَ منه أن يهدي الـحمار لصاحبةِ الجلالة فرفضَ أبو الـخير ، فعرضَ الوالي شراء الـحمار ولكن أبا الـخير رفضَ مجدداً وقال للوالي : الأمرُ لا يتعلّق بالـمال ، عندي أحصنة أصيلة فلتأخذ أي واحد منها هدية أما الـحمار فلا!

سألَهُ الوالي عن السبب ، فقال أبو الـخير : سيدي الوالي إذا أخذوا الـحمار إلى بلادِهم ستكتبُ عنه الصحف ويصبحُ حديث الناس ، وسيُسمُّونه الـحمار الشامي ، وسيقول الناس ألم تجد الـملكة في دمشق ما يعجبها سوى الـحمير! لن أُهديها إياه ولن أبيعه لك!

في القصة درسان مهمان : الأول : أن الوالي برغم نفوذه وسلطانه احترمَ الـملكية الفردية للناس ، وعندما رفضَ أبو الـخير بيع الـحمار أو وهبه مجاناً لم يأخذه منه بالقوة كي لا يشعر بالـحرج أمام ضيفه ، لقد اختار أن يَرُدَّ طلب الـملكة بدل أن يأخذَ من الناسِ ما هو لهم!

الثاني : أبو الـخير على بساطتِه يُقدِّمُ لنا درساً عملياً في حُبِّ الوطن! حب الوطن ممارسة عملية وليس خطباً وقصائد ومقالات فقط ، لم يرفضْ إهداء الـحمار للملكة عن بخلٍ وإلاّ فقد تبرَّعَ أن يُهديها حصاناً أصيلاً وهو أغلى ثمناً من الـحمار ولكنه عزَّ عليه أنْ يُقال عن وطنه أنه بلد ليس فيه ما يُقتنى إلا الـحمير!

٦ يوليو / تموز

في مثل هذا اليوم من العام ١٩٩٩م حصلت «روزا باركس» على الوسام الذهبي للكونغرس الأمريكي وهو أعلى تكريم مدني في أمريكا!

ولكن الطريق إلى الوسام لم يكن مُعبَّداً ، لقد كان مفروشاً بالشوك ككل الطرق التي يمشي فيها الناسُ لنيلِ حقوقهم!

في إحدى ليالي الشتاء الباردة من العام ١٩٥٥م صعدتْ روزا باركس إلى الحافلة عائدة من عملها إلى البيت ، جلستْ في مقعدٍ قرب النافذة ومضتْ الحافلة نحو المحطة التالية ، هناك امتلأتْ الحافلة ، وتوجَّهً رجل أبيض البشرة إلى روزا وطلبَ منها أن تقوم من مكانها ليجلس!

لقد كان القانون الأمريكي يَنُصُّ أن الأسود لا يجلس على المقعد إذا كان الأبيض يحتاج للجلوس ، أمّا إذا كان هناك مُتّسع فلا بأس!

ولكن روزا التي ضاقتْ ذرعاً بعنصريةِ أمريكا رفضتْ أن تقوم من مكانها!

اعتبرَ سائقُ الحافلةِ أنّ هذه مخالفة صريحة للقانون فتوجّه بالحافلة إلى مركز الشرطة التي قامتْ بإنزالِ روزا بالقوة وغرّمتها ١٥ دولاراً!

انتشرَ الخبر في أنحاء أمريكا ، وثارتْ حفيظة الأمريكيين سود البشرة ، فاشتعلتْ الاحتجاجات في أنحاء أمريكا مطالبة بإلغاءِ العنصريةِ وبالحقوق المدنيةِ والمساواة مع الأمريكيين البيض ، وبعد عامٍ من الاحتجاجات صدرَ قرارٌ من المحكمة بإلغاء كافة قوانين التمييز العنصري فيً أمريكا!

لقد كانت كلمة لا التي قالتها روزا باركس هي أشهر وأهم لا في تاريخ أمريكا ، المجدُ كل المجد للذين إذا ظُلموا قالوا لا!

قبل هذا بألفٍ وأربعمئة سنة كان بلال بن رباح يصعد على ظهر الكعبة ليؤذن بالناس وفيهم الأشراف من العرب وليس بعد رسول الله ﷺ شريف! وكان عمر في زمن خلافته إذا رأى بلالاً قال : بلال سيدنا وأعتقه سيدنا! ويا له من دِين!

٧ يوليو / تموز

في مثل هذا اليوم من العام ١٤٠٣م تُوفي السلطان العثماني «بايزيد الأول» ، كان الفرنسيون يُلقِّبونه بالصاعقة ، وكان الإنكليز يُلقِّبونه بالمحارب الشرس!

فتحَ بايزيد الأول بلغاريا والبوسنة وألبانيا ، وسجّلَ انتصاراً ساحقاً على جيوش الصليبيين في معركة «نيغبولي» التي تحالفتْ فيها ضده خمس عشرة دولة أوروبية منها إنكلترا وفرنسا!

رُفعت قضية مُلكيّة بستان أمام كبير قضاة الخلافة العثمانية الإمام والفقيه شمس الدين فناري ، وطلبَ منه أحد الخُصوم شهادة السّلطان بايزيد فأرسلتْ المحكمة في طلبِه فجاءَ إلى المحكمة ، ووقفَ أمام القاضي وأدلى بشهادته!

قلَّبَ شمس الدين فناري الأوراق ، ثم نظرَ إلى السلطان وقالَ له : لا أَتّهمك بالكذِب ولكن لا يُمكن أن أقبل شهادتك لأنّك لا تُؤدِّي صلواتك في جماعة والشخص الذي لا يحضر صلاة الجماعة دون عذر شرعي لا تُقبل شهادته كما هو منصوص عليه في شروطِ أهلية الشهود!

نزلتْ كلمات شمس الدين فناري على السّلطان والحضور كالصاعقة ، كثيرون اعتقدوا أنّ بايزيد سيأمرُ بقطعِ رأسه ، ولكنه لم يَقُلْ أية كلمة ، بل استدارَ وخرجَ من القاعة بهدوء!

في اليوم نفسه استدعى بايزيد المهندسين وأمرَهم ببناءِ مسجدٍ في القصر وقال لمن حوله : هكذا لا تشغلنا السياسة عن صلاة الجماعة!

وإنّ المرء لا يَعرف من أي الرجلين يعجب : من القاضي الذي طبّقَ القانون على السلطان الذي يحكمُ نصف الأرض كما يُطبِّقُه على رجلٍ مسكينٍ قد لا يعرف سكان الحي الذي يسكنُ فيه اسمه ، أم من السلطان الذي جعلَ أوروبا تنصاعُ له فانصاعَ لحكم القاضي دون كلمة اعتراض حتى مع أن الأمر قد يعتبره البعض إهانة شخصية!

واللهِ ما صلحَ السلاطين إلا عندما كان العلماء يخافون الله أكثر ممّا يخافون السلاطينَ ، وما فسدَ السلاطين إلا عندما صارَ العلماء يخافون السلاطين أكثر مما يخافون الله!

٨ يوليو / تموز

في مثل هذا اليوم من العام ١٩٧٢م اغتالَ الـموساد الإسرائيلي الأديب الثائر «غسان كنفاني» في بيروت!

في ذلك اليوم وقفتْ الشّمطاء «غولدا مائير» رئيسة وزراء إسرائيل لتُدلي بتصريح حول الـحادثة ، فقالتْ : اليوم تخلّصنا من لواءٍ فكريٍّ مُسلحٍ فغسّان كان يُشكل خطراً على إسرائيل أكثر مما يُشكله ألف فدائي مسلّحٍ!

يا لها من شهادة يا غسّان ، يَكفي الـمرء شرفاً أن يكون كبيراً في عين أعدائه! أما أحبابه فلم ينتبهوا كم هو هام وخطير حتى أخبرهم الـموساد بهذا! لم يكُن في غسان شيء يُوحي بأنه خطير فعلاً ، كان وسيماً كحيفا التي أرادَ أن يعود إليها ، مُدخناً شرهاً لأنه ربّما شعرَ أنه إن لم يحرق شيئاً فقد يحرق نفسه ، يسارياً حتى العظم ، مريضاً يحقنُ نفسه بالإنسولين ، يقرأُ بنهم ، ويكتبُ دون كلل كأنّه كان يعرف أنه سيموت باكراً ، فمن أين أتتْ خطورته؟!

برأيي إنّ خطورة غسان أتتْ من إيمانه الراسخ بقضيته ، في تطبيق الـمثاليات التي يكتبُ عنها ، فهو عندما كان يكتب عن محاربةِ إسرائيل في الـحرية والديار كان يُخطط مع رفاقه في الـجبهة الشعبية لخطفِ الطائرات الإسرائيلية وهكذا كان!

إسرائيل تعرفُ أنّ الـمعركة ليستْ معركة بُندقية فقط ، وإنما معركة وعي بالدرجة الأولى ، لأنّ البندقية الـجاهلة تَقتل ولا تُحرِّر ، وقد كان غسان واعياً حتى الشهادة! بقيَ أن نعرف نحن هذه الـحقيقة ، أن نعرفَ أنّ محاربة إسرائيل ليستْ بالبندقية والصاروخ فقط وإن كان هذا من أنبل صور الصراع ، ولكن هناك صراع ثقافة ووعي ، هناك صراع تربية ، والأمُ التي تُربي أولادها تربية حسنة ، والأبُ الذي يسألُ أولادَه عن الصلاة والصيام هذان جنديان في الـمعركة وإن لم يحملا البنادق ، الـخُطباء في الـمساجد ، الـمُعلمون في الـمدارس هم جنود إن شاؤوا ، جنود لا يقلون أهمية عن الـمقاتلين وجهاً لوجه!

٩ يوليو / تموز

في مـثل هذا اليـوم من العـام ٦٩٩م تُوفي «إبراهيم النخـعي» ، أدركَ عـدداً من صحابةِ النبي ﷺ وأخذ عنهم ، كما التقى بعائشة وهو طفل صغير عندما رافقَ أباه وعمّه إلى الحج!

كان هو والشعبي أشهر علماء الكوفة في عصرِهما ، وقد أقرَّ له أقرانه بالفضل والعلم ، وعندما ذهبَ أهل الكوفة لطلبِ الفتوى من سعيد بن جبير ، قال لهم : أتستفتوني وفيكم إبراهيم النخعي؟!

كان إبراهيم النخعي أعور العين ، وكان تلميذه سُليمان بن مهران أعمش العين ، وذات مرة كانا يسيران في إحدى طرقات الكوفة يريدان المسجد ، فقالَ النخعي للأعمش : يا سُليمان هل لكَ أن تأخذ طريقاً وآخذ أنا آخر؟ فإنِّي أخشى إذا مررنا سوياً بسُفهائِها أن يقولوا : أعور يقودُ أعمشاً ، فيغتابونا ويأثمون!

فقالَ له الأعمش : يا أبا عمران وما عليكَ أن نُؤجر ويأثمون؟

فقال له إبراهيم : يا سبحان الله ، بل نسلمَ ويسلمون خير من أن نُؤجر ويأثمون!

انظروا لهذه الرحمة بالناس ، وهذا النُبل في التعامل معه ، لم يكُن يهتم لدينِهِ فقط ، وإنما كان يريد أن يحفظَ على الآخرين دينهم أيضاً!

ولم يكُن يُريد أن يحصل هو على الأجر إذا كان ثمن هذا الأجر أن يحملَ مُسلم وِزراً في المقابل! بهذه القلوب رفعهم الله مكاناً علِياً ، وأحيا ذِكرهم ، وحفظَ لنا سيرتهم ، شتّان بين من يرى في هذا الدين غنيمة يُريد أن يثأر بها وحده ، وبين من يرى أنّ تمام دينه أن يكون دين الآخرين بخير ، وما جاءَ الرسل والأنبياء إلا لأجلِ أن يدُلُّوا الناس على الجنة ، فهنيئاً لكلِّ من كان فيه شيءٌ من نَبِيّ!

١٠ يوليو / تموز

في مـثل هذا اليـوم من العـام ١٨٨٤م توقفَ القطار في مـحطة مـدينة بوسطن الأمريكية ، ونزلَ منه زوجان يرتديان ثياباً بسيطة ، وبخطوات واثقة تَوَجّها إلى مكتب رئيس جامعـة هارفارد وطَلَبا من السكرتيـرة مقابلتـه ، ولكنّهـا اعتـذرتْ منهمـا لأنّ الـمدير مشغول وهما لم يحصلا على موعدٍ مسبق!

فقالتْ الزوجة : لا بأس سننتظره!

مضتْ ساعات وهما ينتظران فقرَّرَتْ السكرتيرة أن تُقاطع رئيس الـجامعة وتُخبره بالأمر ، وعندما سمحَ لهما بالدخول نظرَ إليهما بشيءٍ من الاستخفاف ، ماذا يفعل ريفيان في مكتبه!

ولكن الزوجـة سـارعتْ بالقـول : سـيـدي الرئيس كـان لنا ولد درسَ هنا لمدة عام وتُوفي في حادث سيارة ، لقد كان سعيداً بالسنة التي قضاها هنا لهذا نُريدُ أن نتبرّعَ بشيء لتخليدِ اسم ابننا هنا!

قال الرئيس بجفاء : سيدتي لا يُمكننا أن نقيم تمثالاً لِكُلِّ من درسَ هنا وماتَ وإلاّ تحولتْ الـجامعة إلى غابةٍ من التماثيل!

فقالتْ له : نحن لا نرغبُ بِوضع تمثال له وإنما نُريد أن نتبرع بمبنى يحمل اسمه في الـجامعة!

فقالَ الرئيس بجفاء أكثر من الأول : هل لديكما فكرة كم يُكلِّف بناء مثل هذا الـمبنى؟ لقد كلَّفتنا الـجامعة ما يُقارب سبعة ملايين دولار!

سادَ الصمتُ بُرهة ، وظنَّ رئيس الـجامعة أنّه صارَ بإمكانه أن يتخلّصَ منهما ، إلى أن وقفتْ السيدة وقالتْ لزوجها : سيد ستانفورد ما دامتْ هذه تكلفة بناء جامعة لماذا لا نُنشئ جامعة جديدة تحملُ اسم ابننا؟!

فهزَّ الزوجُ رأسه بالـمُوافقة!

عادَ الزوجان ليلند ستانفورد وجين ستانفورد إلى كاليفورنيا وأسّسا واحدة من أعرق جامعات الأرض هي جامعة ستانفورد تخليداً لذكرى ابنهما!

وعندما تمّ بناء الـجامعة قالَ السيد ستانفورد لزوجته الآن بإمكان جميع أولاد كاليفورنيا أن يكونوا أولادنا! بعضُ التصرفات النبيلة يجد الـمرء حرجاً أن يُعلِّق عليها ومن الأفضل أن تبقى هذه التصرفات بلا تعليق!

١١ يوليو / تموز

في مثل هذا اليوم من العام ٩٠٤م وُلد «سيبويه المصري» ، وهو غير سيبويه النحوي الشهير ، وإنّما تشابُه في الأسماء! كان من عُقلاءِ المجانين!

وعُقلاءُ المجانين هم طائفة عُرفوا بالجنون ولكن كان لهم مواقف وأخبار وأشعار لا يأتي العُقلاء بمثلها!

وكان يُمكن لسيبويه المصري أن يكون نسياً منسياً ولا نسمع به لولا أن قام ابن زولاق وهو مُؤرِّخ مصري بكتابة كتاب بعنوان أخبار سيبويه المصري ، فقد عاشا في العصر ذاته زمن الدولة الفاطمية ، فتتبّعَ كل أخباره ، ما شهِدَها هو ، وما سمِعَها عنه من الناس وكان مما ذَكرَ ابن زولاق في كتابه : - قال سيبويه المصري : مدحَ الناس المُتنبي لأنّه قال :

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى عدواً

له ما من صداقته بُدُّ وهذا كلام فاسد

لأن الصداقة ضد العداوة ، والصداقة مأخوذة من الصدق ، لو أنه قال :

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى

عدواً له ما من مداراته بُدُّ

- لمّا ماتَ كافور ، وبُويع لأحمد بن علي بن الإخشيد وهو طفل ابن إحدى عشرة سنة قال سيبويه المصري : هذا من العجائب ، ومن عِظام المصائب ، أن يقعدَ في أعلى المراتب ، ويُؤهل للنوائب ، صبيٌّ غير بالغ ولا آيب ، ولا قارئ ولا كاتب!

- وكان سائراً على حماره حتى لقِيَ المُحتسب -مُراقب الأسواق- والحرس بين يديه فقال : ما هذه الأحراس يا أنجاس؟ والله ما ثمَّ حق أقمتموه ، ولا سعرٍ أصلحتموه ، ولا جان أدَّبتموه ، ولا ذو حسب وقرتموه ، وما هي إلا أجراس تُسمع ، لباطل تُوضع ، لا حفظَ الله من جعلك محتسباً ، ولا رحم لك أماً ولا أباً ، وسلطَ عليكَ وعليه من يوجعَكما أدباً!

١٢ يوليو / تموز

في مثل هذا اليوم من العام ١٩٦٥م صدر كتاب «الإرشاد لمن طلب الرّشاد» لمحمد النائيني ، والكتاب عبارة عن مجموعة مُختارة من المواعظ والحكم والحكايات والطرائف والنوادر جمعها المؤلف من كتب التراث ، وفي الكتاب أخبار ما أنزل الله بها من سلطان وفيه المفيد «والحكمة ضالة المؤمن» ، وهذا بعض ما فيه :

- سألَ موسى عليه السلام ربه أن يكُفَّ عنه ألسنة الناس ، فأوحى الله إليه أن يا موسى هذا شيء لم أجعله لنفسي فكيف أجعله لك!
- قال محمد بن يحيى مؤدب المأمون :صليتُ يوماً قاعداً لمرض أصابني ، فأخطأ المأمون فقمتُ لأضربه ، فقال لي : أيها الشيخ : تُطيع الله قاعداً وتعصيه قائماً!
- ماتَ مجوسي وعليه دين ، فقيل لابنه : لو بعتَ داركَ ووفيتَ دين أبيك؟فقال لهم : إن فعلتُ هل يدخل الجنة؟ قالوا : كيف يدخلها وهو مجوسي؟فقال : إذاً دعوا أبي في النار ودعوني في الدار!
- جاء رجل إلى فقيه فقال : أفطرتُ يوماً في رمضان فقال : اقضِ غيره! فقال : فعلتُ وجئتُ أهلي وقد صنعوا هريسة فسبقتني يدي إليها! فقال : اقضِ غيره! فقال : قد فعلتُ وجئتُ أهلي وقد صنعوا مامونية فسبقتني يدي إليها! فقال له : أرى أن لا تصوم إلا ويدك مغلولة إلى عنقك!
- حضر أعرابي سفرة هشام بن عبد الملك ، فبينما هو يأكل ، إذ تعلقتْ شعرة بلقمة الأعرابي ، فقال له هشام : انزع الشعرة من لقمتك! فقال له : وإنك تراقبني مراقبة من يرى الشعرة في اللقمة ، والله لا أكلتُ عندك أبداً!
- سُئل فيتاغورس : من الذي يَسلم من معاداة الناس؟ فقال : من لم يَظهر منه لا خير ولا شر ، لأنّه إن ظهر منه خير عاداه الأشرار ، وإن ظهر منه شر عاداه الأخيار!

١٣ يوليو / تموز

في مثل هذا اليوم من العام ١٧٩٢م وُلد «جيمس باري» أحد أشهر الجراحين العسكريين الإنكليز على مرّ التاريخ!

طوال خمسين عاماً أجرى جيمس باري عمليات ناجحة ، بعضها كان في غاية التعقيد ، وبعضها قال زملاؤه أنه من المستحيل أن تنجح ولكن باري الذي سطّر نجاحات مذهلة وأظهرَ مهارة جراحية خارقة تبيّن عند موته أنه السيدة مارغريت آن بكلي التي طوال هذه السنوات تنكرَتْ بزي رجل واسم رجل!

عملتْ مارغريت تحت اسم ومظهر الدكتور «جيمس» في المستشفى العسكري البريطاني في الهند ، وفي جنوب أفريقيا ، ثم في توباغو ، ومالطا وجامايكا ، وكندا ، ثم أخيراً تولَّتْ منصب المشرف العام على المستشفيات العسكرية البريطانية في كوكب الأرض وقد كتبتْ في وصيتها أنها تقمّصتْ دور رجل كي تحصل على فرص أفضل في التعليم والجيش! قصة حياة تكاد تكون ضرباً من الخيال ، ولكن الواقع يثبت أن كثيراً من النساء قد حُرمن إظهار قدراتهن ومهاراتهن فقط لأنهنّ نساء ، وأن المرأة متى أُتيح لها الفرصة والظرف للنبوغ والتفوق فهي لا تقل مهارة وكفاءة عن الرجل في مختلف الميادين!

صحيح أن الله تعالى قد خلق المرأة بصفات مُغايرة لتلك التي خلق بها الرجل ، والحكمة البالغة من هذا هو أن يتكامل الرجل والمرأة للنهوض بالجنس البشري وتحقيق الاستخلاف في الأرض بأزهى صورة وأكملها ، وحين تنفرد المرأة بصفات نفسية وينفرد الرجل بصفات أخرى تبعاً لوظيفة كل منهما في الحياة هذا لا يعني أبداً أن المرأة لا يمكن أن تبرع في المهن التي اعتدنا أن نرى فيها الرجال أو أن يبرع الرجال في المهن التي اعتدنا أن يبرع فيها النساء ، إننا نتوجّس حين نرى امرأة في غرفة العمليات ولكننا لا نتوجّس حين نرى الغالبية الساحقة من طباخي العالم المشاهير من الرجال ، حقيقة إن أكبر مشاكل المرأة ليست في المرأة وإنما في نظرتنا لها!

١٤ يوليو / تموز

في مثل هذا اليوم من العام ١٩٣٤م وُلد «داشرات مانجي»! قد يبدو الاسم غريباً وغير مألوف ، فهو ليس أديباً يُشار إليه بالبنان ، ولا سياسيًا اعتلى سدة الحكم يوماً ، ولا طبيبًا اجترح معجزة ، ولا اقتصاديًا فذًا ، ولا رجل أعمال ناجح ، كل ما في الأمر أنّه كان إنساناً عظيماً بكل ما تحمله الكلمة من معنى!

كان داشرات مانجي عاشقاً لزوجته ، تربطه بها علاقة حب متينة ، وذات يوم أُصيبت زوجته إصابة خطيرة استدعتْ نقلها إلى المستشفى على جناح السرعة ولكن بسبب أن القرية نائية والطريق إلى المدينة مُلتفّ معوجّ يُقدّر بحواليَ سبعين كيلومتراً تأخّرتْ سيارة الإسعاف بالحضور فلفَظَتْ الزوجة أنفاسها الأخيرة على ذراع زوجها المُحب!

لم يُرد داشرات أن يعيش أحد سكان القرية تجربته المريرة فقرَّرَ وحده أن يشق طريقاً مختصراً في الجبل باستخدام فأس ومعول فقط!

ولمدة اثنتان وعشرين سنة كان يحفر الصخر دون كلل ولا ملل حتى استطاع أخيراً أن يشق طريقاً طوله مئة وعشرة أمتار ، بعرض تسعة أمتار ، ووصل القرية بالمدينة بحيث صارت المسافة بين القرية والمدينة خمسة عشر كيلومتراً بعد أن كانت سبعين كيلومتراً!

يُعجبني هؤلاء البشر النُّبلاء الذين يدفعهم حزنهم إلى العمل كي لا يذوق الآخرون الحزن الذي ذاقوه هم ، وواحد غير داشرات لربما انطوى على نفسه ، واسودّت الدنيا بعينيه وانزوى في بيته يندب زوجته ، ولكنه شمَّر عن ساعديه ، وشقّ جبلاً بمعول وفأس لأجل الآخرين ، فالشخص الذي كان يهتم لأمره قد مات ، ولم يُرِد أن يموت الآخرون بسبب هذا الجبل الذي يحول بينهم وبين مستشفيات المدينة!

نبيلٌ هو الإنسان الذي لا تسلبه تجاربه المريرة إنسانيته!

١٥يوليو / تموز

في مثل هذا اليوم من العام ٢٠١٤م قرَّرَ الـملياردير الصيني «شيوشا» هدم بيوت قريته الفقيرة التي ترعرعَ فيها وشيَّد بدلاً منها شققاً فخمة مجاناً لهم لأنّهم عاملوه بلطف في طفولته!

بنى شيوشا شققاً فخمة لاثنتين وسبعين عائلة عاملوه بلُطف في طفولته عندما كان فقيراً ، وبنى ثماني عشرة فيلا لعائلات عامله أهلها بلُطف أكبر من البقية!

لا أستغربُ حين أرى إنساناً غير مُسلم يُعامل الناس بأخلاق ، فالـخير بذرة زرعها الـخالق العظيم فينا ، ولكن ما أستغربه حين أرى مُسلماً سيء الأخلاق ، وهذا الدين كُله خلق ، وأنّ الله سبحانه لّما أرادَ أن يمدحَ نبيه في القرآن الكريم لم يمدحه بنسبه الرفيع ، ولا بقبيلته العريقة ، وإنّما مدحه بأخلاقه فقال له : «وإنّك لعلى خُلق عظيم»!

قالوا قديماً : ليس بالضرورة أن ترد الـمعروف ولكن كُن أرقى من أن تُنكره!

وأقولُ من العار أن لا ترُد معروفاً أنتَ قادر على أن ترده ، إن النبيل لا ينسى معروفاً أُسدي إليه ، بل إنه يَتحيّن الفرصة لردِّ هذا الـمعروف ، ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة!

عندما ذهبَ إلى الطائف يدعو أهلها ، وأخرجوا له سفهاءها وصبيانها ورجموه بالـحجارة هامَ على وجهه لا يدري أين تقوده قدماه ثم لّما عادَ إلى مكة ومنعوه من الدخول أدخلَه «مطعم بن عدي» في جواره ، فدخلَ إلى الكعبة ومطعم وأولاده يحملون السيوف كي لا يقربه أحد!

ودارت الأيام ، وتُوفي مطعم بن عدي ، واصطفَّ الـمُسلمون لُمواجهة قريش في بدر ، وانتهت الغزوة بنصر ساحق للمسلمين ، وغنائم وأسرى ، فنظرَ النبي ﷺ إلى أسرى قريش ، وقال : لو كانَ مطعمُ بن عدي حياً وكلّمني في هؤلاء لأطلقتهم له!

تخيّلوا هذا الوفاء ، حملوا السيوف عليه وقاتلوه ، ولو استطاع أحد منهم أن يقتله ما تردَّدَ لحظة ، ولكنه على استعداد أن يُطلِق هؤلاء وفاءً لرجل أسدى إليه في يوم من الأيام معروفاً!

١٦ يوليو / تموز

في مثل هذا اليوم من العام ٦٠٦م تُوفي «زيد بن عمرو» الذي أدخلَ الـحنيفية دين التوحيد إلى جزيرة العرب! ماتَ قبل البعثة الشريفة بأربع سنوات فلم يتشرّف باتّباع النبي الذي كان يتلهف شوقاً لبعثته ، ولكنّه رغم هذا رجل دخلَ التاريخ من أوسعَ أبوابه فقد قالَ النبيُّ صلّى الله عليه وسلم لابنه سعيد بن زيد : إن أباك يُبعث أمةً وحده بيني وبين عيسى ذلك أنّه أدخل الـحنيفية إلى جزيرة العرب!

يا له من مجد رجل يُبعث بين نَبِيّين!

خرجَ زيد بن عمرو إلى الشام يسأل عن دين غير عبادة الأصنام ، فلقيَ عالـماً من اليهود وسألَه عن دينهم ، فقال له : إنّك لا تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من غضب الله!

فقال له زيد : لا أفِرُّ إلا من غضب الله!

فهل تدلني على دين ليس فيه هذا؟ فقال : ما أعلمه إلا أن تكون حنيفاً على دين إبراهيم!

فتركه وخرج من عنده!

فأتى عالـماً من النصارى ، وقال له نحواً مّما قاله لليهودي ، فقال له النصراني : إنّك لن تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من لعنة الله!

فقال له زيد : لا أفرُّ إلا من لعنة الله! فهل تدلني على دين ليس فيه هذا؟ فقال : ما أعلمه إلا أن تكون حنيفاً على دين إبراهيم! فتركه وخرج من عنده! فلمّا رجعَ إلى مكة قال : اللهم إنّي على دين إبراهيم!

فتعلَّمَ التوحيد وعلمه لمن رغب به ، وكان يدعو قريشاً إليه ، ويقول لهم : يا معشر قريش أيرسلُ الله ماء السماء ، وينبتُ زرع الأرض ، ويخلقُ البهائم فترعى فيه ، ثم تذبحونها لغيره! هنيئاً لزيد يُبعث أمةً وحده!

١٧ يوليو / تموز

في مثل هذا اليوم من العام ١٩٥٨م أبصرَ السنافرُ وعدوُّهُم اللدود شرشبيل النُّور!

لم تكُن طريق ولادتهم مُعبَّدة بالورود وإنّما كان الأمر أشبه بولادة قيصرية!

في أحد الأيام استيقظ «بيير كوليفورد» يُمنِّي نفسه أن ينجحَ في مقابلةٍ العمل ويحصل على وظيفة مساعد طبيب أسنان، تناولَ فطوره، ولبسَ أجمل ثيابه واستعدَّ للخروج ولكنّه لم يجد محفظته!

بحثَ عنها دون جدوى، وبدأَ الوقت يمرُّ سريعاً والإحباط يتسللُ إلى بيير، كان حائراً ماذا يفعل، هل يبحث أكثر عن المحفظة فتفوته المقابلة، أم يذهب دون إثبات لشخصيته أو إيصال يُثبت أنه تقدَّم للوظيفة فعلاً، وأخيراً قرَّرَ أن يذهبَ دون إثباتٍ، ولكنَّه وصلَ مُتأخراً، فقالوا له: لو كنتَ مُهتماً بالوظيفة كنتَ حضرتَ باكراً، نعتذرُ لكَ لا مكان لكَ عندنا!

عادَ إلى بيته يجرُّ أذيال الخيبة، واضطرَّ أن يقبلَ بوظيفة عُرِضتْ عليه وهي مُتدرِّب في استديو للرسم، لم تكن الوظيفة مُغرية ولكن راتبه كان يكفي ليُسدِّد فواتيره ويتدبر أمره، وفي استديو الرسم وجد بيير نفسه، بدأ يرسم قصصاً للأطفال تحت اسم مستعار هو «بييو» فانتشرتْ رسوماته وأحبَّها الأطفال، ولكن اللحظة الفارقة في حياته كانتْ عندما اخترع السنافر، فحقَّقَتْ هذه الشخصيات الصغيرة الزرقاء نجاحاً رهيباً، ثم انتقلَتْ من عالم المجلة إلى عالم التلفاز، وحقَّقَ بيير من ورائها ثروة ضخمة! ربما لو وجد بيير محفظته في ذلك اليوم لكان قُبل في وظيفة مساعد طبيب أسنان وماتَ دون أن يسمعَ به أحد ولكنها الحياة تُغلق نافذة هنا، فتُفتح غيرها هناك، الفشل والرفض في مجال لا يعني الفشل والرفض في كل الحياة، الفشل محطة علينا أن نتعلَّمَ منها، ثم نتركها وراء ظهرنا ونمضي إلى المحطة التالية، لا أن نُقيم فيها أبد الدهر!

١٨ يوليو / تموز

في مثل هذا اليوم من العام ٥٦٩م تُوفي طَرفة بن العبد عن ستةٍ وعشرين سنة تاركاً وراءه معلقة شعر ما زالت حية حتى اليوم!

وأشهر بيت فيها :

وظلم ذوي القـــربى أشـــد مــضـــاضـــةً
على الفـتى من وقع الـحـســام الـمـهندِ

ذهب طَرفة بن العبد برفقةِ خاله «الـمُتلمِّس» إلى ملكِ الـحيرة عمرو بن هند ، فنزلا في خاصته ، وكانا يُرافقانه للصيدِ أحياناً ، ولكنّه كانَ مُولعاً بالـخمر ، فكان يشرب وهما يقفان على بابه النهار كله لا يصلان إليه ، فغضِبَ طَرفة .

وقال :

فليتَ لنا مكانَ الـملك عـمـرو رغـوثاً حـول
قـبّـتنا تخـورُ غـضبَ الـملك من بيت طرفـة

وهمَّ بقتله ، ولكن خافَ من هجاء الـمُتلمِّس خال طرفة فقد كان هو الآخر شاعراً أيضاً ، فكتبَ لهما بصحيفتين وختمهما ،

وقال : اذهبا إلى عاملي بالبحرين فقد أمرته أن يصلكما بجوائز!

فذهبا ، فمرَّا في طريقهما بشيخٍ لم يُعجبهما ، فقالَ له الـمُتلمِّس : ما رأيتُ اليوم أحمق من هذا!

فقال له الشيخ بعد سماع القصة : إن أحمق مني من يحمل حتفه بيده وهو لا يدري!

دخلَ الشك قلب الـمُتلمِّس وألقى الكتاب وعادَ إلى أهله ، أما طرفة فرفض ، ومنّى نفسه بجائزةِ العامل على البحرين ، فلمّا وصلَ إليه ، ودفعَ إليه الكتاب ، فإذا فيه أن اقتل حاملَ هذا الكتاب ، فأخذَه فقتلَه وهكذا ماتتْ موهبة شعرية رهيبة في مقتبل العمر!

ما زالَ الـمرء في بحبوحة من دنياه ما ابتعد عن السَّاسة والـملوك ، فإنّ رضاهم صعب عسير ، وسخطهم سهل يسير ، ومما قالته العرب في هذا الـمجال : لا تأمن للملوك ولو توَّجوك!

١٩ يوليو / تموز

في مثل هذا اليوم من العام ١٩٣٧م تخرَّج «وليام ماير» من جامعة ولاية بنسلفانيا ، وانضمَّ إلى الجيش الأمريكي ليُصبح نهاية المطاف جنرالاً وكبير المُحلِّلين النفسيين في الجيش الأمريكي!

بعد انتهاء الحرب مع كوريا وقعَ آلاف الجنود الأمريكان أسرى وتمَّ وضعهم داخل مخيم تتوافر فيه كافة المواصفات الدولية ، لم يكُن هناك تعذيب ، الأكل والشرب متوفران بكثرة ، والسُّجناء لا يقومون بأعمال شاقة ، لهذا لم يفهم أحد سبب ارتفاع الوفيات الطبيعية بين الجنود السجناء! حيث كان ينام أحد لا يشكو من شيء ثم لا يستيقظ صباحاً!

كلَّفَ البنتاغون الجنرال ماير بمعرفةِ السبب ، وبعد دراسة طويلة تبيَّن لماير التالي : - كانتْ الرسائل والأخبار السيئة فقط هي التي يتم إيصالها للسجناء- كانوا يأمرون السجناء أن يحكوا على الملأ إحدى ذكرياتهم السيئة حول خيانتهم أو خذلانهم لأحد الأصدقاء .

- كلُّ من يتجسس على زملائه كان يُعطى امتيازات لهذا تجسَّسَ السجناء على بعضهم البعض من خلال هذه المعطيات استنتج الجنرال ماير ما يلي :

- الأخبار السيئة التي كانتْ تصلهم كانت تُفقدهم الأمل بالنجاة والتحرر ،

- الأخبار السوداوية تجعل نظرة الإنسان للحياة سوداوية!

حكايتهم للذكريات الأليمة والخيانة كانت تُفقدهم احترامهم لأنفسهم واحترام زملائهم لهم أيضاً ، باختصار كان السجين يسقط من عين نفسه وعين زملائه!

- تجسسهم على بعضهم البعض قضى على عزة النفس لديهم وأشعرَهم بالحقارة!

إن كان من درس يُستفاد من هذا كله فهو أنك تستطيع أن تقتل إنساناً دون أن تُطلق عليه رصاصة ، نحن نموت أو نعيش من الداخل أولاً!

٢٠ يوليو / تموز

في مثل هذا اليوم من العام ٨١٠م وُلد «الإمام البُخاري» ، قِيل أنّه رأى في المنام في صغره أنه يدفع الذباب عن النبي ﷺ ، فقيل له : إن صدقتْ رؤياك فإنك تذبُّ الكذب عن رسول الله!

وصدقتْ رؤياه وصارَ أمير المؤمنين في الحديث ، ووضعَ أصح الكتب بعد القرآن الكريم ألا وهو صحيح البخاري! قال عنه الإمام الذهبي : البُخاري شيخ الإسلام وإمام الحُفاظ ، كان رأساً في العلم والورع والعبادة ، وكان يتوقد ذكاءً ولم يخلف بعده مثله!

قال عنه ابن كثير : البُخاري إمام أهل الحديث في زمانه وقال عنه ابن حجر : البخاري جبل الحفظ ، وإمام الدنيا في فقه الحديث وقال عنه الشوكاني : البخاري حافظ الإسلام ، وإمام أئمته الأعلام!

قطعَ الدنيا طولاً وعرضاً طلباً للحديث ، وبعد أن جمعَ الأحاديث ، وصارَ أوان تصنيفها وتبويبها يقول الإمام البُخاري : ما وضعتُ في كتابي الصحيح حديثاً إلا اغتسلتُ قبل ذلك وصليتُ ركعتين! أما عن البدايات فيُحدِّثنا الإمام البُخاري يقول : حضرتُ يوماً مجلس إسحاق بن راهويه ، فقال : من ينشط منكم لجمعِ الصحيح؟! فوقعتْ مقولته في قلبي ، فعزمتُ وشمَّرتُ وجمعتُ الصحيح!

كلمةٌ واحدة قالها ابن راهويه ، وقعتْ في قلب البخاري ، فألَّف أصح الكتب بعد القرآن الكريم ، فإن كان من درس في كل هذا : قد يكون لديكَ رؤية ولكن ليس لديك الإمكانات ، فدُلَّ الناس على الطريق ، الدَّال على الخير كفاعله ، والنبيل يفرح إذا وصل الآخرون كأنه هو الذي وصل!

٢١ يوليو / تموز

في مثل هذا اليوم من العام ١٩٧٧م قامتْ السيدة الأمريكية «لورا شولتز» البالغة من العمر ٦٣ عاماً برفع مؤخرة سيارة وحدها لتُحرِّر ذراع حفيدها من تحتها! لم تكُن لورا رافعة أثقال، ولم يَسبق أن دخلتْ نادياً رياضياً، على العكس تماماً كانت جدَّة تقليدية تشكو ألاماً في عظامها ووهناً في مفاصلها، غير أنها عندما رأتْ ذراع حفيدها تحت إطار السيارة جاءتها قوة رافع أثقال أولمبي!

أجرى الصحفي «تشارلز جارفيلد» مقابلة معها، فتفاجأ أنها حزينة، ولا ترغب بالتحدث في الأمر، وعندما ألحَّ عليها ليعرف سبب حزنها رغم أنها قامتْ بعمل بطولي أشبه ما يكون بمعجزة وأنّه لولا أن الحادثة قد تمَّ تصويرها لم يكن لأحد أن يصدق أن هذه المرأة العجوز استطاعت أن ترفعَ مؤخرة السيارة وحدها!

فقالتْ له: أنا حزينة لأني اكتشفتُ في الوقت الضائع من حياتي سرّ الحياة برمتها، نحن نستطيع أن نفعل المعجزات إذا آمَنّا بقدرتنا وكان لدينا الرغبة والحافز، عندما رأيتُ يد حفيدي تحت إطار السيارة لم أشُك للحظة أنِّي قادرة على رفعها، فلم أقُم بالأمر من باب التجربة على العكس تماماً لقد كنتُ في تلك اللحظة على يقين أني قادرة على فعلها، في اليومين الماضيين استعرضتُ حياتي الماضية، أشياء كثيرة كنتُ أودُّ أن أفعلها ولكن الخوف من الفشل منعني عنها، لقد اكتشفتُ أني كنتُ قادرة ولكن إيماني بنفسي لم يكن موجوداً، إن سرّ النجاح أن يؤمن المرء بنفسه!

ما أحلاها من حكمة امرأة عجوز: إن سر النجاح أن يُؤمن المرء بنفسه!

لا أحد يستطيع أن يُسقطك أرضاً إلا بمساعدتك!

ولا أحد يستطيع أن يقودك إلى النجاح ما لم ترَ نفسك ناجحاً أولاً، إن نظرتنا لأنفسنا هي التي تحدد مصيرنا في الحياة!

٢٢ يوليو / تموز

في مثل هذا اليوم من العام ١٩٨٧م اغتال الموساد الإسرائيلي الرسام الكاريكاتيري المُبدع «ناجي العلي» في لندن!

ومُنذ تلك اللحظة صارَ حنظلة يتيماً فقد تركَه ناجي وحيداً ومضى، الصبي الذي جعل منه ناجي أيقونة وقالَ عنه: حنظلة في العاشرة من عمره وسيبقى في العاشرة حتى يرجع إلى القدس هناك فقط سوف يكبر، وماتَ ناجي ولم يكبر حنظلة!

كان ناجي العلي رساماً مغموراً في مخيم عين الحلوة، يرسم على الجدران عندما لا يجد ورقاً يرسم عليه، فصادفَ أن كان غسان كنفاني في زيارةٍ إلى المخيم، ورأى رسومات ناجي فأُعجب بها، فقامَ بنشرها في مجلة الحرية، ومنذ ذلك الحين خرجَ ناجي من أزقة المخيمِ إلى فضاء العالم!

يا لهذا اللقاء، شهيدٌ يختار شهيداً، غسان شهيد الكلمة، يأخذ بيد شهيد الريشة والألوان!

كلاهما قضى نحبه اغتيالاً على يد عدوه، ويا له من شرف للثائر أن يعرف عدوه أنه لا يمكن ترويضه، ولا بد من تنحِيَته من الصراع!

غسان وناجي أثبتا أن الصراع ليس بندقية فقط، إنه قلم أديب، وريشة رسام أيضاً، ولقد كانا فتّاكين إلى درجة أن إسرائيل لم تُطق أن تراهما على قيد الحياة!

كل واحد منا على ثغر، ويمكن للمرء أن يكون مقاتلاً دون بندقية، يكفي أن يُوظِّف مواهبه وطاقاته في مجاله حتى يكون مقاتلاً شرساً وإن لم يحمل بندقية!

هذه حقيقة تجلَّت في كل الصراعات على مر التاريخ، والإسلام الذي احتاج إلى سيف خالد وأبي عبيدة والقعقاع وعكرمة، لم يزهد في شعر حسان، في لحظة ما كان حسان بن ثابت أشرس جنود الإسلام، لقد قاتل بقصائده بنفس الضراوة التي قاتل فيها خالد يوم اليرموك!

٢٣ يوليو / تموز

في مثل هذا اليوم من العام ١٩٦٥م عقدَتْ العجوز الفرنسية البالغة من العمر تسعين عاماً «جين كالـمينت» واحدة من أغرب الصفقات في تاريخ البشرية!

ماتَ جميع أقاربها ، ولم يكُن لها مُعيل ، فلاحظَ أحد الـمحامين ذلك وأرادَ استغلال الوضع لصالحه فعرضَ عليها أن يدفعَ لها كل شهر ٢٥٠٠ فرنك فرنسي طيلة ما تبقى حياتها على أن يأخذَ الشقة التي تعيش فيها بعد وفاتها! وافقتْ جين دون تردد ، وتمَّ توقيع العقد بين الطرفين! اعتقدِ الـمحامي أن جين لن تعيش لأكثر من سنتين أو ثلاثة ، وبهذا يُمكنه الحصول على الشقة بمبلغ زهيد في أرقى أحياء باريس!

ولكن الـمفاجأة كانتْ أن الـمحامي دفعَ لها طيلة ثلاثين عاماً ، ثم أُصيب بالسرطان ومات ، وعاشتْ هي بعده سنتين وماتتْ عن عمر يُناهز ١٢٢ عاماً! ما بدا للمحامي أنه صفقة رابحة ، تبيَّن أنه أخسر صفقة يمكن عقدها ، لقد عاشَ ثلاثين عاماً يدفع راتباً شهرياً للمرأة العجوز وهو ينتظر موتها ثم مات قبلها!

دليلٌ دامغٌ على قدرة الله وعلمه الذي لا يُشاركه فيه أحد من خلقه ، بحسابات البشر بدا الأمر منطقياً جداً ، لم يكن لجِين أن تعيش بعد التسعين ، أما بحسابات القدر فـ«لِكُلِّ أجلٍ كتاب»!

أعرِفُ رجلاً طاعناً في السن ، مرض مرضاً شديداً ، فزاره قريب له مُتنفِّذ كالـمودع له ، فقد غلبَ على ظنِّ الـجميع أن الرجل الطاعن في السن لن يقوم عن سرير مرضه إلاّ إلى القبر ، ولكن بعد شهرين مات هذا القريب الـمُتنفِّذ في حادث ومشى الرجل الطاعن في السن في جنازته!

فسبحان من قدَّر الآجال وجعلها في خمسٍ لا يعلمها إلا هو ﴿وما تدري نفس بأي أرضٍ تموت﴾!

٢٤ يوليو / تموز

في مثل هذا اليوم من العام ٥٧٤م تُوفي الشاعر الجاهلي الرقيق «عبد الله بن العجلان النهدي» ، أما عن قصة موته فهي من أغرب قصص العشاق على مرِّ التاريخ!

عشقَ عبد الله بن العجلان امرأةً تُسمّى هنداً وعشقَتْه ، فخطبَها أبوه له وكان سيد القبيلة وتمَّ الزواج ، ومكثَتْ عنده سبع سنين لا تلد ، فقالَ له أبوه : إنّه لا ولد لي غيرك ، ولا ولد لك ، وهذه المرأة عقيم لا تلد ، فطلِّقْها وتزوَّج غيرها ، فرفضَ عبد الله ، فعزمَ أبوه أن لا يُكلِّمه ، فاختارَ خصام أبيه له على طلاق هند ، ثمّ إن عبد الله شربَ الخمر يوماً فسَكِر ، فعلِمَ أبوه بالأمر فأرسلَ في طلبه ، فجاءَه وسادة القوم عنده فما زال يُؤنِّبه ويُوبِّخه ، والرجال يُعينون الوالد على ولده حتى طلَّقها ، فلحقَتْ هند بأهلها! ولمّا استفاقَ من سكرته وعلِمَ ما صنعَ حاولَ أن يُرجعها ولكن والدها رفضَ ذلك ، ثم ما لبثَ أن زوجها لرجل غيره!

وذات يوم مرَّ عبد الله بن عجلان بزوج هند ، فشمَّ منه رائحة هند ، فعلم أنّه قد عانقها للتو ، فخرَّ ميتاً من غيرته عليها! وهكذا ماتتْ قصة حب رائعة بين رجل وامرأة دفعا ثمن تناحة أبويهما ، والد عبد الله حين احتالَ عليه ليُطلِّقها ، ووالد هند الذي لم يرأف لحال عبد الله يوم جاءَ يُرجعها إلى ذمته!

الناس ليسوا في الحُب سواء! مِن الرجال من لا يملأ عينيه كل نساء الأرض ، ومِن النساء من لا يملأ عينيها كل رجال الأرض!

ومِن الرجال من يرى امرأة واحدة كل نساء الأرض ، ومِن النساء من ترى رجلاً واحداً كل رجال الأرض! وأغلب الناس بين بين!

شريرٌ كل من فرق بين حبيبين كان يُمكنه أن يجمع بينهما ، شريرٌ كل من كسر قلبين كان بإمكانه أن يَجبُرَهما!

٢٥ يوليو / تموز

في مثل هذا اليوم من العام ١٩٧٤م حلَّ «مهاتير محمَّد» ضيف شرف على حفل التخرج لمدارس «كوبانج باسو» في ماليزيا! يومها وقفَ مهاتير خطيباً وقالَ فيما معناه : أعرفُ أنّ هذا يوم لتخريج الطلاب ، ولكنّي سأُجري لعبة بين المدرسين ، والفائز سوف يحصل على جائزة قيمة!

ذُهِلَ الحضور وتراوحتْ مشاعرهم بين الاستغراب والحماسة!

ولكنّ مهاتير قطعَ هذا كله عندما بدأ بشرحِ قواعد اللعبة فقالَ وهو يُوزِّع بالونات مُلوّنة على المعلمين : على كل معلم أن يَنفخ بالوَنته ، ومن ثم يربطها في رجله ، والذي يُحافظ على بالونته سليمة دون أن تنفجر سوف يربح جائزة ، معكم دقيقة هيا ابدأوا!

عندها انتفضَ المعلمون ، وهجمَ بعضهم على بعض ، كل واحد يحاول أن يفجر بالونة زميله ويحافظ على بالونته سالمة ، ولكن المفاجأة كانتْ أن جميع البالونات قد تمّ تفجيرها ، ولم يكن هناك فائز!

المفاجأة الأكبر كانتْ عندما قال مهاتير مُعلقاً على الأمر : لم أطلب من أحد أن يُفجر بالونة الآخر ، لقد طلبتُ أن يحافظ كل واحد منكم على بالونته!

لو أنّ كل واحد منكم وقف دون اتخاذ قرار سلبي ضد الآخر لنالَ الجميع الجوائز!

ولكن التفكير السلبي طغى على الجميع ، كل واحد منكم فكَّر في تحقيق النجاح على حساب الآخرين ، مع أن النجاح كان مُتاحاً للجميع!

ولكن للأسف البعض يتّجه نحو تدمير الآخر كي يُحقِّق النجاح ، والأسف الأكبر أن هذه عقلية حياة وليست عقلية لعبة فقط!

وفي سياق متصل قالوا :

- إن تكسيرك لمجاذيف غيرك لا يزيد من سرعة قاربك .
- الزهرة لا تُفكر في منافسة الزهرة الأخرى ، إنها تُزهر فقط .
- في القمة مُتّسع للجميع .
- وأجمل ما في هذا السياق قول رسول الله ﷺ : «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»!

٢٦ يوليو / تموز

في مثل هذا اليوم من العام ١٨٥٦م وُلد الأديب الإيرلندي الشهير «جورج برنارد شو» الذي يُعتبر أحد أهم الكُتّاب الـمسرحيين في التاريخ ، الأمر الذي جعله يفوز بجائزة نوبل للأدب عام ١٩٢٥م ولكنّه رفضَ استلام الـجائزة وقالَ مُعلِّقاً على الأمر : إنّ جائزة نوبل أشبه بطوق نجاة يُلقى به إلى رجل وصلَ فعلاً إلى بر الأمان ولم يَعُد عليه خطر!

كتبَ برنارد شو ما يزيد على ستين مسرحية أغلبها يندرجُ تحت لواء الأدب الساخر ، وفيها جمل لاذعة وعميقة صارتْ فيما بعد أقوالاً خالدة يتناقلها الناس ، ومن أقواله الشهيرة : - إذا قرأ الغبي الكثير من الكتب الغبية ، سيتحول إلى غبي مزعج وخطير واثق من نفسه ، وهنا تكمُن الكارثة!

- قبل أن تبدأ بالشيء عليك أن تُفكر كيف تُنهيه!
- أنتَ لا تفشل إلا عندما تتوقف عن الـمحاولة!
- حتى لو اعتذرت الريح سيبقى الغصن مكسورا!
- أهم مواجهة نخوضها في الـحياة هي مواجهة أنفسنا!
- الاكتفاء بالنفس حرية وليس غروراً!
- الطيبون لا تتغير صفاتهم حتى لو تغيرتْ أحوالهم!
- لا تفرط في صديقك الذي يعرف عيوبك وما زال يحبك!
- الـحرية أن تنام ليلاً دون أن تفكر بأحد!
- الأيام أفضل جهاز لكشف الكذب!
- الـمتفائل والـمتشائم كلاهما ضروري للمجتمع ، الأول اخترع الطائرة ، والثاني اخترع مظلة القفز!
- لا تهمل شيئاً لا تريد رؤيته بيد غيرك!
- ليس من الضروري أن تأخذ كل شيء بجدية!
- اقترضْ الـمال من شخص متشائم لأنه يتوقع أن لا ترده إليه!
- برغبته رحلَ ، وبرغبتي لن يعود!

٢٧ يوليو / تموز

في مثل هذا اليوم من العام ٢٠٠٤م ورثَ الشاب الأمريكي «بالاك مايكوسكي» ثروة طائلة عن والده ، تحيَّر بداية الأمر في أي مجال يُمكنه استثمار هذه الأموال ، فكَّر كثيراً لكنّه لم يجد فكرة مُناسبة!

في العام ٢٠٠٥م ذهبَ إلى الريف الأرجنتيني للمُشاركة في سباق سيارات وقد كانتْ هي الرياضة المحببة إلى قلبه ، هناك لاحظَ مدى انتشار الفقر بين العائلات خصوصاً أنّ الكثير من الأطفال يمشون حُفاةً لأنّ أهاليهم لا يملكون ثمن أحذية لهم فقرَّرَ أن يُنشئ شركة أحذية تجمع بين العمل الخيري والربح التجاري ، فأسَّسَ شركة «تومز» للأحذية ، وهي عبارة عن أحذية رياضية خفيفة تُنتعل بلا جوارب ، أما التسويق فكان يقوم على فكرة واحد مقابل واحد! والفكرة باختصار أنّ بالاك سيقوم بإعطاء طفلٍ فقير حذاءً مجاناً مُقابل كل حذاء يتم بيعه! لاقتْ مُنتجات الشركة رواجاً هائلاً لسببين : الأول جودة هذه الأحذية وخِفَّتها ، والثاني رغبة الناس في دعم عمل الخير الذي بدأه بالاك!

ما زالت الشركة حتى اليوم تتّبع ذات النهج ، واحد مقابل واحد ، كل حذاء يُباع يُقدّم مقابله حذاء مجاناً لطفل فقير ، ولأن المعروف لا يضيع بغض النظر عن فاعله فإنّ تومز اليوم من أشهر ماركات الأحذية في العالم ، كما أن بالاك مايكوسكي من أثرياء أمريكا!

جميلٌ أن يُفكر الإنسان بمشروع يدر عليه ثروة ، ولكن الأجمل أن يُفكر كيف يكون إنساناً قبل أن يُفكر كيف يكون ثرياً!

٢٨ يوليو / تموز

في مثل هذا اليوم من العام ٢٠١٣م كان المتشرد «غلين جيمس» يبحث في حاوياتِ القُمامة عن بقايا طعام يسد جوعه ، ولكنه عثرَ على حقيبة مُلقاة بجوار الجدار ، وعندما فتحَها وجدَ بداخلها مبلغ أربعين ألف دولار! رغم فقره ، وحاجته الماسة للطعام والمال إلاّ أن «غلين جيمس» توجّهَ إلى أقرب قِسم للشرطة وسلّمهم الحقيبة!

عندما عرفتْ الحكومة المحلية بوضعِه المُزري ، نظّمتْ له حملة تبرعات تقديراً لأمانته ، فاستجابَ الناس ، وتفاعلوا معَ هذه الحملة ، وتمّ جمع مبلغ ٨٥ ألف دولار له ، أي أكثر من ضعف المبلغ الموجود في الحقيبة! من هذه القصة يُمكن استخلاص أكثر من درس :

- الغنى الحقيقي هو غنى النفس!
- الإنسان بما في قلبه لا بما في جيبه ، قد تجد فقيراً ثرياً بقلبه وأخلاقه ، لا يمد يده على ما ليس له ، وقد تجد ثرياً جشعاً لو ملك مال قارون لم يشبع بل بقيَ همُّه كيف يُنمِّي هذه الثروة وما همه أن تكون من حلال أو حرام!
- الناس ليسوا بالمظاهر ، تحت الثياب الرّثّة قد تجِد معادن بشرية يقف الإنسان لها احتراماً ، وتحت الثياب الأنيقة قد تجدْ شيطاناً في هيئة إنسان!
- من سُنن الله في الكون أن صنائع المعروف لا تضيع بغض النظر عمّن قام بهذا المعروف ، إن سنة الله في الدنيا أن يُريَ صاحبَ المعروفِ أثر معروفه ، أما الآخرة فلها حساب آخر ، «وإن الدين عند الله الإسلام»!
- الناس يُحبُّون الخير بفطرتهم ، حتى الإنسان الشرير الذي قلّما يفعل الخير هو في قرارة نفسه يحترم الإنسان الطيب وإن لم يُظهر هذا ، فثِق أنك عندما تتمسّك بمبادئك وأخلاقك قد تخسر كثيراً من الناس ولكن كُن على يقين أنك قد كسبتَ احترامهم وإن تظاهروا بعكس ذلك!

٢٩ يوليو / تموز

في مثل هذا اليوم من العام ٧١٣م وُلد «الصُّمة القشيري» كان شاعراً رائعاً ، أكثَرَ من شعر الغزل ولكنّه لم ينلْ شهرة واسعة رغم أنه في شِعره لا يقل روعة ، ونظماً ، وسبكاً من عمر بن أبي ربيعة أو الثالوث الأموي الذين عاصرهم!

ويذكر أبو الفرج الأصفهاني في الأغاني ، أن إبراهيم بن سُليمان الأزدي قال : لو حلفَ حالف أن أحسن أبيات قِيلت في الـجاهلية والإسلام في الغزل من قول الصُّمة القشيري ما حنث!

أحبَّ ابنة عمه وأحبَّتْه ، فخطبَها من عمه ، فوافقَ على أن يكون الـمهر مئة من الإبل ، فمضى إلى أبيه ليُعطيه الـمهر ، فأعطاه تسعاً وتسعين ناقة ، فلمّا عدَّها عمه وجدَها ناقصة واحدة ، فلم يَقبلها ، وعاد إلى أبيه يَطلب ناقة فأبى ، وركبُ الأخوان كل واحد منهما رأسه ، ولم يتمّ الزواج بل زادَ عمه أن زوّج ريّا إلى رجل غيره!

فقالتْ ريا مُعلِّقة على الأمر : ما رأيتُ رجلاً أضاعه أبوه وعمّه ببعير إلا الصُّمة!

عاشَ بعدها مفجوعاً يُنشد فيها الشعر ومن جميل ما قالَ عنها مُخاطباً نفسه :

حَنَنتَ إِلى رَيّا وَنَفـسُكَ باعَـدَت
مَـزارَكَ من رَيّا وَشَـعـبـا كَـمـا مَـعـا
فَـمـا حَـسَنٌ أَن تَأتِيَ الأَمـرَ طائعـاً
وَتَجـزَعَ أَن داعي الصَـبـابَةِ أَسـمَـعـا
بَكَت عَـينِيَ اليُـمنى فَلَمّـا زَجَـرتُهـا
عَنِ الـجَـهلِ بَعـدَ الـحلم أَسـبَلَتـا مَـعـا
وَأَذكُـرُ أَيّامَ الـحِـمى ثُمَّ أَنثَني
عَلى كَـبِـدي مِن خَـشـيَـةٍ أَن تَصَـدَّعـا
فَلَيـسَت عَـشـيّـاتُ الـحِـمى بِرَواجِعٍ
عَلَيكَ وَلَكِن خَلِّ عَـينَيكَ تَدمَـعـا

وهكذ كُسر قلبان لأجل ناقة ، فقاتلَ الله التناحة!

٣٠ يوليو / تموز

في مثل هذا اليوم من العام ٧٢٥م وُلد «سُفيان بن عُيينة» ، كان زاهداً ورعاً فقيهاً ومُحدّثاً ، فجمع الله له بين العِلم والعبادة ، ويا لحظ من جُمعا له!

لزِمَ أعرابيٌّ سُفيان بن عُيينة يسمعُ منه الحديث ، ولما همَّ بالانصراف عائداً إلى أهله ، سأله سُفيان : يا أعرابي ما أعجبكَ من حديثنا؟ فقال : ثلاثة أحاديث :

حديث عائشة أنَّ النبي ﷺ كان يُحبُّ الحلوى

وقوله عليه الصلاة والسلام : «ليس من البر الصيام في السفر»

وحديثه عليه السلام : «إذا حضرَ وُضِعَ العَشاء وحضرَ العِشاء فابدأوا بالعَشاء»يبدو أنّه فعلاً كما يقولون : أقصر طريق إلى قلب الرجل معدته!

صحبة طويلة في الحديث ،لم يحفظ الأعرابي منها إلا ثلاثة كلها تتعلّق بالطعام!

بعيداً عن طرافة الحادثة فإنّ من الأعرابي هذا نُسخ كثيرة تعيش بيننا اليوم ، وكُثُرٌ هم الناس الذين يتشبّثون بما يَطيب لهم!

بعض الناس لا يُحدِّثك إلا بحديث الجهاد والحرب حتى لو كان خطيباً في زفاف ، يُشعرك أنّ النبي ﷺ إنّما بُعث بالسيف ولم يُبعث بالقرآن! طبعاً لا خلاف أنّ الجهاد فريضة ، وأنّ الذي كتبَ علينا الصيام في القرآن ، قد كتبَ علينا القتال فيه ، ولكنّ الفكرة في الانتقاء بِما يُناسب التوجه ، وعدم إغفال جوانب كثيرة من هذا الدين وشموليته وعنايته بالإنسان والأسرة والمجتمع ، فقبل السيف لا بُدّ من بناء العقيدة وإتمام العبادة لأن من خان حيَّ على الفلاح سيخون حيَّ على السلاح!

بعض الناس لو كان الحديث عن الملوخية لبدأ يلف ويدور حتى يصل إلى طاعة ولي الأمر ، وأنه عليك أن تسمع وتُطيع ولو أخذ مالك وجلد ظهرك ، رغم أن الحديث لا يعني أن تقبل بالظلم وتسكت عن حقك وإنّما المقصود أن تُطيعه لو أخذ مالك حقاً وجلدَ ظهرك حداً أي بوجه حق أما أن يقع عليك الظلم وتُطَأطِئ رأسك كالنعامة فرسول الله ﷺ وشريعته أرفع قدراً من أن يُنادِيا بالخُنوع والجُبن! الفكرةُ أنّ هذا الدين كُلٌّ مُتكامل ، يُؤخذ بكل ما فيه ولا يجوز أن يُجيَّر لأهواء شخصية وفكرية أو منافع مادية!

٣١ يوليو/ تموز

في مثل هذا اليوم من العام ٧١٤م تُوفي «الحجاج بن يوسف الثقفي» أحد أغرب الشخصيات في التاريخ!

كان كتلة من المُتناقضات وهذا ما يبدو جَلِيًّاً في سيرته!

ثمّة قصص عنه تجعلك تقول يا له من سفّاح ، وقد كان كذلك فعلاً ، فقد سفكَ دماً كثيراً! وله قصص وحوادث تجعلك تقول يا له من رجل نبيل!

ولأنّ أمر الناس إلى الله ، ولأنها «تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تُسألون عما كانوا يفعلون» هذه قصة من قصص نُبله!

جاء رجل إلى الحجاج وقال له : إنّ أخي خرج مع ابن الأشعث ، فضُرِبَ على اسمي في الديوان ، ومُنعت من العطاء ، وهُدمت داري ، فما ذنبي أنا بما فعله أخي؟

فقال له الحجاج ، أما سمعتَ قول الشاعر :

جانيك من يجني عليك وقد
تعدي الصحاح مبارك الجربِ
ولرُبَّ مأخوذ بذنب قريبه
ونجا المقارفُ صاحب الذنبِ!

فقال له الرجل : يا أيها الأمير إني سمعتُ قولاً خيراً من هذا!

فقال له الحجاج : وما هو؟

فقال : قول الله تعالى ﴿قالوا يا أيها العزيز إن له أباً شيخاً كبيراً فخذ أحدنا مكانه ، فقال معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده﴾!

فنادى الحجاج قائلاً : يا غلام : أَعِدْ اسم هذا في الديوان ، وابنِ داره ، وأعطه عطاءه الذي له ، ومُرْ منادياً يُنادي في الطرقات أن صدقَ الله وكذبَ الشاعر!

وكي لا تُحسب القصة دفاعاً عن الحجاج فهذه أخرى في سياق آخر :

أرادَ الحجاج أن يُولي أحدهم القضاء ، ولكنه ماتَ قبل أن يفعل ، فولاه مَنْ بعده ، فلما جاء عمر بن عبد العزيز عزله مع من عزل من فريق الحجاج ، فقال له الرجل : ولكنه لم يولني!

فقال له عمر : كفى أنه قد رضي عنك!

١ أغسطس / آب

في مثل هذا اليوم من العام ١٩٥٠م قامَ المُعلِّم الإيطالي «روبيرتو نيفلز» بالإعلان عن واحدةٍ من أكثر الأفكار أذية على مرِّ التاريخ ، لقد ابتكرَ الواجبات المنزلية كعقابٍ لطلابه!

وعندما أقولُ واحدة من أكثر الأفكار أذية على مرّ التاريخ فإنّي أعنيها ، والسبب أن الواجبات المنزلية -في بلادنا على الأقل- بهذه الطريقة التي تُعطى بها تُعتبر اعتداءً على طفولةِ التلاميذ وعلى حقِّهم في الحياة دون ضغوط ولا مُنَغِّصات! قد لا يتعمّد المُعلِّمونَ أذية التلاميذ بكثرةِ الواجبات المنزلية ، وهذا هو الأرجح ، ولكن النية الحسنة لا تُصلح العمل الفاسد!

مدارسنا بالغالب تفتقدُ إلى الأنشطة والمنهاج العملي الحركي ، وباستثناءِ حصتي الرياضة والرسم ما تبقّى هو عبارة عن حشوِ معلومات للتلاميذ ، وتحفيظِ أشياء لا طائل منها ، ولستُ أدري حتى اللحظة لماذا على الطالب في المرحلة الابتدائية ، أن يحفظَ عواصم العالم وأنهارها كأنه سيُصبح مُرشداً سياحياً!

وبدل أن نترك التلاميذ يُعوِّضون شيئاً مما يَخسرونه من طفولتِهم في المدارس نجعلهم يحملون المدرسة معهم إلى البيت ، لا يوجد حصة إلا ويعقبها واجب منزلي ، وليتَ الواجبات بالسؤال والسؤالين ، بالغالب على الطالب أن يحلَّ أكثر من صفحة ، فإذا تعلّم سبع حصص في المدرسة سيكون عليه أن يقضي في البيت ثلاث ساعات على الأقل في البيت ليقوم بحلِّ الواجبات!

في عقليةٍ كهذه متى يلعب هذا الطفل ، متى يُمارس هواية ، متى يتواصل مع أهله ومحيطه ، والأنكى من هذا كله يُقيم التربويون ندواتٍ يتساءلون فيها لماذا يكره التلاميذ المدارس!

بربكم لماذا عليهم أن يُحبّونها وهي تفني أعمارهم! لستُ ضد المدارس طبعاً ، ولا ضد الواجبات المنزلية جُملة وتفصيلاً ، ولكن ارحموا من في الأرض ، واعتقوا الأطفال قليلاً ، أنتم تُعاقبونهم لأنكم تستخدمون استراتيجية أستاذنا الذي كان قبل العطلة يُعطينا أوراقاً كثيرة لنحلها بدل أن يُصيبنا الملل في العطلة ، حتى التسلية يجب أن تكون قراءة وكتابة وواجبات!

باركَ الله بك يا معلمنا العظيم ، لولا فروضك لكانتْ العطلة مملة!

٢ أغسطس / آب

في مثل هذا اليوم من العام ٧٢١م وُلد «عيسى بن موسى» ، هو ابن أخ «أبو العبّاس السفاح» ، وقد عيّنه ولي عهد بعد أبي جعفر المنصور ، ولكنه مات في خلافة أبي جعفر ولم يتولَّ الخلافة!

كان شهماً ، دمِث الأخلاق ، فارساً شجاعاً لا يُشق له غبار ، أحبَّ الأدب والشعر والفقه وكان مجلسه يَحفل بالأدباء والشعراء والفقهاء أمثال ابن السمك وابن أبي شبرمة . كان عيسى بن موسى يُحب زوجته حباً شديداً ، فقالَ لها يوماً مُمازحاً إياها : أنتِ طالق بالثلاثة إن لم تكوني أجمل من القمر!

فنهضَتْ زوجته واحتجبتْ عنه ، وقالتْ له : لقد طلّقتني!

فبات ليلته في حزن وغم ، ولمّا أصبحَ ذهب إلى أبي جعفر المنصور وحدَّثه بما كان بينه وبين زوجته ، ثم قال له : يا أمير المؤمنين إن تمَّ طلاقها تلفتْ نفسي غماً ، وكان الموت أحب إليَّ من الحياة!

وأظهرَ للمنصور جزعاً شديداً ، فأحضرَ المنصور الفُقهاء ، واستفتاهم ، فقالوا جميعاً : لقد طلقت الزوجة! إلا رجلاً من أصحاب أبي حنيفة ، قال ما طلقت ، إن الله قال : ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾ فلا شيء أجمل من الإنسان حتى القمر!

فقال المنصور لعيسى : قد فرَّج الله عنك ، والأمر كما قال ، وأرسلَ كتاباً إلى الزوجة قال لها فيه : أنتِ في ذمة عيسى بن موسى وما خرجتِ منها قيد أنملة!

ما حدث مع عيسى بن موسى يُشبه كثيراً ما يحدث في أيامنا ، لقد تساهلَ الناس في كلمة الطلاق ، وصارتْ عندهم أيسر من شربة الماء ، تُقال صباح مساء ، حتى أن أحدنا لو أراد أن يدفع الحساب عن أصدقائه في المقهى لقال : عليّ الطلاق ، ما أحد يدفع غيري!

يا أخي أنتَ وأصدقاءك ، ما لكَ وللمسكينة الجالسة في البيت حتى تلعب برباطكما المقدس هذا!

طبعاً مثل هذا لا يُعد طلاقاً عند الجمهور وإنما هو من اليمين ولكن هذا لا يُغيِّر شيئاً من حقيقة أنه استهتار برابط الزوجية ومن قِلّة الأخلاق والمروءة ترديد كلمة الطلاق صباح مساء وعلى أشياء تافهة!

٣ أغسطس / آب

في مثل هذا اليوم من العام ٧٢٩م تُوفي محمد بن سيرين ، أُوتِيَ حظاً عظيماً من القدرة على تفسير الأحلام حتى لُقِّب بيوسف هذه الأمة ، على أنه كان بالإضافة لتفسير الأحلام مُحدِّثاً وفقيهاً أخذ العلم عن ابن عباس وزيد بن ثابت وعبد الله بن عمر ، وفي مرحلة متأخرة درس لدى الإمام مالك . كان بين ابن سيرين والحسن البصري شيء من الجفاء ، وكان الحسن البصري إذا ذُكر عنده ابن سيرين قال : دعونا من ذكر الحاكة! يقصد بها أن أغلب أهل ابن سيرين إنّما يعملون بحياكةِ الثياب!

رأى الحسن في منامه كأنه عريان ، وهو قائم على مزبلة يضرب بالعود! فأصبح مهموماً مغموماً ، وأرسلَ أحد أصحابه إلى ابن سيرين يسأله عنها كأنها رؤياه هو لا رؤيا الحسن!

ولكن ابن سيرين قال له : قُلْ لصاحب الرؤيا لا تسأل عنها ابن الحاكة!

فلما عَلِمَ الحسن بقول ابن سيرين ، جاء إليه في مجلسه ، فقام إليه ابن سيرين فعانقه ، ثم جلسا فتعاتبا وتصافيا ، فقال له الحسن : دعك من هذا وأخبرني عن الرؤيا فقد شغلَتْ قلبي!

فقال له ابن سيرين : لا تشغل قلبك ، فإن العري عري من الدنيا فلستَ من طلابها ، وأما المزبلة فهي الدنيا فأنتَ تراها على حقيقتها ، وأما العود فهي الحكمة تُحدِّث بها الناس!

فقال له الحسن : وكيف عرفتَ أني صاحب الرؤيا؟!

فقال له ابن سيرين : لا أعلم أصلح منك أن يكون رآها!

في القصة دروس مهمة لفتتْ نظري :

- الخلافاتُ تقعُ بين الناس خصوصاً بين الأقران الذين يكون بينهم تنافس ولو نجا منها أحد لنجا منها الحسن وابن سيرين!
- على المرء أن يكون نبيلاً حتى في خِصامِه وانظرْ للحسن يعرف علم ابن سيرين بالتأويل فيُرسل إليه من يُفسر رؤياه ، وابن سيرين يعرف تقوى الحسن وأنه لا أصلح منه يراها!

- النُّبلاء يُسارعون إلى تسوية خلافاتهم عند أقرب فرصة وما أنبل الحسن وابن سيرين إذ جعلا من رؤيا بداية صداقة وعلاقة جديدة خالية من كل المُنغِّصات!

٤ أغسطس / آب

في مثل هذا اليوم من العام ١٤٤٥م وُلد جلال الدين السيوطي الذي كان يُلقّب بابن الكُتب!

وسبب تسميته ابن الكتب، هو أن أمّه كانت في آخرِ لحظاتِ حملِها فيه عندما طلب أبوه منها أن تأتيه بكتابٍ من المكتبة، فأجاءها المخاضُ هناك، وجلستْ غير قادرة على الحراك، حتى جاءتها القابلة وساعدتها على الوضع، لتُنجب جلال الدين ويُلقّب بسبب هذه الحادثة بابن الكتب!

درسَ السيوطي على يدي النابغة ابن حجر صاحب فتح الباري في شرح صحيح البخاري، وكان طوال حياته باحثاً عن العلم، كل وقته إما قارئاً أو مؤلفاً، حتى ترك قبل موته ما يُقارب ٦٠٠ كتاب!

كان أشهرها الإتقان في علوم القرآن، تفسير الجلالين، ولا تزال تُعتبر من أمهات الكتب التي لا يُستغنى عنها في مجالها!

الشاهدُ في الأمر أن البيئة الثقافية التي عاش فيها السيوطي كان لها أبلغ الأثر في بناءِ شخصيته ونبوغه، في بيتٍ فيه مكتبة ضخمة، وعند أبٍ يقرأ ويطلب الكتبَ من زوجته، وأم تعرف الكتبَ ومحتوياتها، لم يكن مُسْتَغرَباً أن يصير السيوطي ما صار عليه، فالإنسان ابن بيئته أولاً وأخيراً!

قد يقول قائل إن كثيراً ممن كان في بيوتهم مكتبات وكان لهم أهل أصحاب ثقافة لم يَبرعوا في أي علم، في حين أن كثيراً ممن وُلدوا في بيئة فقيرة ثقافياً قد برعوا وصاروا أعلاماً!

وهذا كلام صحيح، وواقع لا سبيل إلى ردِّه، ولكنها ظواهر بخلاف سنة الله في الكون! وإلا فالأصلُ أن المرء نتاج التربية التي يتلقّاها والبيئة التي يعيش فيها! الأصلُ أنّ الأطفال كالأرض تُعطي المحصول الذي نبذره فيها، نعم يحصل أن لا نجني ثمار ما نزرع، أو نحصد دون أن نزرع، ولكن هذا يحدث نادراً، لا تصلُح أن تكون قاعدة، على العكس تصلح أن تُضرب مثلاً على أن لكلِّ قاعدة شواذ، أما القاعدة التي من المُكابرة ردّها فهي أن التربية والبيئة لهما أكبر الأثر في شخصية الأولاد!

٥ أغسطس / آب

في مثل هذا اليوم من العام ١٩٥٠م وُلد «إبراهيم الفقي» ، كان من كبار أساتذة التنمية البشرية في العالم ، وحاضرَ بها في جامعات العالم بطوله وعرضه ، وألّفَ فيها كثيراً ومن أشهر كتبه في هذا المجال : قوة التفكير ،المفاتيح العشرة للنجاح ، إدارة الوقت ، حياة بلا توتر . من الطبيعي لشخص أعطى آلاف المحاضرات ، وترك عشرات الكتب أن يترك خلفه أقوالاً جميلة ، هذه أشهر أقواله رحمه الله :

- القيادة هي فن اتخاذ القرار!
- البذور التي تزرعها تُعطيك محصولاً من نفس النوع!
- كخطوة أولى للسعادة عليك أن تتخلص من إحساسك أنك الضحية!
- عندما ترتفع سيعرف أصدقاؤك من أنت وعندما تسقط ستعرف من هم أصدقاؤك!
- الفاشلون ينقسمون إلى قسمين : هؤلاء الذين يُفكرون ولا يعملون ، وأولئك الذين يعملون ولا يُفكرون!
- إذا كنتَ مع الله فأنتَ مع الأغلبية المطلقة!
- سامحْ أعداءكَ ولكن إياك أن تنسى أسماءهم!
- لا تَقُل إن الدنيا تُعطيني ظهرها ربما أنت الذي تجلس بالعكس!
- عِشْ كل لحظة كأنها آخر لحظة في حياتك!
- الجيوب الفارغة لم تمنع أحداً من النجاح بل العقول الفارغة هي التي تفعل!
- إذا أردتَ أن تعيش سعيداً تخلّص من أولئك الذين إذا احتاجوك وجدوك وإذا احتجتهم لم تجِدهم!
- النجاح ليس محطة وصول بل قد يكون بداية سفر!

٦ أغسطس / آب

في مثل هذا اليوم من العام ١٩٤٥م ألقتْ الولايات المتحدة الأمريكية قنبلة ذرية على مدينة هيروشيما!

أسمى الأمريكان قنبلتهم «الولد الصغير» تماماً كما سموا صواريخهم في العراق بالصواريخ الذكية التي كانتْ لا تُفرق بين البشر والحجر فلم تُبقِ ولم تذر! المهم أنّ «الولد الصغير» تسبب بقتل ١٤٠ ألف إنسان في لحظة! وبعد ثلاثة أيام ألقوا على ناكازاكي قنبلة أسموها «الرجل البدين» تسبّبتْ بقتل ٨٠ ألف إنسان! هذا هو جزء من تاريخِ أمريكا التي تُعلِّمنا اليوم حقوق الإنسان!

المَهم أنه بعد يومين من إلقاء القنبلتين على هيروشيما وناكازاكي خرجتْ النيويورك تايمز لتُكذِّب الإشاعات التي كانت تُرعب العالم بخصوص قدرة هذا النوع من القنابل على إهلاك الحرث والنسل!

وكتبَ «وليام لورنس» مُحرِّر المواضيع العلمية في الصحيفة مقالةً في الصفحة الأولى مُؤكِّداً أنه لا أثر للإشعاعات المضرة في هاتين المدينتين وأنّ النشاط الإشعاعي لا يعدو كونه واحدة من أكاذيب اليابانيين!

لا أحد يعرف من هم تحديداً اليابانيون الذين كانوا يكذبون فهيروشيما وناكازاكي لم يبقَ فيهما أحد ليكذب أو ليصدق! وما زاد الطين بلّة أن وليام لورنس صاحب المقالة الكاذبة في نيويوك تايمز قد حصل على جائزة بوليتزر للصحافة!

تبيّن لاحقاً أنه كان يتقاضى راتبين ، واحد من الصحيفة والآخر من البنتاغون!

هذه هي أمريكا يا سادة!

٧ أغسطس / آب

في مثل هذا اليوم من العام ٢٠٠٩م ألقى «فيلكس ناتيستا» في المكسيك محاضرة بعنوان : «كيف تتجنّب الاختطاف في المكسيك»!

كانتْ محاضرة عظيمة ، لقد استفاد منها جميع الحضور ، كلهم تجنّبوا الاختطاف ذلك اليوم ، الشخص الوحيد الذي تمّ اختطافه هو «فيلكس ناتيستا» الذي ألقى المحاضرة عن كيفية تجنُّب الخطف!

لم أسرد الحادثة للسخرية من الرجل ، على العكس تماماً ، أُقدِّر الأشخاص الذين يسعون جاهدين لمساعدة الآخرين في تجنُّب الوقوع في المشاكل وإن لم يستطيعوا مُساعدة أنفسهم! علينا أن نأخذ القول وندع القائل ، الشخصُ الذي يُعطي محاضرة عن مضار التدخين يبقى كلامه صحيحاً وإن كان هو من المدخنين! الحقيقةُ لا يضر بها إن قالها من لا يؤمن بها!

ذكّرتني قصة ناتيستا بقصة الحمامة والثعلب ومالك الحزين التي رواها ابن المقفع في رائعته كليلة ودمنة! والقصة باختصار أن حمامة كانتْ تعيش في أعلى نخلة ، وكانتْ كُلّما باضتْ وفقسَ فراخها جاءها الثعلب وطلبَ منها أن ترمي له بالفراخ وإلا سيصعد إلى أعلى النخلة ويأكلها ، فكانت تمتثل لأمره!

ثم إن «مالك الحزين» مرَّ بالحمامة فرأى علامات الحزن عليها فسألَها عن حالِها فأخبرَتْه ، فما كان منه إلا أن قال لها إن الثعلب لا يستطيع أن يتسلق النخلة ، فإذا فقستْ فراخك المرة القادمة وجاءكِ مُهدِّداً قولي له : لن أرمي لك بفراخي اصعد إلينا! وبالفعل هكذا كان! أرادَ الثعلب أن يعرف من الذي أرشد الحمامة لهذه الحيلة ، فأخبرَتْه ، فذهب الثعلب إلى مالك الحزين وسأله : إن هبّت ريح عن يمينك ماذا تفعل؟ فقال : أضعُ رأسي عن يساري! فقال : وإن هبّت عن يسارك؟ قال : أضعُه عن يميني!

قال : وإن هبّت من كل الاتجاهات؟ قال : أُخبّئ رأسي بجناحي! فقال له : أرِني كيف! فلمّا غطى رأسه بجناحيه ، انقضّ عليه الثعلب وأكله وهو يقول : أيها الناصح غيره ، هلا نصحتَ نفسك!

٨ أغسطس / آب

في مـثل هذا اليـوم من العـام ١٩٢٥م وُلد الرائع «علي عـزت بيـغـوفـيـتش» ، الفيلسوف الذي كتب «الإسلام بين الشرق والغرب» ، والسجين الذي كتب «هروبي إلى الـحرية» ، والـمحامي الذي كتب «عوائق النهضة الإسلامية» ، والسياسي الذي كتب «الإعـلان الإسـلامي» ، والـمُفكِّر الذي كـتب «أسئلة لا مـفر منهـا» ، والرّئيس الذي كتب «سيرة ذاتية» ، على هذا الكوكب أن يكون مُمْتناً أن رجلاً مثله قد مرَّ به يوماً!

عندما كان رئيساً للبوسنة حضرَ إلى صلاة الـجمعة متأخراً ، فأوسعَ له الـمُصلُّون الطريق ليصل إلى الصف الأول ، فقال لهم : هكذا تصنعون طواغيتكم!

ترك علي عزت بيغوفيتش أقوالاً جميلة منها :

- بين الـحزن واللامبالاة ، سأختار الـحزن!
- الإنسان لا يستطيع أن يكون مسلماً ويبقى متخلفاً!
- ليس الإنسان بما يفعل بل بما يريد ، بما يرغب فيه بشغف!
- يعتقد بعض الناس أن انتماءهم الديني يحررهم من مسؤولية التفكير!
- إذا كانت الـحياة تُفرِّق الناس فإن الـمسجد يجمعهم ، إنه الـمدرسة اليومية للتآلف والـمساواة والوحدة ومشاعر الود!
- الـمُسلم بين خيارين : إما أن يُغيِّر العالـم وإما أن يستسلم للتغيير!
- لا يجد الإجابة إلا من يُؤرقه التساؤل!
- لا تقتلوا البعوض ، جفِّفوا الـمستنقعات!
- الـمجتمع العاجز عن التديُّن هو أيضاً عاجز عن الثورة!
- أيُّ تلاعب بالناس حتى لو كـان في مصلحـتهـم هو أمر لا إنسـاني ، أن تُفكر بالنيابة عنهم وأن تحررهم من مسؤولياتهم هو أيضاً أمر لا إنساني!
- يُصبح الـحيوان خطيراً عندما يجوع ، أما الإنسان فيُصبح خطيراً عندما يشبع!

٩ أغسطس / آب

يُصادف اليوم من كل عام اليوم العالـمي للشعوبِ الأصلية!

الكثيرُ من الشعوب التي تشاركُ الأمم الـمتحدة احتفالها باليوم العالـمي للشعوب الأصلية كانتْ قد أبادتْ شعوباً أصلية في ماضيها أو ما زالتْ تفعل هذا في حاضرِها!

كانتْ الإمبراطورية الرومانية أول من أبادَ الشعوب الأصلية ، وسطا على خيراتها وقادَ الناس إلى الرِّق والعبودية ، ومن باب الإنصاف هكذا كان حال الـممالك القوية على مرّ التاريخ!

الـمُستعمرون البرتغاليون والإسبان فعلوا الأفاعيل في سكان أمريكا الـجنوبية ، الولايات الـمتحدة الأمريكية قامتْ على جماجم الهنود الـحمر!

في فلسطين أُخرِجَ الشعب الأصلي وحلّ مكانه آخر غريب دخيل ، في الصين لا يُعتبر الأصلي أصلياً حتى يكفر بالإسلام ، وعن ميانمار حدِّث ولا حرج!

ولكن جميعنا أصليين ومُقلَّدين ، بضاعة نخبة أو «ستوكات» لسنا سكان هذا الكوكب بالأساس ، نحن سكان الـجنة ، هناك عاشَ أبونا آدم وأمنا حواء أول مرة ، وهناك جاءَ الشيطان فأغراهما أن يأكُلا من شجرة الـمعصية فهبط الـجميع إلى الأرض ، ويوماً ما سنرجع لتكون إقامتنا النهائية إما في الـجنة أو في النار ، وكما يقول ابن القيم : الناس مُذ خلقوا ما زالوا مسافرين وليس لهم محط رِحال إلا في الـجنة أو في النار!

١٠ أغسطس / آب

في مثل هذا اليوم من العام ١٩٧٨م قُرع باب الطبيب النفسي «جيروم موتو» . فتح الطبيب الباب ، فبادر الرجل الواقف أمامه قائلاً : صباح الخير سيدي الطبيب ، أنا جار «كريس» المريض الذي يتعالج عندك ، أوصاني إن حدث له مكروه أن أوصل لكَ هذه الرسالة ، وقد انتحرَ «كريس» البارحة!

فتح الطبيب الرسالة فإذا فيها : عزيزي الدكتور موتو ، لقد قررتُ الانتحار بالقفز من أعلى جسر البوابة الذهبية ، لن يُثنيني شيء عن هذا إلا إذا ابتسمَ شخص واحد في وجهي وأنا في طريقي إلى هناك! فإن وصلَتْك رسالتي هذه فاعلم أن أحداً لم يفعل!

تخيّلوا أن إنساناً كان سيعيش لو وجدَ شخصاً يبتسم في وجهه ، يا الله ، يا لقدرتنا أحياناً على الاستغناء عن الناس ، ويا لضعفنا أحياناً وحاجتنا إليهم!

كم من القلوب جُبِرت بكلمة وكم من القلوب كُسِرتْ بكلمة كم من ابتسامة ارتسمتْ بكلمة وكم من دمعة نزلت بكلمة كم من بيت تعمَّر بكلمة وكم من بيت هُدِمَ بكلمة نحن لدينا قُدرة رهيبة على إلحاق الأذية بالآخرين ، ولدينا أيضاً قدرة رهيبة على إسعادهم ، ولستُ أعرف لماذا يختار البعض تخريب وتنغيص حياة الآخرين ، مع أنّ إسعاد الناس جزء من السعادة الشخصية!

يوماً ما تفقّد عمر بن الخطاب الرعية فوجد امرأة قد وضعتْ حجارة في القدر تُوْهِم أولادها الجوعى أنها تطبخ لهم!

فسألها الفاروق : ماذا تفعلين؟ قالت : أوهمهم أني أطبخ لهم حتى يناموا!

ذهبَ مُسرِعاً إلى بيت المال ، وعادَ بالطحين والسمن ، ونفخ في النار حتى خرج الدخان من لحيته ، فطبخ لهم ، وأطعمهم بيده ، ثم تركها وذهب بعيداً حيث لا تراه وأخذ ينظر إليهم ، فقال له من معه : هيا بنا يا أمير المؤمنين ، فقال له : أبداً ، حتى أراهم يضحكون كما جئتهم وهم يبكون!

١١ أغسطس / آب

في مثل هذا اليوم من العام ٧٩٩م تُوفي «أبو يوسف» أشهر تلاميذ أبي حنيفة!

يقول أبو يوسف : توفي أبي وتركَني صغيراً في حجرِ أمي ، فأرسلتني إلى خياط أتعلّم منه حرفته ، وكنتُ أترك الخياط وأذهبُ إلى حلقة أبي حنيفة ، فكانتْ تأتي إلى المساجد وتأخذني من يدي وتُعيدني إلى الخياط!

وكان أبو حنيفة يُدنيني منه ويُعلِّمني لما رأى مني من حبٍّ للعلم ، ولما تكرّر غيابي عن الخياط ، جاءتْ إلى المسجد وقالتْ لأبي حنيفة : ما لهذا الصبيّ من فساد غيرك ، إنه يتيم يعولنا وأنت تشغله عما أرسلته له فقال لها أبو حنيفة : دعيه ، إنه يتعلم أكل الفالوذج بدهن الفستق!

فقالت له : فالوذج بدهن الفستق ذاك الذي لا يأكله إلا الخليفة ، واللهِ إنك شيخ قد خرفتَ وذهبَ عقلك!

فلَزِمْتُ أبا حنيفة آخذ عنه ، حتى إذا ماتَ رحمه الله خلفتُه في حلقته ، فلمّا ذاع صيتي أرسل إليَّ الرشيد وولاني القضاء! فزرتُه يوماً في مجلسه ، فجيء له بطعام فدفعه إليَّ وقال : كُلْ أبا يوسف! فأكلتُ طعاماً لم أذقه من قبل فقال لي : أتدري ما أكلتَ؟

قلتُ : لا قال : هذا فالوذج بدهن الفستق فجعلتُ أبتسم ، فسألَني عما يُضحكني ، فرويتُ له قصة أمي مع أبي حنيفة .

فقال : رحم الله أبا حنيفة ، كان يرى بعين عقله ما لا يراه الناس بعيون رؤوسهم!

لحظة إيمان من أبي حنيفة هي التي صنعتْ أبا يوسف ، فهل آمنّا بأولادنا وتلامذتنا!

١٢ أغسطس / آب

في مثل هذا اليوم من العام ١١٤٣م توفي الزمخشري أشهر فُقهاء الـمُعتزلة وصاحب التفسير الـممتع الكشاف! كان الزمخشري مقطوع الرِّجل فسُئِل عن ذلك ، فقال : بدعاء أمي!

ذلك أني كنتُ في صباي أمسكتُ عصفوراً وربطتُه بخيط في رجله ، فجذبتُه ، فانقطعتْ رجله!

فتألَّمت أمي لذلك وقالتْ : قطعَ الله رجلكَ كما قطعتَ رجله!

فلمّا كبرتُ وكنتُ في سفرٍ إلى بُخارى لطلب العلم سقطتُ عن الدابة ، فانكسرتْ رجلي ، ووجب قطعها!

رحمَ الله أم الزمخشري ، وأمهاتنا كم دعوا علينا وإن كان بألسنتهنَّ وليس بقلوبهنّ ، ولكن الدعوات أحياناً تُوافق ساعة استجابة!

من أقوال الزمخشري الشهيرة :

- ابتسامتك لقبيح أدل على مروءتك من إعجابك بجميل!
- راقبْ الله عند فتَّح جفنك وإطباقه!
- نصف رأيك مع أخيك ، فاستشره!
- جالِسْ العقلاء أعداء كانوا أم أصدقاء!
- كثرة الـمقالة عثرة غير مُقالة!
- البراطيل تنصر الأباطيل!
- لا ترضَ لمجالستك إلا أهل مُجانستك!
- حُسن الخلق يستر كثيراً من السيئات وسوء الخلق يستر كثيراً من الحسنات!

١٣ أغسطس / آب

في مثل هذا اليوم من العام ١٩٣٦م حصل «جورج دانتزيغ» على البكالوريوس في الرياضيات والفيزياء من جامعة بيركلي . خلال عامه الأول في الجامعة ، وصل «جورج دانتزيغ» مُتأخراً إلى الصف فوجد على السبورة مسألتين ، قام بنقلهما على دفتره وأخذهما إلى البيت مُعتقداً أنهما واجب منزلي ، وبعد عدة أيام قام جورج بالاعتذار من أستاذه لتأخره في إعادةِ الواجب الذي كان أصعب قليلاً من المعتاد!

أخذ المعلم الواجب من تلميذه دون أن يُعلِّق بكلمة واحدة حتى ، وبعد ستة أسابيع قام المعلم باستدعاء جورج إلى مكتبه ، وقال له : هذه المسائل لم تكن واجباً ، وإنما كتبتُها على السبورة كمثال عن مسائل رياضية عجز العلماء عن حلها!

لقد اجتمعنا لمدة ستة أسابيع وناقشنا ما قمتَ به ، أهنئك يا بُني لقد قمتَ بحل المسائل حلاً صحيحاً!

بالإضافة إلى نبوغ جورج وذكائه ، برأيي أنّ هناك عاملاً مهماً جعله ينجح بحلِّ المسائل الرياضية المستعصية وهي انطلاقه من فكرة أن هناك حلاً لها!

أعتقد أنه لو وصل باكراً وسمع أستاذه يقول هذه المسائل ليس لها حل لربما لم يكن لِيتحمّل عناء أن يُحاول حلها حتى! ولكنه لما اعتقد أنها واجب ، اعتقد أيضاً أن هناك حلاً بالضرورة ، فأخذ يبحث عنه!

الفكرةُ من هذا ، هو أن الاستعداد النفسيّ لفعل شيء ما هو عامل حاسم وهام في فعلِه ، لا يكفي أن نملك الاستعداد الجسدي فقط لفعل الأشياء!

١٤ أغسطس / آب

في مثل هذا اليوم من العام ١٩٥١م وُلد القاضي الأمريكي الشهير «مايكل سكونتي» الذي عُرف بإصدار عقوبات غريبة تندرجُ تحت مبدأ العين بالعين ، أو ما نُسمِّيه نحن العرب الجزاء من جنس العمل!

فعلى سبيل المثال حكمَ على سبعة شباب بزرع سبعين شجرة بعد قطعهم أشجاراً من مُلكية عامة وبيعِها كحطب! وحكمَ على مراهق ضرب رجلاً مُسنّاً بالخدمة لمدة شهرين في دار المسنين! وحكمَ على جيران مزعجين اشتكى عليهم جيرانهم بقضاءِ يوم صامت في الغابة!

وحكمَ على امرأة تركتْ قطّتها خارجاً في طقس ماطر بقضاءِ ليلة خارج المنزل تحت نفس الظروف! وحكمَ على رجل يقودُ بسرعة فأوقفَتْه الشرطة فوصفهم بالخنازير بالوقوف أمام مركز الشرطة لمدة ساعتين حاملاً خنزيراً وعليه لافتة مكتوب فيها : هذا ليس رجل شرطة!

وحكمَ على امرأة سارتْ عشرين ميلاً في سيارة أجرة وهربتْ دون دفع الأجرة أن تسيرَ على قدميها المسافة التي قطعتْها راكبة بالسيارة!

صحيح أن الأحكام التي أصدرها سكونتي هي في مخالفات بسيطة أو متوسطة ولا ترقى إلى درجة أن تكون جرائم ، إلا أن فكرة تصحيح سلوك إنسان تبقى غاية نبيلة لا بد على السلك القضائي أن يلتفت إليها!

١٥ أغسطس / آب

في مثل هذا اليوم من العام ١٠٦٤م توفي «ابن حزم» فقيه الأندلس الشهير!

يقولُ ابن حزم : ناظرتُ رجلاً من أصحابنا في مسألة فغلبتُه ، فقد كنتُ أفصح منه لساناً ، وأقدر بياناً ، وانفضَّ المجلس على أنني الغالب ، فلما أتيتُ منزلي حاكَ في نفسي شيء منها ، فتطلبتها في بعض الكتب فوجدتُ برهاناً صحيحاً بيَّن بُطلان قولي وصحة قول خصمي ، وكان معي أحد أصحابنا مّمن حضر نقاشنا ، فأخبرتُه بذلك ، ثم إنّه لما رآني قد وضعتُ علامة في الكتاب حيث المسألة قال لي : ما تريدُ بهذا؟

قلتُ : أريدُ حمل هذا الكتاب وعرضه على فلان وإعلامه بأنّه المُحِقّ وأنا المُخطئ ، وأني تركتُ قولي وتبعتُ قولك! قال : أو تفعل مع ما في هذا من بُهتان لك؟

قلتُ : نعم ولو أمكنني ذلك في وقتي هذا ما أخّرته إلى غد!

يا للنُبل يا ابن حزم ، يا للنُبل!

تركَ ابن حزم رحمه الله أقوالاً جميلة ، هذا بعضها :

- قطرة الماء تثقب الحجر لا بالعنف ولكن بتواصل السقوط!
- العاقل لا يرى لنفسه ثمناً إلا الجنة!
- إن استحقرتَ عيوبك ففكر فيها لو ظهرتْ للناس!
- لا تزهد فيمن يرغب فيك فإن ذلك باب من أبواب الظلم ، ولا ترغب فيمن يزهد فيك فإن ذلك من أبواب الخيبة!
- من ابتُلي بقرب من يكره كمن ابتلي ببعد من يُحب ولا فرق!
- أن تُوصف بالفسق وأنت فاضل خير من أن تُوصف بالفضل وأنتَ فاسق!
- الحُب أوله هزل وآخره جد!
- إذا قرأت المرأة كتاباً فكأنما قرأه زوجها والأولاد!
- إذا تكاثرتْ الهموم سقطتْ كلها!

١٦ أغسطس / آب

في مثل هذا اليوم من العام ١٩٩٩م أُلقي القبض على السفاح الفنزويلي «دورانجيل فارغاس» بتهمةِ قتل ١٤ إنساناً وأكل لحومهم!

اعترفَ فارغاس بالتهم الـمُوَجّهة إليه عندما واجهوه بالأدِلّة ، ثم وفي إجابة على سؤال القاضي : كيف كنتَ تختار ضحاياك؟ قال : لا أُحب أن آكل الأشخاص البدناء لأنهم يُسبِّبون لي زيادة في الكوليسترول!

ذكّرتني قصة فارغاس بالرجل الذي جاء إلى أحد العلماء وقال له : زنيتُ بامرأة وهي الآن حُبلى ، فماذا أفعل؟ فقال له : لقد جمعتَ بين جريمتين ، لو أنكَ عزلتَ عنها فقال الرجل : بلغني أن العزل مكروه! فقال له الشيخ : بلغكَ أن العزل مكروه ولم يبلغك أن الزنا حرام؟!

الفكرة أن هذا الكوكب متناقض بشكلٍ مخيف ، تَجِد بعض سكانه يهتمون بتفاصيل صغيرة ويتهاونون بأمورٍ عظيمة ، فالسِّواك لا شك سُنة عن النبي ﷺ ولكن بعض الذين يستخدمونه لا يتورّعون عن أكل لحوم الناس وأموالهم!

حدّثني صديق لي عن شخص كان يذهبُ في عملِه إلى الحمام ليتوضأ ويُصلي الضحى فيضيع من عمله ما يُقارب أربعين دقيقة ، الـمشكلة ليستْ هنا ، وإنما هذا الشخص لم يكن يذهب في رمضان لأداء صلاة التراويح ، وعندما سُئل عن هذا قال : واللهِ لقد تعلَّقتُ بمسلسل باب الحارة!

صلاةَ الضحى في العمل على حساب الناس أمرٌ جميلٌ عنده ولكن صلاة التراويح على حساب باب الحارة أمر غير مقبول!

١٧ أغسطس / آب

في مثل هذا اليوم من العام ٢٠٠٨م حصلتْ البريطانية «جوان رولينج موراي» على الدكتوراة الفخرية من جامعة هارفرد ، على أن الطّريق إلى هذا لم يكن مُعبَّداً بالورود!

سافرتْ جوان إلى البرتغال للحصول على وظيفة مُعلِّمة ، تزوجتْ هناك ولم يستمر زواجها إلا عاماً واحداً ، وفُصِلت من المدرسة!

عادتْ إلى بلدها لتُصبح وحيدة بلا زوج ، وبلا وظيفة وعليها أن تُعيل طفلتها التي أنجبتها من زواجها! أُصيبت جوان بالاكتئاب والميل إلى الانتحار وكانتْ تعيش على الإعالة الحكومية ولكنها كانتْ تملك حلماً وتهوى الكتابة! استمرتْ في الكتابة حتى أخرجتْ لنا سلسلة «هاري بوتر» التي طُبع منها ٤٠٠ مليون نسخة ، وأُدرجت ضمن قائمة أكثر الكتب مبيعاً في التاريخ ، وبُنيت عليها سلسلة من الأفلام صارت بدورها ضمن قائمة أعلى الأفلام دخلاً في العالم!

في العام ٢٠٠٤م ذكرتْ مجلة فوربس أن ثروة جوان تجاوزتْ المليار دولار وبذلك تكون أول شخص في التاريخ استطاع أن يُحقِّق هذه الثروة من خلال الكتابة . من أقوالها في سلسلة هاري بوتر :

- أرغب بارتكاب تلك الجريمة التي سُجنت بسببها!
- بداخلنا النور والظلام ، الشيء المهم ما نختار أن نظهره!
- التجاهل يُسبِّب أذى أكثر من الكراهية!
- قراراتنا تُظهر حقيقتنا أكثر من قدراتنا!
- إذا أردتَ أن تعرف حقيقة إنسان شاهده كيف يُعامل من هم أضعف منه!
- يُصبح كل شيء ممكناً عندما تتمتع بالشجاعة!

١٨ أغسطس / آب

في مثل هذا اليوم من العام ١٩٢٤م وُلد أنيس منصور، عاشَ سبعةً وثمانين عاماً ثم رحل عن هذه الدنيا تاركاً وراءه مئتي كتاب!

فتلميذ العقاد كان قارئاً نهماً، مؤلفاً يكتبُ كأنه في سباق مع الوقت، هذا ناهيك عن آلاف المقالات الصحفية! في حياة ثقافية حافلة كان من الطبيعي أن يترك وراءه أقوالاً خالدة عاشت أكثر منه! هذه بعضها:

- يسود السلام عندما تتسلّط قوة الحب على حب القوة!
- الحياة مثل البصل، قشرة تحت قشرة، وفي النهاية ليس هناك إلا الدموع!
- يومٌ لم أضحك فيه يوم ضاع من عمري!
- أطول حب في الدنيا هو حب الإنسان لنفسه!
- أن تموت أسداً خير من أن تعيش كلباً!
- لا أعرف قواعد النجاح ولكن أهم قاعدة للفشل هي إرضاء كل الناس!
- إذا كنتَ ستُصدِّق كل ما تقرأ، فلا تقرأ!
- يجب أن لا ينتمي الشعب للحكومة، وإنما الحكومة هي التي يجب أن تنتمي للشعب!
- محاولتك التفاهم مع امرأة تبكي كمحاولة تقليب أوراق الصحيفة أثناء العاصفة!
- كثيرٌ من الناس يحترمهم الناس، لأنهم لا يعرفونهم!
- قُلْ أي شيء أنا أصدقك، إلا أن تقول: النقود لا قيمة لها!
- ليس أبشع من الإهمال إلا تفاهة الاعتذار!
- الأحذية والأشخاص إن سبَّبوا لك ألماً، فهُم ليسوا على مقاسك!
- المرأة الجميلة ليستْ دائماً طيبة، ولكن المرأة الطيبة دائماً جميلة!

١٩ أغسطس / آب

في مثل هذا اليوم من العام ٧١٣م تُوفي «عُروة بن الزبير» ، أبوه الزبير بن العوام حواري رسول الله ﷺ ، وأمُّه أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما ، وُلد بعد وفاة النبي ﷺ لهذا يُعدُّ من التابعين لا من الصحابة!

كان فقيهاً ، مُحدِّثاً ، مُؤرِّخاً ، راوية للشعر ، أكثر من رواية الحديث عن خالته عائشة رضي الله عنها! عاشَ حياة صعبة ، ولكنّه كان آية في الصبر ، إذ خرج إلى دمشق يُريد «الوليد بن يزيد» فداسَ على عظم ، فلما وصل كان الألم قد بلغ منه مبلغاً ، فجمعَ الوليد الأطباء له ، فأجمعوا على قطع رجله ، فلمّا قطعوها ووضعوها بين يديه ، قال : اللهم لك الحمد فإن أخذتَ عضواً فقد تركتَ أعضاءً!

فبينما هو كذلك إذ أتاه خبر ابنه ، أنّه طلع على سطحٍ في دمشق فسقط فمات ، فقال : اللهم لك الحمد فإن أخذتَ ولداً فقد تركتَ أولاداً!

في اليوم الثاني قَدِمَ على الوليد وفد من بني عبس فيهم شيخ ضرير ، فسأله عن حاله وسبب ذهاب بصره ، فقال : خرجتُ مُسافراً ومعي مالي وعيالي ، ولم يكن في بني عبس أكثر مالاً مني ، فنزلنا ببطنِ وادٍ فأتى السيلُ على مالي وأولادي فذهبَ بكل شيءٍ غير صبي صغير وبعير!

فهربَ البعير ، فوضعتُ الصبي ولحقتُ بالبعير ، فسمعتُ صوت الصبي فعدتُ إليه أركض فإذا الذئب يأكل من بطنه وقد مات!

فلحقتُ بالبعير فحطّم وجهي برجله فذهب بصري ، فغدوتُ على ما ترى ، لا أهل ولا مال ولا بصر! فقال الوليد : اذهبوا به إلى عُروة ليعلم أن هناك من هو أكثر مُصاباً منه!

هذه الدنيا دار كدر ، وقلّما تصفو لأحد ، فمن وجد عافية فَلْيشكر ، ومن وجد غير ذلك فَلْيصبر ، وقد كانوا يتعزُّون في الشدائد : إنما هي أيام تمضي والموعد الجنة!

٢٠ أغسطس / آب

في مثل هذا اليوم من العام ٥٩٨م قُتِلَ الشاعر الـجاهلي «عبيد بن الأبرص» ، كان من أصحاب الـمُعلّقات ، وقصة موتِه دليل قاطع على الظُّلم الذي عرفه العرب في الـجاهلية!

كان الـمنذر بن ماء السماء قد جعل لنفسه يومين في السنة ، أسمى أحدهما يوم النعيم والآخر يوم البؤس! فأول من يراه يوم النعيم يعطيه مئة من الإبل ، وأول من يراه يوم بؤسه يذبحه ويدهن بدمه أقدام خيله! ثم إن عبيد بن الأبرص كان أول من أشرف عليه في يوم بؤسه ، فقال له : هلاّ كان الذبح لغيرك يا عبيد؟

فقال عبيد : أتتك بحائن / هالك رجلاه! فصارتْ عند العرب مثلاً!

فقال الـمنذر : انشدني فإن شعرك يعجبني!

فقال عبيد : حال الـجريض/ الغصة دون القريض / الشِعر فصارت مثلاً!

فقال الـمنذر : اَسْمِعْني!

فقال عبيد : الـمنايَا على الـحوايا! فصارت مثلاً!

فقال الـمنذر : لقد أملَلْتَني ، فأرحني قبل أن آمُر بك!

فقال عبيد : من عزَّ بزَّ! فصارت أيضاً مثلاً!

فقال الـمنذر : إنه لا بُدّ من الـموت ، ولو أن ابني النعمان عرضَ لي في يوم بؤسي لذبحتُه ، فاختر لنفسك أي شيء منك! الأكحل أو الأبْجل أو الوريد!

فقال عبيد : ثلاث خصال كسحابات عاد ، واردها شر وُرّاد ، وحاديها شر حاد ، ومعادها شر معاد ، ولا خير فيها لمرتاد ، وإن كنتَ لا بد قاتلي فاسقني الـخمر ، حتى إذا سكرتُ فأنتَ وما تريد!

فأمر الـمنذر بالـخمر ، فلما سكرَ عبيد قام الـمنذر إليه وذبحه! وهذا غيض من فيض ممّا كان يحصل في الـجاهلية فالـحمد لله على نعمة الإسلام!

٢١ أغسطس / آب

في مثل هذا اليوم من العام ١٩٦٩م أحرقَ اليهود المسجد الأقصى!

والشيء بالشيء يُذكر : سُئلت غولدا مائير مرةً : ما أتعس يوم مرَّ عليكِ ، وما أسعد يوم مرَّ عليكِ في «دولة إسرائيل»؟!

فقالتْ : أتعس يوم مرَّ عليَّ يوم أحرقنا المسجد الأقصى ، قلتُ في نفسي إنّ العرب سيذبحوننا صبيحة اليوم التالي! وأسعد يوم مرَّ عليَّ هو صبيحة اليوم التالي عندما لم يفعل العرب شيئاً! كفى بالمرء عاراً أن يُخيِّب ظنَّ عدوه به! ولكن رغم كل هذا السواد القاتم الذي مرَّ على هذه الأمة إلا أنّي من المُتفائلين بغد مُشرق طال الزمان أم قصر ، وهي سُنة من سنن الله في الكون أنّ الباطل يكسب معاركَ كثيرةً أما الحق فيكسب الحرب نهاية المطاف!

ليستْ المرة الأولى التي نكون فيها بهذا الضعف ، مرَّتْ هذه الأُمّة بمراحلِ ضعفٍ كثيرة ، ولكنّها في كل مرة كانت تُثبت أنها أُمّة تمرض ولا تموت! عندما احتلَّ المغولُ بغداد ، كان المغولي يقولُ للعربي : انتظِرني هنا حتى أذهب إلى بيتي فأُحضر السيف وأرجع لكَ! فكان لا يجرؤ أن يتزحزحَ من مكانه خوفاً على زوجته وأولاده أن يُنكّل بهم إن هو هرب!

ثم ما لبث الزمان أن دار قليلاً ، فإذا بغداد بين أيدينا مرة أخرى! حالُنا اليوم يُشبه حال العربي قديماً حين كان يُقال له انتظرني حتى أُحضر السيف وأرجع لك ، ولكن هناك بصيص نور في هذا النفق المظلم ، هناك أصوات تُرفع في وجوه الجلّادين ، هناك جذوة أضاءها رسول الله ﷺ ولن تنطفئ!

٢٢ أغسطس / آب

في مثل هذا اليوم من العام ٩٨٠م وُلد «ابن سينا» ، كان نابغة في الطِّب والفلسفة ، ألّف فيهما ما يُقارب مئتي كتاب ، فأمّا في الطِّب فلا يُشقُّ له غبار ، وأما في الفلسفة فَلَهُ تخابيص كثيرة عفا الله عنا وعنه!

ألّفَ كتابه «القانون في الطِّب» وظلَّ لسبعة قرون المرجع الطِّبيّ الأول لهذا الكوكب! وكان الأوروبيون يُسمُّون الكتاب إنجيل الطِّب! وظلَّ الكتاب يُدرَّس في جامعات أوروبا حتى القرن السابع عشر!

من أقوال ابن سينا :

- الوهم نصف الداء ، والاطمئنان نصف الدواء ، والصبر أول خطوات الشفاء!
- احذروا البِطنة فإن أكثر العِلل تتولّد من فضول الطعام!
- نصرة الحق شرف!
- بُلينا بقوم يظنون أن الله لم يهدِ سواهم!
- يدعون الناس إلى الجنة وهم عاجزون عن دعوةِ يتيمٍ إلى مائدة!
- المُستعد للشيء تكفيه أضعف أسبابه!
- الوقت يُطفئ الانتقام!
- امشِ في الصنادل حتى تمنحك الحكمة أحذية!
- ينقسم العالم إلى رجال لديهم خفة دم ولا دين ، ورجال لديهم دين ولا خفة دم!
- مُسكِّنات الأوجاع : المشي الطويل والانشغال بما يُفرحك!

٢٣ أغسطس / آب

في مثل هذا اليوم من العام ٨٠٥م توفي «الكسائي» أحد أشهر نُحاة العرب ، غير أنه له شأناً أرفع شرفاً من النحو الذي أخذه عن الخليل بن أحمد الفراهيدي ، ألا وهو قراءة القرآن ، فالكسائي صاحب إحدى القراءات المُتواترة ويا له من مجد! عيَّنه هارون الرشيد مؤدباً لولديه الأمين والمأمون ، ودخلَ عليه يوماً وهو لا يراه ، فقامَ الكسائي ليلبس نعله لحاجة يُريدها ، فنهضَ الأميران بسرعة ووضعا النّعل بين رِجلي الكسائي . بعد مدة جلس الرشيد في مجلسه وقال للكسائي : يا كسائي أي الناس أكرم خدماً؟!

فقال الكسائي : أمير المؤمنين أعزَّه الله! فقال الرشيد : بل الكسائي ، يخدمه الأمين والمأمون! وحدّثَ الحضور بما رأى!

الجزاءُ من جنس العمل : عندما عرف الكسائي حقَّ كتاب الله وفضله ، وقام به الليل ، وعلَّمه للناس في النهار ، واشتغل له خادماً ، جعل الله أولاد الخليفة عند رجليه يتسابقان أيهما يُحضر له نعله!

واللهِ ما أقام أحد أمر الله إلا أقام الله أمره ، وما رفع أحد شأن كتاب الله إلا رفع الله شأنهَ!

ويُحسبُ للرشيد كذلك أنه لم تأخذه العزة بالجاه والمُلك ، أن يرى ولديه كالخدم بين يدي أُستاذهما ، جميل جداً أن يعرف المرء أن الأخلاق تأتي قبل العلم!

٢٤ أغسطس / آب

في مثل هذا اليوم من العام ١٨٩٠م تمَّتْ أول عملية إعدام بالصعق الكهربائي في سجن مدينة نيويورك بأميركا!

كان وراء هذا الحدث الذي يبدو قضائياً بامتياز عملية ثأر من نوع آخر!

كان توماس أديسون يُؤمن أن النظام الكهربائي الذي يجب على البشر استخدامه أن يعتمد بالضرورة على التيار الكهربائي المباشر ، ولكن عندما بدأتْ البشرية تتناقل بالقبول والترحاب فكرة الفيزيائي الصربي نيكولاي تيسلا القائمة على استخدام التيار الكهربائي المتراوح بدل المباشر ثارتْ حفيظة أديسون وشعر أن البساط قد يُسحب من تحت قدميه كَسَيِّد وحيد للكهرباء في العالم ، فقرَّر أن يُدمر سمعة تيسلا!

أول ما فعله أديسون هو أنه كان يصعق الحيوانات المنزلية التي يُربِّيها الناس في بيوتهم بالتيار المتراوح فتموت على الفور ليُثبت للناس أن هذا التيار غير مأمون!

وبعد أن أشاع هذه الفكرة ، انتقل إلى الخطوة التالية ، حيث استخدم حظوته وسلطته لدى الحكومة الأمريكية وأقنعها بتجربة الإعدام بالصعق الكهربائي ، وبالفعل تمت عملية الإعدام ، ولكن السجين لم يمت! كانت كمية الكهرباء في التيار المتراوح غير كافية لقتل إنسان ، فقاموا بصعقه مرة بعد مرةٍ حتى مات! ليتبيَّن أن التيار الكهربائي المباشر أخطر على البشر من التيار الكهربائيً المتراوح الذي نادى تيسلا باستخدامه!

ثم كانتْ المفاجأة ، بدل أن يُحطم أديسون سمعة تيسلا أضرَّ بسمعته هو ، وأسدى لتيسلا شهرة في العالم لم يكن ليُحقِّقها لولاه!

الفكرة من هذا كله هو أنّ الإنسان يقع أحياناً ضحية معركة الانتقام التي يبدأها! وهكذا تمَّ التأكيد مرة أخرى على أن من يُشعل نار الحقد لا يَسلم من لظاها!

٢٥ أغسطس / آب

في مثل هذا اليوم من العام ٨٠١م توفي «عبد الله بن المبارك» ، كان فقيه زمانه ، عابداً وَرِعاً تقياً ، حتى قِيل فيه : ما لأصحاب رسول الله ﷺ على ابن المبارك من فضل غير أنّهم رأوا النبي ﷺ وغزوا معه!

ذكر ابن كثير في البداية والنهاية قال : خرج عبد الله بن المبارك مرةً إلى الحج ، فرأى في طريقه امرأةً تعمدُ إلى مزبلة فتأخذُ الميتة! فسألَها ، فقالتْ : أنا وأختي ها هنا ليس لنا شيء ، وقد حلَّتْ لنا الميتة!

فقال لوكيله : كم معك من النفقة؟فقال : ألف دينار فقال : عُدَّ منها عشرين ديناراً تكفي الرجوع ، وأعطها الباقي فهذا أفضل من حجِّنا هذا العام!

لم آتِ بالقصة لأقول أن الصدقة أفضل من الحج ، الصدقة نافلة والحج فريضة فلا مقارنة ، ولكن واضح من القصة أن الحج أيضاً كان نافلة ، بمعنى أنّه سبقَ له أن حج من قبل!

وإنّما الشاهد من القصة أن الإنسان يستطيع أن يعبد الله عن طريق مساعدته للناس ، فالعبادات في هذا الدين العظيم ليستْ صياماً وصلاةً وحجاً وزكاةً فقط!

جبرُ الخواطر عبادة ، ورفعُ الظلم عن مظلوم عبادة ، وإصلاحٌ بين زوجين فرّقتْهما الخلافات عبادة ، وشراءُ علبة دواء لفقير عبادة ، ومواساةُ محزون عبادة ، والوقوفُ مع الناس في مُصابهم عبادة ، بل ومُشاركتهم أفراحهم بما يُرضي الله عبادة ، سُبحان من جعل كل معروف عبادة ، حتى كانت الابتسامة صدقة!

٢٦ أغسطس / آب

في مثل هذا اليوم من العام ١٩١٠م وُلِدتْ الراهبة الكاثوليكية «الأم تيريزا» ، كانتْ إنسانة رائعة بحق ، وسُبحان من جعلَ العدالة من أركان ديننا فقال : ﴿ولا تبخسوا الناس أشياءهم﴾ وقال : «ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا»!

كانتْ الأم تيريزا تزور مصنعاً في الهند ، فلفتَ نظرها عامل في زاوية من زوايا المصنع يُنشد ويُغني وهو يعمل ، وعلامات السعادة بادية على وجهه ، فاقتربتْ منه فإذا هو يجمع البراغي ويضعها في علب خاصة شأنه شأن بعض رفاقه بالقرب منه ، فزادَ هذا الأمر استغرابها ، فقالتْ له : ماذاً تفعل؟

فقال : أنا أصنع طائرات!

قالتْ له باستغراب : تصنع طائرات؟!

فقال : أجل يا سيدتي طائرات ، هذه الطلبية من البراغي لشركةِ تصنيع طائرات ، والطائرات العملاقة التي تركبينها لا يُمكن أن تطير دون هذه البراغي الصغيرة!

ما أجمل أن ينظر المرء إلى أثر ما يعمل!

من أقوالها الجميلة :

- الله لا يطلب منا أن ننجح بل يطلب منا أن نحاول!
- الحب الشديد لا يُقاس بل يُعطى!
- إن كنت تحكم على الناس فلن تجد الوقت لتحبهم!
- حتى الأغنياء جِياع للحب ، وبحاجة لمن يعتني بهم!
- أحد أكبر الأمراض هو أن لا نعني شيئاً لأحد!
- إشباع الجوعِ للحب أهم بكثير من إشباع الجوعِ للطعام!
- لا تُفكر أبداً بالأعداد ، ساعد كل مرة شخصاً وسيبدو العدد كبيراً نهاية المطاف!

٢٧ أغسطس / آب

في مثل هذا اليوم من العام ٦٩١م توفي «الأحنف بن قيس» ، كان يُلقَّب بحليم العرب ، ذاك أنه لم يكن يغضب أبداً ، حتى قيل عنه : هذا الذي إذا غضبَ ، غضبَ له مئة ألف لا يدرون فيمَ غضبَ! لم يُرَ الأحنف غاضباً إلا مرةً واحدة ، ذلك أنّه أعطى ثوباً إلى خياط ليُصلحه له ، وكُلّما مرّ عليه ، أخبره الخياط أن يعود في الغد ، وبعد مرور عام ، جاء الأحنف إلى دكان الخياط ومعه ابنه بحر ، وقال للخياط : إذا أنا متُّ فاعطِ الثوب إلى هذا وانصرَف ، حتى في غضبه كان لا يغضب!

سُئل الأحنف : ممن تعلمتَ الحلم؟فقال من قيس بن عاصم ، بينما هو ذات يوم في دارِه إذ جاءتْه خادمة بسفود عليه شواء حار ، فنزعتْ السفود من اللحم وألقتْه خلف ظهرها فوقع على ابنٍ له فقتلته ، فخافتْ الخادمة ، فقال لها : لا روع عليكِ ، أنتِ حرة لوجه الله!

من أقوال الأحنف الجميلة :

- ثلاثة لا ينتصفون من ثلاثة : شريف من دنيء ، وبَر من فاجر ، وحليم من أحمق!
- من أسرعَ إلى الناس بما يكرهون ، قالوا فيه ما لا يعلمون!
- إن عجبتُ لشيء فعجبي لرجال تنمو أجسامهم وتصغر عقولهم!
- الأدب نور العقل!
- آفة الحرص الحرمان!
- لا خير في قول بلا فعل ، ولا منظر بلا مَخْبَر ، ولا مال بلا جود ، ولا صديق بلا وفاء ، ولا فقه بلا ورع ، ولا صدقة بلا نية!

٢٨ أغسطس / آب

في مثل هذا اليوم من العام ١٨٨٩م وُلد الشيخ «محمد البشير الإبراهيمي» ، كان عالـماً فقيهاً مُجاهداً أديباً وشاعراً!

حاربَ الاستعمار الفرنسي للجزائر عملاً وعِلماً ، حملَ البندقية كما حملَ القلم ، وعملَ على تنويرِ العقول وردِّ هذه الأُمّة إلى صحيح دينها! في العام ١٩٤٧م اعتلى الـمنبر ليخطب بالـمسلمين خطبة صلاة عيد الفطرَ فقال : أيُّها الـمسلمون : عيدُكم مباركٌ إذا أردتم! سعيدٌ إذا استعددتم!

ولا تظنوا أن الدعاء وحده يرد الأعداء!

إن مادة دعا يدعو لا تنسخ مادة عدا يعدوا! وإنما ينسخها أعدَّ ، يعدُّ ، واستعدَّ ، يستعدُّ! فأعدوا واستعدوا ، تزدهر أعيادكم وتظهر أمجادكم!

والشيء بالشيء يُذكر ، جاء أحد مشايخ الشام الـمجاهدين أيام الانتداب الفرنسي على سوريا إلى مشايخ ومُريديهم وقد أقاموا حفلة مديح نبوي ، فقال لهم : ماذا تفعلون؟

قالوا : ندعو ، ونقيم الـمديح على نية النصر للمجاهدين!

فقال لهم : هذا عمل العجائز والقواعد من النساء ، قوموا إلى بنادقكم يرحمكم الله!

الشاهدُ في الأمر أنّ هذه الدنيا دار أسباب ، وصحيحٌ أن الدعاء سلاح الـمؤمن ، ولكن على الـمؤمن أن يأخذ كل ما يُمكنه من أسلحة ثم يدعو الله أن يوفِّقه للنصر فيها ، لا أن تجمع له الناس الدبابة والطائرة وليس له من الأمر إلا أن يرفع يديه إلى السماء!

وقد رأى عمر بن الـخطاب أعرابياً يدعو الله أن يشفي ناقته التي أصابها الـجرب ، فقال له : أيِّدْ دعاءك بشيء من القطران!

٢٩ أغسطس / آب

في مثل هذا اليوم من العام ١٩٦٦م أُعدم سيد قطب!

وسيد كغيره من الناس يُؤخذ منه ويُردُّ عليه ، يُصيب ويُخطئ ، وسواءً اتفقنا أو اختلفنا معه ، أحببناه أو كرهناه –وأنا من الذين يُحبُّونه بالـمناسبة– فلا بُد من التأكيد على فكرة أن قتل إنسان بسبب رأي يراه ، أو فكرة يعتقدها هو أرذل أسباب القتل وأكثرها وحشية وتطرُّفاً وتخلُّفاً!

ظنَّ عبد الناصر أنّه يُمكنه قتل الأفكار بقتلِ أصحابها ويا لغباء هذا الظن ، كُتُب سيد قطب ما زالت تُطبع ، وفي ظِلال القرآن يُقرأ ويُدرَّسُ ويُرجع إليه ، وملايين من الناس تترحَّمُ عليه بينما لا يجد عبد الناصر اليوم من يقرأ له الفاتحة!

سيد قطب إلى الفكر والأدب أقرب منه إلى الفقه والشريعة ، بمعنى أنه مُفكِّر أكثر منه فقيهاً ، وأديب أكثر منه أستاذ شريعة ، هذه الـحقيقة غابتْ عن الذين انتقدوه ، الكثير من كتاباته التي أُخذت عليه كانت بغالبيتها من باب الكِناية وضروب البيان وعذوبة التعبير شأنه شأن الأدباء ، فتمسك منتقدوه بالألفاظ على حساب الـمعنى أو بجزئية بسيطة يثبت فكره ككل أنه لم يقصد ما فهموه منه ، ولكن الذي يبحث عن السوء يجده!

من أقوال سيد قطب الـجميلة :

- الكل سيذهب إلى الله بعد مماته ، ولكن السعيد من ذهب إلى الله في حياته!
- الصبر على النصر أشق من الصبر على الهزيمة!
- لا يمكنني أن أصدق أنه يمكن الوصول إلى الغاية النبيلة باستخدام وسيلة خسيسة!
- الـجاهلية الـمنظمة لا يهزمها سوى إسلام منظم!
- القوة وحدها بدون عقيدة لا تُقيم عرشاً ولا تحمي حكماً!
- إن كلماتنا تظل عرائس من الشموع لا حياة فيها جامدة حتى إذا متنا من أجلها دبّت فيها الـحياة!
- إنهم يُريدون إسلاماً أمريكانياً يُستفتى في نواقض الوضوء ولا يُستفتى في نواقض الإسلام!

- لن أعتذر عن العمل مع الله!
- إن السبابة التي تشهد لله بالوحدانية لتأبى أن تكتب كلمة في باطل!
- إذا أُرِيدَ للإسلام أن يعمل فلا بد للإسلام أن يحكم فما جاء هذا الدين لينزوي في الصوامع والمعابد!

٣٠ أغسطس / آب

في مثل هذا اليوم من العام ٧٤٧م توفي «عُروة بن أُذينة» ، جمعَ المجد من أطرافه ، كان فقيهاً ، محدثاً سمع الحديث من عبد الله بن عمر وحدّث عنه الإمام مالك في الموطأ ، شاعراً غزلياً عذباً رقيقاً!

دخلَ عروة على هشام بن عبد الملك ، وشكا إليه فقره وحاجته ، فقال له هشام : ألستَ القائل :

لقد علمت وما الإسراف من خلقي
أن الذي هو رزقي سوف يأتيني
أسعى إليه فيعييني تطلُّبُه
ولو قعدتُ أتاني ليس يُعييني!

وها قد أراك قد جئتَ من الحجاز إلى الشام في طلبِ الرزق!

فقال له عروة : يا أمير المؤمنين لقد وعظتَ فأبلغتَ! وخرجَ ، فركبَ ناقته وعاد إلى بيته في المدينة المنورة!

في الليل تذكر هشام ما كان بينه وبين عروة ، وقال في نفسه : رجل من قريش قال حكمة ، ووفدَ عليَّ ، فرددتُه خائباً ، ما هذا بالرأي!

فلما أصبح أرسل إليه رجلاً خلفه بألفي دينار!

فأقبل الرسول إليه وطرق بابه في المدينة ، وأعطاه المال ،

فقال عروة للرسول : ابلغْ أمير المؤمنين مني السلام ، وقل له : كيف رأيتَ قولي سعيتُ ، فأكْديتُ ، فرجعتُ ، فأتاني رزقي إلى منزلي!

وصدق رسول الله ﷺ حين قال : «لو أنّ ابن آدم هربَ من رزقه كما يهرب من الموت ، لأدركه رزقه كما يُدركه الموت»!

وليس بعد كلام رسول الله صلى الله عليه وسلام كلام ، ولكن الشيء بالشيء يُذكر ، كقول الجدات في مثلهن العامي : لو تركض ركض الوحوش غير رزقك ما تحوش!

٣١ أغسطس / آب

في مثل هذا اليوم من العام ٨٤٤م تُوفي «عبد الله بن طاهر الـخراساني»!

كان أبوه والياً على خراسـان فلما توفي عيّنه الـمأمون مكان أبيه ، كـذلك كان قائداً عسكرياً استعان به الـمأمون للقضاء على الثورات التي قامتْ ضده!

ربطته بالـمأمون صداقة وثيقة ، وكان يدخل عليه دون ميعاد ولا استئذان .

ويقول عبد الله بن طاهر : كنا عند الـمأمون يوماً ، فنادى بالـخادم يا غلام ، فلم يجبه أحد! ثم نادى ثانياً ، وصاح يا غلام ، فدخلَ خادم له وهو يقول : ما ينبغي للغلام أن يأكل ولا يشرب ، كلما خرجنا من عندك تصيح يا غُلام يا غلام! فنكس الـمأمون رأسه ، وقبضَ على لحيته ، فما شككتُ أنه يأمرني بضرب عنقه!

ثم نظر إليّ فقال : يا عبد الله إن الرجل إذا حَسُنت أخلاقه ساءتْ أخلاق خدمه ، وإذا ساءتْ أخلاقه حَسُنت أخلاق خدمه ، وأنا لا أشتري حُسن خُلق خدمي بسوء خلقي!

درسٌ عظيم ، ليس في الـحُكم فقط ، وإنما في الـحياة برمتها!

ما أسهل أن يكون الـمرء فرعوناً في بيته لا تجرؤ زوجته أن ترد له كلمة ، ولا يجرؤ ابن أن يُخالف له رأياً!

ما أسهل أن يكون الـمرء جباراً عتياً يحسب الناس له ألف حساب حتى أن أمه وأباه ليُراعياه خوفاً من سوء خلقه ، الأمر سهل جداً ، سهل جداً أن يكون الـمرء دابة بهيئة إنسان!

الصعبُ حقاً أن تكون إنساناً بمعنى الكلمة ، أن تُناقشك زوجتك لأنها تعرف حبك ، ويُجيبك ابنك لأنه يثق بعقلك ، ويأمرك أبواك لأنهما يعرفان حُسن تربيتك ، كُنْ إنساناً فهذه مرتبة عظيمة جداً!

١ أيلول / سبتمبر

في مثل هذا اليوم من العام ٧٤٢م وُلد الإمبراطور الروماني «شارلمان» ، كان أُمِّياً لا يَقرأ ولا يَكتب ولكنّه يعرف قيمة أن يقرأ المرء ويكتب ، ولأنه لم يكن هناك مطابع وقتها فقد قامَ بتشكيل فرق «كتَبة ونُسَّاخ» ، وأنشأَ مكتبة «آخن» ، أشهر مكتبة على ظهرِ الأرض في ذلك الوقت!

ولعلَّ قائلًا يقول : «نبيلٌ هو الإنسان الذي يُحاول أن يُعطي الآخرين ما حُرم هو منه!»

ولعلّ آخر يقول : «إنها ليستْ إلا محاولة للتعويض ، فكل من حُرم من شيء تحيَّن الفرصة للحصول عليه ولو عبر غيره ، تماماً كالشغفِ الذي تحضنُ به من حُرمتْ الإنجاب أولاد أُختها!»

والحقيقةُ أن كلا القولين صائب ، وقد يجتمعان معاً فلا ضير ،على أنّ الرجل كان مُستنيراً أيضاً وسابقاً لعصره ، وتنبّه باكراً إلى مشكلة نُعاني منها اليوم!

لاحظَ شارلمان أنّ الخطاب الديني وقتذاك يَستخدم لغة فظة صعبة ، مليئة بالمفردات الوعرة التي سقطتْ من الاستخدام الحياتي والتي لا وجود لها إلا في بطونِ الكتب ، كما لاحظ أن طبقة رجال الدين باتتْ برجوازية ، تنظرُ بفَوْقيّة إلى الناس ، وتستخدم النصح والإرشاد على سبيلِ الاستعلاء وتُخاطب الناس بشيء من الدُّونية!

عندها أصدرَ أمراً مفاده أنّه يجب على كل الأساقفة والقساوسة أن يدرسوا علوماً أخرى إلى جانب الأناجيل والصلوات والتراتيل ، فأدرجَ دراسة الأدب والشعر في المنهج الكنسي لترقيق طباع الوعّاظ ، كما أصدر أمراً أن على القساوسة أن يُدرِّسوا القراءة والكتابة لأولاد العامة أيضاً فهذا يُذكِّرهم أن سواهم من مواطني روما بشرٌ أيضاً!

بعض الناس مرضى ينتقمون من الحياة عبر حرمان الناس مما حُرموا منه ، وبعضهم نبيل يقولُ في نفسه : واللهِ لا يذوق أحد مرارة ما حُرمتُ منه وأنا قادر على أن لا يجعله يفعل ، فطوبى للنبلاء!

٢ أيلول / سبتمبر

في مثل هذا اليوم من العام ٩٦٨م تُوفي «كافور الإخشيدي» بعد أن حكمَ مصر لمدة ثلاث وعشرين سنة تُعتبر أزهى فترة في عمر الدولة الإخشيدية .

كان رجل دولة باقتدار ، فلا يغُرّنّكم هجاء المتنبي له :

لا تشترِ العبد إلا والعصا معه
إن العبيد لأنجاس مناكيد

فهذا بسبب خلاف شخصي ، مُلخصه أن المتنبي جاء إليه مُمَنِّياً نفسه بأن يُعيّنه والياً ، ولكنه لم يفعل ، وإلا فمن قبل هذا الهجاء كان المتنبي يقول عنه :

قواصد كافور توارك غيره
من أراد البحر استقلَّ السواقيا!

في طفولته كان كافور عبداً يُباع في الأسواق ، وكان له صاحب مثله ، وبينما هما ينتظران من يدفع ثمنهما ليكونا له ، دارَ بينهما حوار ، وأخذ كل واحد منهما يسأل الآخرعن أمنيته .

فأما صاحبه فقال له : أتمنى أن أُباع إلى طبّاخ لآكل ما أشاء وقتما أشاء!

وأما كافور فقال : أما أنا فأتمنى أن أملك مصر كلها!

وبعد أيام بِيع صاحبه إلى طباخ ، وبِيع كافور لأحد قادة الجيش ، فما زال يجتهد ويجد ، ويتقلّد المناصب الخفية ، وهي أشبه ما تكون بالدولة العميقة اليوم ، حتى أنّه كان الحاكم الفعلي لمصر قبل أن يتولاّها رسمياً!

دارتْ الأيام ومرَّ كافور على صاحبه القديم ، فإذا هوعند الطباخ كما تمنّى ، يأكل ويشرب وليس له إلا لقمته ، عندها قال كافور لِمن معه : لقد قعدتْ بهذا همّته فكان كما ترون ، وطارتْ بي همّتي فصرتُ كما ترون ، ولو جمعتْني وإياه همة ، لجمعنا مصير واحد!

بغض النظر عن الأساليب الملتوية التي اتخذها كافور للوصول إلى الحكم ، إلا أن الإنسان حيث يرى نفسه!

٣ أيلول / سبتمبر

في مثل هذا اليوم من العام ١٥٦٩م وُلد «شهاب الدين الخفاجي» ، كان من شعراء العصر العُثماني ، وله مُصنّفات كثيرة في الأدب واللغة أشهرها «شفاء العليل» ، و«طراز المجالس» ، هذا بالإضافة لإحاطتِه بالفقه والقضاء ، فقد ولي قضاء مصر في خِلافة السلطان العثماني مراد .

يَروي شهاب الدين الخفاجي في كتابه «شفاء العليل» : كان بالبصرة رجل غني ولكنّه كان بخيلاً على نفسه وعياله ، لا يرى الناس درهمه وديناره أبداً ، وإذا أخرجَ درهماً كان حزيناً كأنما أخرج ولداً إلى القبر!

وحدثَ أن دعاه أحد جيرانه إلى طعام ، وكان الطعام كباباً مشوياً ، فجعلَ يأكل بنهم ويشرب الماء ، ثم يُعاود ويأكل ويشرب الماء ، حتى شعرَ أن معدته تريد أن تنفجر من كثرةِ ما حشاها بالطعام ، وخاف على نفسه من الموت ، فأرسل إلى جارٍ له طبيب لينظر في أمره!

فجاء الطبيب ودخل عليه وسأله : ما حالك؟

فقال : أكلتُ كباباً كثيراً ، وشربتُ ماءً ، وأنا على ما ترى!

فقال له الطبيب : لا بأس عليك ، قُمْ فتقيأ ما أكلتَ فتبرأ بإذن الله!

فقال : أتقيأ الكباب الذي أكلته ، والله إنك لظلوم جهول ، ما أفعلها ولو انشقَّ بطني!

ويقول الشيخ سعد العتيق تعليقاً على البُخل : لا تُزوِّج ابنتك لبخيل ، فإنك تُدخلها النار قبل النار!

لا تزوجها لبخيلٍ ولو كان يقوم الليل كله في ركعة ، فالبخيل لا يُحب إلا نفسه ، والناس للأسف تَسأل عن الدِّين ولا تسأل عن الخُلق ، فإياك أن تسأل فقط عن صلاته ولا تسأل عن طباعه! وكان الله في عون الأُسرة التي يقوم عليها بخيل!

٤ أيلول / سبتمبر

في مثل هذا اليوم من العام ١٨٩٨م وُلد «روبرت لاكوست» ، وزير المستعمرات في الحكومة الفرنسية ، أي أنّه كان الحاكم العام للجزائر إبان الاستعمار الفرنسي!

كانتْ خطة لاكوست تقضي أن يتم تنحية القرآن الكريم من عقول الجزائريين وقلوبهم ، وكان لا بد من تجربة ، فقاموا بانتقاء عشر فتيات جزائريات وأدخلوهنّ المدارس الفرنسية ، وألبسوهنّ اللِّباس الفرنسي ، وحَشَوْنَهُنّ بالثّقافة الفرنسية ، وبعد أحد عشر عاماً وفي حفل تخريجهنَّ خرجْنَ جميعهنَّ يرتدين الحجاب واللِّباس التُراثي الجزائري!

فثارتْ حفيظة الصحافة الفرنسية ، وكتبتْ تتساءل : ماذا فعلتْ فرنسا في الجزائر طوال هذه الأعوام؟!

فأجابَ لاكوست : وماذا أصنع إذا كان القرآن أقوى من فرنسا!

طبعاً إنّ أقسى هزيمة تتلقّاها أُمّة هي الهزيمة الثقافية والأخلاقية ، لأن الهزائم العسكرية ، وخسارة الأشياء قابلة للتعويض ، أما الأُمّة التي تخسر هويتها الثقافية فإنما تخسر وجودها حقيقة!

استطاعتْ كل دول الاستعمار أن تُربِّي لها من أبنائنا أبناءً!

حصلَ هذا في كل دولة إسلامية طالتْها آلة الاستعمار وهمجيته ولكن بقِيتْ هذه الفئة قلّة قليلة لا تُقارَن بالكثرة الطيبة الجميلة التي تفخر بدينها وهويتها!

على أَن ما نراه اليوم من ضجيج القِلّة فهو لأن الإعلام مُوجَّه ، وقد سُمح لهذه الشرذمة التي تقود التغريب أن تحتلَّ قنوات التلفزة ، وتتصدر صفحات الصحف الأولى!

إلا أنّ هناك حقيقة واحدة ثابتة : القرآن أقوى من فرنسا ومن أمريكا ، «وليبلغنَّ هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار»!

٥ أيلول / سبتمبر

في مثل هذا اليوم من العام ٦٣٤م فتحَ خالد بن الوليد وأبو عبيدة بن الجراح مدينة دمشق ، دخلَها كل واحد منهما من ناحية ، والتقيا في وسطها ، وارتفعَ الأذان هناك ، كما سيبقى دائماً أن «الله أكبر»!

فتح دمشق يُريك مدى عظمة هذا الدين ، وأي نوعية من الرجال كان قد ربَّى!

كان أبو بكر الصديق يميلُ إلى خالد ، وعمر يميل إلى أبي عبيدة ، والسبب برأيي أن أبا بكر كان ليِّناً جداً فكان يُعوِّض لينه بحزم خالد ، بينما كان عمر حازماً جداً فكان يُرقِّق حزمه بلين أبي عبيدة ، وأبو بكر في معدنه كأبي عبيدة لهذا لا يُكملان بعضهما ، وعمر وخالد من معدن واحد لهذا لم يُكملا بعضهما .

تشبَّث أبو بكر بخالد ، بينما كان أول قرار عسكري أصدره عمر هو تولية أبي عبيدة للجيش!

هذا طبعاً من ناحية نفسية وإلاّ فكل واحد من الأربعة كانت لديه مُعطيات ومبرِّرات عملية ومعقولة والاختلاف هوية هذا الكوكب!

المهمُ أنّ أجمل ما في قرار عزل خالد هو خالد نفسه ، وأجمل ما في تولية أبي عبيدة هو أبو عبيدة نفسه ، عندما استلمَ خالد قرار عزله قال : أنا لا أُقاتل لأجل عمر وإنما أُقاتل لأجل رب عمر ، وأخذ مكانه في الجيش تحت إمرة أبي عبيدة ، كان موقف خالد هذا أجمل نصر حقَّقه يوماً ، إنه الانتصار على الذات ، إنها الطاعة للقائد العام للقوات المسلحة في المدينة دون جدلٍ ولا نقاش!

وعندما استلمَ أبو عبيدة كتاب إمارة الجيش ، قال لخالد : لا حول ولا قوة إلا بالله ، هو أمر أمير المؤمنين ولا بد من إنفاذه ، وإنك عندي على الحال التي كنتَ عليها ، لا يُستغنى عنك ، ولا يُقطع أمر دون مشورتك!

يا له من دين ، ويا لهم من رجال!

٦ أيلول / سبتمبر

في مـثل هذا اليـوم من العـام ٨٠٦م تُوفي «مـحـمـد بن مـيـمـون» الـمُلقَّب بالسُّكري ، وعن لقبه يقول الإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء : لم يكن يبيع السُكر وإنما سُمِّيَ بالسكري لحلاوة كلامه!

كان فقيهاً ، عالـماً ، مُحدِّثاً ، اشتهرَ بكرمه وزُهده ، وكان إذا مرضَ أحد جيرانه أو أصدقائه نظر كم دفع هذا الـجار أو الصديق من نفقةٍ على الدواء ثم تصدَّق من ماله مقدارها شكراً لله أن عافاه من هذا الـمرض!

كما اشتهرَ بحُسن جواره ، فأحبّه جميع من في الـحيّ ، حتى أنّ جاراً له أراد أن يبيع داره بأربعةِ آلاف درهم ، فقِيل له إن الدار لا تُساوي هذا الـمبلغ ، فقال : ألفان للدار ، وألفان لجوار أبي حمزة!

فلما عَلِمَ أبو حمزة السكري بالأمر أرسل إليه أربعة آلاف درهم على أن يبقى في داره ولا يبيعها!

وعلى غِناه وما في يده من مال كان زاهداً ، قليل الطعام والشراب ، حتى أنه ليقول عن نفسه : ما شبعتُ يوماً ملء بطني إلا أن يكون عندي ضيف ، فآكل كفايتي حتى يستأنس ضيفي ويأكل!

إنّ الكرم ، وحسن الـجوار ، والزهد ، صفات تتكرّر كثيراً في سير النبلاء ، أما أن يُلقَّب أحدهم بالسُكري لحُلو كلامه فهذا لا يتكرّر كل يوم!

فهل فكّر أحدنا أن الناس لو أرادوا أن يستبدلوا اسمه بلقب من صفاته ماذا عساه يكون هذا اللقب؟!

٧ أيلول / سبتمبر

في مثل هذا اليوم من العام ١٨٨٩ وُلد العلامة «عبد الرحمن السعدي» ، صاحب كتاب التفسير الشهير «تفسير السعدي» الذي فيه وقفات حلوة ، واستنباطات عذبة ، لم يسبقه إليها أحد!

كان رقيقاً في طبعه ، محباً للناس ، فقيهاً بواقع الأمور ، ومما يرويه عن نفسه يقول : أيام لم يكن في البيوت أفران غاز ، اشتريتُ حطباً من جمّال ، وطلبتُ منه أن يحمله إلى منزلي ، وأثناء إنزال الجمّال للحطب ، وقعتْ علبة الدخان من يده ولم ينتبه ، ولكنّي رأيتُها ، فالتقطتُها ، وعندما انتهى من عمله ، أعطيتُه أجرته ، ومددتُ علبة الدخان ، وقلتُ : أهذه لك؟

فردَّ على استحياء : أجل!

ثم أردفَ قائلاً : غريبة يا شيخ ما أحرقتَها!

فقلتُ له : إن أحرقتُها فستشتري غيرها من ثمن هذا الحطب على حساب طعام أولادك!

فقال : أُشهدك أني سأُقلع عن التدخين منذ اللحظة!

ومضى في طريقه ولم نلتقِ بعدها!

والحديثُ ليس عن حُرمةَ الدخان ، أو إباحته ، أو كراهته ، رغم وضوح الرأي الذي يتبنّاه الشيخ في المسألة! اللافتُ في هذه القصة هذه الرّحمة من الشيخ على الرجل ، وهذا الفقه بالواقع والحال ، وهذا التسديد وهذه المقاربة!

إن أكثر ما يفتقده الناس في الدُّعاة اليوم هو هذا اللِّين ، وهذه الرّأفة ، الناسُ فيها خير كثير ، فقط تحتاج لمن يأخذ بأيديها إلى الله لا إلى من يقف عثرةً بينه وبينهم!

وإني أُقسم غير حانث أن الشيخ لو أتلفَ علبة الدخان للرجل ، وأعطاه مُحاضرة قاسية لما أقلع عن التدخين ، وليس مُستبعداً أن يزيد منه نكاية بالشيخ وأسلوبه!

ولكن الأسلوب كل شيء ، ولمّا كان الأسلوب عذباً كانت النتيجة كذلك ، فترفّقوا بالناس!

٨ أيلول / سبتمبر

في مثل هذا اليوم من العام ١٩٨٦م بدأَ أول برنامج حواري للإعلامية الأشهر في أمريكا «أوبرا وينفري» ، وعلى ما يُقارب العشرين عاماً من حوار مئات الشخصيات ، والتّعليق على أهم الأحداث ، أصبحتْ علامة فارقة في دُنيا الإعلام في العالم كله وليس في أمريكا فقط!

هذه بعض الأقوال التي قالتْها في مسيرتها الإعلامية :

- أنا متأكدة أن ما نُصِرُّ عليه هو ما نُصبحه!
- الصراع الذي مررتُ به في حياتي علّمني التعاطف ، فأنا أتفهم الألم ، الهجران ، وأن يكون المرء غير محبوب!
- أكبر مقامرة يمكن أن تمر بها في الحياة هي أن تحيا الحياة التي تحلم بها!
- اتبع فطرتك فهي دائماً ما تقودك إلى الحقائق التي تُظهر نفسها!
- حيثما لا تُوجد العقبات لا تُوجد البطولات!
- أعظم اكتشاف اكتشفه الإنسان أن بإمكانه أن يُغيِّر مستقبله عن طريق تغيير بعض مواقفه!
- الحظ هو التقاء التحضير مع الفرصة!
- أنا متأكدة أن كل شيء يحدث لسبب ما ، حتى لو كانت الحكمة لمعرفته تنقصنا!
- أكثر ما تخاف منه ليس قوياً ، فالقوة تكمن في الخوف ذاته!
- كن مع الأشخاص الذين يرفعونك لأعلى لا يسحبونك لأسفل!

٩ أيلول / سبتمبر

في مثل هذا اليوم من العام ١٨٢٨م وُلد الأديب الروسي الشهير «ليو تولستوي» الذي يعتبره كثيرون أعظم روائي على مرّ التاريخ!

فصاحب الرائعتين «الحرب والسلم» و «أنا كارنينا» كان مُؤثراً ليس في روسيا فحسب ، وإنما تجاوز حدوده الجغرافية ، فقد اعتنقَ «تولستوي» أفكار النضال السلمي النابِذ للعنف خصوصاً في روايته «مملكة الرب داخلك» وقد تأثر به «المهاتما غاندي» ، و«مارتن لوثر كينغ» ، و«نيلسون مانديلا»!

ترك تولستوي أقوالاً جميلة منها :

- عندما نُحب إنساناً فإننا نُحبه كله ، كما هو ، لا كما نريد أن يكون!
- الكتاب الذي لا يستحق أن تقرأه مرتين لا يستحق أن تقرأه مرة واحدة!
- نحن نائمون إلى أن نقع في الحُب!
- بدون الحُب ، الحياة بسيطة وسهلة ، ولكنها بلا معنى!
- قل للذين يحاولون تدميرنا أن جمال أرواحنا لن يُهزم!
- تجنّب مخالطة الناس تسلم!
- عندما قالوا لي في المستشفى زوجتك ماتتْ ، لم أعرف ماذا أفعل ، كنتُ سأذهبُ إلى المنزل لتُخبرني ماذا أفعل!
- أقوى أسباب تغيير الأشخاص هي : الألم والمال والعلاقات الشخصية!
- لا بد أن يكون الحُب متبادلاً ، الحب من طرف واحد تعاسة!
- إن قيود الحب لا تفرق كثيراً عن قيود السجن!
- كُن سيئاً ، لكن على الأقل لا تكن كاذباً مخادعاً!
- ثروة الإنسان هي حب الآخرين له!

١٠ أيلول / سبتمبر

في مثل هذا اليوم من العام ٥٦٤م تُوفيت «أمامة بنت الحارث الشيباني» ، كانت زوجاً لعوف بن ملحم ، وكانت تتَّصِف بالحكمة والعقل والفصاحة وسداد الرأي ، وقد اشتهرتْ بسبب وصيتها لابنتها ليلة زفافها من الحارث بن عمرو أمير كندة فقالتْ لها :

أي بُنية إن الوصية لو تركت لفضل أدب تركت لذلك منك ، ولكنها تذكرة للغافل ومعونة للعاقل ، ولو أن أمرأة استغنت عن الزوج لغنى أبويها وشدة حاجتهما إليها كنت أغنى الناس عنه ، ولكن النساء للرجال خلقن ، ولهن خلق الرجال .

أي بُنية إنك فارقت الجو الذي منه خرجت ، وخلفت العش الذي فيه درجت ، إلى وكر لم تعرفيه ، وقرين لم تألفيه ، فاحفظي له خصالاً عشراً يكنّ لك ذخراً!

أما الأولى والثانية : فالخشوع له بالقناعة ، وحسن السمع له والطاعة!

وأما الثالثة والرابعة : فالتفقد لموقع عينيه وأنفه ، فلا تقع عينه منك على قبيح ، ولا يشم منك إلا أطيب ريح!

وأما الخامسة والسادسة : فالتفقد لوقت منامه وطعامه ، فإن تواتر الجوع ملهبة ، وتنغيص النوم مغضبة!

وأما السابعة والثامنة : فالاحتراس بماله ، والإرعاء بحشمه وعياله ، وملاك الأمر في المال حسن التقدير ، وفي العيال حسن التدبير!

وأما التاسعة والعاشرة : فلا تعصين له أمراً ، ولا تفشين له سراً فإنك إن خالفت أمره ، أوغرت صدره ، وإن أفشيت سره ، لم تأمني غدره!

ثم إياك والفرح بين يديه إن كان مهتماً ، والكآبة بين يديه إن كان فرحاً!

وصية جامعة مانعة ، عليها قوام السعادة والهناءة في البيوت ، فهل من سامع نصح؟!

١١ أيلول / سبتمبر

في مثل هذا اليوم من العام ١٩٣١م أُلقي القبض على «عُمر الـمُختار»!

لِتخرُج بعدها صحيفة بَرَقة مُعلنة بالخط العريض : القبضُ على زعيم الـمُتمرِّدين عُمر الـمُختار!

منذ القِدم وبعض الإعلام غارق في سفالته!

مجموعَةٌ كبيرةٌ من «الـمشايخ» جاءتْ إلى مركز الحاكم العسكري وأعلنتْ براءتها من عُمر الـمُختار!

منذ القِدم وكثير من أهل الدين بلا دين!

ومضى الزمان أعواماً ، ووُضعتْ النِّقاط على الحروف ، احتلَّ عُمر الـمُختار القلوب بالخط العريض في الوطن العربي كُله ، وتلك النِّعاج التي جاءتْ تتبرّأ منه لا نعرف منها أحداً اليوم ، ولكنّنا جميعاً نعرف عُمر الـمُختار!

قبل إعدامه قال قولته الشهيرة : «يستطيع الـمدفع أن يُسكت صوتي ولكنّه لا يستطيع أن يُلغي حقي ، إنّ الشيء الوحيد الـمُؤكّد لديَّ الآن أنّ حياتي سوف تكون أطول من حياة شانِقي!»

وصدقَ شيخ الـمُجاهدين ، لقد كانتْ حياته أطول من حياة شانِقه ، ما زال حيَّاً في ضمائرنا حتّى اليوم!

من أقوال عُمر الـمُختار رحمه الله :

- نحن لا نستسلم ، ننتصر أو نموت!
- من كافأَ الناس بالـمكر كافأوه بالغدر!
- كُن عزيزاً وإيَّاك أن تنحني مهما كان الأمر ضرورياً فربّما لا تأتيك الفرصة كي ترفع رأسك مرة أخرى!
- التردُّد أكبر عقبة في تاريخ النجاح!
- الضّربة التي لا تقسم ظهرك تُقويك!
- الـمعركة التي تنتصر فيها وحدك لا تحتفل فيها مع الذين تخلُّوا عنك وأنتَ تحت ضربات السيوف!
- صاحب الحق يعلو وإن أسقطَتْه منصة الإعدام!
- يُمكنهم هزيمتنا إذا نجحوا باختراق معنوياتنا!

١٢ أيلول / سبتمبر

في مثل هذا اليوم من العام ١٣٤٨م تُوفي «الإمام الذهبي» صاحب «سِيَر أعلام النبلاء» الذي يعتبره دارسو السِّير أروع كتاب في تاريخ البشرية في هذا الـمِضمار!

ومع أنّ الذهبي ترجمَ فيه لبعض أقرانه ومُعاصريه إلا أنّه لم يُترجم فيه لنفسه ، فالكتاب في التّزكية وكان يأبى أن يُزكّي نفسه ، لم يُترجم لنفسه إلا في كتابه «الـمُعجم الـمُختص بالـمُحَدِّثين» .

فقال عن نفسه : الذهبيّ ، الـمُصَنِّف ، محمد بن أحمد بن عُثمان بن قايماز ، ابن الشيخ عبد الله التركماني الشافعي ، الـمُقرئ ، الـمُحدِّث ، صاحب هذا الـمعجم ، وُلد سنة ٦٧٣هـ ، وجمعَ تواليف يُقال أنّها مُفيدة ، والناس يتفضّلون ويُثنون عليه ، وهو أخبر بنفسه ونقصه في العلم والعمل ، والله الـمُستعان ولا قوة إلا به ، وإذا سَلِمَ لي إيماني فيا فَوزي!

درسٌ عظيمٌ في التّواضع لنا نحن عُبَّاد الألقاب ، وأَسْرى الرُّتب العلمية ، والفَشخرة الفارغة!

درسٌ عظيمٌ إلى الـحاج الذي يَغضب إذا لم تُناده «يا حاج» فقد تكلّف ثمن اللّقب!

درسٌ عظيمٌ إلى دكاترةِ الـجامعات الذين لو كُتِب اسم أحدهم دون حرف الدال قبل اسمه لأرعد وأزبد وغضب حتى انتفختْ أوداجه ، لقد سحبْتَ من حبر الأمة لقبه ورُتبته!

درسٌ عظيمٌ إلى كل شاعر وكاتب يحسبُ نفسه بكتابين أو ثلاثة أنّه قد أتى بما لم يأتِ به الأوائل!

درسٌ عظيمٌ للدُّعاة والـمشايخ الذين يحسب بعضهم أنهم يحملون مفاتيح الـجنة ولم يبقَ إلا أن يبيعونا صُكوك الغفران!

درسٌ عظيمٌ للأثرياء أنْ تواضعوا ، وللحاكم أنّ الأرض لله ، وللضباط والعساكر أن امشوا في الأرض هوناً ، وللمُدراء والـمُتنفِّذين أن لو دامت لغيرك ما وصلتْ إليك!

جميلٌ أن يحترم الإنسان نفسه ، ويُقدِّرها ، ولكن التفاخر والتعالي شيء لا علاقة له باحترام النفس وإنّما بإهانتها!

١٣ أيلول / سبتمبر

في مثل هذا اليوم من العام ٧٢١م تُوفي «عُروة بن محمد» أحد أشهر الولاة في الدّولة الأموية ، استخدمه الـخُلفاء الـمُتعاقبون سُليمان بن عبد الـملك ، وعُمر بن عبد العزيز ، ويَزيد بن عبد الـملك ، ويكفي استخدام عُمر بن عبد العزيز له فهذا بمثابة نيشان أمانة وصكّ نزاهة!

لمّا دخلَ عُروة بن محمد اليمن والياً عليها ، اجتمع عليه الناس لحظة وصوله ،

فقال لهم : يا أهل اليمن ، هذه ناقتي ، وهذان سيفي ورمحي ، فإن خرجتُ من عندكم بأكثر من ذلك فأنا سارق!

يقول علي بن الـمديني : وَلِيَ عُروة بن محمد اليمن عشرين سنة ، وخرج منها ليس معه إلا ناقته ورمحه وسيفه!

درسٌ عظيمٌ في احترام الـمال العام ، كانت النّظرة أنّه ليس للوالي من الـمال العام إلا راتبه لأنه مُوظّف عند الأُمّة ، ويأخذ راتباً من مالها لقاء وظيفته تلك ، وليست الأُمّة موظّفة عنده ، يُعطيها ما يفيض عنه!

حتى الراتب من بيت الـمال تورَّع عنه أبو بكر الصديق أول الأمر ، ففي أول أيام خلافته قصدوه في أمرٍ فلم يجدوه ، فإذا هو قادم من السوق حيث كان يكسب رزقه!

فقال له عمر : من أين يا أبا بكر؟

قال : من السوق!

قال : ما ينبغي هذا ، ومن يقوم بحق الناس؟

قال : فمن أين أعيش؟

قال : تأخذ ما يكفيك من مال الناس نظير أن تقوم بأمرهم!

وكانتْ هذه أول مرة في التاريخ يتم فيها تحديد راتب لرئيس دولة!

١٤ أيلول / سبتمبر

في مثل هذا اليوم من العام ١٩٤٤م تُوفي «جلوبز هوينرنجر» قائد سلاح الـمُدرّعات في جيش هتلر!

أما قصة موته فعِبرة ودرس بليغ في حب الوطن!

حصل خلاف عميق في وجهات النظر بينه وبين هتلر ، الأمر الذي اضطرّه إعلان انشقاقه عن هتلر ، والفرار إلى بريطانيا وطلب اللجوء السياسي هناك .

استقبله الإنكليز بالحفاوة والتِّرحاب ، ووعدوه بقبول طلب اللجوء ومنحه منزلاً آمناً في الريف . ثم طلبوا منه معلومات عن سلاح الـمُدرّعات الذي كان يقوده ، وعن أسماء الضباط الكبار وعلاقتهم بهتلر رفضَ جلوبز أن يُدلي بأية معلومة ، فقال له الـمُحقِّقون : كيف سنُقدِّم لك اللجوء دون أن تُقدِّم لنا أي شيء ، كيف تُثبت أنك عدو لهتلر؟!

فقال لهم : أنتم لا تريدون مُعارِضاً سياسياً لهتلر ، أنتم تُريدون خائناً لوطنه وأنا لا يُمكنني أن أكون خائناً!

عندها قال له الضّابط الإنكليزي : أنتَ خنتَ وطنك بمجرد مجيئك!

ندمَ جلوبز وحاول الرجوع إلى ألمانيا ، ولكن الـمُخابرات البريطانية رفضتْ ذلك ، وسجنتْه ، وعذَّبتْه لانتزاع معلومات منه دون جدوى فقد ماتَ تحت التعذيب دون أن يُدلي بأيّة معلومة!

يخلط كثيرون بين مفهومي الـمُعارضة السياسية ، وخيانة الوطن!

الحاكم ليس الوطن ، من حقك أن تختلف أو تتّفق معه ، أما الوطن فهو هذا الـمُقدَّس الذي يجب عليكَ أن تكون معه على الدوام ، ويُعتبر المساس به خيانة وإن كان نكاية بالحاكم!

من حق أي إنسان أن تكون له رؤيته السياسية ، برنامجه وفكره ، من حقه أن يُعارض ويُعبر ، ولكن ليس من حقه أن يَرتمي في أحضان أعداء وطنه لأنهم على خلاف مع الحاكم أيضاً!

١٥ أيلول / سبتمبر

في مثل هذا اليوم من العام ١٨٥٨م وُلد «شارل دوفوكو» ولمن لا يعرفه فهو راهب وقسيس كاثوليكي فرنسي ، عاشَ فترة من عمره في الصحراء الكبرى بين قبائل الطوارق!

أحد عشر عاماً قضاها هناك ، داعياً إلى النصرانية ، مُحاوِلاً أن يُثني الناس عن دينهم ، ولكنّه لم يستطع أن يُقنع طارقيّ واحد بتركِ الإسلام ، حتى العجوز التي كانت تخدمه لقاء مُرتّب مرموق ، قالتْ له يوماً : أنتَ رجل طيب ومليح وخسارة أن تموت كافراً!

ذكّرتني هذه القصة بالـمُبشِّرين الذين أتوا إلى إحدى قُرى الصّعيد في مصر ، فبنوا للنّاس مدرسةً ومُستوصفاً ، واشتروا لهم الثياب والهدايا ، طمعاً في ردِّهم عن دينهم ، وفي يوم الاحتفال لافتتاحِ الـمُستوصف ، كان الناس يتحدّثون بصوتٍ عالٍ ولم يستطعْ القِس الأكبر أن يُسكتهم ،

فقال له العمدة : مش كده حضرتك!

ثم قامَ وقال بأعلى صوته : صلُّوا على رسول الله!

فقالوا بصوت واحد : اللهم صلِّ على مُحمّد وآل مِحمّد!

وعمَّ الصمت وخيَّم الهدوء!

هذه أُمّة زرع فيها رسول الله ﷺ بذرة تنمو داخل القلب ، تتشعّب في الجسد كله ، ترى الرجل منّا لا يعرف كيف يخُطُّ حرفاً ، ولا يكتب جُملة ، لا يعرف شيئاً عن العالـم حوله ، ولكن اذكرْ رسول الله ﷺ أمامه حتى تجده فيلسوفاً في الحب ، حبْراً في الاتباع!

وترى المرأة لا تعرف من الفِقه إلا الوضوء والصّلاة ، مُنحنِية على عكازها ، فيها رمق من حياة ، حدِّثها عن رسول الله ﷺ فكأنّك نفختَ فيها روحاً جديدة!

كل هذا ليس مُبرِّراً أن لا نلتفت لفُقراء المسلمين وضُعفائهم وحاجاتهم الدنيوية ، إنّما نذكره من باب عظمة هذا الدين ، ولكنّه دين دنيا وآخرة معاً!

١٦ أيلول / سبتمبر

في مثل هذا اليوم من العام ١٩٢٣م وُلد «لي كوان يو» أول رئيس وزراء لجمهورية سنغافورة والتي حكمَها ثلاثين سنة ، فنقلَها من العالم الثالث إلى العالم الأول ، من دولة نامية تمُد يدها وتستعطي إلى دولة رائدة ذات اقتصاد جبّار!

يقول «لي كوان يو» :أنا لم أقُم بمُعجزة في سنغافورة ، أنا فقط قمتُ بواجبي نحو وطني ، فخصّصْتُ موارد الدولة للتّعليم ، وغيّرتُ مكانة المُعلِّمين من طبقة بائسة إلى أرقى طبقة في سنغافورة ، فالمُعلِّم هو من صنعَ المُعجزة ، وهو من أنتجَ جيلاً مُتواضعاً يحب العلم والأخلاق ، بعد أن كُنّا شعباً يبصق ويشتم بعضه في الشوارع!

هنا بالضّبط يكمُن سر التغيير ، التّعليم!

بناء الإنسان من جديد ، تغيير نظرته إلى الحياة وإلى نفسه ، جعله صاحب مهمة ورسالة ، وليس التّعليم القائم على فكرة الحشو المعرفيّ فقط!

المعرفة لا تبني إنساناً وحدها ، كثيرون من الذين يعرفون كثيراً هم دواب في هيئة بشرية!

من أقواله الجميلة أيضاً :

- تنظيف الفساد مثل تنظيف الدرج يبدأ من الأعلى إلى الأسفل!
- عندما يسير اللُّصوص في الطرقات آمنين فهناك سببان : إمّا النظام لِص كبير أو الشعب غبيّ أكبر!
- اصنعوا الإنسان قبل كل شيء ، أمِّنوا المرافق والخدمات ثم اجعلوه يستخدمها بطريقة حضارية ونظيفة ، وأعيروا التفاصيل الحياتيّة اليومية كل الاهتمام!
- لا أعتقد أن طريق الديمقراطية تؤدِّي إلى التنمية ، بل أرى أن البلد يحتاج إلى النظام أكثر من حاجته إلى الديمقراطية!
- كنتُ أهتم بالاقتصاد أكثر من السياسة ، وبالتّعليم أكثر من نظام الحكم ، لقد اتخذتُ قراراً شجاعاً ، جعلتُ مُوازنة وزارة التعليم أكبر من مُوازنة وزارة الدفاع!

١٧ أيلول / سبتمبر

في مثل هذا اليوم من العام ١٨٦٠م أصدرَ المكتب الإعلاميّ في البيت الأبيض سيرة مُختصرة للرئيس الأمريكي «أبراهام لينكولن» وجاء في هذه السيرة بعض الكتب التي قامَ الرّئيس بقراءتها ، وعندما قرأ لينكولن سيرته اكتشفَ أنّ من بين الكتب كتاباً لم يقرأه ، فطلبَ منهم أن يُحضروا له هذا الكتاب بسرعة كي يقرأه ، لأن الكذب عيب ، وأنّه لا يجب على المرء أن يدّعي شرفاً لم يفعله!

ليس الغرض من ذكر هذه الحادثة تمجيد لينكولن ولا التغنِّي بمآثره ، ولكنّي أوردْتُها لأذكُر درسين وملاحظة!

الدرس الأول : حين يأتي في سيرة الرئيس أسماء الكُتب التي قرأها ، فهذا يعني أنّهم يعتبرون القراءة إنجازاً يستحق أن يُدوَّن في سيرة رئيس ، خصوصاً أنّ السيرة صادرة عن المكتب الإعلامي للرئيس نفسه ، أي عن الماشِطة التي تُحاول أن تُجمِّل وجه السياسة العكِر ، فلا يعتقدَنّ أحد وهو يقرأ أنّه يقوم بتمضية الوقت فقط ، أنت تُنجز ، صدِّقني تُنجز ، ففي نهاية المطاف أنتَ خُلاصة الكتب التي قرأْتَها والأشخاص الذين عاشرْتَهم!

الدرس الثاني : لم يكُن أحد سيمتحِن الرئيس بمضمون الكتاب الذي لم يقرأه ، ولكنّه رفضَ أن يَدَّعي فعل شيء جميل لم يفعله ، هذا تصرُّف نبيل حقاً ، فيه احترام للذّات ، لا شيء يعدل أن ينظر المرء إلى نفسه نظرة احترام ورضى ، كُل الاحترام الذي نجده في عيون الآخرين لا شيء إذا ما لم تكُن نظرتنا نحن لأنفسنا نظرة احترام!

أما الملاحظة : يُسعدني جداً أن أرى صور الكُتب مع فناجين القهوة ، فهذا دليل عافية أنّنا نقرأ ، رغم أني أؤمن أن الكتاب إذا لم يُنْسِكَ جوالك فأنتَ لستَ قارئاً ، إلا أن الناس صارتْ تُوَثِّق كل شيء حتى العبادات فكيف بالقراءة ، ولكن أتمنى أنها قراءة فعلاً وليستْ مُجرّد صورة!

١٨ أيلول / سبتمبر

في مثل هذا اليوم من العام ٧٥١م تُوفي «إبراهيم بن ميمون» ، كان راوية ثَبتاً حافظاً ، عالِماً بالشِّعر واللُّغة ، دمث الأخلاق ، عذباً رقيقاً!

خرج مرةً إلى الحج ، وبينما هو بمكّة فإذا بامراة تُنشد :

أعمرو علامَ تجنّبتَني
أخذتَ الفؤاد فعذّبتني
فلو كنتَ يا عمرو خيّرتني
أخذتُ حذاري فما نِلْتني

فاقتربَ منها وقال لها : من عمرو هذا؟

قالت : زوجي!

قال : ما شأنه؟

قالت : أحبّني وأحببتُه ، فطلبني فتزوجته ، ثم قلَّ ماله فذهب إلى جُدة يعمل في السفن وتركني هنا أتلوع لفراقه! قال : أتحبِّين أن أجمع بينكما؟

قالت : واللهِ إنّي لأحب!

قال : صفيه لي قالت : أسمر وسيم حلو ظريف متى رأيته عرفته!

فذهبَ إبراهيم إلى جُدة ، وقصد مرسى السفن ، وصار يُنشد : أعمرو علامَ تجنّبتني!

فأقبل عليه عمرو وقد عرف أنه التقاها ، فسأله عنها ، فحدّثه بخبره معها ، ثم قال له إبراهيم : كم تحتاج في العام لتبقى مع زوجتك يا عمرو؟

فقال : ثلاثمئة درهم!

فدفع إليه ثلاثة آلاف درهم وقال له هذه لعشر سنوات فإذا نفذَتْ أو احتجتَ غيرها فتعال إليّ ولا تبرح زوجتك!

ما أجملهم وما أنبلهم ، كانوا يرون أن جبر الخواطر عبادة تُوازي الصلاة والصيام والحج ، وكانوا يعرفون أن أفضل العبادات سرور يُدخله أحدهم على قلب أخيه ، صوموا ، وصلوا ، وحجوا ، وزكوا ، ولا تنسوا أن جبر الخواطر أيضاً عبادة!

١٩ أيلول / سبتمبر

في مثل هذا اليوم من العام ١٩٦٧م اخترع الإسكتلندي «جون شيفرد بارون» الصرّاف الآلي ، جاءتْه الفكرة وهو يستحم بعدما لم يتمكّن من دخول البنك الذي يتعامل معه ، تماماً كما جاءتْ الفكرة لأرخميدس عندما صرخ «يوريكا/وجدْتُها» وهو مُمدّد بالبانيو!

استلهمَ جون فكرة الصراف الآلي من ماكينة يُوضع فيها المال فتُخرِج قطعاً من الشوكولا ، وجعل أول الأمر ستة أرقام سريّة للبطاقة ، ولكنه بعد فترة قام بتغيير الرقم السري من ستة إلى أربعة أرقام كما هو معمول به في غالبية دول العالم ، ولما سُئل عن ذلك ، قال : لقد قمتُ بتعديل عدد الأرقام من ستة إلى أربعة لأن زوجتي تجد صعوبة في تذكر أكثر من أربعة أرقام!

إحدى أكثر الأشياء التي أستغربُها في الحياة هي مدى نجاح نظام المال العالميّ في إقناع الناس أن يثقوا به ، نحن نذهب بأموالنا إلى البنوك ، نضعها في أيديهم ، يكتبون لنا في دفتر البنك رقماً جديداً ، لا أحد منا يشُك للحظة أنّ أمواله محفوظة وأنه يستطيع استعادتها متى شاء مع أن هذه الفكرة قبل مئة عام كانت تبدو فكرة مجنونة حيث كان الناس لا يطمئنُّون إلا إذا كانتْ الأموال في حوزتهم! يُسافر الناس من بلد إلى بلد دون أن يحملوا نقود البلد الذي يُسافرون إليه ، معهم بطاقة يستطيعون أن يحصلوا على المال من هناك ، أو يشتروا من خلالها دون أن يلمسوا المال أساساً ، مُجرّد أرقام تنقُص من الحساب!

تخيّلوا مدى ثقة الناس بهذا النظام المالي!

أعترف أن هذا النظام من ناحية عملية ، بعيداً عن فكرة الرأسمالية التي تقف وراءه ، قد سهّلت حياة الناس ، ولكن ثقة الناس المُفرطة -رغم أني من الذين يثقون- تبدو فكرة مجنونة!

٢٠ أيلول / سبتمبر

في مثل هذا اليوم من العام ١٩٧٢م وُلد «برايان أكتون» الرجل الذي اخترع أحد أشهر برامج التواصل الاجتماعي في العالـم!

في أولى مراحل حياته الـمهنية تقدّم بطلب توظيف في «فيسبوك» ولكنهم رفضوا توظيفه ، فكتبَ يقول : فيسبوك رفض توظيفي ، إنها فرصة رائعة للتواصل مع أشخاص رائعين ، أتطلّع إلى تجربتي القادمة في الـحياة! وتقدّم بطلب توظيف في «تويتر» ولكنهم رفضوا توظيفه أيضاً ، فكتب يقول : رفضني تويتر ، لا بأس لقد أراحوني من سفرٍ يوميٍّ طويل!

بعد هذين الرفضَين بدأ برايان بالعمل على تطبيقه الـخاص «واتس آب» ، وشيئاً فشيئاً بدأ التطبيق يلقى رواجاً ، والناس يتعلّقون به ، فما كان من «فيسبوك» إلا أن تقدّم من برايان بطلب شراء التطبيق ، وبعد مُفاوضات ، وأخذ ورَد ، تمّ بيع التطبيق لفيسبوك بمبلغ ١٩ مليار دولار!

إن كان من درس في كل هذا فهو أن رأي الآخرين بنا هو مجرد رأي ، ولن يُصبح حقيقة إلا عندما نقتنع به نحن ، لِيظُن الآخرون بنا ما شاؤوا ، لِيُقيِّمونا ، لِيحكموا على قدراتنا على مزاجهم ، هذا شأنهم ، أما شأننا نحن فهو ألَا نستمع لَأصوات الإحباط هذه ، ولمُحاولة تكسير مجاذيفنا!

وإن كان درس آخر فهو أن الفشل جزء من النجاح وليس ضده!

كُل اختراع نعرفه كان نهاية لعشرات الـمحاولات الفاشلة!

كل دواء ناجع كان بداية الأمر مهزلة طبية تُجرَّب على الفئران!

لا بأس أن نتعثر ، ولكن البأس أن نعتبر أن هذا التعثُّر نهاية الـمطاف وليس مُجرّد خطوة في الطريق ، والعظماء يتعلّمون من تجاربهم الفاشلة كما يتعلّم الآخرون من تجاربهم الناجحة ، بعد ألف محاولة استطاع أديسون اختراع الـمصباح الكهربائي ، قال يومها : لقد اكتشفتُ ألف طريقة لا يمكن بها صنع مصباح كهربائي!

٢١ أيلول / سبتمبر

في مثل هذا اليوم من العام ٢٠٠١م قام الأمريكي «ستيف كوميسار» بإغراق الصحف الشهيرة في أمريكا بإعلان عن اختراعٍ فريدٍ ألا وهو مُجفِّف ملابس يعمل بالطاقة الشمسية بسعر خمسين دولاراً فقط!

بدأتْ الطلبات تنهال على ستيف ثم بعد أسبوع بدأتْ الدعاوى تُرفع عليه في المحكمة!

لقد كان الاختراع الفريد هو عبارة عن حبل غسيل!

بعد محاكمتِه بتهمة الاحتيال ربح ستيف القضية بسبب صدقه لأن حقيقة نشر الملابس علَى الحبل تحت أشعة الشمس يُعتبر تجفيفاً بالطاقة الشمسية وربح تعويضاً قيمته خمسمئة ألف دولار!

قام ستيف بعمليات خداع أخرى ولم تكن الجرة تسلم في كل مرة ، فقد دخلَ السجن عدّة مرات بسبب إدانته بالاحتيال!

أخيراً قرّر ستيف أن يُوظِّف عقله الاحتيالي في الخير فقام بتأليف كتابين جميلين ، الأول بعنوان «قطعة من تاريخ الاحتيال» والثاني «دليل أمريكا إلى منع الاحتيال» كما قامت عدة شركات بتوظيفه خبيراً استشارياً لمنع الاحتيال!

القصة على طرافتها تُخبرك إلى أي مدى يمكن خداع الناس عن طريق الإعلانات ، إنّهم بكلمات رنّانة يجعلوننا نشتري أشياء لا نحتاجها أو هي أشياء هي عندنا فعلاً ، فعلى سبيل المثال تقرأ اسم طبق في لائحة المطعم ، وتنظر إلى مكوناته لتجد كلمات تشبه شيئاً من هذا : الطحين الأبيض الفريد المُستخرج من السّنابل الذّهبية التي كانتْ تتماوج بفعل النّسمات العليلة ، مع بيض الدجاج الفاخر الذي أنتجتْه الدجاجات التي تسمع الموسيقى تحت إشراف خُبراء التغذية ، البهار الهندي الشهير عبر الزمن ، قطع الخُضراوات الصغيرة جداً المفرومة بعناية والقادمة من أرقى الحقول ، لتكتشف نهاية المطاف أن الطّبق الذي اخترته هو عجة!

٢٢ أيلول / سبتمبر

في مثل هذا اليوم من العام ٢٠١٣م أعلن الثريّ البرازيلي «ثين شيكينو سكاربا» أنّه ينوي دفن سيارته البنتلي التي تُقدّر قيمتها بمليون دولار حتى يستمتع بها في الآخرة!

تناقلتْ وسائل الإعلام الخبر ولاقى الكثير من النّقد اللاّذع ، ولكن «سكاربا» بقِيَ مُصِرّاً على قراره ودعا الجميع لحفل جنازة السيارة!

قبل دفن السيارة تماماً ، طلب «سكاربا» من الحفّارين التوقُّف ، وخاطب الحضور قائلاً : يُهاجمني الناس على دفن سيارة ثمينة ، رغم أنّهم يدفنون ممتلكات أثمن منها بكثير ، يدفنون القُلوب والكِلى والأكباد والرِّئات وهي في حالة ممتازة يتمنّاها الكثير من المرضى ، وأعلنَ تبرُّعه بكامل أعضائه عند وفاته!

بعيداً عن خلاف الفُقهاء المعاصرين حول وهب الأعضاء وحُرمة الميت بين مُوافق ومُعارض ، ولكل فريق حُجّته وأدلّته ولستُ من أهل التّرجيح ولا الفتوى ولا الفصل بين الفقهاء ، كل ما أستطيع قوله أنّ طريقة «سكاربا» في إيصال رسالة وفكرة يُؤمن هو بها كانتْ فريدة حقاً ومُلفتة للنّظر ، لقد استطاعَ إيصال رسالته للملايين وقد خدمتْهُ الصحافة من خلال الحملة التي شنّتها عليه وهي لا تدري!

ذكاء إيصال الأفكار تُرفع له القبعة!

والشيء بالشيء يُذكر ، قرأتُ مرةً عن شاب كان قد أوصى أن تُوهب أعضاؤه عند موته ، وبالفعل مات الشاب بحادث سيارة ، وتمّت تنفيذ وصيته ، وحصلتْ فتاة في العشرين على قلبه ، إلى هنا يبدو الخبر عادياً ويحدث كثيراً ، ولكن الذي لا يحدث كثيراً هو أن تُسافر والدة الشاب من مدينة إلى أخرى لتضع رأسها على صدر الفتاة لتسمع صوت قلب ابنها ينبض مُجدّداً!

٢٣ أيلول / سبتمبر

في مثل هذا اليوم من العام ١٧٣٨م تُوفي الطبيب الألماني المُثير للجدل «هيرمان بورهيف» ، كان يُجري أبحاثاً غريبة على المساجين المحكومين بالإعدام مُقابل تعويضات مالية لأهلهم ، وأن تُكتب أسماؤهم في تاريخ البحث العلمي!

كان بورهيف يُؤمن بقوة العقل الباطن وأثره على الإنسان ، ولإثبات نظريته قام بالتجربة التالية : أحضرَ أحد المحكومين عليهم بالإعدام ، وأخبره أن إعدامه سيتم عن طريق تصفية دمه!

وذلك لدراسة التغيُّرات التي تطرأ على الجسم البشري أثناء نزع الدم من الجسم!

عصبَ بورهيف عيني السجين ، ثم ركّب خرطومين رفيعين على جسده بدءاً من عند قلبه إلى مرفقيه ، وضخَّ فيهما ماءً دافئاً بنفس درجة حرارة الجسم ، وجعل الماء يسقط في دلو قد وضعه أمام السجين لتُصدر صوتاً يُشبه صوت الدم المُسال وكأنّه خرج من قلبه ماراً بشرايينه مُتساقطاً في الدلو!

بدأ بتجربته مُتظاهراً بقطع شرايين يد المجرم ، وبعد عدة دقائق لاحظَ الباحثون شُحوباً واصفراراً يعتري جسد السجين ، فقاموا ليفحصوه ، فوجدوه ميتاً!

ماتَ بسبب خياله المتقن صوتاً وصورة دون أن يفقد قطرة دم واحدة ، والأدهى أنّه ماتَ في الوقت نفسه الذي يستغرقه الدم ليتصفّى من الجسد ويُسبِّب الموت!

وهكذا أثبتَ بورهيف قوة العقل الباطن!

نحن اليوم نعرف قوة العقل الباطن ، أو بتعبير أدق قوة أفكارنا وإيماننا ومُعتقداتنا على سلوكنا في الحياة ، نصرك يأتي من داخلك وكذلك هزيمتك ، لو اجتمعتْ الدنيا كلها تُريد أن تنفخ روح العزيمة في قلب إنسان مهزوم من الداخل لن تستطيع أن تفعل ، كما أنها لو اجتمعت لتفتّ عزيمة إنسان يُؤمن بأفكاره فلن تفعل له شيئاً!

عندما ألقى أُميّة بن خلف بلال بن رباح على رمال مكّة المُلتهبة وجلَده بالسوط ، ووضع على صدره صخرة ، لم يلِن بلال ، ولم ينكسِر ، والسبب أنّه كان من الداخل يُؤمن أنه سيد نفسه ، وأنّ النبي ﷺ قد حرَّره قبل أنْ يشتريه أبو بكر ويُحرِّره فعلياً ، في تلك اللحظة كان بلال المُقيّد إلى الأرض يُسجِّل نصراً على أُميّة بن خلف ، والسبب أنه كان في عقله الباطن ، في أفكاره ، في مُعتقداته أقوى من أن يلين!

٢٤ أيلول / سبتمبر

في مثل هذا اليوم من العام ١٩٣٨م بدأت جامعة هارفرد بدراسة اسمها «Grant Study» ما زالت مُستمرة حتى اليوم!

هذه الدراسة تُتابع حياة سبعمئة شخص مُنذ ولادتهم وحتى وفاتهم لتدرس مسببات صحة وسعادة الإنسان!

منذ شهرين تقريباً وقف البروفيسور «روبرت والدينقر» مُحاضِراً عن أهم النقاط التي توصّلت إليها الدراسة ، وقال : الدروس التي تعلّمناها ليست مُرتبطة بالثّراء أو الشّهرة أو الاجتهاد في العمل الشاق ، أوضح رسالة نأخُذها من هذه الدراسة هي التالي : العلاقات الطيِّبة تجعلنا أسعد وبصحة أفضل ، انتهى!

تعلّمنا ثلاثة دروس عظيمة بخصوص العلاقات : الدرس الأول هو أنّ المعارف الاجتماعية مُفيدة جداً لنا ، وأن الوحدة تقتل!

وجدنا أن أصحاب العلاقات الاجتماعية القوية الكثيرة سواء مع العائلة أو الأصدقاء أو المجتمع يكونون أسعد ويتمتّعون بصحة جسدية أفضل ، وأعمارهم أطول من الذين لا يبنون علاقات قوية والكل يعرف أنك قد تكون وحيداً وإن كنت بين الناس أو قد تكون وحيداً وأنتَ متزوج!

الدرس الثاني العظيم الذي تعلّمناه هو أن الجّدوى ليست بعدد علاقاتك ولكن بجودة تلك العلاقات ، اتّضح أن العيش في دوّامة من العلاقات الخلافية مُضر جداً بالصحة ، العلاقات الزوجية ذات الخلافات الكثيرة مثلاً والقليلة العاطفة مُضرة وأسوأ من الطلاق!

أما العيش وسط علاقات دافئة يُعطي الحماية ، أكثر الناس رضى بعلاقاتِهم في سن الخمسين كانوا الأفضل صحة في سن الثمانين وحتى الأيام التي مروا بها بآلام جسدية نفسياتهم كانت سعيدة أما أصحاب العلاقات المُتوترة عندما تعرّضوا لوجع جسدي زاد الأمر سوءاً بسبب إضافة الألم النفسي!

الدرس الثالث : العلاقات الطيبة لا تحمي أجسادنا فحسب كذلك تحمي أدمغتنا! كونك في علاقة آمنة ووفية مع شريكك وأنت في سن الثمانين هذا يحميك لأنك ستشعر بقدرة الآخر على حملك عندما تضعف ، هؤلاء يحتفظون بذاكرة أقوى بالمقابل تضعف ذاكرة أصحاب العلاقات المُتوترة!

٢٥ أيلول / سبتمبر

في مثل هذا اليوم من العام ٦٩٧م تُوفي «عمرو بن ميمون» أسلمَ في حياة النبي ﷺ ولكنّه لم يَره لهذا يُعتبر من التّابعين وليس من الصحابة!

التقى بكبار الصحابة وحدَّث عنهم ، وروى عنه أصحاب كتب الصحاح ، ونقل الذهبي في سير أعلام النبلاء إجماع أهل الحديث على صدقه وأمانته!

يقول عمرو بن ميمون : مررتُ ببعض طرقات الكوفة فإذا أنا برجل يُخاصم جاراً له ، فقلتُ لهما : ما بالكما؟

فقال أحدهما : إن صديقاً لي زارني فاشتهى رأس غنم ، فاشتريتُه وتغدّينا ، وأخذتُ عظامه فوضعتها على باب داري أتجمّل بها ، فجاء هذا فأخذها ووضعَها على باب داره ليُوهم الناس أنه هو الذي اشترى الرأس!

يبدو أن بعض الأشياء لا تتغيّر على ظهر هذا الكوكب ، الناس قديماً كالناس اليوم يُحبون أن يرى الناس ما يأكلون وما يشربون على سبيل التّباهي وإخبار الآخرين أنهم في حالة جيدة ويعيشون حياة سعيدة!

برأيي عظام الرأس التي وضعَها الجار عند باب بيته يُريد التّباهي بها لا تختلف كثيراً عن صور الموائد التي نصوِّرها اليوم في مواقع التواصل!

كُل ما في الأمر أن وسيلة التّباهي هذه قد أخذتْ شكلاً آخر في التعبير!

صور الكتب مع فناجين القهوة هي نوع من التّباهي الثقافي ، وصور الكيك في أعياد الميلاد هي نوع من التّباهي العاطفي أيضاً مفادها نحن محبوبون أيها الناس!

هذا بالنسبة للجار الأول صاحب الرأس ، أما بالنسبة للجار الثاني فهو أيضاً لم ينقرِض ويُوجد نُسخ كثيرة منه تعيش بيننا اليوم!

هناك من يأخذ صور الآخرين وينشرها على أنّها له ، يأخذ صورة كتاب ليُثبت أنّه مُثقّف ، وصورة هدية ليُثبت أنه رومانسي محبوب ، الفكرة ذاتها ، سرقة عظام رأس الجار ولكن وسيلة التّباهي أخذت شكلاً آخر في التعبير!

٢٦ أيلول / سبتمبر

في مثل هذا اليوم من العام ٨٢٦م تُوفي «محمد بن حميد الطوسي» كان من كبار قادة جيش المأمون ، وعُرف عنه نبل أخلاقه ، وحكوا عنه قصصاً كثيرة تصلُح أن تكون دروساً في مكارم الأخلاق!

روى النويري في رائعته «نهاية الأرب» قال : كان محمد بن حميد الطوسي على غدائه يوماً مع جُلسائه ، وإذا بصيحة عظيمة عند باب داره ، فرفعَ رأسه وقال لبعض غلمانه : ما هذه الضجة؟ من كان على الباب فليدخل! فخرج الغلام ، ثم عاد إليه وقال : إن فلاناً قد أُلقي عليه القبض ، والحراس ينتظرون أمرك فيه ، فرفعَ يده عن الطعام ، فقال رجل من جُلسائه : الحمد لله الذي أمكنك من عدوِّك ، فسبيله أن تسقي الأرض من دمه ، وبهذا أشارَ عليه جلساؤه وهو ساكت لا يتكلّم ، ثم قال : يا غلام ، فُكَّ عنه وثاقه وليدخل إلينا مُكرماً!

فلما دخل عليه هشَّ له وبشَّ ، وأمر بتجديد الطعام ، وأطعمه بيده ، ثم أمر له بمال وثياب ، وأمر بردِّه إلى أهله ولم يُعاتبه على ما كان منه!

ثم التفتَ إلى جلسائه وقال لهم : إنّ أفضل الأصحاب من حضَّ الصاحب على المكارم ، ونهاه عن ارتكاب المآثم ، وحسَّن لصاحبه أن يُجازي الإحسان بضعفه ، والإساءة بصفحه ، إنّا إذا جاريْنا من أساء إلينا بمثل ما أساء فأين موقع الشكر من النعمة فيما أُتيح له من ظفر!

إنّه ينبغي لِمن حضر مجالس الملوك أن يُمسك إلاّ عن قول سديد وأمر رشيد ، فإنّ ذلك أدْوَم للنِّعمة وأجمع للأُلفة!

درسٌ عظيمٌ للحكام وللحاشية على حد سواء ، للحكام أن يعرفوا أن العفو أثبتَ لنظام الحكم من الانتقام ، فإنّ قطع الرقاب يبني الخوف أما العفو فإنه يبني المحبة وليس هناك أقوى من حاكم محبوب ، على أنّ العقاب أحياناً مطلوب!

وللحاشية أن تنصح الحاكم بما يرفع قدره لا بما يحط من إنسانيته ، وكذلك في القصة درس لنا جميعاً فكُلّ من ظفر بخصمه هو سلطان لحظتذاك ، والعفو خلق النبلاء!

٢٧ أيلول / سبتمبر

في مثل هذا اليوم من العام ١٨٢٢م استطاع «شامبليون» أن يفُك رموز الكتابة الهيروغليفية وأصبح بإمكاننا أن نقرأ ما دوّنه المصريون القدماء!

بعيداً عن الخُرافات الدينية ، شأنهم شأن كل الأمم الوثنية على مر التاريخ ، ترك الفراعنة خلفهم أقوالاً جميلة جداً نتناقلها اليوم دون أن نعرف أنها وُجدت مكتوبة في المخطوطات والمعابد وشواهد القبور وورق البردى ، وهذه بعضها :

- لا تمشِ بحذاء غيرك حتى لا تتعثّر خطواتك وتنكشف حقيقتك!
- أي ثورٍ يُمكنه أن يكسر باب الزريبة ولكن إصلاح الباب يحتاج إلى نجار ماهر!
- لا يستطيع الغربال أن يحجب ضوء الشمس!
- إذا كنت لا تحمل في عربتك إلا القش فلن تصبح يوماً تاجر حبوب!
- مهما كانت الزهرة جميلة فقد تجِد بها بعض الأشواك!
- من يعشق الحيّة لا يَسْلَم من سمها!
- ابكِ ، لا تجعل الشمس تغرب وفي عينك دمعة!
- من يُحاول أن يصطاد طائرين بسهم واحد يخسر الطائرين ويضيع سهمه!
- أن تبني كوخك خير من أن تتباهى بميراث قصر!
- أطيب الثمار أبطأها نضوجاً!
- لا تنظر إلى زوجة جارك إذا أردتَ أن تصون بيتك!
- لا تختر زوجتك بعينيك بل اخترها بأذنيك!
- المرأة التي تشتريها بمالك تبيعك بمال غيرك!
- المرأة أعقل من الرجل لأنها تعرف أقل وتفهم أكثر!

٢٨ أيلول / سبتمبر

في مثل هذا اليوم من العام ٥٥١ ق .م . وُلد «كونفوشيوس» أشهر حُكماء الصين على مر التاريخ!

واليوم وبعد مرور كل هذه السنوات الطويلة على مولده ما زالت الأقاويل عنه كثيرة ، والأساطير أكثر ، والحكايا الشعبية الصينية تُلحقه بالآلهة عياذاً بالله ، وعلماء الأنثروبولوجيا الذين اطّلعوا على فترة حياته اكتشفوا أنّ الكتب التي يعتقد الصينيون أنه ألّفها إنّما تم تأليفها قبله ولكنه استخدمها في تثقيف طلابه!

وأزيدكم من الشعر بيتاً هناك من يعتقد أن الرجل كان نبيَّاً حقاً ، وأن عقيدة التوحيد التي جاء بها قد قضتْ عليها الوثنية الصينية فلم يبقَ من الرجل إلا أقواله في الحياة ، وهي أقوال في الحكمة والحياة لا يختلف الناس حولها على اختلاف أديانهم ومشاربهم! من أقوال كونفوشيوس :

- لو قال كل إنسان ما يُفكر به بصدق فإن الحوار بين البشر يُصبح قصيراً جداً!
- أن تُسلِّح عقلك بالعلم خير من أن تُزين جسدك بالجواهر!
- ليس من أغراك بالعسل حبيباً بل من نصحك بالصدق عزيزاً!
- اَعتقْ ما أحببتَ ، فإن عاد إليك فهو لك للأبد!
- إنّ تجاوز الهدف مثل عدم بلوغه!
- العقل كالمعدة المهم ما تهضمه لا ما تبتلعه!
- قبل أن تبدأ رحلة انتقام احفرْ قبرين أولاً!
- لا تتّخذ أصدقاء لا يشبهونك!
- يُمكنَ تعلُّم الحكمة بثلاث طرق : الأولى بالتفكُّر وهي الأكثر نُبلاً ، والثانية بالتقليد وهي الأسهل ، والثالثة بالتجربة وهي الأكثر مرارة!
- المعرفة الحقيقية هي أن تعرف حدود جهلك!
- الفضيلة الكاملة هي أن لا تفعل بغيرك ما لا تُحب أن يُفعل بك!

٢٩ أيلول / سبتمبر

في مثل هذا اليوم من العام ٨٤٥م تُوفي «أبو تمام» أحد أساطين الشعر العربي على مر التاريخ ، كان داهية بارعاً ، أُوتي قُدرة رهيبة على التعبير ، عيبه هو عيب كل شُعرائنا الأوائل هو التكسُّب والتّطبيل للحُكام!

امتدح أبو تمام أحمد بن المعتصم في قصيدة يقول في مطلعها :

ما في وقوفك ساعةٌ من باسِ

تقضي ذمام الأربع الأدراس

فلعلّ عينك أن تعين بمائها

والدمع منه خاذل ومُواسِ

فلمّا بلغَ قوله : إقدام عمرو في سماحة حاتم في حلم أحنف في ذكاء إياس لم يرق هذا التطبيل ليعقوب الكندي ، وأحسَّ أن أباً تمام سيسحب البساط من تحته ، فقال : إن الأمير فوقَ ما وصفتَ ، ولم تزِدْ على أن شبهته بأجلاف العرب ، فمن هؤلاء الذين ذكرتهم؟ وما قدرهم؟!

كان على أبي تمام أن يقوم بهجمة مُرتدّة سريعة وإلا سوف يذهب تطبيله الأول هباءً ، ولأنه كان بليغاً ذكياً داهية قال :

لا تنكروا ضربي له من دونه

مثلاً شروداً في الندى والباس

فالله قد ضربَ الأقل لنوره

مثلاً من المشكاةِ والنبراسِ

بعد هذا الرد المُفحم عُيِّن أبو تمام والياً على الموصلِ!

أما الكندي فأخذ رقعة وكتب فيها أبيات أبي تمام من كثرة ما أُعجب بها ، ثم ذيَّل الأبيات بقوله : إن هذا الرجل لن يعيش طويلاً لأنه ينحتُ من قلبه!

وصدقتْ فراسة الكندي ، كان أبو تمام ينحت من قلبه وتوفي وله من العمر ثلاثاً وأربعين سنة!

٣٠ سبتمبر / أيلول

في مثل هذا اليوم من العام ١٢٠٧م وُلد «جلال الدين الرومي» في مدينة بلخ بأفغانستان اليوم ، ثم في الرابعة من عمره انتقل به أبوه إلى بغداد عاصمة الأرض وقتذاك ، فبقيَ هناك يدرس ويتعلّم حتى دخل المغول إليها فهرب به أهله . كان مُتصوِّفاً زاهداً ، لم يُعرف عنه أنه كان صاحب بدعة ، ولا يُروى عنه إلا الخير ، غير أن بعض مُريديه غالوا فيه ، ونسبوا إليه أعمالاً ما كان ليرضاها لو كان حياً!

نُسبت لجلال الدين الرومي أقوالاً كثيرة لم يقُلها ، وهذه إحدى آفات التّدوين في العصر الحديث ، وهذه بعض الأقوال التي غلب على ظني أنه قالها فعلاً :

- الغضب والشهوة يجعلان المرء أحولاً!
- الأدب ليس إلا تحمُّل من لا أدب عنده!
- رمضان : كل صباح منه عيد ، وكل ليلة منه قَدْر!
- ربما أنت باحث في الأغصان عما لا يظهر إلا في الجذور!
- لا تُؤذِ قلباً رقَّ لك يوماً ، فلحظات الود لها عليك ألف حق وحق!
- يدخلك الضياء من حيث تكمن جراحك!
- القوة التي تضع حبات الرمان واحدة واحدة داخل قشرتها تعلم في أي قلب تضعك فلا تقلق!
- توضّأ بالمحبة قبل الماء فإن الصلاة بقلب حاقد لا تجوز!
- ألمك سيصبح يوماً علاجك!
- أوتظن أنك حي لمجرد أنك تتنفس!
- ثمة صوت لا يستخدم الكلمات ، أَنْصِتْ إليه!

١ أكتوبر/ تشرين أول

في مثل هذا اليوم من العام ٨٣٣م تُوفي «القعنبي» أشهر تلاميذ الإمام مالك وأحد مشايخ البُخاري ومُسلم!

قال عنه الذهبي : القعنبي أوثق من روى الـمُوَطّأ!

وقال عنه الزركلي : مِن رجال الحديث الثِّقات!

كان في بداية حياته شاباً طائشاً يشرب النبيذ ، ثم شاء الله أن يتوب عليه ، ويروي ابن قُدامة في كتاب التوّابين قصة توبته ، يقول فيما معناه :

جلس القعنبي وهو شاب على قارعة الطريق ينتظر أصحابه ليذهبوا فيشربوا النبيذ ، فإذا برجل يركبُ حماراً وحوله أُمّة من الناس يمشون ، كلٌّ يُوقِّره ويُجِله ، وهذا يُناديه يا إمام ، وذاك يقول له يا إمام!

لفتَ هذا الـمشهد القعنبي ، فاخترق صفوف الناس حتى وصل عند الإمام وأمسك بِلِجام حماره ، وقال له : من أنت؟

فقالَ له : شُعبة بن الحجاج ، وكان أفقه أهل البصرة في زمانه!

فقال : من شُعبة؟

فقالوا له : مُحدِّث!

فقال : وما مُحدِّث؟!

فقيل له : يُخبر الناس حديث رسول الله صلى عليه وسلم!

فقال له : حدِّثني!

فقال له شُعبة : حدّثني منصور بن المعتمر عن ربعي بن حراش عن أبي مسعود البدريّ أنّ رسول الله ﷺ قال : «مِمّا أدرك الناس من كلام النبوة الأولى ، إذا لم تستحِ فافعل ما شئت»!

فهمَ القعنبي الرِسالة ، فعاد إلى بيته ، وأقبل على العبادة ، ثم ارتحل إلى المدينة ودرس عند مالك ، فلما أخذ العلم كله عنه ، عزم على العودة إلى البصرة يتلقّى بعضاً منه عن شُعبة ولكنه لمّا عاد وجده قد مات ، فلم يروِ عنه إلا حديثاً واحداً ، هو الذي قاله له شُعبة «مِمّا أدرك الناس من كلام النبوة الأولىَ إذا لم تستحِ فاصنع ما شئت»!

إن كان من درسٍ في هذه القصة فهو أن لا نيأس من أحد ، الشاب شاربَ النبيذ الذي اقتحم الصفوف قاصداً شُعبة صار أوثق رواة الـمُوَطّأ وأحد شيوخ مُسلم والبُخاري!

٢ أكتوبر/ تشرين أول

في مثل هذا اليوم من العام ١٩٢٣م فاز «فرانك هايس» في سباق الخيول الذي أُقيم في بيلمونت بارك!

إلى هنا يبدو الخبر عادياً ولا يستحق أن يُروى في جلسة خاصة فضلاً على أن يُكتب في صحيفة! ولكن ما لم يكن عادياً أبداً في ذلك اليوم أنّ فرانك كان قد تُوفي بسكتة قلبية في مُنتصف السباق ، وظلَّ معلقاً على الحصان الذي كان يعدو بأعلى سرعته حتى وصل أولاً!

الطّريف في القصة أن «فرانك هايس» لم يفُز بسباقٍ واحدٍ في حياته ، ولكنه الشخص الوحيد الذي فاز بسباقٍ للخيول وهو ميت!

قصص الحياة الواقعية أغربُ من الخيال!

والشيء بالشيء يُذكر قرأتُ البارحة عن رجل تايلندي يبلغ من العمر سبعين عاماً يُدعى «ثانبات أنكاسري» ذهب لحضور حفلٍ للقاء أصدقاء المدرسة بعد مرور خمسين سنة على انقطاع التواصل فيما بينهم ، فوجدَ من بين الحضور شخصاً كان يتنمّر عليه وهو صغير ، فاقتربَ منه وطلبَ منه الاعتذار عمّا بَدَرَ منه ، فرفض الزميل القديم الاعتذار عن عمل صبياني مضى عليه أكثر من نصف قرن ، فما كان من «ثانبات» إلا أن أخرج مسدسه وقتل زميله القديم!

لو كُتب هذا الحدث في رواية لاتّهمنا الكاتب بأنه غير منطقي ، ولَتَنَدَّرْنا قائلين : أي مجنون يفعل هذا؟!

ولكن الحياة أكثر غرابة من الروايات ، لا يُمكن التوقُّع بما يُمكن أن تفعله الناس!

٣ أكتوبر/ تشرين الأول

في مثل هذا اليوم من العام ٦٥٥م تُوفي الصحابي الجليل «المقداد بن الأسود» وصلّى عليه عثمان بن عفان ودُفن في البقيع!

كان المقداد من أول سبعة أظهروا الإسلام في مكة ، ولم يكن مكيَّ الأصل ، وإنّما قَتَلَ إنساناً في الجاهلية ، فهرب إلى مكّة ، وأقام فيها حتى أدرك البعثة الشريفة هناك فكان له شرف السبق!

هاجر إلى الحبشة ، ثم عاد سريعاً ، وشهد غزوة بدر وكان الوحيد الذي يركب فرساً يومذاك ، فقيل عنه أنه أول من عدا به فرسه في سبيل الله!

أمّا عن قصة موته ، فقد كان المقداد سميناً عظيم البطن ، وكان له غلام رومي ، فقال له : أشقُّ بطنك ، فأُخرج شيئاً من شحمه حتى تصير رشيقاً!

فشقَّ بطنه ثم خاطه ، فمات المقداد وهربَ الغلام!

فإن كان التاريخ يُثبت أن أول من أجرى العمليات التجميلية هم المصريون القدماء ، وقد وثّقوا ذلك على أوراق البردي والكتب التي خلّفوها وراءهم ، ولكن لا يوجد مصدر تاريخي واحد يُثبت أنه قبل حادثة المقداد هذه قد تمّ شق البطن لأجل التّنحيف ، فالعملية وإن فشلت وأدَّت إلى وفاته رضي الله عنه ، إلا أنها أول عملية تكميم معدة في التاريخ!

وأحياناً لا تحتاج البشرية أكثر من شرارة إلهام حتى تنطلق ، تماماً كما فعل عباس بن فرناس! صحيح أنه لم ينجح في الطيران ، وأنه سقط ومات ، ولكن تجربته هذه هي التي حفّزت البشرية أن تُحسِّن وتُطوِّر فوق تجربته حتى وصلنا اليوم إلى طائرات البوينغ العملاقة التي هي من حيث التاريخ ريشة في جناح عباس بن فرناس!

٤ أكتوبر/ تشرين الأول

تحتفل البشرية اليوم «باليوم العالـمي للحيوانات» ، وكما هي العادة دوماً يسبقُ الإسلام الـجميع إلى كل عمل فيه رُقي وأخلاق ، فعندما لم يكُن للإنسان حقوق في أوروبا كان الإسلام العظيم قد أصدر شرعة حقوق الـحيوان!

- روى البُخاري ومُسلم من حديث أبي هريرة أنّ رسول الله ﷺ قال : «بينما رجل يمشي فاشتدَّ عليه العطش فنزل بئراً فشرب منها ، ثم خرج فإذا هو بكلب يلهث ويأكل الثرى من شدة العطش ، فقال : لقد بلغ هذا الكلب مثل الذي بلغ بي ، فملأ خفه ثم أمسكه بفيه ثم رقيَ ، فسقى الكلب فشكر الله له ، فغفر له»! قالوا : «يا رسول الله ، وإنَّ لنا في البهائم لأجراً»؟! فقال : «في كل كبد رطبة صدقة»!
- وروى البُخاري من حديث عبد الله بن عمر أنّ رسول الله ﷺ قال : عُذِّبت امرأة في هرة سجنتها حتى ماتت فدخلت فيها الـنار ، لا هـي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض!
- وروى أحمد من حديث عبد الله بن جعفر أنّ رسول الله ﷺ دخل حائطاً لرجل من الأنصار ، فإذا فيه جمل ، فلما رأى النبي ﷺ حنَّ وذرفتْ عيناه ، فأتاه رسول الله ﷺ فمسح عليه فسكتَ ، ثم قال : لمن هذا الـجمل؟ فجاء فتى من الأنصار فقال : لي يا رسول الله! فقال له : أفلا تتّقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها فإنه شكا لي أنك تجيعه ، وتُدئبه/تُتعبه!
- وروى مُسلم من حديث عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ مرَّ على حمار قد وُسِمَ في وجهه فقال : لعن الله من وسمه!
- وروى أبو داود والـحاكم عن ابن عمر قال : كنا مع رسول الله في سفر فانطلق لحاجته فرأينا حُمَّرة معها فرخان ، فأخذنا فرخيها ، فجاءت الـحُمَّرة فجعلت تُعرِّش ، فجاء النبي فقال : من فجعَ هذه بولدها ، رُدُّوا إليها ولدها!

٥ أكتوبر/ تشرين الأول

في مثل هذا اليوم من العام ٧٢٣م توفي «خالد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان»!

يروي ابن حزم قصة وفاته في كتابه «جمهرة أنساب العرب» فيقول :

وهو الذي أمرَ به يزيد بن عبد الملك أن يُحمل إلى الكُتَّاب حتى يتعلم القرآن مع الصِبية ، فماتَ كمداً!

بعيداً عن وجع الخبر ، وكيف أن الخليفة أمر بحمل خالد إلى حلقة تحفيظ القرآن رغماً عنه ليتعلّم قِصار السور مع الصبية الصغار ، فمات من الهم والغم والضيق! إلا أنَّ في الخبر وجهاً مشرقاً ، وصفحة ناصعة لمن أراد أن يتفكر بعقل سليم ونية صافية ، وعظمة هذه الحادثة فيما يلي :

١- هذا يكاد يكون أقدم نص تاريخي عن إلزامية التعليم الذي تطبقه الدولة على رعاياها دون هوادة ومحاباة ، تعلُّم قدر قليل من القرآن قراءةً وحفظاً وتفسيراً واجب على الجميع دون استثناء!

٢- قضية شخص أُمِيّ تُعرض على الخليفة شخصياً ليحكم فيها تُريك إلى أي مدى راعى أجدادنا التعليم وحثُّوا عليه!

٣- أيضاً يُعتبر النص هذا أقدم نص تاريخي عن محو الأمية وليس إلزامية التعليم فقط ، فإلزامية التعليم إنما تكون على الإنسان في سن معينة وهنا رأينا أن الخليفة قد أمر بِرَدِّ خالد إلى الكُتّاب وكان كبيراً في السن وهذا وإن كان فيه إلزامية إلا أنه إلى محو الأُمية أقرب!

لقد كنا عظماء يا سادة!

٦ أكتوبر/ تشرين الأول

في مثل هذا اليوم من العام ١٨٧٤م وُلد «جون روكفلر» الابن! كان أحد أثرياء الدنيا ، وعائلة روكفلر هي أسرة أمريكية صناعية عملتْ وبرزتْ في مجال الصناعة والسياسة والصيرفة ، وسيطرتْ على استثمارات النفط في أواخر القرن التاسع عشر!

عندما كان «جون روكفلر» صبياً دخلَ برفقة والدته إلى أحد المتاجر ، فاستلطفه البائع وطلب منه أن يأخذ شيئاً من المكسرات هدية له ، فرفضَ ، فأخذ البائع المكسرات ووضعها في جيب جون!

وحين خرج سألته أمه : لِمَ لمْ تأخذ المكسرات؟

فقال : أحببتُ أن يعطيني هو لأن يده أكبر من يدي!

كان لجون روكفلر حفيد اسمه ديفيد عاش مئة سنة وسنة ، وكان أثرى رجل في أمريكا ، وقبل موته بعام قدّم هذه النصائح الاقتصادية :

١- الأرباح مهمة في مجال الأعمال وفي الحياة فهي تخلق الوظائف وتولد الثروة!

٢- الطلاق والسياسة مكلفان فكلاهما يؤدي إلى خسارة الأموال!

٣- احرص على تكوين المال والأصدقاء في مجال العمل ، كلاهما معاً ، فهذا يساعد على التخفيف من شقاء العمل!

٤- رئيس واحد في العمل أفضل من رئيسين فهما نادراً ما يتفقان مما يجعل من الصعب التوصل إلى حلول وسط!

٥- رجل الأعمال الناجح لا ينعزل داخل مكتبه ، إنما يبقى على اتصال مباشر مع عملائه وموظفيه!

٦- الثقة ، والتفاهم ، والإخلاص من أهم عوامل النجاح!

٧- لا تشعر بالذنب لأنك تربح أموالاً!

٨- لا تعتمد على الحكومة وحدها أو السوق وحده ، هما لاعبان وليسا اللعبة كلها

٩- لا تلتفت لأقوال الحاقدين والكارهين!

١٠- لا تتخلَّ عن أي من أفراد عائلتك!

٧ أكتوبر/ تشرين الأول

في مثل هذا اليوم من العام ١٩٥٢م وُلد الرئيس الروسي «فلاديمير بوتين» ، وعن ميلاد بوتين تروي هيلاري كلينتون في كتابها «خيارات صعبة» القصة التالية :

بعد أشهر على بدء الحرب العالمية الثانية ، حصل جندي على إجازة تسمح له بالعودة إلى منزله ، وما إن وصل إلى الحي الذي يسكن فيه حتى رأى شاحنة عسكرية تتكدّس فيها جثث القتلى! وكانت الشاحنة تستعد لنقل الجثث إلى مقبرة جماعية!

وقفَ الجندي يتأمل المشهد ، فلفتَ نظره حذاء في قدمِ سيدة يُشبه حذاءً سبق أن اشتراه لزوجته ، ذهبَ إلى البيت مُسرعاً فوجده مهدّماً ، عاد إلى الشاحنة بسرعة فإذا المرأة زوجته فعلاً!

رفضَ أن تُدفن زوجته في مقبرة جماعية ، وقام بإنزالها من الشاحنة ليدفنها في قبر وحدها ، وأثناء إنزالها لاحظ أنها تتنفس ببطء وصعوبة!

تم نقل السيدة إلى المستشفى ، ثم ما لبثتْ أن تعافتْ ، وبعد سنوات وضعتْ مولوداً أسمياه فلاديمير!

من أقوال فلاديمير بوتين التي تدعو للتأمُّل :

- لا يجب على أحد أن يُعلِّق آماله بمعجزة!
- أولئك الذين يحاربون الفساد يجب عليهم تنظيف أنفسهم!
- في بعض الأحيان من الضروري أن تكون وحيداً من أجل إثبات أنك على حق!
- ليس مهمة الحكومة صب العسل في الأكواب فقط ، مهمتها أحياناً إعطاء الدواء المر!
- احترام القانون يوفر العيش الكريم أكثر مما توفره محاولات الاحتيال عليه!
- أنا لستُ امرأة ، لهذا لا يوجد لديَّ أيام سيئة!
- تشجيع الناس لرؤية أنفسهم استثنائيين هو أمر خطر للغاية أياً كانت دوافعهم!

٨ أكتوبر/ تشرين الأول

في مثل هذا اليوم من العام ١٩٦٧م أُلقي القبض على «تشي جيفارا» وتمّ إعدامه في اليوم التالي!

وعن القبض على جيفارا فقد تمَّ بسبب وشاية من راعي أغنام أرشَدَ الـجنود إلى مكان اختبائه!

سُئل الراعي بعدها : لماذا وشيتَ على رجل قضى حياته في الدفاع عنكم وعن حقوقكم؟

فقال : كانتْ حروبه مع الـجنود تُروِّع أغنامي!

القضية باختصار :

الويل لكَ من عبدٍ تحاول تحريره بينما هو يستمتع بعبوديته!

من أقوال جيفارا :

- الثورة يصنعها الشرفاء ويستغلّها الأوغاد!
- إني أحس على وجهي بألم كل صفعة تُوجّه إلى مظلوم في هذه الدنيا!
- في حب بلادك ، لا تكن محايداً كن متطرفاً حتى الـموت!
- لا نستطيع أن نصبح ما نريد ببقائنا على ما نحن عليه!
- إن لم أرك وأنا معلول يا حبّذا أن لا أراك وأنا بقوتي!
- لا تكن ذاك الأحمق الذي يبخس مشاعر من أحبوه ويُسرف في حب أناس لا يعني لهم شيئاً!
- ما فائدة الإنسان إن كسب العالـم وخسر نفسه!
- إذا لـم تستطع أن تعيش بتفاؤل فلا تُجبر من حولك أن يعيشوا إحباطك!
- إذا فُرضتْ على الإنسان ظروف غير إنسانية ولم يتمرّد فإنه سيفقد إنسانيته شيئاً فشَيئاً!

٩ أكتوبر/ تشرين الأول

في مثل هذا اليوم من العام ٧٩٣م تُوفي «الربيع بن سليمان» ، كان تلميذاً للإمام الشافعي ، وكان الشافعي يُحبه كثيراً ، لِما كان يرى من وَرَعه وعبادته!

كان الربيع بن سليمان شديد الحفظ بطيء الفهم!

كان يحفظ ما يُروى أمامه حفظاً شديداً كأنما نُقش في قلبه ، أمّا عن الفهم والاستدلال والاستنباط فلم يُؤتَ قدرةً عليه!

روى البيهقي في كتابه «مناقب الشافعي» ، والآجُري في كتابه «أخلاق العلماء» :

كان الربيع بن سليمان بطيء الفهم ، كرّر الشافعي مسألةً واحدة أربعين مرةً فلم يفهمها!

فقام الربيع بن سليمان من المجلس حياءً!

فدعاه الشافعي في خلوة وكرّر عليه حتى فهمها ، وقال له : يا ربيع ، لو استطعتُ أن أُطعمك العلم لأطعمتُك إياه!

درسٌ عظيمٌ لكل المعلمين والمعلمات ، المربين والمربيات ، وكل من له علاقة بالتدريس والتربية من قريب أو بعيد :

لو استطعتُ أن أطعمك العلم لأطعمتك إياه!

هذا عن صبر المعلم وتفانيه وعدم يأسه!

أما عن حقيقة تربوية يغفل عنها كثيرون ، فهي أن براعة إنسان في مجال ما لا يعني براعته في كل المجالات ، وضعفه في مجال لا يعني ضعفه في كل المجالات ، في كل إنسان نقطة قوة ، قد تكون قوة الطالب في أنه نابغة في المهن والأعمال اليدوية بينما نحن نعذّبه ونعذِّب أنفسنا ونحشوه بكان وأخواتها ، ومحيط الدائرة ، وانقسام الخلايا!

١٠ أكتوبر/ تشرين الأول

تحتفل البشرية اليوم «بيوم الصحة النفسيَّة العالـمي»!
وكالعادة كان الإسلام هو الأسبق في إخبار البشرية حول الصحة النفسية وراحة البال وأهميتهما لحياة سعيدة هانئة وأن الأمر أبعد من تناول الطعام وشرب الـماء للاستمرار على قيد الـحياة!
علم الله تعالى أن القلوب تضطرب ، والهموم تزيد كلما تقدّمنا في العمر وزادتْ متطلبات الـحياة ، فقال يُرشدنا إلى السبيل «ألا بذكر الله تطمئن القلوب»!
ولأنّ الدنيا دار امتحان وليست دار جزاء ، ودار عبور وليست دار إقامة ، فلا تخلو من فقد ومُصيبة ، فقال الله يُرشدنا «الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعونً أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم الـمهتدون»!
ولأن الناس قد تتخلّى ، أراد الله أن نبقى معه وبجواره فعنده الراحة والطمأنينة فقال سبحانه «يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من الـمؤمنين»!
لطالـما كان البعد عن الله أول أسباب الشقاء النفسي وعدم الراحة ، وقد قال سبحانه «ومن أعرضَ عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً»!
ولا يغرنكم السيارات الفارهة ، والبيوت الفخمة ، والصور الـمزيفة ، لا سعادة إلا بالله ومع الله ، كل تلك الأشياء نظن أن أصحابها سعداء من غير الله ، ووالله إن في قلب الإنسان وحشة لا يُزيلها إلا الأُنس بالله كما يقول ابن القيم ، على أَنّه نعم الـمال الـحلال في يد العبد الصالـح ، ولكنه لا يكفي وحده ليجلب السعادة وإن كان من أهم أسبابها!
إن غاية كل إنسان في الـحياة هي تأمين حياة هينة لينة فيها راحة نفس وطمأنينة وقد كفل الله لنا هذه الغاية إذا مشينا على الطريق الذي ارتضاه لنا فقال «من عمل صالـحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة»!

١١ أكتوبر/ تشرين الأول

في مثل هذا اليوم من العام ٨١٠م وُلد «فَرَج الحجّام» والحجام لقب له لأنه كان ذائع الصيت ماهراً في الحِجامة ، يقصده الناس ليس من مدينته فقط وإنما من المدن المجاورة!

ولكن شيئاً آخر غير براعته في الحجامة هو ما دعاني لأكتب عنه ، يُعتبر «فرج الحجام» أوَّل من أنشأ نظام الصفوف التي يقف فيها الناس منتظرين دورهم ، بحيث لا يتخطّى أحد دور أحد ، ولا يُظلم من حضرَ باكراً على حساب من حضر متأخراً!

يقول الجاحظ في كتاب الحيوان :

وكان أهل المِربد يقولون : لا نرى الإنصاف إلا في حانوت فرج الحجّام ، لأنه كان لا يلتفتُ إلى من أعطاه الكثير دون من أعطاه القليل ، ويُقدِّم الأول ثم الثاني ثم الثالث حتى يأتي على آخرهم ، على ذلك يأتيه من يأتيه ، فكان المُؤخَّر لا يغضب ولا يشكو!

انتبه فرج الحجّام باكراً إلى أنه من المزعج جداً أن يأتي أحد بعدنا ثم يحصل على الخدمة قبلنا وينصرف بينما نحن ما نزال ننتظر ، فعَمَدَ إلى نظام الصَّف ، لا يُحابي أحداً على حساب أحد!

مزعج جداً أن يتخطّاك الناس ، أن تشعر في مكان ما أن الناس أولاد جارية وأولاد ست ، وأنك ابن الجارية أو ابن البطة السوداء كما تقول جدتي . شخصياً أحكم على أخلاق الناس بهذه التفاصيل الصغيرة ، بانتظارهم دورهم بكل أدب ، بعدم تخطِّيهم للناس ، وأشياء حياتية يومية أخرى ، لا تهمني الشهادات ولا الثياب ولا المظاهر هذا لكَ وحدك يا عزيزي ، أخلاقك وتعاملك هي التي لي ، وهذا ما يهمني!

الأدهى هم أولئك الذين يقولون لك بعد أن مللتَ من الانتظار هل من الممكن أن أدخل قبلك لأني مستعجل؟! على أساس أنك سعيد بانتظارك ومُمَدَّد على شاطئ المالديف تنعم بالشمس وتشرب جوز الهند! كلنا لدينا مشاغل ، فطوبى للنُّبلاء الذين حتى لو سنح لهم تخطي دورهم رفضوا لأن المرء إنما يُسيء لنفسه قبل أن يُسيء للآخرين!

١٢ أكتوبر/ تشرين الأول

في مثل هذا اليوم من العام ١٩٢٤م توفي الروائي الفرنسي «أناتول فرانس»!

وأناتول لمن لا يعرفه حائز على جائزة نوبل للأدب لسنة ١٩٢١م عن مجموع أعماله التي أشهرها «صدفة اللؤلؤ» ، «ثورة الملائكة» ، «تاييس» ، «الزنبقة الحمراء»!

عُرفت أعماله بقوة الخيال والانعتاق من قيود الواقع ، على أن أدبه فيه وعليه!

ترك أناتول فرانس أقوالاً جميلة منها :

- كل كتب التاريخ التي لا تحتوي على أكاذيب مملة للغاية!
- أُفضِّل حماقة الحماس على حكمة اللامبالاة!
- من لا يحترم موعده لا يحترم نفسه!
- أكثر أسباب الضغوطات هو التعامل مع الحمقى!
- تسعة أعشار التعليم تشجيع!
- إذا قال خمسون مليون شخص مقولة حمقاء فإنها ما تزال مقولة حمقاء!
- من الطبيعة البشرية التفكير بحكمة والتصرف بحماقة!
- في الفن كما في الحُب كل ما نحتاج إليه هو الفطرة السليمة!
- الغباء أخطر بكثير من الشر ، فالشر يأخذ إجازة من حين لآخر أما الغباء فمُستمر!
- لا تُعِرْ كتبك للآخرين ، لأنهم لن يرجعوها لك ، الكتب التي في مكتبتي هي التي أعارها لي الآخرون!

١٣ أكتوبر/ تشرين الأول

في مثل هذا اليوم من العام ١٩٢٥م وُلدت الـمرأة الـحديدية «مارغريت تاتشر»!

فرئيسة وزراء بريطانيا من العام ١٩٧٩م إلى العام ١٩٩٠م لم تكن امرأةً عادية ، كانتْ إلى جانب حنكتها السياسية ، التي يعترف بها خصومها قبل حلفائها ، تحمل شهادة في الكيمياء الـحيوية ، وإجازة في الـحقوق ، ولها مُؤلَّفات ، وسيرتها الذاتية من أجمل ما كُتب في هذا الـمجال!

قال عنها الرئيس الفرنسي فرانسوا ميتيران : لديها عيون كاليغولا وفم مرلين مونرو!

تركت تاتشر خلفها أقوالاً تستحق التأمل :

- لا أُمانع أن يتحدث وزرائي كثيراً طالـما يُنفذون ما أقول!
- قد تضطر أن تخوض معركة ما أكثر من مرة كي تنتصر!
- إذا كان هدفك أن تُعجب الناس فسوف تكون مستعداً للمساومة على أي شيء ولن تحقق شيئاً!
- الرغبة في الفوز تولد في معظمنا ، وإرادة الفوز مسألة تدريب ، أما أسلوب الفوز فمسألة شرف!
- إذا كانت الـمرأة تستطيع أن تتفهّم الـمشكلات التي تواجهها عند إدارة الـمنزل فليس من الصعب عليها استيعاب كل الـمشكلات الـمتعلقة بإدارة الدولة!
- في السياسة عندما تحتاج إلى الكلام اسأل الرجال وعندما تحتاج إلى الأفعال فعليك بالنساء!
- روح الـحسد تُدمر ولا يمكنها أن تبني!
- لن تصبح أوروبا مثل أمريكا أبداً ، أوروبا صنعها التاريخ ، أما أمريكا فصنعتها الفلسفة!

١٤ أكتوبر/تشرين الأول

في مثل هذا اليوم من العام ١٠٩٥م توفي الـمعتمد بن عبّاد ملك إشبيلية وقرطبة وفالنسيا عندما كان لنا في الأندلس موطئ قدم!

قال عنه الذهبي في سير أعلام النبلاء : كان فارساً شجاعاً ، عالـماً أديباً ، ذكياً شاعراً ، محسناً جواداً ممدوحاً ، كبير الشأن ، خير من أبيه . كان أندى الـملوك راحة ، وأرحبهم ساحة ، وكان بابه محطّ الرِّحال وكعبة الآمال!

أحبَّ الـمعتمد زوجته اعتماد الرُميكية حباً شديداً ، كانت اعتماد فاتنة الـجمال ، شاعرة وأديبة فملكتْ قلبه ، وكان من فرط حبه لها لا يردُّ لها طلباً ، وكان في إحدى الـمرات قد صحبها معه في جولة على الرعية ، فمرَّ الـموكب الـملكي بِجَوَار وغلمان صغار يلعبون بالطين ، فاشتهت اعتماد أن تنزل وتلعب معهم!

فأخبرها الـمعتمد أن هذا الفعل لا يليق بالسيدة الأولى في الـمملكة!

ولكنه لاحظ في نفسها انكساراً ، فلما عاد إلى القصر أمر أن تُحفر في حديقته حفرة ، ثم وضع فيها الـحناء ، وخلطه بالـمسك ، حتى صار مثل الطين ، ثم نادى عليها وقال : الآن العبي!

خاصمتْه مرةً ، وفي ساعة غضب قالت له ما تقوله كل النساء : والله ما رأيتُ منك خيراً قط! وصدق رسول الله ﷺ!

فقال لها : ولا يوم الطين؟!

فخجلت من نفسها واعتذرتْ إليه!

على أن الـحُب بين الزوجين لم يكن حباً من طرف واحد ، فاعتماد الرميكية أحبَّتْ الـمعتمد ، وكانت وفية له حتى آخر لحظات عمرها ، فعندما خسر ملكه ، وتم نفيه إلى الـمغرب اختارتْ الـمنفى معه ، وعاشت معه هناك حياة الفقر والقلة حتى آخر عمريهما!

١٥ أكتوبر/ تشرين الأول

في مثل هذا اليوم من العام ١٩٦٤م وُلد الـملياردير الصيني «جاك ما» .

بعد أن تخرّج من الـجامعة تقدّم بستة عشر طلباً للهجرة إلى أمريكا تمَّ رفضها كلها!

وقدّم للالتحاق بالـجامعات الأمريكية ثلاثين مرةً ولكن تم رفضه أيضاً!

بحثَ عن وظيفة ، فوجد إعلاناً لشركة «كنتاكي» عن وظائف شاغرة ، فتقدّم مع من تقدّموا للوظيفة ، وكان عددهم ثلاثين ، تمّ قبولهم جميعاً باستثناء «جاك ما»!

تقدّم بطلب تطوُّع في الشرطة ومعه أربعة عشر شخصاً قُبلوا إلا هو وشخص آخر!

وصل إلى قمة اليأس والإحباط . . ثم لمعتْ برأسه فكرة مجنونة!

لقد قرّر أن يُنافس موقع أمازون ، فباع مجوهرات زوجته وأنشأ موقع علي بابا وبعد خمسة عشر عاماً على إنشاء علي بابا تبلغ ثروة جاك ما اليوم **٢٩** مليار دولار!

من نصائح جاك ما :

- فكِّرْ دوماً بالـمستقبل ، نحن لم ننجح اليوم لأننا عملنا اليوم بل لأننا كنا نفكر به منذ مدة!
- لكي تُغيِّر العالـم استثمر في الشباب!
- الـمال ليس السعادة وإنما الـمسؤولية ، كُن ثرياً ولكن مسؤولاً!
- توقع غير الـمُتوقّع!
- لا تحتاج إلى إعلانات كي تنجح ، دعْ عملك يخبر عنك!
- يخسر الناس في الـحياة بسبب أربعة أشياء : قصر النظر فلا يرون في الفرصة إلا الأهداف القريبة ، النظر باستخفاف إلى الفرصة ، عدم الاهتمام بالفهم ، عدم القدرة على الاستجابة السريعة!
- استثمر في قطاع التعليم تبني ثروة وقبلها أُمّة!
- شجِّع فريق عملك دائماً ، البيئة الآمنة في العمل أكثر إبداعاً!
- أنتَ فقير ليس لأنك لا تملك الـمال ، بل لأنك لا تملك الطموح!

١٦ أكتوبر/ تشرين الأول

في مثل هذا اليوم من العام ١٦٨٨م وُلد القرصان الشهير «ستيد بوينت»!

في الحقيقة كان ستيد في بداية حياته رجلاً طيباً ولكنّه تزوج بامرأة نكدية فانضمَّ إلى القراصنة هرباً منها ، ثم ما لبث أن صار له أسطول خاص به ، حتى صار أكثر القراصنة شهرةً وثراءً في عصره!

فعلاً إنه وراء كل رجل عظيم امرأة!

والشيء بالشيء يُذكر ، التقى صديقان بعد غياب سنوات ، فسأل أحدهما الآخر : هل زوجتك من النوع النكدي؟!

فقال له : وهل يوجد نوع آخر؟!

وبما أن الشيء بالشيء يُذكر فإن «لورنس ريبل» البالغ من العمر واحداً وسبعين عاماً ، سئِم من زوجته النكدية ، وأراد الهرب من بيته إلى الأبد ، فدخل إلى بنك وهو يحملِ مسدساً ، ثم أخذ مبلغاً من المال ، وسحب كرسياً وجلس ينتظر مجيء الشرطة وهو يُدخن سيجارته بهدوء!

حضرت الشرطة ، واعتقلَتْه ، ويوم عرضه على المحكمة حكم عليه القاضي بقضاء فترة عقوبته في البيت نظراً لتقدمه في السن وإصابته بمرض القلب!

كان الله في عون السيد لورنس!

هذا من باب المزاح والفكاهة ، وإلا فالنكد ليس رجلاً ولا امرأة ، النكد طبع ، هناك رجال يملكون قدراً من النكد لو وُزِّع على الكواكب المجاورة لتناطحتْ بدل أن تدور حول الشمس! كذلك الأمانة والعفة والشرف والأخلاق ، ليست رجالاً ولا نساءً ، يمتلكها النساء كما الرجال ، ويفتقدها النساء كما الرجال ، وكان الله في عون من كان حظه شريك عمر نكدي!

١٧ أكتوبر/ تشرين الأول

في مثل هذا اليوم من العام ٨٢٥م توفي «سعيد بن سلم الباهلي» ، جدُّه قتيبة بن مسلم الباهلي فاتح الصين!

تربّى سعيد في بيت عز و سؤدد وعلى هذا نشأ ، وعلى هذا مات!

ولاّه هارون الرشيد على أرمينيا!

إلى هنا تبدو الأشياء عادية جداً وليس هناك ما يدعو لتناول هذه الشخصية ، ولكني قرأتُ خبراً عن سعيد بن سلم الباهلي يجعل الأمر يستحق الكتابة!

يقول الـمُبرد في الكامل بتصرف طفيف :

كان سعيد بن سلم الباهلي إذا استقبلَ اليوم الذي يستقبل فيه سنة جديدة من عمره ، أعتقَ عبداً ، وتصدَّق بعشرة آلاف درهم ، فلمّا سُئِل عن هذا ، قال : أشتري نفسي من ربي في ذكرى مولدي!

فبلغ هذا الكلام أحد فقهاء الـمدينة فقال : واللهِ ما يرده الله!

احتفال رائع في ذكرى الـميلاد!

رحم الله أول هذه الأمة ، كان فرحهم عبادة وحزنهم عبادة! بينما نحن اليوم – إلا من رحم ربي– نتبغّض إلى الله بالـمعاصي بعد أن تقرَّب إلينا بالنِعم!

سنة جديدة من عمر الإنسان ، تعني أنه كان عاماً مليئاً بستر اللَه ، كم عصيناه فلم يفضحنا ، كم قصّرنا في شكره فلم يقطع رزقه عنا ، ثم ماذا؟! جئنا نحتفل وحدنا وعلى طريقة الآخرين ونسيناه!

فهلاّ كان ذكرى ميلاد أحدنا ركعتي شكر ، وصدقة سر ، وألف تسبيحة وجزء قرآن ، ثم بعدها ما يضر قالب الكيك!

نحتاج في الـحزن والفرح والغضب والعطاء والـمنع والـحُب والبغض أن يأتي الله أولاً!

١٨ أكتوبر/ تشرين الأول

في مثل هذا اليوم من العام ١٢٢٧م تُوفي أمير دمشق «شرف الدين عيسى بن العادل بن أيوب» .

كان مُحِبّاً للفقه والشعر والأدب ، وله كتاب في العروض ، وديوان شعر!

قال عنه ابن الأثير : كان عالماً بعدة علوم ، وفي أيامه كَسَدَ سوق العلم ، فأحياه ، وأكرم الفقهاء وأعطاهم ، ولم يُسمع منه كلمة فاحشة في كل حياته!

ويُعتبر شرف الدين من أوائل الذين أقاموا المسابقات الأدبية لتشجيع الناس على دراسة الأدب والتعمُّق فيه ، وعلى الإقبال على الفقه والانتفاع به ، ويقول ابن خلكان :

كان المُعظّم شرف الدين يحبُّ الأدب كثيراً ، وقد مدَحَه جماعة من الشعراء فأحسنوا في مدحه ، وكانتْ له رغبة في فن الأدب ، وكان قد اشترط لكل من يحفظ المفصَّل للزمخشري مئة دينار وثوباً ، فحفظه لهذا السبب خلقٌ كثير ، ورأيتُ بعضهم بدمشق ، والناس يقولون : إنّه كان سبب حفظهم له هذا!

الفكرة التي أريد إيصالها من هذا الكلام أنَّ صلاح الرعية بصلاح الراعي في الغالب ، واهتمامهم اهتمامه ، ويروي ابن السماك في كتابه الزهرات المنثورة يقول :

كان الناس إذا أصبحوا في زمن الحجاج فتلاقوا ، يتساءلون : من قُتِلَ البارحة ، ومن صُلِب؟

وأحبَّ الوليد بن عبد الملك البُنيان والمزارع وشق الأنهار وغرس الأشجار فكان الناس يتلاقون فيتساءلون كم عندك ضيعة وكم تملك مالاً!

وأحبَّ سليمان بن عبد الملك الأطعمة ، والملابس ، والجواري ، فكان حديث الناس لا يخرج عن هذا!

وكانوا في زمن عمر بن عبد العزيز يتساءلون : كم تحفظ من القرآن ، وكم وِردك كل ليلة؟ ومتى تختم؟ وكم تصوم من الشهر؟!

١٩ أكتوبر/ تشرين الأول

في مثل هذا اليوم من العام ١٨٥٢م وُلد الأسترالي «كليمنت راج» صاحب فكرة تسمية الأعاصير بأسماء نساء!

ويُقال أنه كان يختار لها أسماء نساء يكرههنَّ!

ومنذ العام ١٩٧٠م تقرَّر وضع لائحة أجنبية سنوياً ، تحمل أسماء نساء ورجال بالتناوب ، وكلما أُكتشف إعصار جديد يُعطى الاسم التالي على اللائحة!

يُبرر البعض فكرة تسمية الأعاصير بأسماء نساء لأن المرأة ذات مزاج مُتقلِّب ويصعب التنبؤ بعنفها! بينما لا أفهم أنا لماذا على الإعصار أن يكون له اسم أساساً وكأننا سنتقدّم للدوائر الرسمية لاستخراج شهادة ميلاد له ، ريحٌ عاتيةٌ تهب وتنتهي والسلام!

من الطبيعي أن يتحيّز الرجل لصنف الرجال ، وأن تتحزّب المرأة لصنف النساء ، ولكن ما هو غير طبيعي أبداً أن ترى رجلاً يكره جنس النساء كله ، وترى امرأة تكره جنس الرجال كله ، في الحقيقة هذا مرض يحتاج علاجاً أكثر منه وجهة نظر في الحياة ، لأنه بخلاف الفطرة أولاً ، وبخلاف الواقع وقانون الحياة!

حتى أنّ كثيراً من الكُتّاب والمُفكِّرين كانوا مرضى وعنصريين!

فعلى سبيل المثال كان «نيتشه» يرى أن المرأة خطيئة الطبيعة ، وكان ينصح الرجل حين يذهب عند المرأة أن يصطحب معه السياط ، وكان يرى أن كل تقدُّم للحضارة يستلزمه مزيداً من الحزم مع النساء!

وعلى هذا المنوال كانت أفكار «هيجل» حيث كان يرى المرأة مخلوق لا يرقى للقدرة على التعلم أو التبحُّر في العلوم والفلسفة ، وأن المرأة تُنظِّم شؤونها على شكل فوضوي وعشوائي!

حتى أنيس منصور وإن لم يصل إلى درجة كراهية النساء إلا أنه في كثير من كتاباته كان مُتحاملاً على المرأة!

طبعاً هناك نساء جاهرْن بكراهية الرجال ولكنني اقتصرتُ على ذِكر الرجال فقط لأن الشيء بالشيء يُذكر!

٢٠ أكتوبر/ تشرين الأول

في مثل هذا اليوم من العام ١٩٦٧م تُوفي البلجيكي «ديستانحين» أحد أذكى المُهرِّبين في تاريخ البشرية!

على مدى عشرين عاماً دأَبَ على عبور الحدود من بلجيكا إلى ألمانيا على دراجته الهوائية، مما أثار شكوك رجال الحدود الألمان حوله، خاصة أنّه لم يكن معه سوى حقيبة يضعها على ظهره ويملأها بالتراب!

السر الحقيقي لم يُكتشف إلا بعد وفاة ديستانحين، حيث كتبَ في مذكراته: حتى زوجتي لم تعلم أني بنيتُ ثروتي من تهريب الدراجات إلى ألمانيا!

كان ديستانحين يشتري الدراجات الهوائية من بلجيكا بسعر رخيص، ثم يقودها عبر الحدود، ولا شيء يمنعه من هذا، وكان يضع حقيبة الرمل على ظهره ذراً للرماد في العيون، بحيث يتساءل رجال الجمارك عن الحقيبة فلا يشغلهم شيء آخر، ثم يذهب إلى ألمانيا ويبيعها بسعرٍ أعلى من الذي اشتراه، ثم يعود إلى بلجيكا بالقطار، وهكذا كل يوم على مدى عشرين عاماً!

بغض النظر عن قانونية القصة، وما إذا كان ما فعله ديستانحين جريمة تهرُّب ضريبي أو استغلال واضح للوضع الاقتصادي القائم بين البلدين، إلا أننا لا نستطيع إلا أن نُقِر أنه قام بعمل عبقري على مدى سنوات، أساساً أن تُخفي مصدر ثروتك عن زوجتك هذا بحد ذاته بطولة تفوق بطولة خداع رجال الجمارك الألمان على مدى عشرين عاماً!

٢١ أكتوبر/ تشرين الأول

في مثل هذا اليوم من العام ٢٠١١ م تُوفي أنيس منصور بعد ٨٧ سنة قضاها على ظهر هذا الكوكب ، تركَ خلالها أكثر من مئة كتاب ، ومئات الأقوال الجميلة التي عاشتْ أكثر منه ، وهذه بعضها :

- يسود السلام عندما تتغلب قوة الحُب على حُب القوة!
- الحياة مثل البصل ، قشرة تحت قشرة ، ولا شيء في النهاية إلا الدموع!
- محاولتك التفاهم مع امرأة تبكي أشبه بمحاولتك تقليب صحيفة أثناء عاصفة!
- يجب أن لا ينتمي الشعب للحكومة ، وإنما الحكومة هي التي يجب أن تنتمي للشعب!
- فتاة اليوم إذا تزيَّنتْ فَتَنَتْ ، وإذا ابتسمتْ سَحَرتْ ، وإذا طبَخَتْ قتلتْ!
- إذا كنتَ ستُصدِّق كل ما تقرأ فلا تقرأ!
- سوف يبقى الفشل مُراً إذا لم تبتلعه!
- نصف ما نحلم به كان من الممكن أن نحصل عليه لو أننا لم نضيع الوقت بالأحلام!
- أن تموت أسداً خير من أن تعيش كلباً!
- علم النفس يطلب من المرأة أن تكون رجلاً مشوهاً!
- كثير من الناس يحترمهم الناس لأنهم لا يعرفونهم!
- قل أي شيء أصدقك إلا أن تقول النقود ليس لها قيمة!
- ليس هناك أبشع من الإهمال إلا تفاهة الاعتذار!
- بعد أن تصبح غنياً سيظهر لك أقرباء لم ترهم في حياتك!
- لا أعرف متى ظهر التصفيق في التاريخ ، وأغلب الظن أنه ظهرَ عندما ظهر الكذب أيضاً!
- راتب أعظم أستاذ جامعي أقل من راتب أسوأ مدرب كرة قدم!

٢٢ أكتوبر/ تشرين الأول

في مثلِ هذا اليوم من العام ١٩٣٤م توفي «شارلي آرثر فلويد» عن عمر يُناهز الثلاثين عاماً فقط!

«تشارلي آرثر فلويد» أو كما يُلقبه الأمريكان بالولد الوسيم هو أشهر لص بنوك في تاريخ أمريكا! وقد لُقب باللِّص المحبوب والسبب أنه كان عندما يسطو على بنك يقوم بحرق أوراق الرهن العقاري ليُحرِّر الفقراء من ديونهم!

فكرة الشخص المجرم أو اللِّص الخارج عن القانون والذي يُحاول مساعدة الناس فكرة مرغوبة للناس ومحبّبة ، ربما السبب برأيي أن الناس بطبيعتها تحب الانعتاق من قيد القوانين خصوصاً إذا كانت الحكومة ظالمة ، وقتها لا ينظر الناس بِجُرم الشخص بقدر ما ينظرون إلى بطولاته فقط!

كان تشارلي محبوباً لأنه كان يكترث للفقراء ، فيحرق أوراق الرهن العقاري ، ولكن الذين يُحبّونه نسوا أنه بالأساس لص ، حتى أنه قد قتل أكثر من شخص أثناء فراره بعد السطو ، إلى أن مات هو أخيراً بطلقة نارية أثناء إحدى سرقاته!

الأمر يشبه إلى حد بعيد أسطورة روبن هود التي تجمع بين طيّاتها مزيجاً من اللصوصية والبطولة ، حتى أن الصعاليك في الجاهلية كانوا يُغيرون على القوافل فينهبونها ثم يُعطون ما فيها للفقراء! وأذكرُ مرةً أنّ زميلاً يسارياً لي في الجامعة كان يُريد أن يقوم بدراسة حول ملامح الفكر الشيوعي في الجاهلية مُعتمداً على ما كان يعمله الصعاليك! باعتباره عملاً ثورياً حيث ثارت البروليتاريا على نظام القبيلة الرأسمالي! ولله في خلقه شؤون!

خلاصة القول : برأيي لا يجب خلط الأمور ببعضها ، حين يقوم لص بعمل بطولي نُقدِّر العمل ولكنه يبقى لصاً ، يُمكن لإنسان ببساطة أن يكون نبيلاً في مجال وخسيساً في آخر!

والشيء بالشيء يُذكر ، سرق لص تفاحة ليتصدّق بها قائلاً : سرقتُها بسيئة وأتصدّق بها بعشر حسنات ، فقال له فقيه : إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً!

٢٣ أكتوبر/ تشرين الأول

في مثل هذا اليوم من العام ٢٠١٤م عرضَ «جايمس واتسون» -الحاصل على جائزة نوبل للطب لاكتشافه رفقة زميليه البنية الجزئية للأحماض النووية DNA وأهميتها في نقل المعلومات للمادة الحية - جائزة نوبل للبيع وذلك بعد الضائقة الاقتصادية التي مرَّ بها!

اشترى الجائزة الملياردير الأوزبكي «أليش أوسمانوف» بمبلغ أربعة ملايين دولار ، ثم بعد فترة قصيرة أعاد الجائزة إلى واتسون قائلاً : واتسون يستحق الجائزة أكثر مني ، هو حصل عليها بجده واجتهاده ، وأنا حصلتُ عليها بمالي!

وهكذا استعاد واتسون جائزة نوبل واحتفظ بالمبلغ!

طبعاً إن شراء جائزة نوبل في الطب لن تجعل المشتري طبيباً ، الميدالية مسألة رمزية وشكلية ليس إلا ، حتى لو لم يُرجع الملياردير الجائزة لواتسون فسيبقى واتسون صاحب الاكتشاف وصاحب الجائزة ، فشرائي للكرة الذهبية من ميسي على سبيل المثال لن يجعلني أفضل لاعب في العالم ، كل ما في الأمر أني لا أملك إلا الكرة ، بينما سطر هو المجد كله في الملاعب!

ولكن ما يندى له الجبين لماذا على رجل أسهم اكتشافه في طبيعة جسم الإنسان ، وغيّر مفهوم الطب إلى الأبد ، أن يصل مرحلة لا يجد له راتباً يعتاش منه ، ويضطر إلى بيع جائزته! هذا مع العلم أنه خسر عمله بسبب تصريحاته العنصرية!

قد يرى البعض أنه من العيب على واتسون بيع الجائزة تحت أي ظرف من الظروف ، ولكني على العكس من ذلك أتفهّم ، فليس من المعقول أن يتضوّر جوعاً وهو ينظر إلى ميدالية نوبل ، إنّ حلاً واقعياً قابلاً للتطبيق أفضل من مئة حل مثالي على الورق كما يقول بيغوفيتش!

العار هو عار الحكومات التي تُفاخر بنُخبها وهم في أوج عطائهم ثم تتنكّر لهم بعد أن يأفل نجمهم!

٢٤ أكتوبر/ تشرين الأول

في مثل هذا اليوم من العام ١٩٣٢م وُلد «ستيفن كوفي» كتاب «العادات السبع للناس الأكثر فعالية» والذي يُعتبر من أكثر الكتب مبيعاً في العالـم!

بالإضافة لهذا الكتاب ، كتب «ستيفن كوفي» كتباً أخرى وإن كانت أقل مبيعاً منه إلا أنها حقّقت مبيعات ضخمة ، من هذه الكتب :

سرعة الثقة – الأشياء الأولى أولاً – العادة الثامنة – القيادة الـمرتكزة على الـمبادئ – البديل الثالث – نجاحات عظيمة يومية .

من أقوال ستيفن كوفي الشهيرة :

- أفضل طريقة لتتنبأ بمستقبلك أن تصنعه!
- أنا لستُ نتاج ظروفي إنما أنا نتاج قراراتي!
- الرياح قدر الله ، وتوجيه الشراع من عمل يديك!
- اسمع لتفهم ، لا لترد!
- بدل أن تبادر بالهجوم على الشخص الناجح ، بادر أن تصبح أكثر نجاحاً منه!
- أن تكون شخصاً يثق فيه الناس أعظم من أن تكون شخصاً يحبونه!
- لا تدع يوماً سيئاً يشعرك أنك تعيش حياة سيئة!
- عِشْ بناءً على أحلامك لا بناء على ماضيك!
- الشخص الناجح هو من لا يزال مستعدا لتعلم الـمزيد!
- نحن لسنا بشر في رحلة روحانية نحن أرواح في رحلة بشرية!
- الـحياة التي تقوم على الـمظاهر هي مهمة تعذيبية!
- عندما يُوقعك سلوكك في مشكلة فإن سلوكك يجب أن يُخرجك منها!
- سيكون يومك مشابهاً للتعبير الـمرتسم على وجهك سواءً كان ذلك ابتساماً أو عبوساً!

٢٥ أكتوبر/ تشرين الأول

في مثل هذا اليوم من العام ١٩٣٢م وُلد «دايفيد توماس» مؤسِّس «وينديز» أحد أكبر مطاعم الأكل السريع في العالـم!

ترك دايفيد الـمدرسة باكراً ، لذلك فهو لا يحمل أية شهادة ، ولكنه في العام ١٩٩٣م وعمره ٦١ سنة عاد إلى الـمدرسة الثانوية ليُكمل دراسته حتى لا يكون بنجاحه في الأعمال وتكوين ثروة ضخمة قدوة سيئة للمُراهقين فيتركون الـمدرسة ويحتجّون به كمثال على الإنسان الناجح الذي لا يحمل شهادة!

نادرون هؤلاء البشر الذين يُفكرون بغيرهم ، والذين يُريدون لهذا الكوكب أن يكون أفضل ، ولطريقة تفكير الناس أن تكون أرقى!

والشيء بالشيء يُذكر ، يقول ماثيو ماكونهي : الشهادة ورقة تُثبت أنك مُتعلِّم ولكنها لا تُثبت أبداً أنك تفهم!

لم يكن دايفيد يحمل شهادة ولكنه كان يفهم!

وعن الذين يهتمون بالقيم النبيلة حدثتني جدتي عن ملكٍ شغوف باقتناء الخيول ، أُعجب بفرسٍ عند ملك الـمملكة الـمجاورة ، فأرسل يطلبُ منه أن يبيعها له ، فردّ عليه الـملك صاحب الفرس قائلاً : الـملوك لا تُتاجر بالخيول وكنتُ سأتشرّف بإهدائك إياها لولا أنها هدية غالية من الـمرحومة أمي!

فزاد تعلُّق الـملك وإصراره في الحصول على الفرس ، فجمع مُستشاريه علّهم يقترحون عليه حلاً ، ولكن الحل جاء من أحد اللصوص ، إذ اقترح على الـملك أن يتطوّع لسرقة الفرس له!

وافق الـملك فكل ما كان يُريده هو الحصول عليها!

عرف اللِّص أن الـملك صاحب الفرس يصطاد وحده ، فنام في طريقه مُتظاهراً أن حيَّة لدغته ، فحمله الـملك على الفرس ، وقام يجره ، فقال له اللِّص : لا يليق بالـملك أن يجرّني ، أعطِني اللجام!

وعندما أعطاه اللجام هربَ بالفرس ، فنادى عليه الـملك من بعيد وقال له : قُلْ للناس أني أهديتُك الفرس ، لا أريد أن تموت الـمروءة بين الناس فيمر الرجل بالـمصاب ويتركه خوفاً من أمثالك!

٢٦ أكتوبر/ تشرين الأول

في مثل هذا اليوم من العام ٧١٨م تُوفي «علقمة بن عَلَفة الـمُرِّي» يُقال أنه كان أشد العرب عنجهية في التاريخ ، حتى أنه كان لا يرى أحداً يُساويه ، ويُروى من اعتداده بنفسه قصصاً كثيرة : تسابق الناس للزواج من بناته لما عُرف عنه من حزمه معهنّ ، وشدة غيرته عليهنّ ، فلم يرينَ رجالاً غير إخوتهن!

كان مرةً عند والي الـمدينة واسمه «عثمان بن حيّان» ، فقال له عثمان زوِّجني ابنتك!

فقال علقمة : أبكرةً من إبلي تريد؟!

فغضب الوالي وقال له : أمجنون أنت؟

قال علقمة : أعِدْ سؤالك لعلِّي لم أسمعك!

فقال : زوِّجني ابنتك!

فقال له : أبكرةً من إبلي تُريد!

فغضب الوالي وطرده من مجلسه!

دخل مرةً على يزيد بن عبد الـملك في أيام خلافته ، فقال له يزيد : زوِّجني ابنتك!

قال : أُزوِّجها لك بشرط أن أزفها أنا إليك ولا يزفها علوج فارس والروم الذين حولك!

فقبل يزيد ، ثم ذهب علقمة .

بعد مدة دخل الـحاجب وقال للخليفة : إنّ أعرابياً معه امرأة في هودج عند الباب وهو يصرخ فينا أنه يُريدك ، فقال يزيد : واللهِ إنه لعلقمة ، فليدخل!

فدخل ، ثم أخذ يد الـخليفة ، ووضع يد ابنته فيها وقال : اسمع ، هذه ابنتي ، زوّجتك إياها ، فإن أحببتها فبارك الله لكما ، وإن كرهتها فسلِّمني إياها بيدي كما سلّمتك إياها بيدك!

أحبَّها يزيد ، وولدتْ له غلاماً سرعان ما مات ، ثم ماتتْ الأم في نفاسها حزناً عليه ، فكتب يزيد إلى علقمة بالـخبر ، وقال له : تعال خذ إرث ابنتك!

فكتب إليه علقمة : لا حاجة لي بالـمال ، ولكني كنتُ قد رأيتُ خيلاً عندك أوصافه كذا ، فابعث إليّ به ليكون فحلاً لفرسٍ عندي ، والسلام!

٢٧ أكتوبر/ تشرين الأول

في مـثل هذا اليـوم من العـام ١٩٤٢م وُلد طبـيب النفس الأمـريكي «آلان فرانسيس» صاحب الكتاب الشهير «كل ما يعرفه الرجال عن النساء»!

حقّق الكاتب شهرة واسعة ، ومبيعات جيدة رغم أنه يقع في مئة وثلاثين صفحة من الورق الأبيض التي لا يُوجد فيها حرف واحد للدلالة أن الرجال لا يعرفون شيئاً عن النساء!

إطلاق الدعابات من قبل الرجال على النساء أمر طبيعي ومقبول ، يفعله الرجال منذ أن وطئوا هذا الكوكب ، وهذا ما تفعله النساء أيضاً بخصوص الرجال وهو أمر طبيعي!

كذلك إن انحياز كل من الرجل أو المرأة إلى جنسه ظالماً أو مظلوماً ، واعتقاد أحدهما أن الخير كل الخير في جنسه ، شيء فيه من الفطرة أكثر مما فيه من العقل ولكنه يبقى أمراً مقبولاً ومفهوماً!

أما تصوير النساء على أنهنّ كائنات غامضات قادمات من كوكب آخر ، وكأنهنّ لسن الأمهات اللواتي حملْنَنا في بطونهن ، والخالات والعمات اللواتي لاعبننا وأحببننا وخشينَ علينا من النسمة الباردة ، والأخوات الحنونات في البيوت ، والزوجات العطوفات ، فهذا أقل ما يُقال عنه عُته فكري! وما يُقال بحق الرجال يُقال بحق النساء أيضاً!

للمرأة عالمها الخاص الذي تحكمه مشاعر معينة وأحاسيس وحاجات معينة ، هذا صحيح ولا مراء فيه ، لقد أراد الله سبحانه منها أن تقوم بعمل ووظيفة في الحياة غير تلك التي أوكلها للرجل ، فمن الطبيعي أن يخلقها الله سبحانه بطريقة تلائم ما أوكله لها من مهام ووظيفة!

علينا نحن الرجال أن نفهم أن النساء هُنَّ النصف الذي ينقصنا ولن نكتمل إلا بهنّ ، وعليكن أنتن النساء أن تعرفن أننا النصف الذي ينقصكن ولن تكتملن إلا بنا!

أطلقوا النكات ، وتلاطفوا ، تحزّبوا لجنسكم ، ولكن لا تنسوا هذه الحقيقة أبداً!

٢٨ أكتوبر/ تشرين الأول

في مثل هذا اليوم من العام ١٦٨٨م تم افتتاح مبنى بلدية «ويستمينستر» الذي كان بشهادة الـجميع رائعاً وخلاباً بفضل عبقرية الـمهندس «كريستوفر رن»! غير أن عمدة الـمدينة لم يرضَ عن الـمبنى ، فقد أخبر الـمهندس العبقري أن الطابق الثاني غير آمن ، وأن السقف قد ينهار ، وأنه لا بد من إضافة عمودين لجعل السقف قادراً على الصمود!

لم يكن «كريستوفر رن» يُحب الـجدال كثيراً ، فقال للعمدة : معك حق سيدي سوف أضيف العمودين!

وعند الانتهاء من العمودين ، أبدى العمدة ارتياحاً كبيراً!

كان «كريستوفر رن» يعرف أن إضافة العمودين مجرد تكاليف زائدة ، وأن العمدة لا يملك أدنى خبرة في الهندسة ، ولكن أحداً لم يعرف ما فعله الـمهندس العبقري إلا بعد سنوات من موته وموت العمدة ، حيث اكتشف عمال الترميم لاحقاً أن العمودين كانا مجرد ديكور ، لقد بناهما «كريستوفر رن» ولم يجعلهما يصلان إلى السقف أساساً ليحملاه!

وهكذا عرفت الأجيال اللاحقة أن «رِنْ»قد خبأ انتقامه إلى ما بعد موته ، ولكنه جارى العمدة لأنه كان يعرف أنه رجل صعب الـمراس ، ولن يهدأ حتى يبني له العمودين!

أحياناً علينا أن نُعطي الآخرين ما يُريدون ولكن علينا أن نكون أذكياء بما يكفي لنحتفظ بآرائنا ، ونثبت كم كنا على صواب وكم كانوا بُلَهَاء!

٢٩ أكتوبر/ تشرين الأول

في مثل هذا اليوم من العام ١٢٢٥م تُوفي «ياقوت الحموي» صاحب الكتاب الشهير «معجم البلدان»!

وياقوت وإن كان يُنسب إلى حماة ، إلا أنّ أصله من الروم ، ولكنه أسلم وحسُنَ إسلامه وله غير معجم البلدان ، أنساب العرب ، ومعجم الأدباء ، وأخبار المتنبي!

يروي ياقوت الحموي في معجم البلدان :

وصقلية جزيرة في البحر ، أشهر نواحيها «بَلَرْم» ، والغالب على أهل المدينة المُعلِّمون ، فكان فيها ثلاثمئة مُعلِّم ، فسألتُ عن ذلك فقالوا : إن المُعلِّم لا يُكلّف الخروج إلى الجهاد عند صدمة العدو!

ولعلَّ هذا النص أحد أقدم النصوص التي تُحدِّد الفئة التي يتم إعفاؤها من الخدمة العسكرية ، فكان المُعلِّمون إذا وقعت الحرب ، أو احتاجت الدولة إلى تفريغ رجال في الجندية لا يقربهم أحد وذلك لأنهم كانوا يُقدِّرون دورهم ويرون أنهم يُجاهدون في ميدان آخر ، لا يقل ضراوة ولا أهمية عن ميدان الجهاد بالسيف .

على أنّه من الملاحظ أن بعض الرفاق المُعلِّمين قد هربوا إلى التدريس لأنه السبيل إلى الخلاص من الخدمة العسكرية!

على أنني لا أرى تعارضاً بين أن يحمل المرء السيف والقلم معاً ، وقد كان الصحابة يتفاوتون في المال ، والنسب ، والفقه ، والطبع ، ولكن إذا ما جدّ الجد ، وجدتَهم جميعاً قد هبوا للسيف واصطفوا صفاً واحداً ، بلال الحبشي مع سلمان الفارسي مع أبي بكر القرشي ، أبو ذر الفقير مع عثمان الثري ، عبد الله بن مسعود المهاجر مع زيد بن ثابت الأنصاري ، سعد بن معاذ الأوسي مع سعد بن عبادة الخزرجي!

على أن تقدير فئة ما لجهودها والانتباه لدورها في الحياة شيء جميل جداً ويستحق الإشادة!

٣٠ أكتوبر/ تشرين الأول

في مثل هذا اليوم من العام ١٩٩٣م أراد المواطن الأمريكي «جيمس سكوت» تعطيل زوجته وتأخيرها عن العودة إلى البيت من عملها كي يقوم بخيانتها مع عشيقته في البيت!

فكَّر في طريقة مناسبة فوجد أن أفضل طريقة هو تدمير سد مدينته الواقع على نهر مسيسيبي ليسمح للمياه بالعبور وتتعطل الطرق!

كان جيمس يعتقد أن الضرر الذي سينتج عن ذلك صغير ومُؤقّت ويُمكن إصلاحه في بضع ساعات يكون فيها قد خلا له الجو!

ولكن ما حدث هو العكس تماماً، وفعلته تلك تسببت بخروج كمية هائلة من الماء دمّرتْ ١٤٠٠ فداناً من الأراضي، وتسببت في حرائق بسبب إسقاط الماء لأعمدة الكهرباء، وملايين الدولارات من الخسائر، وإخلاء لمئات من سكان المدينة وتدمير كثير من المباني، ونتيجة لذلك عوقب بالسجن مدى الحياة!

قديماً كنتُ أسمع المثل القائل «فلان مُستعد أن يحرق غابة كي يُشعل سيجارته» ولكني لم أكد أجد مثلاً على المثل، ولكن الحمد لله فإني بعد الاطلاع على سيرة الرفيق جيمس قد عرفتُ!

البعض لغبائهم لا يحسبون العواقب، يظنون فعلاً صغيراً لن يكون له أثر كبير، قرأتُ مرةً تغريدة لطبيب يقول فيها:

اليوم بترتُ قدم رجلٍ مصاب بداء السكري، والسبب جرح في قدمه قد أدى إلى إصابته بالغرغرينا! العجيب أن سبب الجرح سرقة أحدهم لحذائه يوم الجمعة فعاد حافياً فجُرِح!

هل يعلم السارق أنه لم يسرق حذاءً وإنما قد قطعَ رِجلاً!

٣١ أكتوبر/ تشرين الأول

في مثل هذا اليوم من العام ١٩٧٣م تُوفي المُفكر الجزائري الرائع «مالك بن نبي» ، يعتبره كثيرون امتداداً لابن خلدون ، فهو من أكثر المُفكرين الذين نبّهوا إلى ضرورة العناية بمشكلات الحضارة!

وكان مالك بن نبي بعيداً عن التنظير ، فكان يُحدِّد عناصر المشكلة ، ويعرض خطوات حلها ، لم يكتفِ كغيره بتقديم التشخيص دون تقديم العلاج ، وكان أول من أودع منهجاً محدداً في بحث مشكلة المسلمين على أساس من علم النفس والاجتماع وسُنة التاريخ .

من أقوال مالك بن نبي :

- الأفكار التي خانها أصحابها تنتقم!
- الحرية عبء ثقيل على الشعوب التي لم تُحضِّرها نُخبها لتحمُّل مسؤوليات استقلالها!
- الجهل في حقيقته وثنية لأنه لا يغرسُ أفكاراً بل يُنصِّبُ أصناماً!
- التعبُّد ليس في المساجد فحسب ولا في الخلوات يجب أن يكون الدين بين الناس كذلك!
- إن الحقوق تُؤخذ ولا تُعطى!
- لا يُقاس غنى المجتمع بكمية ما يملك من أشياء بل بمقدار ما فيه من أفكار!
- التاريخ يُقرر أن الشعب الذي لم يقم برسالته ما عليه إلا أن يخضع ويذل!
- الحضارة ليست كومة ولكن بناء وهندسة معمارية!
- من سُنن الله في خلقه أنه عندما تغرب الفكرة يبزغ الصنم!
- الكتاب هو الخطاب المُوجّه إلى الأصدقاء المجهولين على وجه الأرض!

١ نوفمبر/ تشرين الثاني

في مثل هذا اليوم من العام ١٩٥٥م تُوفي «ديل كارنيجي» بسبب إصابته بسرطان الدم عن عمر يُناهز السابعة والستين ولم ينتحر بعد تأليف كتابه الشهير «دع القلق وابدأ الحياة» كما قرأتُ هذا في أكثر من مكان ونقلْتُ هذا مرةً في أحد مقالاتي وما أسهل خداع من يثق بكل ما يقرأ!

يُعتبر «ديل كارنيجي» مُؤسِّس علم تطوير الذات إن جازتْ تسميته علم فهو نهاية المطاف ليس له قواعد ولا أُسُس على أهميته وانتشاره ، كان «ديل» يُحاضر في أشهر رجال الأعمال في أمريكا ، في وزراء ورؤساء وجامعات حول العالم ، لِما كان يَملك من براعة في الخطابة والإقناع ولمس الناس من الداخل!

صحيح أن كتابه «دع القلق وابدأ الحياة» هو أشهر كتبه على الإطلاق وقد تمّت ترجمته إلى أكثر لغات العالم ، ولكنه في الحقيقة يملك مؤلفات كثيرة لا تقل روعة عنه!

هذه بعض أقوال «ديل كارنيجي» من كتبه ومحاضراته :

- أنجزْ مهامك الصعبة أولاً ، أمّا السهل منها فسوف يتم من تِلقاء نفسه!
- تذكّر أن اليوم هو الغد الذي كنتَ قلقاً منه بالأمس!
- تستطيع أن تكسب الأصدقاء إذا ركزتَ على أن تهتمَ بالآخرين بدل أن تركز على أن يهتم الآخرون بك!
- إذا أردتَ التوقُّف عن القلق والبدء بالحياة ، إليك هذه القاعدة : عدِّدْ نعمك وليس متاعبك!
- لا تخشَ الأعداء الذين يُهاجمونك ، بل احذرْ الأصدقاء الذين يتملّقونك!
- إذا أردتَ جمع العسل لا تركل الخلية!
- لا تُحاول أن تنشر النشارة!
- لا تكترثي بعيوب الآخرين فمن المُؤكّد أن لزوجكِ عيوباً ولو كان كاملاً ما تزوَّجك!
- التعبير الذي تضعه المرأة على وجهها أهم كثيراً مما ترتديه من ملابس!

٢ نوفمبر/ تشرين الثاني

في مـثل هذا اليـوم من العـام ١٩٥٠م تُوفي الأديب الإنكليـزي السـاخـر «برنارد شو» ، كان يملك روح دعابة عالية وتُروى عنه في هذا الـمجال قِصص كثيرة!

كان صديقاً لرئيس الوزراء وينستون تشرشل ، وكان برنارد شو نحيلاً جداً ، بينما كان تشرشل يُعاني من فرط السُمنة ، وفي أحد الأيام قال له تشرشل :

من يراك يعتقد أن في إنكلترا مجاعة!

فقال له برنارد شو : ومن يراك يعتقد أنك سبب هذه الـمجاعة!

تركَ برنارد شو أقوالاً جميلة كثيرة ، هذه بعضها :

- لو أن الناس لم يتحدثوا إلا فيما يفهمونه ، لبلغ السكوت حداً لا يُطاق!
- أكثر الناس كذباً أكثرهم حديثاً عن نفسه!
- العربة الفارغة تُحدث ضجة أكثر من العربة الـممتلئة!
- إذا كانتْ الـمرأة دقيقة جداً في البحث عن مواصفات الرجل الـمناسب فلن تتزوج أبداً!
- احذر من رجل ضربْتَه ولم يرد عليك فهو لن يُسامحك ولن يتركك تُسامح نفسك!
- النساء الذكيات لا يُشاركن في الـحُكم بل يدعْنَ الـحُكم إلى الرجال طالـما هُنَّ من يحكمن الرجال بالفعل!
- الانتحار طريقة تجعل الإنسان مشهوراً دون امتلاك قدرات!
- لقد تعلمتُ أن لا أتعارك مع الـخنازير لأني سأتلوّث وذلك سيروق للخنازير!
- إذا قرأ الغبي الكثير من الكتب الغبية سيتحول إلى غبي مزعج وخطير جداً لأنه سيُصبح غبياً واثقاً من نفسه وهنا تكمُن الكارثة!
- حتى لو اعتذرتْ الريح ، الغصن سيبقى مكسوراً!

٣ نوفمبر/ تشرين الثاني

في مثل هذا اليوم من العام ٢٠٠٣ تُوفي رسول حمزاتوف الشاعر الذي كانتْ أروع كتاباته نثراً! «داغستان بلدي» واحدة من أروع الروايات التي يُمكن للمرء أن يقرأها ، حمزاتوف رائع في النظر إلى الأشياء بطريقة مختلفة ، وأروع في جعل الأشياء الحياتية البسيطة مادة أدبية دسمة وهذه برأيي إحدى أهم براعات الكاتب!

هذه مُقتطفات من أدب حمزاتوف :

- يقولون في داغستان : الثور الذي يُحب الخصام يُجمُّ قرناه ، والكلب الذي يعض يُربط بالسلسلة ، لو كان في العالم مثل هذه القاعدة لأصبحت الحياة ميسورة!
- وإنّه لأمر مفهوم ، بعضهم يُحب التفاح ، وبعضهم يُحب الجوز ، التفاح يُنزع عنه قشره عند أكله ، أما الجوز فيجب أن يُكسر ، وهكذا الكتب كل منها يحتاج إلى مُقاربة خاصة ، الجوزة بحاجة إلى كسارة ولا يجوز مُعالجتها بالسكين ، والتفاحة الطرية لا يجوز معالجتها بكسارة ، وكل إنسان حين يقرأ كتاباً يرى فيه عيوبه هو! وماذا في الأمر؟! يُقال أنه حتى ابنة الملا لا تخلو من العيوب ، أما كتابي هذا فحدِّث عنه ولا حرج!
- أكثر السهام دِقة هي سهام أقاربي فهم يعرفون أكثر من غيرهم كيف يُسدِّدون!
- ذات الإبرة التي تخيط ثوب العرس تخيط الكفن!
- كمُسلمين يجب علينا أيضاً اعتناق الإنسانية!
- السلاح الذي تحتاجه مرةً عليك أن تحمله العمر كله!
- إن الإنسان بحاجة إلى عامين ليتعلم الكلام وإلى ستين عاماً ليتعلم الصمت!
- شيئان في الحياة يستحقان المُنازعات الكبيرة ، وطن حنون وامرأة رائعة!
- من خرج يبحث عن الحقيقة حكمَ على نفسه أن يبقى دائماً في الطريق!
- الخنجر الراقد دائماً في غمده يصدأ والفارس الراقد دائماً في بيته يترهّل!
- إذا أطلقتَ نيران مسدسك على الماضي ، أطلق المستقبل عليك نيران مدافعه!

٤ نوفمبر/ تشرين الثاني

في مثل هذا اليوم من العام ١٩٧٦م أُعلن عن وباء انفلونزا الخنازير ، وتمَّ تسويق لقاح له! بعد الشهر الأول على هذا الإعلان ماتَ ٢٦ شخصاً ، واحد مات من المرض ، و٢٥ شخصاً ماتوا بسبب فشل اللقاح!

في نفس العام أضربَ الأطباء في مدينة بوغوتا في كولومبيا لمدة ٥٢ يوماً ما عدا حالات الطوارئ والإسعاف ، فانخفضتْ نسبة الوفيات ٣٥٪!

وفي نفس العام أيضاً أضربَ الأطباء في مدينة لوس أنجلوس الأمريكية عن العمل لمدة خمسة أسابيع فانخفضتْ معدلات الوفيات ١٨٪ وعند انتهاء الإضراب عادتْ نسبة الوفيات إلى ما كانت عليه!

طبعاً لم أكتب هذه المقالة للتقليل من دور الأطباء ولا لتحميلهم سبب موت الناس ، على العكس تماماً هذه المهنة إذا تمّ التعامل فيها على أنها رسالة فهي وظيفة ملائكية لا يتقدّمها إلا وظيفة الأنبياء ووظيفة الأمهات!

الأخطاء تقع في كلٍ مجالات الحياة بدءاً من المستشفيات مروراً بورشات الميكانيك وليس انتهاءً عند ملاعب كرة القدم ، ولكن الفارق أن السيارات لا تموت وإن كنا ندفع ثمن التصليح الذي لم نحصل عليه ، ونحن لا نموت حين يهدر المهاجم فرصة وحده وهو في مواجهة الشبكة ، على أن أسوأ لاعب محترف في الدوري الإنكليزي مثلاً يتقاضى أكثر من أمهر طبيب في بلادنا!

حدّثني صديقي المُمرض عن أطباء يصفون أدوية لمرضى لا يحتاجون لها ولكن يفعلون هذا لأن شركة الدواء تدفع لهم مقابل كل دواء يصرفونه ، بالمقابل أعرفُ طبيباً جراحاً عزم زوجته على مطعم بسبب ذكرى زواجهما ، ووصل متأخراً بسبب حادث حصل أثناء دوامه فاضطر أن يبقى ليُعالج المصابين ، وما كاد يعتذر منها حتى اتصلوا به ليَحضر بسرعة بسبب حالة حرجة فاعتذر منها مرة أخرى وذهب إلى المستشفى ، فتحية للأطباء الإنسانيين!

٥ نوفمبر/ تشرين الثاني

في مثل هذا اليوم من العام ٢٠١٥م أُلقي القبض على المواطن الإيطالي من أصل أوكراني «رومان أوستاريكوف» بسبب سرقة بعض الأشياء من «سوبر ماركت» لأنه كان في حالة جوع خطرة ، فأمسكته الشرطة وعُرض على المحكمة وحُكم عليه بالسجن ستة أشهر وغرامة مئة يورو!

ولكن بعد وصول القضية إلى المحكمة العليا ، قررتْ إلغاء جميع العقوبات عن «رومان أوستاريكوف» لأنه سرقَ بدافع الجوع ، فالأمر ليس جريمة وأمر القاضي بتعويض صاحب «السوبر ماركت» من الدولة ، وقال : نحن في دولة مُتحضِّرة وحق البقاء يفوق حق المُلكية ، وفي دولة مُتحضِّرة لا يجب أن يموت أحد من الجوع حتى أسوأ الرجال!

قبل هذا بألف وأربعمئة سنة سرقَ غِلمان لحاطب بن أبي بلتعة ناقة رجل من مُزينة وذبحوها وأكلوا منها ، وجِيء بهم إلى عُمر بن الخطاب ليقطع أيديهم! فلما نظرَ إليهم وجدهم ضامري الأجسام ، صُفر الوجوه ، فقال : من سيد هؤلاء؟ فقيل له : حاطب بن أبي بلتعة! فقال : جيئوني به ، فلما حضر بين يديه قال له : لقد كدتُ أُنزل بهم العقاب لولا أنّي علمْتُ أنك تُجيعهم ، ولولا أن جاعوا ما سرقوا ، ولن يَنزل العقاب إلا بك!

فسأل المُزني : كم ثمن ناقتك؟

فقال : أربعمئة!

فقال له عُمر : أعطِه ثمانمئة!

وقال للغُملان : اذهبوا ولا تعودوا لمثلها!

السرقة خطيئة لا شك ، ولولا أن الله كرهها ما وضع فيها حداً ، ولكن السارق الحقيقي ليس ذاك الذي يسرق رغيفاً ليأكله ، وإنّما هو ذاك الثري الجشع الذي سرقَ رغيف الفقير فاضطره للسرقة!

اللُّصوص الحقيقيون ليسوا أولئك الذين ليس لهم وسيلة إلا هذا ، وهم خاطئون لا جدال في الأمر ، وإنما هناك من هم أكثر خطأً ألا وهم الذين سرقوا حياة الناس وأعمارهم وأرزاقهم وداسوا الفقراء البُسطاء بأرجلهم ، هؤلاء أولى بقطع أيديهم!

٦ نوفمبر/ تشرين الثاني

في مثل هذا اليوم من العام ١٩٢٤م هاجم الكلب «بيب» قطةً وقتلها!

إلى هنا يبدو الخبر عادياً وتافهاً! ولكن ما هو غير عادي أن القطة كانتْ لزوجة حاكم بنسلفانيا ، أما الأتفه فهو أنهم أقاموا للكلب «بيب» مُحاكمة رسمية وقاضٍ وقاعة محكمة وحضور! وانتشرت القصة في الإعلام ولُقِّب الكلب «بيب» بقاتل بنسلفانيا!

وجّه القاضي إلى الكلب «بيب» تهمة القتل البشع مع سبق الإصرار والترصُّد ، ثم أمر بإيداعه السجن مدى الحياة!

وتمّ إيداع الكلب في السجن المُشدَّد وكانت حيثيات الحُكم كالتالي :

الكلب لم يُظهر على ملامحه أي من مظاهر الشعور بالندم ، الأمر الذي جعلنا نقوم بالحُكم المُشدَّد عليه والحبس مدى الحياة دون الحق بإطلاق سراح مشروط!

عندما قرأتُ الخبر تذكرتُ واقعنا وإلى أي مدى يُمكن للسلطة أن تُسخِّر القضاء للتشفِّي من خصومها!

تذكرتُ شاباً مسكيناً حُكم عليه بالإعدام ، فقال للقاضي : واللهِ أنا بريء!

فقال القاضي : ولكنك اعترفتَ

فقال له : لقد كهربوني بكمية كهرباء تكفي لإنارة البلد كُلها ، يا سيدي القاضي أنا مستعد أدخلك غرفة التعذيب وأكهربك وتخرج تعترف أنك الشخص الذي قتل كليوباترا أو توت عنخ أمون!

إن كان المشهد في بنسلفانيا يُخبرنا إلى أي مدى يُمكن للقضاء أن يكون خاتماً في إصبع السلطة إلا أنه يبقى هزلياً وفكاهياً إذا ما قارنّاه بقصة الشاب الذي بقي المُحقِّقون يُكهربونه حتى اعترف واستُخدِم هذا الاعتراف ضده وتم إعدامه ليتّضح لاحقاً أنه بريء!

وصدق الشاعر حين قال :

إذا خان الأميرُ وكاتباه
وقاضي الأرضِ داهنَ في القضاءِ
فويلٌ ثم ويلٌ ثم ويلٌ
لقاضي الأرض من قاضي السماءِ!

٧ نوفمبر/ تشرين الثاني

في مثل هذا اليوم من العام ١٩٧٧م دخل «راندال آدمز» السجن بتهمة القتل العمد وحُكم عليه بعقوبة مدتها خمسة وعشرين عاماً!

بعد عشرة أعوام على دخول «راندال آدمز» السجن سمعَ بقصته المُنتجِ «موريس» واقتنعَ ببراءته ، وأخرج عنه فيلماً مؤثراً بعنوان «الخيط الرفيع الأزرق» مما كان له أبعد الأثر في إطلاق سراح «راندال»!

وبعد خروج «راندال» من السجن وبدل أن يشكر المنتج على فيلمه الذي أدى إلى إطلاق سراحه رفعَ عليه دعوى قضائية يُطالبه فيها بمبلغ مليون دولار لأنه استخدم قصة حياته في فيلم ، وأخيراً تنازل المخرج لراندال آدمز عن جزء من عوائد الفيلم لم يتم الإفصاح عنها!

بعض البشر عندهم نسبة النذالة في دمائهم أكثر من نسبة الملح في البحر الميت! وبعضهم عنده من الرقي ما يجعلك في ذهول!

راندال آدمز لم يُقدِّر مساعدة موريس له ، بل استغلَّ الأمر مادياً في خطوة حقيرة!

على الجهة الأخرى ، شهدتُ مرةً مُصالحة أو إن شئتَ سمِّها جلسة تحديد مبلغ الدِّية ، حيث قام رجل بدهس طفل خطأً ، كانت الجلسة بعد دفن الطفل بأسبوع ، قام إمام المسجد وتحدّث عن إمكانية القتل الخطأ ، وأنه يحدث ، وأن الدِّية حق أهل القتيل إن شاؤوا!

ثم قام والد الطفل ، وأخرج من جيبه مبلغاً من المال وأعطاه لقاتل ابنه خطأً وقال له : هذا ثمن نقلك له إلى المستشفى ، إنّ ابني مات بقدر الله ، وأنتَ قمتَ بإسعافه ، فهذا ثمن الطريق ، أما لو أنكَ تركته وهربتَ ما كانت الدنيا لتحُول بيني وبينك!

رجلٌ يرفع دعوى قضائية على من خلّصه من السجن ، وآخر يدفع ثمن نقل ابنه إلى المستشفى للرجل الذي دهسه ، ثم يتنازل عن الدِّية!

٨ نوفمبر/ تشرين الثاني

في مثل هذا اليوم من العام ٧٥٧م تُوفي «إبراهيم بن سليمان بن عبد الـملك بن مروان»!

عاش ما يكفي ليشهد سقوط دولة الأمويين وقيام دولة العباسيين ، فاختفى هرباً منهم ، ثم أعطاه أبو العباس السفاح الأمان ، وأنزله في مجلسه وأكرمه ، ثم قال له : يا إبراهيم حدِّثني عن أغرب ما مرَّ بك أيام اختفائك .

فقال : كنتُ مُختفياً في الـحيرة بمنزلٍ مُشرف على الصحراء ، فرأيتُ جماعة حسبتُ أنها تبحثُ عني ، فهربتُ إلى الكوفة ، وأنا لا أعرف من أختفي عنده ، فبقيتُ مُتحيِّراً في أمري ، فنظرتُ فإذا بباب كبير فدخلتُه ، فرأيتُ في الدار رجلاً وسيماً لطيف الهيئة ، فقال لي : من أنتَ؟ وما حاجتك؟

قلتُ : رجل خائف على دمه جاء يستجير بك!

فأدخلَني في منزله ، وواراني في حُجرة ، فأقمتُ آكلُ أحسن طعام وألبس أحسن ثياب ، وهو لا يسألني شيئاً عن حالي ، إلا أنّه كان يركب كل يوم من الفجر ، ولا يرجع إلا قبيلِ الظهر .

فقلتُ له يوماً : أراك تدمن الركوب ، ففيم ذلك؟

فقال : إن إبراهيم بن سليمان بن عبد الـملك قتل أبي ، فأنا أبحثُ عنه لآخذ بثأري منه!

فلما سمعتُ ذلك ضاقت الدنيا في عيني وقلتُ : إني سُقْتُ نفسي إلى حتفها!

فسألته عن اسمه واسمِ أبيه ، فأخبرني ، فعلمتُ صدقه وقد كنتُ قتلتُ أباه!

فقلتُ له يوماً : إنه وفاءٌ لحقك عليَّ أريد أن أدلك على ضالتك!

فقال : وأين هو؟

فقلتُ : أنا إبراهيم!

فتبسمَ وقال : هل آذيناك في شيء حتى تُفضِّل الـموت على جوارنا؟

قلتُ واللهِ أنا إبراهيم ، وقتلتُ أباك في يوم كذا وكذا!

فلما سمع كلامي ، وعلم صدقي ، صمت ساعةً ثم قال : أما أنتَ فسوف تلقى أبي عند حاكم عدل يوم القيامة وأما أنا فلا أخون ذمتي ، ولكن امضِ ولا تقم عندي فإني لا آمن نفسي عليك!

فقمتُ فخرجتُ من عنده حتى جئتُ إليك!

درس عظيم في العفو ، وفي الأخلاق ، وفي احترام الكلمة ، رحم الله زماناً كانت الكلمة قيد الرجل إذا أطلق وعداً التزم به!

٩ نوفمبر/ تشرين الثاني

في مثل هذا اليوم من العام ٢٠١٤م استطاع الهاكر الألماني «جان كرايسلر» أن ينسخ بصمات أصابع وزيرة الدفاع الألمانية من مُجرد صورة فوتوغرافية لها من مؤتمر صحفي كانتْ فيه تشير بيدها ، واستخدم البصمة ليدخل إلى ملفات وزارة الدفاع ، ليُثبت للحكومة الألمانية أنّ عليها أن تحترس أكثر!

«جان كرايسلر» هزم أيضاً نظام بصمة الأصابع الخاصة بشركة آبل بعد ٢٤ ساعة فقط من صدوره وزعمهم أنّه أكثر نظام آمن في العالم ومن المُستحيل اختراقه!

فإذا كان بالإمكان اختراق وزارة الدفاع الألمانية من مجرد صورة ، واختراق نظام البصمة في آبل ، فماذا عن حياتنا الإلكترونية نحن؟! نحن مكشوفون يا سادة!

والشيء بالشيء يُذكر فإن الهاكر «جوناثان جيمس» اخترق حواسيب وكالة الفضاء الأمريكية ناسا ، وعطَّل اتصالها بإحدى المحطات الدولية لمدة ٢١ يوماً بالتمام والكمال!

«كيفن ميتنيك» استطاع خرق أنظمة حواسيب موتورولا ، ونوكيا ، وقام بسرقة أسرارها ، وخلط شبكات التلفونات ببعضها ، وقال بعد القبض عليه ، أنّه كان بإمكانه إشعال حرب نووية من هاتف عام في الطريق ولكنّه لم يفعل!

العبرة من هذا كله ، أن كل بياناتنا هي كالهواء ، يستطيع أياً كان الحصول عليها وهو جالس في غرفته ، هذا بالنسبة للأفراد الذين لا يملكون تمويلاً ، ويعتمدون على جهدهم الذاتي ، برأيكم ما الذي تستطيع الوصول إليه أجهزة الاستخبارات التي تبلغ ميزانيتها مليارات الدولارات وتُوظِّف أكفأ رجال العالم في علم التجسُّس والاتصالات؟!

١٠ نوفمبر/ تشرين الثاني

في مثل هذا اليوم من العام ٢٠١٢م توفي «دون ريتشي» ، ولمن لا يعرفه فإن «دون ريتشي» أُسترالي كان يسكن بجوار أحد الـمُنحدرات الشهيرة التي يأتي إليها الكثير من الناس من أجل الانتحار!

قررَ ريتشي أن يفعل شيئاً حيال الأمر ، وطوال ٤٥ عاماً كان يجلس بصورة مُستمرة قرب الـمنحدر واستطاع خلال هذه السنوات إقناع ١٦٠ شخصاً بالعُدول عن فكرة الانتحار ، وبأهمية الـحياة!

لقَّبه السكان الـمحليون بملاك الـمنحدر ، وحصل عام ٢٠١٠م على مُواطن السنة في أستراليا ، وحصل في العام التالي على جائزة البطل الـمحلي!

أحياناً لا يُريد الناس أكثر من لمسة حانية وكلمة دافئة للاستمرار ، فالناس لا يكرهون الـحياة بقدر ما يكرهون الظروف التي يمُرُّون بها ، حيث تصبح هذه الظروف غولاً يُوشك على ابتلاعهم ، ويتغلّب هذا الغول على أحد أهم غرائز الإنسان ألا وهي غريزة البقاء!

نحن بشر ، ومن الطبيعي ، أن نضعف أحياناً ، ولعلّكم الآن يدور في أذهانكم الأحاديث النبوية الشريفة التي أخبرنا فيها رسول الله ﷺ أن الـمُنتحر في النار ، وهذه أحاديث صحيحة لا مراء فيها ، ولكنها أحاديث لنا كي لا ننتحر إذا ما ضاقت الدنيا بنا!

فماذا عن الدِّين السّمحِ ، والشريعة الرحيمة التي تحُثنا على أن نكون لُطفاء مع الناس! ليس عن عبثٍ كانت الكلمة الطيبة صدقة ، وليس عن عبثٍ كانت الابتسامة في وجه أخيكَ صدقة ، وليس عن عبثٍ أنّ الراحمين يرحمهم الرّحمن ، وليس عن عبثٍ أنّ جبر الـخواطر عبادة ، وليس عن عبثٍ أنّ إماطة الأذى عن طريق القلوب أعظم أجراً وأبلغ أثراً من إماطتها عن طريق الأقدام كما يقول ابن عثيمين في شرح رياض الصالـحين!

ترفّقوا بالناس ، كل إنسان فيه ما يكفيه ، لا تكونوا أنتم والدُّنيا عليهم ، جميعنا ننطفئ أحياناً ، فطُوبى لمن عثر على مُنطفئ فلم يتركه حتى يُشرق!

١١ نوفمبر/ تشرين الثاني

في مثل هذا اليوم من العام ١١٠٥م وُلد ابن عساكر، صاحب الكتاب الشهير «تاريخ دمشق» الذي أمضى حياته كلها في تأليفه حتى غدا أُنموذجاً لمن يُريد التأليف في تاريخ المدن!

الكتاب تُحفة زاخِرة بالأخبار الحُلوة، والطّرائف الجميلة، هذه بعضها:

- قال الفضيل بن عياض لرجل: لأُعلِّمَنّك شيئاً فيه خير الدنيا والآخرة، واللهِ لَئِن علِم الله منك إخراج الناس من قلبك حتى لا يبقى في قلبك مكان لغيره، لم تسأله شيئاً إلا أعطاك!

- قالتْ هند زوجة عبيد الله بن زياد لمّا مات: إني أشتاق إلى القيامة لأرى وجهه! وهذا أبلغ ما قيل في الشوق!

- أصاب العمى الصلتَ بن بسطام، فجلس إخوانه يدعون له عصر الجمعة، وقبل الغروب عطسَ عطسةً فرجع بصره!

- شكا رجل إلى إبراهيم بن أدهم كثرةَ عِياله، فقال له إبراهيم: يا ابن أخي اُنظر في أهل بيتك فمن وجدتَ فيهم من ليس رزقه على الله فابعثه إليّ!

- قال والٍ ظالم لإمام زاهد: ادعُ لي

فقال له: وما ينفعك دعائي لك وحولكَ ألوف يدعون عليك!

- أنشدَ أبو العتاهية في مجلس المأمون:

وإني لُمحتاج إلى ظلِّ صاحب
يروق ويصفو إن كدرتُ عليه

فقال له المأمون: أعطِني هذا الصاحب وخُذْ مني الخلافة!

- إنّ لصاً اقتحم بيتَ عابد فلم يجد شيئاً، فقال له العابد وقد أحسَّ عليه: صلِّ ركعتين إن شئتَ الخير! فصلى.

فسُئل عنه العابد بعد ذلك، فقال: رجل أراد أن يسرقنا فسرقناه!

- إنّ الله أوحى إلى موسى عليه السلام: إني رزقتُ الأحمق لِيَعلَم العاقل أن الرزق ليس باحتيال!

- أوصى أبو الدرداء زوجته قائلاً: إذا غضبتُ فأرضِني، وإذا غضبتِ أرضيتكِ، فمتى لم يكن هذا فما أسرع أن نفترق!

١٢ نوفمبر/ تشرين الثاني

في مثل هذا اليوم من العام ١٩٤٧م بدأت انتفاضة الشوكولا في كندا!

فبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ارتفعتْ أسعار أغلب السِّلع في كندا ، بما فيها سِعر الشوكولا الذي ارتفع ٦٠٪ . فبدأ الأمر بلعبة أطفال ، حيث قام أطفال بلدة تُدعى «ليديسميث» بمُقاطعة شِراء الشوكولا وقاموا بوقفات احتجاج ، فانتشرَ الخبر في كندا كلها ، فقاطعَ الأطفال في كندا كلها الشوكولا!

المقاطعة أدَّتْ لِتَوَقُّف المبيعات ، فرضختْ شركات بيع الشوكولا وأعادتْ الأسعار إلى سابِق عهدها!

والشيء بالشيء يُذكر ، يَروي أبو نعيم في الحُلية أن الناس جاؤوا إلى إبراهيم بن أدهم يشتكون إليه غلاء سعر اللحم عند الجزّارين

فقال لهم : أرخِصُوه أنتم

فقالوا : وهل نملكه حتى نرخصه؟

فقال : اتركوه لهم ولا تشتروه يرخص!

الفكرة مّما سبق أن المُستهلكين متى تفرّقوا كان كل واحد منهم كالغزال أو الجاموس الذي يعزله الأُسود عن القطيع ليفترسوه! ومتى ما كانوا معاً كانوا قوة ضاربة تستطيع أن تفرضَ شروطها!

السِّلعُ تفسد إن بقيتْ عند أصحابها ، وحتى إن كانتْ لا تفسد فإنّ هذه خسارة عليهم ، بينما لن يموت المستهلكون إن توقّفوا عن شراء سِلعة ما ، فعلى سبيل المثال نحن نستحمل مقاطعة اللحم أو البيض لمدة أسبوع ، ولكن تُجار اللحم والبيض لا يستطيعون تحمُّل هذا!

ليتنا نملك جرأة أطفال كندا ، أو فِقه إبراهيم بن أدهم ، لتغيّرتْ أحوالنا كثيراً ، ولكنّنا اعتدنا على التذمُّر والنّدب وهذا العالم لا يستمع إلاّ إلى الأفعال!

١٣ نوفمبر/ تشرين الثاني

في مثل هذا اليوم من العام ٨٨٩م توفي العلاّمة «ابن قُتيبة الديْنوري» صاحب الكتاب الرائع «عيون الأخبار» .

قال عنه الذهبي في سير أعلام النبلاء : ابن قُتيبة من أوعية العلم ومن رؤوس الـحُفَّاظ!

وقال عنه ابن تيمية : ابن قُتيبة عند أهل السُّنة كالـجاحظ عند الـمُعتزلة!

وقال عنه ابن كثير في البداية والنهاية : ابن قُتيبة رأس في اللغة ، وعَلَم في الأخبار!

وقال عنه ابن حجر : كان ابن قُتيبة ثقة في دينه وعلمه!

هذه طائفة أخبار رواها ابن قُتيبة في عُيون الأخبار :

- قال رجل لابن شبرمة : فعلتُ بفلان كذا ، وأعطيتُ لفلانٍ كذا

فقال له : لا خير في الـمعروف إذا أُحصيَ!

- قال ابن عباس : صاحب الـمعروف لا يقع ، فإن وقع وجد مُتَّكأً!

- قال زيد اليامي : أسكتَتْني كلمة ابن مسعود عشرين سنة ، قال : من كان كلامه لا يُوافق فعله فإنما يُوبِّخ نفسه!

- قال رجل لحُذيفة بن اليمان : أخشى أن أكون منافقاً

فقال له : لو كنتَ منافقاً ما خشيتَ!

- لما جِيء لعُمر بن الـخطاب بكنوز كسرى ، جعلَ يُقلِّبها بين يديه ويقول : إن قوماً أدُّوا هذا لأُمناء!

فقال له علي بن أبي طالب : يا أمير الـمؤمنين ، عففتَ فعفُّوا ، ولو رتعتَ لرتعوا!

- قال علي بن أبي طالب : عجبتُ لمن يهلك ومعه النجاة

فقيل له : وما النجاة يا أمير الـمؤمنين؟

فقال : الاستغفار!

١٤ نوفمبر/ تشرين الثاني

في مثل هذا اليوم من العام ٨٤٠م تُوفي ثمامة بن الأشرس، كان من رؤوس الـمُعتزِلة غفر الله لنا وله!

كان بارعاً في اللغة، حافظاً للأخبار، أكثر الـجاحظ من الرواية عنه، في تُحفتيْهِ «الـحيوان» و «البيان والتبيين» فكان كثيراً ما يقول «حدّثنا ثمامة، وأخبرنا ثمامة، وقال ثمامة»!

روى عنه الـجاحظ أنّه قال:

دخلتُ مرةً إلى صديق أعودُه، وتركتُ حماري عند الباب، فلما خرجتُ وجدتُ فوقه صبياً، فقلتُ له: أتركبُ حماري بغير إذني؟!

فقال: خفتُ أن يذهب فحفظته لك!

قلتُ: لو ذهبَ كان أحبّ إليّ من بقائه تحتك!

فقال لي: فاعتبر أنه قد ذهبَ وهَبْهُ لي! فلم أدرِ ما أقول!

لا تستهينوا بالصبيان، هناك تتفتّح النُّبوغات وتظهر أُولى علامات الدَّهاء!

قال الأصمعي: قلتُ لغلامٍ حدث السن من أولاد العرب: أَيَسُركَ أن يكون لكَ مئة ألف درهم وأنّك أحمق؟

فقال: لا والله!

فقلتُ: ولِمَ؟

قال: أخاف أن يجني عليَّ حمقي جناية تذهب بمالي ويبقى عليّ حمقي!

ودخلَ الرشيد على صبي في الرابعة من عمره، فقال له الرشيد: ما تحبُّ أن أهبَ لكَ يا غلام؟

فقال له: هبني حُسنَ رأيك!

والتقى الـمعريُّ بغلام صغير، فقال له الغلام: أأنتَ القائل:

إني وإن كنتُ الأخير زمانه
لآتٍ بما لم تستطعه الأوائل

فقال: أجل، أنا قلتُ هذا

فقال له الغلام: فإن الأوائل جاؤوا بثمانية وعشرين حرفاً، فهلا جئتَ أنتَ بحرف جديد!

١٥ نوفمبر/ تشرين الثاني

في مثل هذا اليوم من العام ٦٦٩م وُلد إياس بن مُعاوية ، وكان واحداً من أذكياء الدنيا ، وأُعجوبة من أعاجيب القضاء!

دخلَ إياس بن معاوية على عبد الملك بن مروان يوم كان ولياً للعهد لم يتولَّ الخلافة بعد ، وكان إياس يومئذ فتى يافعاً لم يتجاوز السادسة عشرة ، فوقف بين يديه ووراءه أربعة من القُرَّاء طوال اللِّحى ، فاستصغره عبد الملك ، وقال له بما يشبه الاستهزاء :

كم سنك يا فتى؟ هلاّ تقدم غيرك؟!

فقال له إياس : أطالَ الله بقاء الأمير ، سِنِّي كَسِن أُسامة بن زيد حين ولاّه رسول الله ﷺ على الجيش وفيه أبو بكر وعمر!

ودخلَ وهو صبيٌّ على قاضي دمشق ومعه شيخ يشكوه ، وقال : أصلحَ الله القاضي ، هذا الشيخ ظلمني!

فقال له القاضي : أرْفِقْ به ولا تستعجل الشيخ بمثل هذا الكلام!

فقال له إياس : أصلحَ الله القاضي ، الحق أكبر مني ومنه!

فقال له : اسكتْ!

فقال : إن سكتُّ فمن يقوم بِحُجّتي؟

فقال له القاضي : واللهِ ما أظنك تتكلم بخير

فقال له إياس : لا إله إلَا الله ، أتعرفُ خيراً أكثر منها!

فسكتَ القاضي واستمعَ إليه!

هذا حاله وهو صبي ، فكيف حاله وقد بلغ مبلغ الرجال!

عابَ عليه الناس أنه يُسرع في إصدار الحكم ، فجاؤوا إليه يُفاتِحونه في الموضوع ، فلمّا سمع مقالتهم ، قال للذي نطق باسمهم : كم إصبعاً في يدك اليُمنى؟

قال : خمسة أصابع

فقال له إياس : أراك أجبتَ بسرعة ولم تتريّث

فقال الرجل : لا يتريثُ المرءُ فيما يعلمه علم اليقين

فقال له إياس : واللهِ إني لأعلمُ فيما أقضي فيه علمك أن أصابع يدك اليُمنى خمسة!

١٦ نوفمبر/ تشرين الثاني

في مثل هذا اليوم من العام ٨١٤م تُوفي أبو نواس أحد أساطين الشعر العربي على مرِّ التاريخ ، أكثرَ من شعر الخمر ، وشربها طوال حياته ، وقالوا أنّه تابَ في آخر أيامه ، ونقلوا عنه أبياتاً عذبة في التوبة ، غفر الله لنا وله .

كان ظريفاً ، خفيف الدم ، حُلو الدعابة ، ويُروى عنه الكثير في هذا المجال ، هذا بعضه :

خرجَ الشاعر الرقاشي يوماً من دار الخلافة ، فوجدَ أبا نواس عند الباب ، فأراد أن يسخر منه ، فقال له : أبشِر يا أبا نواس لقد ولاّك الخليفة ولاية!

فقال له أبو نواس : ويحكَ ماذا ولاّني؟

فقال الرقاشي : ولاّك على القردة والخنازير

فقال له أبو نواس : إذاً أَسْمعْ وأَطعْ!

وقال يذمُّ الفضلَ لبخله :

رأيتُ الفضلَ مكتئباً
يُناغي الخبز والسمكا
فأسبلَ دمعة لمّا
رآني قادماً وبكى
فلما حلفتُ له
بأني صائم ضحكا

ويُقال أن المأمون أنشدَ قصيدة أمام مدعُوِّيه وحاشيته وكان بينهم أبو نواس ، فأثنى الجميع على الخليفة ، إلا أبا نواس قال له : لا أشم فيها رائحة البلاغة!

فغضبَ المأمون منه غضباً شديداً ، وأمرَ أن يُحبس في الإسطبل مع البهائم شهراً كاملاً علّه يتأدّب!

بعد شهر عادَ أبو نواس إلى مجلس المأمون ، وقام المأمون يُلقي قصيدته ، وبينما هو يُلقيها ، قام أبو نواس ، ومشى

فقال له المأمون : إلى أين يا أبا نواس

فقال له : إلى الإسطبل يا مولاي!

أما الأبيات التي قِيل أنه تاب فيها فهي :

يا رب إن عظمت ذنوبي كثرةً

فلقد علمتُ أنّ عفوك أعظمُ

إن كان لا يرجوك إلا محسنٌ

فبمن يلوذُ ويستجيرُ المجرمُ؟!

١٧ نوفمبر/ تشرين الثاني

في مثل هذا اليوم من العام ٢٠١٣م أشعلت الأمريكية «كاتي جونسون» النار في غابة وذلك للترفيه عن صديقها رجل الإطفاء الذي يشعر بالـملل لِقلة الـحرائق!

كانت نيّة «كاتي» أن تُرفِّه عن رجل إطفاء واحد، ولكن الترفيه شملَ كل رجال الإطفاء في ولاية أوريغون الأمريكية، حيث شبَّت النار بشكل مجنون وأكلتْ ثمانين ميلاً مربعاً بالتمام والكمال، واستمرَّ رجال الإطفاء يترفّهون لمدة أسبوعين وتكلّفت الدولة ثمانية ملايين دولار!

ومن الـحُب ما أحرق!

يختلفُ الناس في طريقة تعبيرهم عن الـحُب، بعضهم رومانسي جداً يُضيء الشموع لأنه لم يُجرِّب أن يعيش مثلنا دون كهرباء فتصبح الشمعة في ذهنه لها مفهوم الفساد والـحرمان لا الرومانسية!

وبعضهم يشتري الهدايا بكثرة، ولا ينسى الـمناسبات الـخاصة، والـمناسبات الـخاصة تهم النساء عادة أكثر مّما تهم الرجال، فعيد الزواج عند الـمرأة أشبه بيوم الاستقلال عند الدولة لا يجب أن يمر مرور الكرام، أما عند غالبية الرجال فهو يوم عادي لا يستحق الاحتفال، ولكن بعضهم يحتفل من باب سد الذرائع، ودفع الشر الـمُترتِّب على عدم الاحتفال، عملاً بالقاعدة الفقهية ارتكاب أخف الضررين!

بعضنا يُحبُّ كثيراً ولكنه لا يُجيد التعبير بالكلام، يترك هذا للمواقف، وكلٌّ بحسب ثقافته وخلفيته، فجداتنا يُعبرن عن حبهن بإعطاء الـجد أكبر قطعة من لحم الفروج، وهذا عندهن بمثابة قصيدة كانت تُهديها ليلى الأخيلية لتوبة بن الـحُمير! ورجال الـجيل القديم كانوا أشداء لا يُظهرون حنانهم إلا انفلاتاً، فترى أحدهم حين يسألها عن حالها كأنّه ابن زيدون يستعطفُ ولادة بنت الـمستكفي! على أنّه والـحق يُقال أن حبهم على ما يبدو في ظاهره جاف إلا أنه كان حقيقياً، وكانت الـمرأة وإن عانتْ من الـجفاف في الكلمة الـحلوة والاهتمام، تعرف أن إلى جانبها رجل يحرق الدنيا كلها في سبيل خاطرها!

وبعضنا قد يشعل غابة! والـجنون فنون!

١٨ نوفمبر/ تشرين الثاني

في مثل هذا اليوم من العام ١٩٤٤م وُلد الضابط الأمريكي الشهير «روبرت هانسن» .

عمل هانسن في مكتب التحقيقات الفيدرالي FBI لسنوات ٍطويلة ، وفي العام ١٩٨٧م وأثناء ذروة الحرب الباردة بين أمريكا والاتحاد السوفياتي ، تم تكليفه بإيجاد الجاسوس في المكتب ، فقد كان قادة مكتب التحقيقات الفيدرالية على يقين أن ثمة جاسوس بينهم يعمل لصالح السوفيتيين!

أمضى هانسن وقتاً طويلاً يُحاول القبض على الجاسوس ولكن دون جدوى ، وفي العام ٢٠٠١م اكتشف مكتب التحقيقات الفيدرالي أن هانسن هو الجاسوس!

وهكذا انطبق عليه مثل جدتي «حاميها حراميها»!

ذكرتني هذه القصة بشيء كنتُ قد قرأته سابقاً عن شرطي في جنوب أفريقيا ، اسمه «أندريه ستاندير» كان يسرق البنوك والمحال التجارية وقت استراحة الغداء ، ثم يعود بعد الغداء ليُحقِّق في سرقاته! وكان كل مرة ينجو من القبض على نفسه!

مشكلة كبيرة حين يكون الرجال المسؤولون عن مكافحة الفساد فاسدين!

مشكلة كبيرة حين تنتظر الإعلام ليُخبرك بالحقيقة دون أن تعرف أنّ كثيراً من الإعلاميين يتقاضون رواتبهم لإخفاء الحقيقة لا لإظهارها!

هذا العالم مجنون يا سادة ، مجنون مع مرتبة الشرف!

الطبيب الذي نهى صديقي عن التدخين كان ينفث وقتها دخان سيجارته!

حتى الطباخ الذي شاهدته الأسبوع الماضي رغماً عني مع زوجتي كان برنامجه مخصصاً للأطباق الصحية بينما وزنه أكثر من مئة وعشرين كيلوغراماً!

الفكرة من كل هذا أنه يجب علينا أن لا نكون طيبين زيادة عن اللزوم ، رغم أنه لا بأس أن نسمع النصيحة الجيدة وإن كان أصحابها لا يلتزمون بها ، فالمُرشد الأُسري الذي كاد يُطلِّق نصف سكان المدينة وهو يُحدِّثهم كيف يجب أن يُعامل الرجل زوجته تبيّن لاحقاً أن زوجته قد طلبتْ الطلاق منه لأنه عصبي المزاج ولا يُعاش معه!

١٩ نوفمبر/ تشرين الثاني

في مثل هذا اليوم من العام ١٩٦٣م وُلد «غاري كريمن» مؤسس موقع «Match» للتعارف .

والـموقع يقوم على فكرة إتاحة الـمجال للرجال والنساء للبحث عن شركاء لحياتهم . ولكن كما يقول الـمصريون في مثلهن العامي «طبَّاخ السِّم يذوق منه» فقد اكتوى «غاري كريمن» بالنار التي أشعلها!

عندما افتتحَ موقعه طلب من حبيبته تجربة الـموقع ، لتُعطيه رأيها فيه ، فتعرَّفتْ هناك على رجل ، سرعان ما أحبّته ، وتركتْ غاري كريمن وموقعه وذهبتْ لتتزوج بالرجل الـجديد الذي تعرفت عليه!

الغريب في الأمر أن «غاري كريمن» عقدَ مُؤتمراً صحفياً ليُعلِّق على الـموضوع وقال أنه لا يشعر بالـحزن أبداً على ما حدث له مع حبيبته ، بالعكس تماماً ، ما حدث يُثبت أنّ موقعه ناجح ، وأنه سيُمكِّن الآخرين من العثور على أزواج وزوجات كما حدث مع حبيبته!

كواحد من الذين لا يُؤمنون بالـحب الإلكتروني أجد فكرة هذه الـمواقع عبثية وغير جدية ، وأن من بين عشرات علاقات التعارف تنتهي علاقات لا تتجاوز أصابع اليد الواحدة بالزواج ، غالباً يلجأ الناس إلى هذه الـمواقع للتسلية وتمضية الوقت ، أو للتعويض عن فشل في الـحياة الواقعية! الشخص السَّوي برأيي –وقد أكون مخطئاً– يكفيه من الناس ما يعرف في الـحياة الواقعية!

حتى الأشخاص الذين نعرفهم عن كثب ، علينا أن لا نجعلهم أشخاصاً إلكترونيين ، بمعنى أنّ في اللقاءات الـمباشرة دفء لا تُوفِّره كل مواقع التواصل وبرامجه ، تخيّل أن البعض يعتبر أن صباح الـخير لأمه في الواتساب تكفي كواجب للبِر ، حين تفصلنا الـمسافة عن أمهاتنا وأحبابنا تسدُّ لقمة إلكترونية جوع اللقاء الواقعي ، أما عندما يفصلنا عن أمهاتنا وآبائنا وعائلاتنا مسافة قليلة فالـحُب الإلكتروني ضرب من ضروب العقوق ، لا شيء يعدل أن تطبع على يد أمك قُبلة!

٢٠ نوفمبر/ تشرين الثاني

في مثل هذا اليوم من العام ١٩٣٥م استشهدَ عز الدين القسام ، رجل الدين السوري روى بدمائه تراب فلسطين وهو يُقاوم الاحتلال الإنكليزي ، مُعطياً هذه الأُمّة درساً عملياً في شرح سورة الأنفال!

عز الدين القسام لم يكن أول الفقهاء الذين خرجوا للجهاد ، ولن يكون الأخير ، هذه الأمة تعرف جيداً أن الذي فرضَ عليها الصيام ، هو الذي فرضَ عليها القتال ، وأن الجهاد عِبادة لا تقل عن الصيام والحج أهمية ، ولستُ أبالغ إذ أقول أن التاريخ أثبتَ أن الله حفظَ لهذه الأُمّة صيامها وحجها بجهادها!

إن فكرة مأسسة الدين ، أي جعله مؤسسة ، وجعل رجال الدين أصحاب مناصب فخرية ومقامات هي فكرة مقيتة جداً ، فالأصل أن الإنسان كلّما تعلّم وتفقّه صار أكثر التزاماً بدينه ، لا العكس ، أي أنه كلما تفقّه انسلخ عن واقع أُمّته ، كان سالم مَوْلى أبي حذيفة يقول للصحابة في المعركة : بئس حامل القرآن أنا إن أُوتيتم من قبلي ، وعلى أبواب القُسطنطينية استشهد أبو أيوب الأنصاري ، وحاصر الجليد عبد الله بن عُمر أشهراً في تركمنستان ، وعلى هذا الطريق سار العِز بن عبد السلام ، والنووي ، وابن تيمية ، وابن القيم ، وعبد الحميد بن باديس ، وعُمر المختار ، وهذه أُمّة لا يُحصي إلا الله عدد أبطالها الفقهاء!

ليس تقليلاً من قيمة الفقه والإفتاء وتعليم الناس والاهتمام بالحديث ، ولكن إعلاءً للجِهاد هذه العبادة التي صار المفهوم الشائع عنها أنّها لعوام الناس وأن للفُقهاء الكراسي والمنابر والخطابة والإفتاء ، إنّ قيمة العالم والفقيه والمُفكّر والمُؤلِّف هي بمدى ارتباطه بهموم أُمّته وواقعها لا في العيش بين صفحات الكتب ، وإن ثمة لحظات تمر بالأمة يصبح فيها دم الشهداء أثمن من حبر العُلماء ، فهنيئاً لمن جمعَ المجدين معاً ، ورحم الله عز الدين القسام!

٢١ نوفمبر/ تشرين الثاني

في مثل هذا اليوم من العام ٧٢٠م تُوفي «كلثوم بن الأغر» ، كان قائداً في جيش عبد الـملك بن مروان ، وكان الـحجاج بن يوسف الثقفي لا يُحبه ، فدبَّر له مكيدة عند عبد الـملك انتهتْ أن حكم الـخليفة على كلثوم بالإعدام!

فذهبتْ أم كلثوم إلى عبد الـملك تستسمحه أن يعفو عن ابنها فاستحى منها لأنها كانتْ يومها قد جاوزتْ الـمئة عام من عمرها ، فأخبرَها عبد الـملك أنه سيجعل الـحجاج يكتب ورقتين ، في الأولى يُقتل ، وفي الثانية لا يُقتل ، وأنّ على كلثوم أن يختار واحدةً ، وبناءً على هذا سيتحدّد مصيره!

طلبتْ الأم من عبد الـملك أن يسمح لها بمُقابلة ابنها فوافق ، فأخبرتْهُ أمه بالذي دار بينها وبين عبد الـملك ، فقال لها لا تقلقي سيُنجيني الله منه!

وكان كلثوم ذكياً داهية ، علِم أن الـحجاج سيكتب يُقتل على الورقتين ، وعندما حان موعد القصاص ، واجتمع الـخليفة والناس ، تقدّم الـحجاج حاملاً الورقتين في كف يده ، وطلبَ من كلثوم أن يختار واحدة ويقرأ مصيره ، فما كان من كلثوم إلا أن أخذ ورقة ووضعها في فمه وابتلعها ، ثم قال للخليفة أكلتُ هذه وفيها مصيري ، لنقرأ ما في يد الـحجاج ، وتعرف أي مصير قد اخترتُ لنفسي! ثم مدَّ يده وفتح الورقة الـمُتبقِّية فإذا فيها يُقتل ، وهكذا لم يشك الـخليفة أنه اختار الورقة التي كُتب فيها لا يُقتل ، وعفا عنه!

وتقتضي أمانة النقل أن أقول أن هذه القصة على انتشارها في كثير من كتب التراث إلا أن حول صحتها كلام كثير ، فإن صحّت فإن فيها درساً عظيماً نجده في قول الله تعالى ﴿ومن يؤتَ الـحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً﴾ وقال الله الـحكمة ولم يقل العلم ، لأن الـحكمة هي الاستخدام الأمثل للعلم ، فكم من عالِم لم ينفعه علمه!

وإن لم تصح تبقى خبراً تاريخياً طريفاً ، لن يُقلل من ظلم الـحجاج وتجرأه على الدماء ، ولن يُقلل من ذكاء كلثوم بن الأغر ، فقد ضُرب فيها مثلاً لما عُرف عنه من الذكاء والـحكمة!

٢٢ نوفمبر/ تشرين الثاني

في مثل هذا اليوم من العام ٢٠١٢م حصل «يانج يوانجنج» من شركة «Lenovo» على ثلاثة مليون دولار فوق مرتبه الشخصي كمُكافأة له على زيادة المبيعات ، ولكن يانج بدلاً من أن يأخذها لنفسه أعادَ توزيعها بالتساوي على عشرة آلاف موظف في الشركة يعملون تحت إدارته لأنهم بنظره أحق بهذه الأموال منه ، فهُم السبب الرئيس لنجاح الشركة وهُم الذين يتكبّدون عناء العمل وجني الأموال ، وأن عملهم لا يقلّ أهمية عن عمله!

وفي السنة التي بعدها حصل على نفس المبلغ وأعاد توزيعه على جميع موظفي الشركة!

يُعجبني هذا النوع من المُدراء الذين لا ينسون جهود الآخرين مهما كانت ضئيلة ، وأن نجاحهم الكبير ما هو إلا تضافر جهود صغيرة خلف الكواليس لم يرها الناس ، فنحن للأسف لا نرى إلا من هم فوق القمة وننسى تلك الأكتاف والأيدي التي رفعت هؤلاء ، ولكن ما يضرهم أن ننساهم نحن ، المهم أن لا ينساهم مُدراؤهم!

والشيء بالشيء يُذكر ، منذ شهرين تقريباً تم تتويج «يورغان كلوب» مدرب فريق ليفربول الإنكليزي بلقب أفضل مدرب في العالم ، بعد التتويج ألقى يورغان كلمة قال فيها :

يجب أن أشكر العديد من الأشخاص ، وأول من يستحقون الشكر هم أفراد عائلتي ، وينبغي أن أشكر لاعبي فريقي ، فقدرات اللاعبين هي التي تُمكِّن المدرب من تحقيق الفوز ، فشكراً لهذه المجموعة الرائعة من اللاعبين ، كما أشكر جميع أعضاء الجهاز الفني الذين يعملون معي هم في هذا التّتويج ولولاهم ما كُنت هنا اليوم!

٢٣ نوفمبر/ تشرين الثاني

في مثل هذا اليوم من العام ١٩٣٣م وُلد علي شريعتي، أحد القلائل الذين استطاعوا التجرُّد من هوى المذاهب، وكان ينتقد ما أسماه «التشيُّع الصفوي» و«التسنُّن الأموي»!

علي شريعتي المُفكِّر المُثير للجدل في حياته وموته، الفارسي العِرق الذي قَفَزَ عن عرقه، والشيعي المذهب الذي رفضَ أن يتمذهب، كان نصيبه أن الشيعة رفضوه والسُّنّة لم يقبلوه! وعن نفسه يقول: أنا عند الشيعة سُني، وعند السُّنة شيعي، وعند المُنحلِّين مُتزمِّت، وعند المُتزمِّتين مُنحل، إن المُفكِّر الحُر يصعُب تصنيفه!

من أقوال علي شريعتي الجميلة:

- قلتُ لصديقي: لماذا لا يصيح ديككم؟ فقال: اشتكى منه الجيران لأنه يُوقظهم فذبحناه! هنا فهمتُ أن من يُوقظ الناس هناك من يُريد قطع رأسه!
- أن تُمضي وقتك محاولاً دخول الجنة خير من أن تُمضيه محاولاً إثبات أن غيرك سيدخل النار!
- أعجبُ ممن يرزحون تحت سِياط الظُلم ويبكون الحسين الذي عاش حراً ومات حراً!
- الشهداء وحدهم المخلوقات التي تُولد ولا تموت!
- إن لم يكن الشعب على وعي وثقافة قبل الثورة فلا يَلُم أحداً عندما تُسرق ثورته!
- المرأة التي تقضي سنة تتحدّث بشأن جهازها وتُساوم في مهرها والجواهر التي تُهدى إليها ما تزال جارية بالمعنى الكامل للكلمة!
- إذا كنتَ لا تستطيع رفع الظلم فأخبر الناس عنه على الأقل!
- كُلُّ استعمار خارجي يسبقه بالضرورة استحمار داخلي!
- أبي اختار لي اسمي، وأسلافي اختاروا لي عائلتي، هذا يكفي، سأختار أنا طريقي!
- حرية المرأة لا تعني أبداً تحرُّرها من الملابس، إن حرية المراة تعني حرية الاختيار وحرية التفكير وحرية الحياة!

٢٤ نوفمبر/ تشرين الثاني

في مثل هذا اليوم من العام ٨١٣م وُلد «أبو بكر بن عياش» ، كان عالِماً بالقرآن ، فقيهاً ، مُحدِّثاً ، ولكنه عُرف بالقرآن فهو أحد رواة القُراء السبعة ، ويا لها من شهرة! وهو صاحب القول الشهير : ما سبقكم أبو بكر وعمر بكثير صيام ولا صلاة ولكن بشيءٍ وقرَ في الصدر!

قال عنه الإمام أحمد : صاحب قرآن وخير!

وقال عنه ابن المبارك : ما رأيتُ أحداً أسرع إلى السُنة من أبي بكر بن عياش!

يقول أبو بكر بن عياش :

كنتُ وأنا شاب إذا أصابتني مصيبة تصبَّرتُ لها ، ورددتُ البكاء عن نفسي ، فكان ذلك يُوجعني ويَزيدني ألماً! حتى رأيتُ يوماً أعرابياً وقد اجتمع الناس حوله ، وإذا هو ينشد :

خليليَّ عُوجا من صدور الرَّواحل
بجمهور حزوى وأبكيا المنازلِ
لعلَّ انحدار الدمع يُعقبُ راحة
من الوجدِ أو يشفيَ بَخِيَّ البلابلِ

فسألتُ عنه فقيل : هذا هو الشاعر ذو الرِّمّة .

فأصابتني بعد ذلك مصائب ، فكنتُ أبكي منها فأجدُ بعد البكاء راحةً ، وأقول في نفسي : سبحان الله ، ما أبصرَ هذا الأعرابي وما أعلَمَه!

يحسبُ البعض أن البكاء دليل ضعف وهذا من أقسى ما يظنه الناس ، إن البكاء دليل إنسانية ، وسلامة الشعور ، المهم أن لا يذرف الإنسان دمعته في موضع الشماتة!

ولو كان حبس الدموع دليلاً على الرجولة لما بكى رسول الله ﷺ وهو سيد الرجال ، ولكنه كان رقيق القلب ، تجري دمعته من عينه في موقف الحزن ، وبأبي هو وأمي يوم موت ابنه إبراهيم يبكي أمام الناس ، حتى قال له ابن عوف : وأنتَ يا رسول الله؟!

فقال : إن العين لتدمع ، وإن القلب ليحزن ، وإنا على فراقك يا إبراهيم لمحزونون ، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا ، إنا لله وإنا إليه راجعون!

٢٥ نوفمبر/ تشرين الثاني

في مثل هذا اليوم من العام ١٨٩٤م وُلد الممثل الأمريكي الكوميدي «جاك بيني» ، كان خفيف الظل ، مرحاً إلى أبعد حد ، وأكثر أدواره شهرة هو شخصية بيني البخيل وقد أدّى هذا الدور طيلة تسعة وثلاثين عاماً!

بعد وفاة جاك بيني بسرطان البنكرياس عام ١٩٧٤م فُوجِئتْ زوجته أن هناك شخصاً مجهولاً يضع لها وردةً على باب منزلها كل يوم ، وبعد التحرِّي عن الأمر أخبرها بائع محل الزهور أن زوجها قبل وفاته اتخذَ ترتيبات كاملة بالدفع مُسبقاً ليتم إرسال وردة لها كل يوم إلى باب بيتها ولبقية حياتها تعبيراً عن حُبه لها!

بعض الحُب لا يموت وإن مات أصحابه!

قبل هذا بألف وأربعمئة سنة ، خلعَ رسول الله ﷺ رداءه ليجلس عليه نسوةٌ عجائز ، وقال لمن حوله يُبدِّد استغرابهم : هؤلاء صُويحبات خديجة!

وكان يذبحُ الشاة ، ويأمر بتوزيع لحمها ، ثم يُوصي : أعطوا منها صُويحبات خديجة!

تأتيه امرأة فيُكرمها ، ويُبرِّر حفاوته بها قائلاً : كانتْ تأتينا زمن خديجة!

كان يُؤرِّخ عمره بها ، زمن خديجة!

واستأذنتْ هالة بنت خُويلد أخت خديجة على رسول الله ﷺ ، فعرفها من صوتها ، وتذكر استئذان خديجة ، وارتاحتْ نفسه ، وقال : اللهم هالة!

فكانتْ عائشة تغار وتقول : كأن لم يكن في الدنيا إلا خديجة!

فيقول : إنها كانت ، وكانتْ ، وكان لي منها ولد!

ويوم قالتْ له : أما زلتَ تذكر خديجة وقد أبدلكَ الله خيراً منها؟

قال يحفظُ لها مكانها في قلبه : واللهِ ما أبدلني الله خيراً من خديجة!

٢٦ نوفمبر/ تشرين الثاني

في مثل هذا اليوم من العام ٢٠١١م أُدين المجرم «أندرياس بريفيك» بقتل تسعة وستين طفلاً، وعندما سُجن قام بالإضراب عن الطعام لأن زنزانته لم تُعجبه!

ولعلَّ هذا أشهر ما قرأته في البجاحة!

بعض الناسِ على مستوى من البجاحة وقلة ماء الوجه بشكل مُثير للاستغراب، فعدو الإنسانية هذا بدل أن ينطمَّ ويخرس، تجد أن عينه قوية، ويُضرب عن الطعام مطالباً بزنزانة خمس نجوم!

الناس البجحة كثيرة للأسف، نُصادفهم كل يوم، في حاراتنا، ومكان أعمالنا، في وسائل المواصلات، والمدارس والجامعات والمستشفيات، وسدة المسؤولية، وحتى في المساجد! البجحون في كل مكان كالهواء!

ترى الواحد منهم ينهش لحمك ثم يأتيك يُعاتبك أنك قلتَ له مرحباً بغير نفس! يا أخي هذه التحية التي ألقيتُها عليكَ دون نِفس بسبب تربيتي، ولو كنتُ سأُعاملك بقدر تربيتك لصفعتُكَ كلما رأيتكَ!

ترى الواحد منهم يتملّق المُدير على ظهرك، يشي بك عنده، ثم يُطالبك بحق الزمالة! إحدى مشاكل الناس في هذا العصر أنهم يُريدون حقوقهم كاملة دون أن يقوموا بأي من واجباتهم!

كانت لي صداقة مع رجل كبير في السن تعرفتُ به في المسجد، وكان الرجل طيباً قريباً من القلب، فأحببتُه وأحبني، وكان له ولد عاق على عكس إخوته، ثم إن الأب قرر أن لا يُعطي ابنه من ماله أكثر ممّا له من الميراث عكس إخوته الذين أعانهم في أمور دنياهم، فجاءني ابنه يطلب وساطة مني عند أبيه، وقال لي: لا يجوز لأبي أن يفعل هذا!

فقلتُ له: على سيرة لا يجوز، هل يجوز أن تفعل كذا وكذا وكذا؟!

فسكتَ ولم يتكلم!

فقلتُ له: اذهب إلى أبيك واستسمحه، وكنتُ أتمنى لو أنه عزَّ عليك غضبه عليك بدل أن يعز عليك أنك تريدُ أن ترثه حياً!

٢٧ نوفمبر/ تشرين الثاني

في مثلِ هذا اليوم من العام ٨٣٣م توفي «ابن الجزري» شيخ قُرّاء الشام في عصره ، حفظَ القرآن ابن ثلاثة عشر عاماً ، وأمَّ الناس فيه وهو ابن أربعة عشر عاماً ، ترك خلفه تسعين مُؤلَّفاً ، على أنّ مؤلّفاته في التجويد وفنون القِراءات هي أشهرها ، وبهذا المجال عُرف ابن الجزري رحمه الله .

يقول الإمام ابن الجزري عن إحدى رحلاته :

استأذنتُ والديّ في العودة إلى الديار المصرية ، فلم يسمحا بفراقي ، فمكثتُ في الشام!

والقصة أن ابن الجزري إمام القُرَّاء في زمانه كان قد زار «مصر» ثم عاد إلى الشام ، فتاقتْ نفسه مرة أخرى إلى مصر ، فاستأذن والديه ، فلم يأذنا له ، فبقي في الشام!

يا لهذا البِر ، ويا لهذا الابن ، على علو قدره بين الناس ، إلا أنه كان يتعامل مع أبويه كأنه ما زال صغيراً يجب أن يستأذن قبل أن ينطلق ، ولم يكن الاستئذان من باب جبر الخواطر ، بل كان طلباً رسمياً ، فلمّا لم يحصل عليه ألغى فكرة السفر كلها!

والشيء بالشيء يُذكر ، يقول الإمام الذهبي النبيل صاحب التحفة سير أعلام النبلاء :

اشتقتُ إلى شيخي الفاضلي ، وازددتُ تلهُّفاً لِلُقياه ، ولكن الوالد لم يُمكِّنني من السفر!

الذهبي ، مالِئ الدنيا علماً ، الفقيه الذي يأتيه الناس من البلاد البعيدة لِلُقياه ، والمُؤرِّخ الذي يطلبه الخلفاء ، والمُحدِّث الذي لا يستغني عنه الفقهاء ، يترك السفر لأن الوالد لم يأذن!

الله الله في الوالدين!

٢٨ نوفمبر/ تشرين الثاني

في مثل هذا اليوم من العام ١٩٧٧م تُوفي الشيخ «عبد الـحميد العبار» صديق عُمر الـمختار ورفيق درب الـجهاد ومُقارعة الاستعمار الإيطالي .

تقلَّد بعد الاستقلال مناصب رسمية رفيعة منها رئاسة مجلس الشيوخ الليبي ، وسافر إلى أمريكا سنة ١٩٤٩م للمُشاركة بجلسة الأمم الـمتحدة ، التي طالب فيها الليبيون بالاستقلال ، فقال لهم الرئيس الفرنسي «فرانسوا فينسنت أوريول» :

أنتم رُعاع ولا تستحقون الاستقلال!

فقال له الشيخ عبد الـحميد : نحن حاربنا الإمبراطورية الإيطالية عشرين عاماً ، وأنتم احتلَّكم هتلر في ثلاثة أيام ، فمن منا يستحق الاستقلال؟!

والـحق يُقال أن هذه الأُمّة قد تعرضتْ إلى أشرس حملة في التاريخ البشري لاغتيال هويتها ودينها وعقيدتها ، ولكن العالـم أجمع قد اكتشف أنّ هذه الأُمّة تمرضُ ولا تموت!

وفي هذا السياق يقول «توماس بين» في مقدمة كتابه «السيف الـمقدس» :

«لقد تغيَّر الـحال اليوم ، وأصبح الـمسلمون في قبضة أيدينا ، ولكن ما حدث مرةً يُمكن أن يحدث مرة أخرى ، إن الشعلة التي أوقدها محمد في قلوب أتباعه هي شعلة غير قابلة للانطفاء»!

ويقول الـمُؤرِّخ الإنكليزي «توينبي» في محاضرة بعنوان الإسلام والعرب :

إن الإسلام يمكن ببساطة أن يتولَّى مرة أخرى زعامة العالـم إذا تهيَّأت له الظروف مرةً أخرى!

ومُلخَّص هذا كله ما قاله لاكوست وزير الـمُستعمرات الفرنسي :

ماذا أفعل إذا كان القرآن أقوى من فرنسا!

هذا الدين سيحكم العالـم مرةً أخرى ، بنا أو بغيرنا ، فاللهم استخدمنا ولا تستبدلنا!

٢٩ نوفمبر/ تشرين الثاني

في مثل هذا اليوم من العام ١٩٧٨م وُلد الأمريكي «ستيف ماكنلد» وستيف هذا لم يكن يعرفه أحد إلى أن نشر في مواقع التواصل صورة له مع جدته وهي في التابوت وهو سعيد بوفاتها لأنه سيرث منها تسعمئة ألف دولار!

ولكنه تفاجأ بعد مراسم الدفن أنها تبرّعت بكل ثروتها للجمعيات الخيرية ، وتركتْ له رسالة تقول فيها :

كلبي الصغير ستيف ،

لقد تركتُ لكَ عكاز جدك وطقم أسناني في خزانتي ، أتمنى أن تهترئ قدماك وتسقط أسنانك لتستفيد منهم!

ملاحظة : احصل على العكاز وطقم الأسنان قبل أن يأتي المالكون الجُدد للمنزل ، لقد بعته أيضاً!

في الحقيقة يتكرر كثيراً مشهد فرح الوارثين بموت أقاربهم ، وهذا مشهد مُقرف برأيي ، وقد كنتُ أعتقد أن هذا الصنف من الوارثين حقير وحده ، ولكني بعد تأمُّل أعتقد الآن أن هؤلاء الأثرياء الهالكين لا يقِلُّون حقارة عن وارِثيهم السُّعداء بموتهم!

حقارة الوارث السعيد ليستْ في إظهار سعادته بموت أقربائه وعجزه عن التمثيل بأنه حزين ، على الأقل أمام الناس ، وإنّما فكرة أن تسعدَ بموت إنسان من دمك ولحمك حتى في قرارة نفسك فهذا غاية في الحقارة!

حقارة الميت الموروث برأيي كامنة في فكرة أنّه كان سيئاً في حياته ، تخيّل مدى أن تعيش عمراً طويلاً لا تستطيع فيه أن تجعل لك مكاناً في قلب أقربائك لِيذرفوا عليك دمعة من القلب!

الإرث لا شيء فيه ، يكفي أن الله سبحانه قد شرعه ، وفصَّلَه في كتابه العزيز ، وإذا قضى الله أمراً فلا نشُك قيد أُنملة أنّه الحكمة والرحمة والعدل ، ولكن هناك فرق شاسع بين أن يستلم الوارث إرثه وفي قلبه حرقة على من فقد من أقاربه وبين أن يحتفل ، فرق شاسع بين أن يكون يوم موتك مأتماً حقيقياً أو عرساً!

٣٠ نوفمبر/ تشرين الثاني

في مثل هذا اليوم من العام ١٨٢٠م وُلدت «هارييت توبمان» الأمريكية من أصل إفريقي ، والنّاشطة في مجال إلغاء الرق وحقوق الإنسان!

عندما كانتْ العبودية منتشرة في الـمجتمع الأمريكي شكّلتْ «هارييت توبمان» فرقة سرية لإنقاذ العبيد من العبودية ، واستطاعتْ تحرير سبعمئة شخص!

فيما بعد سألوها : ما هي أصعب خطوة واجهتكِ؟

فقالتْ : إقناع شخص بأنّه ليس عبداً!

يغفلُ كثير من الناس عن حقيقةٍ مهمةٍ هي أن الـمرء كما يرى نفسه!

في حياتنا نُحاول أن نَمُد يد الـمساعَدة للآخرين ، في الضائقة الـمالية ، في الـخـلافـات الأُسـرية ، في مـشـاكل العـمل ، في الـحي ، مع الأهل والـجـيـران والأصدقاء ، وكثيراً ما نكتشف أننا لم نستطع أن نحل الـمُشكلة من جذورها ، وفي الغالب يكون السبب وراء ذلك أنّنا نُحاول تغيير البيئة الـمادية مُعتقدين أنّها الـمُشكلة ، بينما لا ننتبه أن الـمشكلة أساساً في داخل صاحب الـمشكلة ، لا يكفي أن نُغيِّر الظروف الـمادية للناس أحياناً يكمُن الـحل في تغيير نفسياتِهم وعقلياتِهم ونظراتِهم إلى الـحياة وإلى أنفسهم!

قلتُ أكثر من مرة ، أن أبا بكر رضي الله عنه هو من حرَّر بلالاً رضي الله عنه ، هذا لا خلاف فيه ولا يكاد يجهله أحد ، ولكن خلف هذه الـحقيقة حقيقة أُخرى مفادها أن أبا بكر حين دفع ثمن بلال لأُمية بن خلف كان قد حرَّره مادياً ولكن بلالاً كان قد حرَّر نفسه وروحه قبل هذا بكثير ، تحديداً حين اقتنع أن أُمية وإن ملكَ جسده فإنه لا يملك قلبه وروحه!

وإنّ أُمية وإن كان باستطاعته أن يُسكن جسد بلال حيث شاء إلا أنّ روحه وقلبه لا سُلطان عليهما إلا لِلَّذي خلقهما!

لولا هذه القناعة ما أُلقي بلال في القيد أصلاً ، وما طُرِح على رمال مكة ليأتي أبو بكر ويُعتقه ، نظرة بلال إلى نفسه لا تقل أهمية عن مال أبي بكر الذي جعله حراً فعلاً!

١ ديسمبر/ كانون الأول

في مثل هذا اليوم من العام ١٩١٤م وُلدت الـممثلة الـحسناء «هيدي لامار» ، غير أنّ أيقونة الـجمال في هوليوود في فترة الأربعينات لم تكُن مُجرّد ممثلة ، كانتْ مُخترعة وعالـمة بالرياضيات والاتصالات ولديها عدة براءات اختراع مُنفردة أو بالاشتراك مع آخرين ، واختراعاتها في القفز الترددي في نُظم الاتصالات اللاسلكية يعتبرها كثيرون حجر الأساس للعديد من التقنيات التي نمتلكها اليوم مثل الواي فاي والـجي بي أس ، كما يُقال أنّها أول من تحدثتْ عن فكرة الهاتف النّقال!

تزوجتْ «هيدي لامار» ست مرات ، وكان أحد أزواجها تاجر سلاح ، وبسبب هذا اخترعتْ فكرة تحريك الطوربيد باللاسلكي!

الفكرة من كل هذا ، إياكِ أن ترضي أن تكوني جميلة فقط!

بالـمناسبة : صحيح أنَ الرجال يُفضِّلون الـجميلة البلهاء على الذكية دون جمال! ولكن الـمرأة الـجميلة فقط مُملّة ، نحن لا نرى بأعيننا فقط ، ثم الـمرأة وإن كان الأصل في فطرتها أن تحب أن تبدو جميلة ، وهذا شيء جميل جداً ، إلا أنّ الـجمال الذي لا تُزيّنه الثقافة جمال مُمِل ، فلماذا ترضى امرأة بخصلة واحدة في حيث بإمكانها الفوز بالـحُسنيين؟!

والشيء بالشيء يُذكر فإنّ الـممثلة الـحسناء ناتالي بورتمان تخرّجتْ من جامعة هارفارد ، وشاركتْ في أوراق بحثية علمية ، وقامتْ بإلقاء محاضرات في جامعات عريقة ، وهي تتحدثُ الفرنسية واليابانية والعربية والعبرية والألمانية إلى جانب الإنكليزية طبعاً!

وعندما تمّ سؤالها في حديث مع نيويورك بوست ، هل دراستها العلمية تُعطِّلها عن الفن؟

قالت : أُفضِّل أن أكون ذكية على أن أكون نجمة أفلام!

٢ ديسمبر/ كانون الأول

في مثل هذا اليوم من العام ١٨٠٠م عرضَ «ثيوفيلوس فان كانل» على العالم فكرة الباب الدوّار الذي نُشاهده اليوم في الفنادق والمطاعم الكبيرة .

السبب وراء اختراع «فان كانل» للباب الدوّار أنه كان لا يُطيق دلع النساء ، وكان يكره فكرة أن الرجل يفتح الباب للمرأة كي تدخل أولاً ، ولذلك فكَّر في فكرة تُريحه تماماً من هذا الموضوع ، فأخرجَ لنا فكرة الباب الدوار!

لم تتبنَّ البشرية فكرة «فان كانل» ، على الأرجح إن سبب اختراعه للباب الدوار بدتْ فكرة عنصرية لهذا تورَّع المهندسون عن تنفيذها على نطاق واسع ، ولكن في العام ١٩٤٢م اندلعَ حريق في مبنى بمدينة بوسطن الأمريكية ، وماتَ خلقٌ كثير بسبب التدافع على الباب الرئيسي العادي ، وبعد انتهاء تحقيقات خبراء الحرائق خلصوا أنّه لو كان هناك باب دوار وسط المبنى وعلى جانبيه بابين عاديين لكان بالإمكان إنقاذ كثير من الأرواح ، وهذا ما نراه اليوم في أغلب الفنادق!

بعيداً عن فكرة الباب الدوّار أو الذي لا يدور لا أعرف ما مشكلة الرّفيق «ثيوفيلوس فان كانل» مع دلع النساء!

لا أنكر أن بعضهن يُبالغن في الأمر ، ولكن مُبالغة المرأة في الدلع تبقى أقل سوءاً من أن تكون فظّة خشنة فاقدة للأُنوثة! والسبب برأيي أنه لا شيء أجمل من أن تكون المرأة امرأة بحسب فطرتها ، ويكون الرجل رجلاً بحسب فطرته ، فخشونة المرأة وفظاظتها لا تقل سوءاً عن دلع الرجل ونعنعته لأن كِلاهما بخلاف الفطرة!

على أنّه لا بد من نقطة نظام ألا وهو إظهار الدلع في غير موضعه ، وأمام غير المعنيين بالاطّلاع عليه ضربٌ من ضروبِ التفاهة وفَهْمٌ خاطئ للأنوثة ، وأجمل ما قيل في الأنوثة هو لعليّة بنت المهدي أخت هارون الرشيد حيث قالت : نحنُ نساء مع رجالنا ورجال مع غيرهم!

٣ ديسمبر/ كانون الأول

في مثل هذا اليوم من العام ١٩٤٣م وُلد «آلبرت ليكسي» أشهر ماسح أحذية في تاريخ البشرية!

عمِلَ «آلبرت ليكسي» ماسحاً للأحذية على باب مستشفى بيتسبورغ في بنسلفانيا في مطلع العام ١٩٨٠م وبقيَ يعمل بهذه المهنة حتى وفاته عام ٢٠١٨ ، أمّا سبب شُهرته فيعود إلى أنّه كُلّما أعطاه أحد الزبائن مُقابل تلميع حذائه أكثر من خمسة دولارات ، كان يحتفظ بالخمسة دولارات ويتبرّع بالباقي للمستشفى!

إدارة المستشفى تقول أن آلبرت قد تبرّع بحوالي مئتي ألف دولار على مدار ٣٨ عاماً!

مهنة ماسح الأحذية لا أستسيغها بالمناسبة ، أشعر أن فيها إذلالاً للنفس ، ولكني أتفهَّمُ أن الحياة قد تضع الإنسان أمام خيارات كُلها مُر! أما الذي لا أتفهّمه فهي فكرة أن يمد أحدهم رجله إلى إنسان آخر ليمسح له حذاءه ، أجدُ فيها نوعاً من الاستعلاءِ والتكبُّر ، وقد لا تكون نية كل الناس هكذا ، ولكنِّي أرى الموضوع من هذه الناحية ، وشخصياً لو اضطررتُ للأمر فليس هناك أيسر من أن أجلس بجانب ماسح الأحذية ، وأستخدم عدَّته لمسح حذائي ثم أدفع له على أنّه هو الذي قام بالأمر! وأن يرى الناس حذائي مُتّسخاً أحب إليَّ من أن يروني أمد رجلي ليمسح أحد حذائي!

وبعيداً عن فكرة مسح الأحذية ، فإن ما قام به «آلبرت ليكسي» على مدى سنوات من تبرُّع للمستشفى الذي يُعالج الأطفال هي فكرة نبيلة جداً ، ودرس عظيم مفاده أنه مهما كانت مهنتك بإمكانك أن تكون نبيلاً ، بدءاً برئيس الدولة انتهاءً إلى ماسح الأحذية ، في الحقيقة إنّ قيمة البشر الحقيقيين ليستْ في الطريقة التي يجنون بها المال بقدار ما هي بالطريقة التي يُنفقونه فيها!

٤ ديسمبر/ كانون الأول

في مثل هذا اليوم من العام ٢٠١٣م تخرَّج الـمُمثل الأمريكي الشهير «مارك والبيرغ» من الثانوية وعمره ٤٢ سنة!

في الحقيقة أنّ مارك تركَ التعليم في شبابه ولم يتخرّج من المدرسة الثانوية، ولكنّه أعاد الالتحاق بها في الأربعين من عمره ليكون قدوة حسنة لأولاده، وبعد التخرُّج قال:

إذا لم نعشْ كقُدوات ونماذج حسنة، فمن أجل ماذا نعيش؟! ها أنا اليوم أُعيد تقديم نفسي لكم، مارك والبيرغ خريج المدرسة الثانوية، دفعة ٢٠١٣!

على المقلب الآخر فإنّ الممثلة البريطانية «إيما واتسون» كانتْ تُخفي كُتباً في محطات الميترو، والأماكن العامة التي تزورها لتشجع معجبيها على ثقافة البحث عن الكتب ثم قراءتها، وكانتْ تضع داخل الكتاب الذي تُخبِّئه رسالة بخط يدها تشكر فيها الشخص الذي عثر على الكتاب تطلب منه أن لا يكون هذا هو الكتاب الأخير الذي يقرأه!

ليس كل ما في الغرب سيء، وليس كل ما في بلادنا جيد، الحكمة ضالة المؤمن، والحكمة في أبسط معانيها أن تأخذ الجيد من الآخرين ولو خالفوك في الدين والمُعتقد، وأن تترك السيء من الآخرين ولو كانوا أقرب الناس إليك!

إن المُناداة بترك كل شيء في الغرب فكرة قبيحة تماماً كالمُناداة بأخذ كل شيء من الغرب! المشكلة ليستْ في الغرب ولا في الشرق وإنما في ثقافة الأخذ والترك عندنا، نحن مثلاً نُريد أن نأخذ من الغرب تحرُّرهم في علاقاتِهم دون أن نأخذ انضباطهم في دواماتِهم!

ونُريد أن نأخذ من الغرب ثقافة الحفلات دون أن نأخذ منهم حفاظهم على المال العام!

في ديننا من الأخلاق والقيم ما يكفي ولو التزمنا به لحكمنا العالم مرة أخرى ولكن الإشادة بنُبل الآخرين هو دين أيضاً، ألمْ يقُل رسول الله ﷺ للمُسلمين الأوائل: اذهبوا إلى الحبشة فإن فيها ملكاً لا يُظلم عنده أحد! وكان النجاشي رضي الله عنه يومئذٍ على دين آخر غير ديننا!

٥ ديسمبر/ كانون الأول

في مثل هذا اليوم من العام ١٨٦٨م وُلد الفيزيائي الألماني «أرنولد سومرفيلد» ، كان أُستاذاً وباحثاً في مجال الفيزياء النظرية ، وأحد رُوّاد مفسري «البناء الذري وميكانيكا الكم» ، وتمَّ ترشيحه ١٨ مرةً لجائزة نوبل للفيزياء ، ولكنّه لم يفُز بأي منها قط ، بينما حصلَ سبعة طلاب من الذين درَّسهم على جائزة نوبل!

برأيي إن «أرنولد سومرفيلد» لم يفشل في حصد جائزة نوبل ، لقد حصدها سبع مرات فعلاً عندما فاز بها تلامذته ، هناك طريقان لتُصبح بطلاً ، الأول أن تكون بطلاً ، والثاني أن تصنع الأبطال! ولا شيء عندي أرقى من صناعة الناس!

الأُستاذ الحقيقي ، المُدرِّب الصادق ، الداعية المُخلص ، يشعرون بالفخر إذا تفوّق عليهم تلامذتهم ، فهذا يدل أنهم كانوا عظماء ، ولولا إخلاصهم وتفانيهم ما وصل تلاميذتهم لما وصلوا إليه .

الإنسان النبيل أساساً لا ينزعج من فوز الناس ، ولا من غناهم ، ولا من سعادتهم ، ولا من تمتُّعهم بالصحة والعافية ، النبيل يُحب لغيره ما يُحب لنفسه وإن لم يكن له علاقة بهؤلاء الغير ، فكيف إذا كانوا من نِتاجه ومن صنعه .

صدِّقوني إني لا أتحدث عن الأمر من زاوية نظرية صرفة ، أو مثالية جوفاء ، على بساطة ما سأقوله لقد عشتُ هذا الأمر فعلاً ، هزمني مرةً أحد طلابي في لعبة كرة الطاولة ، فكتبتُ في تويتر قائلاً : لقد سجلتُ نصراً رائعاً اليوم ، هزمني أحد طلابي!

والشيء بالشيء يُذكر ، كتب آينشتاين إلى سومرفيلد يقول له :

ما يعجبني فيك أنك استطعتَ تخريج هذا العدد الجبار من الفيزيائيين الشبان ، إنه لعمل غير عادي ، فلا بد أن لك موهبة خاصة في اجتذاب نفوس مُستمعيك وشحذ مواهبهم وتنشيطهم!

٦ ديسمبر/ كانون الأول

في مثل هذا اليوم من العام ١٩٥٢م وُلدت «لاريتا جونسون» ، أو كما تُلقَّب بالقاتلة الحسناء نظراً لأنها كانتْ فائقة الجمال!

هذا بالنسبة للحسناء ، أما القاتلة فقد قام زوجها بخيانتها واكتشفتْ أمره ، ولكنها لم تُفاتحه في الأمر ، إنما أعدَّتْ له القهوة ذات صباح ودسَّتْ له فيها سُماً ، وعندما ظهرتْ عليه علامات التسمُّم وبدأ يتقيأ ، أخذتْه إلى الحديقة حيث كانت قد نصبتْ له مشنقة على غصن شجرة البلوط العملاقة ، وأوقفته على كرسي ، ولفَّتْ حبل المشنقة على رقبته ، ثم قبل أن تركل الكرسي برجلها ليتدلَّى زوجها من حبل المشنقة ، أوقدتْ تحته ناراً ، ثم ركلتْ الكرسي ، وقبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة ، أطلقتْ عليه النار من بندقيتها ، وهكذا مات مسموماً ، محروقاً ، مشنوقاً ، مرمِيَّاً بالرصاص!

طبعاً أنا لم أكتب عن «لاريتا جونسون» لأُرشد الزوجات كيف يتصرَّفنَ في مواقف مُشابهة! وإنما هناك فكرتان خطرتا لي وأنا أقرأ عن حادثة الانتقام الشنيع هذه!

الأولى : إنّ الخيانة طعمها مُر لا شك ، لا شيء أصعب من أن يشعر الشريك أنه ليس كافياً ، وأن أحداً ما كان يسد النقص الذي فيه عند شريكه ، ومن الواضح أنّ لاريتا لم تكن تقتل بقدر ما كانت تنتقم وتتشفَّى ، واضح من تصرُّفها الغير مُبرَّر طبعاً ، مقدار الألم الذي كانت تشعر به! والشيء بالشيء يُذكر فإن أقذع هجاء في الشعر العربي قالته ولادة بنت المستكفي في حبيبها ابن زيدون عندما خانَها مع وصيفتها! لقد جعلها تفقد اتِّزانها فتهجُوه ببيتين إباحيين أتورَّعُ عن ذكرهما!

الثانية : ردات فعل البشر حيال موقف واحد مُختلفة تماماً والسبب أننا مُختلفون تماماً ، كل واحد منا له عالمه الخاص ، ما تراه أنتَ موقفاً عادياً قد أحترق أنا منه ، والعكس صحيح!

ما أراه أنا من فعل قد يدفعني لأرحل بصمت بينما تُصر أنت على أن تقف وتُواجه!

٧ ديسمبر/ كانون الأول

في مثل هذا اليوم من العام ١٩٢٨م وُلد نعوم تشومسكي ، اليهودي الذي وقف بحزم ضد الصهيونية ، والأمريكي الذي انتقد بصخب سياسات أمريكا الاستعمارية ومحاولاتها للسيطرة على الشعوب الأخرى وسرقة خيراتها!

ألّف نعوم تشومسكي أكثر من مئة كتاب ، وفي الفترة ما بين ١٩٨٠م إلى ١٩٩٠م كان أكثر شخص على سطح الأرض تمَّ الاستشهاد بمقولاته وآرائه في الدراسات والأطاريح والمقالات والبرامج!

وفي العام ٢٠٠٥م صُوِّتَ له كأبرز مثقف على كوكب الأرض!

من أقوال نعوم تشومسكي :

- الولايات المتحدة الأمريكية ستفعل كل ما بوسعها لمنع ديمقراطية حقيقية في العالم العربي!
- قليل جداً من الناس من سينظرون في المرآة ويقولون : هذا الشخص الذي أراه هو كائن متوحش ، بدلاً من ذلك سيختلقون تفسيراً ما ليُبرِّروا ما يقترفون!
- التعليم هو نظام الجهل الإجباري!
- حتى تتمكن من السيطرة على شعب اجعله يعتقد أنه هو سبب تخلفه!
- عامة الشعب لا يعرفون ما يجري ، ولا يعرفون أنهم لا يعرفون!
- الجميع قلق بشأن إيقاف الإرهاب ، حسناً هناك طريقة سهلة لذلك : توقّف أنتَ عن ممارسته!
- إن لم نكن نؤمن بحرية التعبير لمن نحتقرهم فنحن لا نؤمن بها على الإطلاق!
- من أوضح دروس التاريخ أن الحقوق لا تُمنح بل تُكتسب!
- الإرهاب الذي تريد أمريكا إيقافه هو بالمناسبة ما تفعله بالآخرين!
- للأسف لا يمكن التخلُّص من الأوغاد عبر صناديق الاقتراع لأننا لم ننتخبهم أصلاً!

٨ ديسمبر/ كانون الأول

في مثل هذا اليوم من العام ١٩٤٣م وُلد «آرثر آش» أول أسمر يتربّع على لائحة التصنيف للعالـمي للتنس!

كان آرثر أُسطورة حقيقية في اللعبة ، فازَ في كل البطولات الكبرى ولكن مأساةً أنهتْ مسيرته ومن ثم حياته ، لقد أُصيب بالإيدز نتيجة نقل دم مُلوَّث له أثناء عملية جراحية!

قبل وفاته وصلته رسالة من مُعجبيه قالوا فيها : لماذا أنتَ من دون الـجميع ليختارك الله لتُعاني من هذا الـمرض اللَّعين؟!

فكتب إليهم قائلاً :

في هذا العالـم بدأ ٥٠٠ مليون طفل مُمارسة رياضة التنس ، ٥٠ مليون منهم استمروا وتوقّف الباقون! ٥ مليون منهم أصبحوا لاعبين محترفين ، ٥ آلاف وصلوا للمُنافسة على بطولة «الـجراند سلام» بفرنسا ، خمسون وصلوا للمنافسة على بطولة «ويمبلدون» في بريطانيا ، إثنان من هؤلاء وصلوا للنهائي ، شخص واحد فازَ هو أنا! وعندما تسلَّمْتُ كأس البطولة ورفعتُهُ بفرح لم أسأل ربي : لماذا أنا؟!

درسٌ عظيمٌ في الـحياة ، وفي التأدُّبِ مع الله سبحانه! لماذا ننسى آلافاً من النِّعم ، الصحة لسنوات ، الـمال ، العائلة ، الـحُب ، الوظيفة ، الأصدقاء ثم عند أول مصيبة نُريد أن نسأل : لماذا نحن يا الله؟!

إنّ السخط على قدر الله لن يرفعه ، ولكن الرضا يزيدُ في الأجر ويرفعُ الـمنزلة ، والفرق بين الساخط على قدر الله والراضي قد لا يكون فارقاً مادياً ، نهاية الـمطاف مع الأمراض الفتّاكة واحدة ، ولكن الـحياة بعدها ليستْ واحدة! شتّان بين الـمُتسخِّط على الله الذاهب لمصيرٍ أشنع من مصير الـمرض بعد الـموت ، وبين الصابر الراضي الذي يُناجي ربه :

ربي إني عبدك ، وفي مُلكك ، ناصيتي بيدك ، ماضٍ فيَّ حكمك ، عدل فيَّ قضاؤك ، على بابك يا الله ، في العافية حمدتُك ، وفي الـمرض ها أنا صابر مُحتسب فاكتبْ لي أجر الصابرين!

٩ ديسمبر/ كانون الأول

في مثل هذا اليوم من العام ٢٠٠٦م حصلَ الطبيب والسياسي الأمريكي «بن كارسون» على جائزة الأسطورة الـحية لمكتبة الكونغرس .

و«بن كارسون» لمن لا يَعرفه يشغلُ اليوم منصب وزير الإسكان في حكومة دونالد ترامب ، أمّا عن حياته الطبية فقد سطَّر حياةً أقل ما يُقال عنها أنها حافلة بالنّجاحات . كان أشهر طبيب في جراحةِ الـمُخ والأعصاب في العالـم ، وهو صاحب العملية الـجراحية الوحيدة في العالـم لفصل توأمين سياميين مُلتصقين عند مُؤخرة الرأس! وهو حائز على ستين دكتوراة فخرية من جامعاتٍ مختلفةٍ في هذا العالـم!

ولكن ليس لهذا جمعتُكُم اليوم! ثمّة خبر أكثر أهمية من هذا كله!

كانت والدة «بن كارسون» عاملة فقيرة ، ولم تكن تُجيد القراءة والكتابة ، أبلغتْها الـمدرسة أن ابنها هو الأسوأ والأغبى في صفه! فأخبرته أمه أن يستعير كتابين أسبوعياً من الـمكتبة وأن يكتب لها ملخصاً عنهما ، وأنها ستقوم بتصحيحها ، ولم تُخبره أنها أُمِّيَّة لا تقرأ ولا تكتب!

وبفضل إصرار أمه تحوّل تدريجياً من أقل طالب تحصيلاً إلى الأول على صفه! وفي سن الثانية والثلاثين أصبح أصغر مدير مستشفى لجراحة الأعصاب في العالـم!

ترك بن كارسون تسعين مؤلفاً طبياً ، ويوم تقاعده في العام ٢٠١٤م قال : أنا مدين بكل هذا الـمجد لأمي ، بفضلها أدركتُ أن القراءة والـمثابرة هي السبيل لتحقيق النجاح!

نقطتان مُهمتان لا بد من ذكرهما هنا :

الأولى : تقييم الطلاب بناءً على علاماتهم الـمدرسية ظالـم في كثير من الأحيان ولكن للأسف لـم تهتدِ البشرية حتى اللحظة إلى طريقة أكثر عدلاً فلا بد من معيار للتصنيف وتبدو العلامات معياراً مقبولاً!

الثانية : كثيرون من البشر هم صنيعة أشخاص آمنوا بهم ، ووضعوا أرجلهم على الطريق الصحيح ، رأي أحد ما بأولادكم يبقى مجرد رأي أنتم من تجعلونه واقعاً عندما تتقبلوه!

١٠ ديسمبر/ كانون الأول

في مثل هذا اليوم من العام ٢٠٠٨م أصدر الطبيب اللبناني «منير شماعة» كتابه «إقلاع وهبوط ، سيرة طبيب من رأس بيروت» والكتاب من أمتع ما كُتب في السيرة الذاتية ، لما فيه من جودة الصياغة ، والصراحة ، وقول الأشياء كما هي لو كانتْ على صاحبها ، وفي الكتاب مواقف تصلُح أن تكون دروساً للعمر ، هذا واحد منها :

أذكُرُ حادثة فريدة أثناء عملي في السعودية ، إذ ظهرَ لي في الأفق البعيد رجل معه دابة على ظهرها شخص مسطح أفقياً ، وبدأت الصورة تتّضح شيئاً فشيئاً ، حتى وصلا إلى باب المستوصف ، رجل بدوي يجر دابة عليها صبي في الخامسة عشرة من عمره ، حمل الرجل الولدَ ووضعه على سرير الفحص وإذا به جثة هامدة!

فسألته من يكون هذا الولد؟ فقال : ابني الوحيد ، فقلتُ له إن ابنك ميت!

فقال : الحمد لله!

فصفعته بغضب وقلتُ له كيف تقول الحمد لله ، فقد كان مفهومي وقتها لهذه الكلمة أنا لا تُقال إلا عند الأمور الجيدة!

فقال لي مجدداً : الحمد لله الذي لا يُحمد على مكروه سواه!

فترقرقت عيناي بالدموع وقلتُ له : والله أسلمتُ!

كان لهذه الحادثة أثر كبير في تفكيري ، فبالرغم من أنني لا أزال أتأرجح بين الإيمان بالله وعدمه ، فإن ما قاله هذا البدوي الأمي وعمق إيمانه بالله أكّدا لي عظمة الفلسفة الإسلامية في نظرتها إلى الموت!

وقد تأكّدتْ لي هذه الحقيقة على مر السنين عبر تجربتي مع المرضى المسلمين وخصوصاً السعوديين الذين يقبلون الموت لكونه حتمياً!

فهم برغم حزنهم لا يجدون داعياً للمسرحيات أو النحيب والبكاء ، وكل المظاهر الفلكلورية التي يمارسها أبناء الديانات الأخرى في حالات الموت وعند إقامة الجنائز ، ويكفيني من الإسلام هذه الفكرة وهذه النظرية الرصينة لفلسفة الموت!

نحن لدينا ما ينقص كل سكان هذا العالم : الطمأنينة! شيء ما زرعه النبي ﷺ في قلوبنا فصرنا نعرف أن ما أخطأنا لم يكن ليصيبنا وما أصابنا لم يكن ليخطئنا فرضينا ، لأننا نعلم أنه قد رُفعت الأقلام وجفّتْ الصُحف!

١١ ديسمبر/ كانون الأول

في مثل هذا اليوم من العام ١٨١٣م حصلَ الفيلسوف الألماني «أرتور شوبنهار» على درجة الدكتوراة .

عاشَ شوبنهاور حياةً قاسية ، انتحرَ أبوه وهو صغير ، ولم يكُن على وفاق مع أمه فترك البيت مبكراً ، الأمر الذي أرخى بظلاله على فِكره وفلسفته التي اتَّسمتْ بالعَبثية والتشاؤم والسوداوية!

كتب شوبنهاور كتابه «فنّ أن تكون دائماً على صواب» ، والكتاب عبارة عن ثماني وثلاثين حيلةً تلجأ إليها في الجدال مع خصومك!

قد يبدو من العنوان أنّ الكتاب مفيد ، ويُعطيك أسلحة الإقناع والمُحاججة ، ولكنّه في الحقيقة غير ذلك! فلا يعدو كونه مجموعة من استراتيجيات التّناحة والعناد والنقاش على مبدأ «عنزة ولو طارت» المهم أن لا تنهزم في النقاش ، ولكن هذه الاستراتيجيات يُمكن تسميتها العشوائية المنظمة!

قيمة الكتاب الوحيدة برأيي أنها تُريك استراتيجية المُلحدين والماديين التي يُجادلوننا فيها ، وقراءته شيء مهم من باب تطبيق قولة عمر بن الخطاب : من لا يعرف الجاهلية لا يعرف الإسلام!

من الاستراتيجيات التي وضعها شوبنهاور :

- إعلان الفوز رغم الخسارة
- إقناع الجمهور وليس الخصم
- لستُ أفهم شيئاً مما تقوله
- إخفاء القصد
- حجج كاذبة
- إغضاب الخصم
- تعميم ما يقوم على حالات خاصة
- استعمال حجج غير معقولة
- نظرياً نعم ، عملياً لا
- المصالح أقوى من العقل

١٢ ديسمبر/ كانون الأول

في مثل هذا اليوم من العام ٢٠١٧م استحدثَ «شيرووكا كيوتشي» رئيس شركة «تايوباتس» اليابانية جائزة الفشل الذريع! وذلك أنّ موظفاً في شركته قدَّم اقتراحاً لِتصنيع مُنتج جديد ، وافق عليه «كيوتشي» ، غير أن هذا المنتج مُني بخسائر كبيرة ، فقرّر أن يمنح هذا الموظف جائزة تحمل اسم «الفشل الذريع» وتكريمه بجائزة مالية!

وبينما سُئِل «كيوتشي» عن السبب الذي دفعه لاستحداث هذه الجائزة في الشركة ، ومنح الموظف هذا المبلغ المالي ، قال : لو عاقبتُ الموظف على فشله في المحاولة سيتخوّف الموظفون من طرح أفكار جديدة ، وهكذا نقتل روح الإبداع والجرأة عندهم!

الجدير بالذكر أن «كيوتشي» منحَ نفسه لاحقاً جائزة الفشل الذريع أمام موظفيه بعد استثمار خاطئ له في سوق المُعدات الثقيلة ، ليُخبرهم أن حتى المدراء يفشلون ، ولكن هذا لا يعني أن نكفَّ عن المُحاولة!

بالمُناسبة لم تكُن هذه أول جائزة للفاشلين في العالم ، ففي العام ١٩٩٦م أسَّس المُنتج الإيطالي «أنطونيو ريتشي» جائزة الخنزير الذهبي وتُمنح لأسوأ رياضي وسياسي وإعلامي في إيطاليا!

الغريب أن كثيراً من الناجحين حصلوا عليها أول الأمر ، فقد نالَها الحارس البارع «بوفون» والمُهاجم الفذ «ديل بيرو» والمدرب القدير «فابيو كابيلو» وجميعهم فازوا لاحقاً بدوري الأبطال أكثر من مرة! كما تُوِّج بوفون وديل بيرو بكأس العالم!

البعض استلم هذه الجائزة بروح رياضية ، والبعض اعتذر عن الحضور ، أما مايك بونجورو فقد استلمها وحطَّمها على المسرح!

على أنّ جائزة الفشل الذريع أرقى من حيث الفكرة والهدف من جائزة الخنزير الذهبي ، إذ أن جائزة الفشل الذريع هدفها الأخذ بيد الفاشل ومساعدته بدل السخرية منه ، وصحيح أن بعض الذين حصلوا على جائزة الخنزير الذهبي نجحوا لاحقاً إلا أن كثيراً منهم تحطّموا نفسياً بعدها!

١٣ ديسمبر/ كانون الأول

في مثل هذا اليوم من العام ٢٠١٣م قام موظف بنك في ألمانيا بالنوم على لوحة مفاتيح الكمبيوتر ممّا أدى إلى تحويل مبلغ «٢٢٢» مليون يورو إلى حساب خاطئ، وبسبب ذلك طُرد زميله في العمل لأنه لم يُلاحظ ذلك!

ذكّرتني هذه الحادثة بقصة «قراقوش» مع الحائك، والقصة أنّ حائكاً تشاجر مع رجل في الطريق وفقأ له عينه، فجاء الرجل إلى قراقوش شاكياً الحائك، فأمر بإحضاره، وقضى أن تُفقأ عينه، فقال له الحائك: يا سيدي الوالي أنا رجل حائك ولا أستغني عن عيني، ولكن لي جار صياد يُمكنه أن يعمل بعين واحدة، فلماذا لا تفقأ له عينه؟!

استحسن قراقوش الرأي وأصدر أمراً بِفقأ عين الصياد الذي لا ناقة له ولا جمل!

قصة قراقوش والحائك ذكرها ابن مماتي وزير مالية صلاح الدين الأيوبي في كتابه «الفافوش في حكم قراقوش» وقد أورد في الكتاب عشرات القصص التي لا يقبلها عقل ولا منطق، وتُجافي الواقع وحقائق التاريخ، على العكس تماماً كان قراقوش والياً جيداً، وإن عُرف عنه الحزم والشِّدَّة، ولكنه لم يكن بهذا الحُمق والبلاهة، كل ما في الأمر أن الوزير ابن مماتي أراد أن يسخر أو بالأحرى أن يعترض على تولية صلاح الدين للأتراك وغيرهم على حساب أبناء مصر، ومن المُؤكّد أن صلاح الدين لم يعرف بالكتاب، فقد انتشرَ بعد وفاة الثلاثة صلاح الدين وابن مماتي وقراقوش، هذا إذا سلَّمنا أن ابن مماتي قد كتبه فعلاً، ولكن للأمانة العلمية لا شيء هناك يُثبت أنه لم يفعلها!

خلاصة القول أن هناك أحكاماً قضائية، أو عقوبات في شركات، أو عائلات، تصل حد الغباء المُنقطع النظير، تخيَّل أن تُطرد من عملك لأن زميلك في العمل قد نام وتسبَّب بكارثة! ما كتبه ابن مماتي تجنِّياً وافتراءً على قراقوش نجده يومياً يحدث شيء منه في الحياة!

١٤ ديسمبر/ كانون الأول

في مثل هذا اليوم من العام ١٨٤٦م وُلد «عبد الله التعايشي» الذي حكم السودان ١٤ سنة .

بعث عبد الله التعايشي برسالة إلى فكتوريا ملكة بريطانيا يقول فيها :

من الخليفة عبد الله التعايشي إلى فكتوريا ، أسلمي تسلمي ، فإن قبلتِ وآمنت ، زوَّجناكِ الأمير «يونس ود الدكيم» إن هو قبل ذلك!

فأَرسلتْ إليه فكتوريا جيشاً واحتلتْ السودان عام ١٨٩٩م!

الفكرة أن الهياط ، وعدم تقدير قدرات الخصوم ، وفهم موازين القوى هو نوع من الانتحار ، وسبب رئيس لجلب الغُزاة والمُستعمرين!

على الإنسان أن يكون حكيماً ، حاكماً كان أم محكوماً ، ويفهم وضعه جيداً ، ووَضْع من يُخاطب ومن يُهدد ، وعلى أيةِ أرضية يقف ، لأن العنتريات غير المُستندة على قِراءة صحيحة للواقع هي حماقة فادحة!

كان هارون الرشيد حازماً جداً في تعامله مع الروم ، وكان أسلوبه يفتقر إلى الدبلوماسية والسبب أنّه كان يملك جيشاً جرَّاراً ، قوياً مُجهَّزاً ، وقادة مُحنَّكين ، وجبهته الداخلية آمنة مُطمئنة ، لهذا كان يقول للسحابة :

أمطري حيث شئتِ فسيعود إليَّ خراجك!

وعندما راسله نقفور بخصوص التوقُّف عن دفع الجِزية ، كتب إليه هارون الرشيد :

من هارون الرشيد إلى نقفور كلب الروم ، الجواب ما ترى لا ما تسمع!

الفكرة من هذا كله ، اِفْهَمْ وضعكَ ، وتصرَّف على أساسه ، فترة الدعوة المَكِّية تختلف في التعاطي مع الآخرين عن فترة الدعوة المدنية ، والإسلام قبل أن يكون له دولة هو غيره بعد أن صارَ لديه دولة وجيش ، وكل مرحلة كان لها أدبياتها وطرق تعاملها!

١٥ ديسمبر/ كانون الأول

في مثل هذا اليوم من العام ٢٠١٣م أصدر «تود هنري» كتابه الرائع «مُت فارغاً»! والذي قال فيه لا تذهب إلى قبرك وأنتَ تحمل في داخلك أفضل ما لديك ، اخترْ دائماً أن تموت فارغاً!

استلهمَ تود هنري فكرة كتابه أثناء حضوره اجتماع عمل في ولاية أريزونا عندما سألهم المدير : ما هي أغنى أرض في العالم؟

فقال أحدهم : بلاد الخليج الغنية بالنفط!

وقال آخر : أفريقيا المليئة بالماس!

وقال ثالث : الهند المليئة بالتوابل وتنوُّع الثقافات!

ولكن المدير قال لهم : كل هذا غير صحيح ، إن أغنى أرض في العالم هي المقبرة! ثم قال يُبدِّد الدهشة التي ارتسمتْ على وجوه الجميع : نعم إنَّها المقبرة ، هي أغنى أرض في العالم ، لأن ملايين البشر دُفنوا فيها وهم يحملون الأفكار القيِّمة التي لم ترَ النور ، ولم يستفِد منها أحد!

أعجبني الكتاب جداً ، وأنا بدوري أقولُ لكم : موتوا فارغين! لا تتركوا في رؤوسكم أفكاراً حلوة ، امتلكوا الجرأة والشجاعة لقولها ما دُمتم تؤمنون بصوابها ، وأن يندم الإنسان على شيء فعَلَه كان يراه صواباً ، خير له من أن يندم على صواب لم يفعله ويقول بعد فوات الأوان ليتني فعلْتُه!

لا تتركوا في قلوبكم مشاعر حلوة مخبَّئة ، عيشوا مشاعركم ، أفسِحوا لهذه القلوب أن تتنفس لا تخنقوها بحجة الكبرياء والكرامة ويباسة الرأس ، إن الإنسان يجني باللِّين ما لا يجنيه بالقسوة ، ويربح بالوِد ما لا يربحه بالبغضاء ، ويكسب بالتنازل أضعاف ما يكسبه في المواجهة!

تصالحوا ، تسامحوا ، إن وردة في يد حبيب خير من باقة على قبره! ومصافحة أخ وهو حي خير من قبلة باردة على جبينه وهو ميت!

١٦ ديسمبر/ كانون الأول

في مثل هذا اليوم من العام ١٩٠٦م وُلد «أرسطو أوناسيس» الـمليارديرِ اليوناني الشهير، والذي كان في يوم من الأيام أغنى رجل في العالـم!

جمع «أوناسيس» ثروته من التجارة في النفط، ثم أضاف إليها الاستثمار في العقارات، وكان يُلقَّب بملك التانكر أي سفن النفط.

اقترب «أوناسيس» مرةً من بائع كعك فقير، وأخرج من جيبه قطعة نقد معدنية وقال للبائع: طُرَّة أم نقش؟

إذا ربحتَ ستأخذ كل ما في جيوبي من نقود وشيكات، وإذا خسرتَ تضعُ على الطاولة كل ما لديكَ من كعك!

فقال له البائع: يا سيدي أنا فقير، وإذا خسرتُ ما لديَّ من الكعك فلن أستطيع إطعام عائلتي اليوم!

أدار أوناسيس ظهره للبائع وقال له: وُلدْتَ بائع كعك، وستموت بائع كعك، إنّ الـحياة تحتاج إلى مُغامرة!

إحدى مشاكل الأغنياء الأزلية، أنّ أغلبهم ينظرون إلى الـحياة على أنها سوق كبير، وأن كل شيء يصلُح أن يُعقد صفقة فيه!

يعتقد أحدهم أن شراء الورد والذهب يعني شراء الـحُب، وأن شراء الـحاشية والـخدم هو شراء الاحترام، وليس تقليلاً من قيمة الـمال، على العكس، وإنما أنتقد نفسية بعض الأثرياء لا الثَّراء نفسه، وإلاّ فَنِعم الـمال الـحلال في يد العبد الصالـح!

الفكرة أن لا نحكم على إنسان بناءً على واقعنا نحن، خسارة «أوناسيس» لما في جيبه من نقود وشيكات هي خسارة تافهة، فسفن نفطه في الـموانئ والبحار، وعقاراته وقصوره شامخة، الأمر بالنسبة إليه مجرد لعبة، ولكن بائع الكعك الأمر بالنسبة إليه معركة يومية مع الـحياة عليه أن يكسبها كل يوم، قد يقول قائل ماذا لو غامر وخسر، جوع يوم لن يقتل أحداً، أيضاً ما زلنا نحكم على الآخرين من خلال واقعنا، فهذا حكم من لم يَجُعْ يوماً!

١٧ ديسمبر/ كانون الأول

في مثل هذا اليوم من العام ٢٠٠٠م قام «مايك أندرسون» بعملية سطو مُسلَّح على أحد فروع مطعم «بيرغر كنغ» ، وبعد سلسلة من المحاكمات أصدر القاضي مذكرة اعتقال بحق «مايك» وحُكماً قضائياً بالسجن لمدة ١٣ عاماً!

«مايك» أتاه الخبر وهو في المنزل فأمسى ينتظر دخول الشرطة لاعتقاله ، ولكن مرَّتْ الأيام ولم يأتِ أحد!

ففضّل الصمت ، وبدأ حياةً جديدة ، فتح محلاً وصار رجلاً ناجحاً ، وتزوج وأنجب أربعة أطفال!

بعد مرور ١٣ عاماً صدر بحق مايك مذكرة بإخراجه من السجن لانتهاء الحُكم ليكتشفوا أنّهم لسببٍ ما نسوا أن يسجنوه أصلاً!

فتمَّ اعتقاله ، وبعد سنة من سجنه أعادوا مُحاكمته ، واطَّلع القاضي على حياته طوال الفترة الماضية ، وقال له : أنتَ رجل جيد تستحق الحرية ، عُدْ إلى بيتك وعملك!

استوقفتني عدة ملاحظات وأنا أقرأ الخبر :

١- الحياة أغرب من الخيال أحياناً ، فلو قام روائي وكتب من خياله هذه الفكرة لربما اتَّهمه البعض بعدم الواقعية وضعف الحبكة الروائية ، فأية دولة هذه التي تنسى أن تقبض على مجرم ، ثم تُصدر أمراً بإخراجه من السجن وهو ليس معتقلاً أصلاً ، تخيَّلوا أن هذا الأمر حدث في أمريكا!

٢- في كل إنسان مهما بلغ من السوء بذرة خير ، اقرأوا إن شئتم قصص المُجرمين ، وتفاصيل حياتهم ، تجدون أن البعض في مجال ما كانوا خيِّرين ، هكذا نحن البشر مزيج غريب من الخير والشر معاً!

٣- كل إنسان يستحق بداية جديدة ، لو حاولنا أن نهبه إياها لصنع المعجزات ، إن مساعدة مُتعثِّر برأيي أبلغ من صناعة إنسان من الصفر!

٤- القاضي يجب أن يكون إنساناً ، يقرأ ما بين السطور وليس الملفات التي بين يديه ، وصلّى الله على سيدنا يوم قال في حاطب بن أبي بلتعة يذكر حسنته القديمة رغم فعلته الشنيعة : إنه قد شهد بدراً!

١٨ ديسمبر/ كانون الأول

في مثل هذا اليوم من العام ١٩٨٩م ادَّعى العرَّاف والوسيط الروحاني الروسي «إي فرينكل» أنه يستطيع إيقاف القطار باستخدام الإيحاء وقدراته الروحانية الخارقة ، ولكن أحداً لم يُصدقه في ذلك اليوم ، مما اضطرَّه أن يُبرهن ذلك عملياً ، فأخذ الحاضرين إلى سكة القطار ، ووقف هناك ينتظر مجيئه ليُشير إليه بإصبعه ليتوقف ، وعندما وصل القطار أشار إليه «فرينكل» بإصبعه ، ولكن القطار دهسه وأكمل طريقه!

بداية أتمنى أن لا يكون أحد منكم قد فكَّر لِلحظة أن القطار سيتوقف بإشارة إصبع!

هناك ألعاب خفة نعم ، وهناك أشخاص بارعون في إبهار المُشاهدين بخدع يقومون بها ، أغلب ظنِّي أنها سر المهنة ولا تمُتُّ إلى القدرات الخارقة بِصِلة ، وهؤلاء في الغالب يحترمون قانون الأسباب التي وضعها الله سبحانه لهذا الكوكب ، فتجدهم يُخفون عملة معدنية بطريقة ما ، ويُخرجون من الكُم حمامة بطريقة أخرى ، ولكن هناك حمقى يعتقدون أن أحداً في هذا الكون يستطيع أن يُحوِّل قطعة القماش إلى حمامة!

الأمر لا يعدو كونه خداعاً بصرياً ، وهذا ما فعلَه سحرة فرعون مع موسى عليه السلام ، فإنّ موسى قد أوجس في نفسه خِيفة كما أخبرنا القرآن وذلك أن الخداع كان مُتقناً ، فقد خُيِّل إليه أن الحبال والعصي حيَّات تسعى ، ولكن عندما ربط الله على قلبه وأمره أن يُلقي عصاه صارت حيَّةً فعلاً أكلت حيَّاتهم عرفوا أن هذا ليس سحراً من جنس ما جاؤوا به ، لهذا آمنوا على الفور وسجدوا لله ، ولم يَرُدهم بطش فرعون عن إيمانهم هذا!

هناك سحرة كسحرة فرعون يعرفون أن مهنتهم ليستْ إلا خداعاً ، وبعضهم للأسف ينسى هذا وينساق وراء خِفة عقله بدل خِفة يده ، عموماً هناك قطار سيُصحِّح الأمر نهاية المطاف!

١٩ ديسمبر/ كانون الأول

في مثل هذا اليوم من العام ١٩٠٧م انهار «جسر كيبك» في كندا أثناء إنشائه ممّا تسبّب في قتل عدد كبير من العمال ، وبعد التحقيقات تبيَّن أن انهيار الـجسر كان بسبب التخطيط السيء من الـمُهندسين والخطأ في الحسابات منها حسابات الـحديد!

الـمُهندسون الـمتخرِّجون في كندا يحصلون على خاتم حديدي يتم وضعه في الإصبع في نهاية فترة التدريب بعد الـجامعة ، والهدف منه أن يتواضع الـمُهندسون ويتذكروا حادث انهيار «جسر كيبك» ويتذكَّروا أنهم مسؤولون عن أرواح البشر وأن أي خطأ قد يتسبَّب في حدث مأساوي آخر!

أعجبتْنِي فكرة الخاتم الـحديدي في كندا ، وذكرتني بشيء كنتُ قد قرأته سابقاً في كتاب يتحدث عن تاريخ الأشياء ، يُخبرك عن أصل كذبة نيسان ، فكرة تقديم الساعة وتأخيرها ، فكرة خطوط الطول والعرض ، بداية الـمُثلَّجات ، الرسوم الـمُتحركة ، وكثير من الأشياء الأخرى ، رحِم الله الكتاب فقد استعاره منِّي أحدهم وسافر ، على أية حال فإن الذين لم يُسافروا لم يُعيدوا إليّ كتبي حتى أنتظر أن يُعيدها الـمُسافرون!

الـمهم وبلا طول سيرة ، وعلى ذمة الراوي فإنّ القبعة التي يعتمرها الـخرِّيجون فوق رؤوسهم في حفلات التخرُّج الـجامعية تعود إلى الأندلس حيث كان الـمُسلمون هناك يُلبِسون الـمُتخرِّج قبعة وفوقها مصحف ، والهدف من هذا أن يعرف الـمُتخرِّج أمرين :

١- «فوق كل ذي علم عليم» .

٢- يجب أن يكون الـمصحف وحده فوق رأسك وبقية الأشياء تحت قدميك!

وعلى سِيرة بداية الأشياء ، عندما كانتْ لندن غارقة في الأوساخ ، كانتْ غرناطة قد وضعتْ في الشوارع حاويات قمامة ، وسجَّلتْ أول براءة اختراع في التاريخ لِعربة البلدية التي تدور على هذه الـحاويات وتقوم بإفراغها!

٢٠ ديسمبر/ كانون الأول

في مثل هذا اليوم من العام ١٩٤٧م وُلد البريطاني «جيمس دايسون» مخترع المكنسة الكهربائية!

على أن اختراع المكنسة الكهربائية التي لا يكاد يخلو منها بيت اليوم لم يكُن يسيراً كاستخدامها! ربما سمعتم بالمثل القائل : ستفشل ٩٩ مرةً وستنجح في المئة ، في الحقيقة فإن «دايسون» لم يفشل ٩٩ مرة لقد فشل **٥١٢٦** مرةً ، وفي كل مرة من مرات فشله كان يخرج أكثر إصراراً على أن ينجح ، وبعد **٥١٢٦** محاولة استمرتْ على مدى عشرين عاماً استطاع أخيراً أن يخترع المكنسة الكهربائية لتصل ثروته اليوم منها حوالي خمسة مليارات دولار!

قد يبدو للرجال أن المكنسة الكهربائية ليستْ مهمة ، ولا تستحق كل هذا الاحتفاء ، وأنا أحدهم بالمناسبة! غير أن لأُمِّي رأياً آخر ، فكثيراً ما كنْتُ أسمعها حين تنتهي من الكنس بها تقول : الله يرحم اللي اخترعها إذا كان ميتاً ، ويُطيل بعمره إذا كان حياً!

إحدى مشاكل الرجال الأزلية أنهم ينظرون إلى عمل زوجاتهم ربَّات البيوت على أنه عمل سهل وبسيط ، شخصياً كنت أعتقدُ هذا ، ولكن حدث مرةً أن ذهبتْ زوجتي إلى بيت أهلها لأمر طارئ وتركتْ عندي الأولاد ، فاكتشفتُ أننا نحتاج لعشرة رجال ليقوموا بعمل امرأة واحدة!

قرأتُ مرةً عن أحد الرفاق الرجال الذين كانوا يستهينون بعمل زوجاتهم في البيت ، ولا ينفك يُردِّد على مسامعها كلّما اشتكتْ وتأفَّفتْ : أنتِ ماذا تفعلين لتتعبي؟!

حتى قررتْ يوماً أن لا تفعل شيئاً ، فعاد إلى البيت فإذا هو ساحة حرب ، المجلى مُمتلئ بالصحون ، الغسيل على الأرض ، الأولاد يُريدون من يُذاكر لهم ، والأهم لا طعام للغداء اليوم ، فظنَّ أن خطباً ما قد حصل ، فلما سألها : ما الذي حدث؟

قالت له : لا شيء غير أني قررتُ أن لا أفعل ما تراه ليس مُتعباً!

٢١ ديسمبر/ كانون الأول

في مثل هذا اليوم من العام ١٨١٦م اخترعَ الطبيب الفرنسي «رينيه لينيك» السمَّاعة الطبية ، وقبل ذلك الوقت كان الأطباء يضعون آذانهم على صدور المرضى لسماع دقات قلوبهم!

على أن اختراع السمّاعة الطبية ينطبقُ عليه المثل العربي الشهير : رُبَّ رمية من غير رام! ففي ذلك اليوم استُدعي «رينيه» لفحص فتاة تُعاني من مرض في قلبها ، وعندما همَّ بوضع أذنه على صدرها ليسمع دَقَّات قلبها رفضتْ الفتاة ذلكً ، فالتفتَ «رينيه» حوله فوجد صحيفةً فقام بِلفِّها على شكل أسطوانة ، ووضع طرفها على صدر الفتاة والطرف الآخر عند أذنه ، وكم كانت دهشته عظيمة عندما اكتشف أنه يسمع نبضات قلبها بشكل أوضح! وما إن فرغ من فحصها حتى كانت فكرة السماعة الطبية قد اختمرتْ في رأسه ، فعاد فوراً إلى بيته ، وصمَّم بمُساعدة نجار أول سمّاعة طبية في التاريخ ، ثم تطوَّر شكل السماعة الطبية ليصل إلى الشكل الذي هو عليه!

والشيءُ بالشيء يُذكر ، فإنَّ كثيراً من القصص التي تُروى عند بداية اختراع الآلات ، واكتشاف الأشياء ليستْ على مستوى عالٍ من الدقة ، فعلى سبيل المثال فإنَّ سقوط التفاحة الشهيرة على رأس إسحاق نيوتن ممَّا أدى إلى اكتشافه قانون الجاذبية ليستْ قصة دقيقة ، فلم يروِها نيوتن في أيٍّ من كتبه ، ولم يذكرها في أي من محاضراته ، وإنما نقلها عنه بعض تلامذته الذين لازموه والأرجح أن نيوتن إنما ضَرب سقوط التفاحة كمثال بسيط على فكرة الجاذبية وليس على أنّها الشرارة التي أشعلتْ انتباهه ، وإلا فإن نيوتن كان شغوفاً بالفيزياء ، وحركة الأجرام السماوية ، وعوامل الجذب في سن مبكرة من حياته ، وعلى ما يبدو أنه اهتدى لقانون الجاذبية من خلال هذه الأشياء لا من خلال سقوط التفاحة التي لم تسقط على رأسه كما تقدَّم!

أعجبني مرةً تعريف قرأته عن الحظ يقول : الحظ هو التقاء الاستعداد مع الفرصة! إن عقل «رينيه» وشخصيته الابتكارية كانتْ مُهيَّئة للتعامل مع المُستجدات فلمَّا جاءت الفرصة تم اختراع السماعة الطبية ، وكذلك لو افترضنا جدلاً أنَ التفاحة سقطت على رأس نيوتن فالفضل لعقل نيوتن لا للتفاحة وإلا فالتفاح يسقط عن الشجر منذ فجر التاريخ ولكن الفارق أن الجميع كانوا يقولون : لقد سقطت التفاحة ، أما نيوتن فسأل : لِمَ سقطتْ التفاحة؟!

٢٢ ديسمبر/ كانون الأول

في مثل هذا اليوم من العام ١٩٤٦م وُلد أُستاذ الشطرنج وعالِم النفس التربوي الهنغاري «لازلو بولغارو» الذي كان يُؤمن أن العبقرية مُكتسبة ولا علاقة لها بالفطرة، ولإثبات وجهة نظره ألَّف كتابه الشهير «كيف تُربِّي عبقرياً؟!» وطبَّق مبادئ الكتاب على بناته الثلاث «سوزان وصوفيا وجوديت» اللواتي فُزن جميعاً ببطولة العالم للشطرنج، وتربَّعت جوديت على قائمة التصنيف العالمي لسنوات أما المركز الثاني فكان لسوزان بينما كانت صوفيا ضمن العشرة الأوائل دوماً!

في مقدمة كتابه قال لازلو: العباقرة يُصنعون ولا يُولدون! وتُعتبر تجربته على بناته واحدة من أكثر التجارب المُذهلة في تاريخ التعليم البشري!

على أن الحق يُقال أن العبقرية هي اجتماع التربية مع الاستعداد الفطري، وإلا فلماذا تفوَّقت جوديت على أُختيها وقد تربَّيا ضمن نفس الظروف وعلى نفس الخطة والمبادئ؟!

ثانياً: العبقرية أنواع وكل عبقري إنما يبرعُ في المجال الذي لديه استعداد فطري لأن يبرع فيه إذا وجد البيئة/التربية المناسبة، وكون لازلو ربَّى ثلاث بطلات شطرنج فهذا لا يعني أنَّه كان بإمكانه أن يجعلهن روائيات عظيمات، أو جرَّاحات بارعات!

المتنبي كان معجزةً في الشعر، وابن سينا كان معجزة في الطب، والشافعي كان معجزة في الفقه، والخليل بن أحمد كان معجزة في اللغة، على أن المتنبي لم يكن ليصبح طبيباً لأنه وُلد ليكون شاعراً، وابن سينا لم يكن لديه الاستعداد الفطري ليكون كالشافعي، والشافعي شيء والخليل بن أحمد شيء آخر، وليس أدل على هذا من أن الخليل الذي وضع علم العروض الذي يحكم الشعر لم يكُن شاعراً أساساً، لأن الشعر شيء والعروض شيء آخر، وامرؤ القيس وذي الرِّمّة وعنترة وعمرو بن كلثوم قالوا شعراً عظيماً قبل أن يُولد الخليل بمئات الأعوام!

الفكرة من هذا كله علينا أن ننظر إلى كل الأطفال أنهم يملكون الاستعداد الفطري للتعلُّم والنُّبوغ ولكن في مرحلة ما علينا أن نُقِر أن لكل إنسان مجاله، وحمل طفل على غير قدراته كمحاولة تعليم السمكة الطيران!

٢٣ ديسمبر/ كانون الأول

في مثل هذا اليوم من العام ١٩٩٢م وُلد البريطاني «أورلين هايمان» الذي يُعاني من حالة طبية نادرة اسمها «Hyperthemesia» والتي تجعله قادراً على تذكُّر جميع تفاصيل حياته وأي شيء رآه على مدار حياته باليوم والساعة!

يرى البعض أنّ هذه ميزة خارقة عند «هايمان» ولكني شخصياً أراها إعاقة وإن كان لها جانباً محموداً وميزة مُذهلة لا سبيل إلى نكرانها، والسبب في رأيي هذا هو أني أجده كاميرا تسجيل أكثر منه إنساناً مثلنا، فالنسيان نعمة ليس لأن ميادة الحناوي قالتْ ذلك في أغنيتها الشهيرة، ولكن لأن النسيان هو رحمة من اللهِ لعباده!

نحن نعيش لأننا قادرون على النسيان، ولولا النسيان لكانتْ الحياة البشرية جحيماً لا يُطاق!

نحن نفقد أحبَّتنا من وقت لآخر، ومع الوقت ننسى، ونتكيَّف مع الفقد، ونطوي الصفحة ونعيش، صحيح أنّ مكان الأحبة يبقى فارغاً لا يملأه أحد، ولكن تخيَّلوا حياتنا كيف ستكون لو أنّنا بقينا نتذكّر فقد آبائنا وأمهاتنا -رَحِمَ الله الأموات منهم وأطال بعمر الأحياء- أبد الدهر، كيف سنعمل، كيف سنأكل، كيف ستمضي الحياة قدماً بعد هذا!

لا يُوجد بيت إلا وتقع فيه المشاكل الزوجية، تحتدمُ الأمور، ثم تُحلُّ، ننسى الذي قلناه والذي سمعناه، ويعود الود لحاله، والحُب إلى شكله القديم، فكيف ستكون الحال لو بقينا نتذكر!

الحياة برمتها سلسلة من الآلام والنكد، تتخلَّلها أيام حلوة سعيدة، فلو بقينا نتذكر كل وجع توجَّعناه، وكل إهانة تلقيناها، وكل غدر مررنا به، وكل كلمة جارحة قِيلت لنا، لانفجرنا كالعُبوات الناسفة قبل أن نبلغ الثلاثين من العمر، ولَشِخنا ونحن في ريعان الشباب، ولكن جلَّتْ قدرة الخالق العليم الذي أبدع كل شيء في خلقه فجعلنا ننسى لنعيش!

٢٤ ديسمبر/ كانون الأول

في مثل هذا اليوم من العام ١٩١٤م أعلن الـجنود الألمان والبريطانيون عن هدنة غير رسمية رغم الـحرب العالـمية الأولى الـمُستعِرة ، أسموها هدنة عيد الـميلاد ، ولعبوا خلالها مباراةً في كرة القدم ، ثم عادوا كل إلى معسكره!

هذا هو أقـذر ما في الـحـرب ، أن تُحاول أن تقـتل إنسـاناً لا تعـرفـه ، أو يقـتلك إنسـان لا يعـرفك ، ولربما لـو التـقـيـتـمـا تحت سـمـاء أخـرى غـيـر سـمـاء هذه الـحـرب لأصبحتما صديقين!

وعن الـحرب قالوا :

- الـحرب هي أن تلتهم الأرض لحوم البشر/مانشيوس
- لم يكن هناك أبداً حرب جيدة أو سلام سيء/فرانكلين
- الـحرب هي تسلية الزعماء الوحيدة التي يسمحون لأفراد الشعب الـمُشاركة فيها/برغسون
- وسط الأسلحة تصمت القوانين/شيشرون
- الـحـرب لا تُحـدِّد مـن هـو صـاحـب الـحق ، إنما تُحـدِّد من هو البـاقي/برتراند راسل
- الـحرب همجية مُنظَّمة مهما حاولتْ التنكُّر/نابليون
- لا تبـحـثـوا عن أسـبـاب الـحـرب في براميـل البـارود وإنما في أهراءات القمح/شارل ديغول
- تذهب الأمم إلى الـحـرب لواحـد من ثلاثة أسـبـاب : الشـرف ، الـخـوف ، الـمصلحة/ثوسيديدس
- لا كرامة في الـحب ، ولا في الـحرب/هتلر
- السياسة حرب باردة ، والـحرب سياسة ساخنة/رينان
- لا تُدفع قيمة الـحرب في الـحروب ، الفاتورة تأتي لاحقاً/فرانكلين
- الـحرب أولها شكوى ، وأوسطها نجوى ، وآخرها بلوى/عنترة بن شداد

٢٥ ديسمبر/ كانون الأول

في مثل هذا اليوم من كل عام يجتمع سكان مقاطعة «تشومبيفيلكاس» في دولة «البيرو» في مهرجان يُدعى «Takanakuy» حيث يقوم السكان في هذا المهرجان ، رجالاً ونساءً ، شِيباً وشباناً ، بِحلِّ خلافاتهم القديمة بالضرب والقتال ، حيث يُنادي الشخص غريمه ، ويشرعا بالقتال لكماً وركلاً وعضاً وسط دائرة من المُشجِّعين! والهدف من هذا المهرجان هو أن يبدأ الجميع عاماً خالياً من الحقد والكراهية والخلافات!

بعيداً عن فكرة المهرجان ، وتسوية النزاعات بهذه الطريقة ، إلا أنّ فكرة إخراج الأضغان من القلوب أفضل وسيلة للصُلح والتسامح ، فإن أثقل ما يحمله الإنسان هو الكراهية!

المهرجان وإن كانت فكرته عنيفة إلا أنّه ينطلق من مبدأ جميل ويصل إلى نتيجة أجمل!

فأمَّا المبدأ الجميل ، فهو أن الجروح التي لا يتم تنظيفها لا تلتئم ، لهذا أنا دوماً مع العتاب بين الأحبة ، لأن العتاب مجلاة القلوب ، نحن حين نتعاتب فلا نصبّ الزيت على النار ، على العكس تماماً نحن نُطفئها ، ولكنَّنا نتعاتب لا كي نأخذ حقنا ، أحياناً نحن لا نعاتب إلا الذين نُريد الاحتفاظ بهم ، لهذا فالعتاب ليس لأجل الماضي ، وإنَّما لأجل المستقبل ، لأننا لا نُريد أن نتوجَّع بذات السبب مرةً أخرى ، ما يبدو لكَ عادياً قد يجعلني بركاناً يغلي من الداخل يتحيَّن لحظة انفجار ، وما أراه أنا عادياً قد يُغضبك ، لهذا فإنَّ العتاب لأجل التصافي يضع حداً للمُستقبل ، يجعلنا أكثر حذراً ومراعاةً لمشاعر الذين نُحبهم ، أما الذين لا نُريد الاحتفاظ بهم فلا نتيجة تُرجى من المُعاتبة ، لُملِم جروحك وامضِ ولا تسمح لهم أن يقتربوا مسافة تسمح لهم بالطعن مرةً أخرى!

وأمَّا النتيجة الجميلة ، فهي البداية من جديد بنفسيةٍ بيضاء ، وقلبٍ مُتسامح ، المشاكل العالقة كالعُبوات الموقوتة لا يدري أحد متى تنفجر وتُطيح بالناس ، وكالجمر تحت الرماد قد يشبُّ حريقاً مهولاً بين لحظة وأخرى ، نزع فتيل الأزمات ، أفضل طريقة لحِلِّها ، الأطباء الشعبيون لا يضعون المراهم والدهون على الدمامل إنما يفقؤونها!

٢٦ ديسمبر/ كانون الأول

في مثل هذا اليوم من العام ١٨٨١م وُلد «هانس ويلزدروف» مُؤسِّس ساعات «روليكس» الشهيرة!

في الحقيقة لا أحد يعرف ما معنى «روليكس»، وعندما سُئل هانس عن معناها قال: لقد امتطيتُ حصاني ذات يوم، وسمعتُ صوتاً يهمسُ في أُذني ويقول «روليكس» فأسميتُها كذلك!

لم يكن أحد يعرف ماركة «روليكس» أول الأمر، كانتْ ماركة عادية حتى العام ١٩٢٧م عندما قامتْ امرأة بعبور بحر المانش سباحةً وانبهر الناس أن ساعتها لا تزال تعمل!

ساعات «روليكس» ربما تكون الأكثر فخامةً والأغلى سعراً، ولكن المُدهش أنها تُدار عن طريق مُؤسَّسة غير هادفة للربح! فالأرباح تذهبُ لتطوير الشركة، ورواتب الموظفين، والأعمال الخيرية! تربح «روليكس» أربعة مليارات دولار في العام ولا تذهب هذه المبالغ لأحد بل يُعاد تدويرها في مشاريع خيرية كالإنفاق على التعليم، والصحة، وبناء بيوت للفقراء، ومُساعدة الدول الفقيرة في البنية التحتية، والتبرُّع لدور العجزة والمُسنِّين!

ذكَّرتني شركة «روليكس» بالأوقاف التي جاء بها الإسلام، وتلقَّاها المُسلمون بالقبول وأنفقوا فيها من باب التكافل الاجتماعي والصدقة الجارية، وقد قرأتُ كتاباً عن الأوقاف في الإسلام، فأذهلني بعض ما جاء فيه!

* أقام أحدهم وقف «النساء الغاضبات» وهو أشبه بفندق ضخم فاخر، إذا تخاصمتْ المرأة مع زوجها وأرادتْ أن تخرج من البيت وليس لها أهل تذهب إليهم، أو أنها لا تُريد إدخالهم في مشكلتها، تذهب إليه مُعزَّزة مُكَرَّمة، تُقيم مجاناً، ريثما تهدأ الأمور، وتعود المياه إلى مجاريها!
* وأقام أحدهم وقف «الصحون المكسورة» وفكرته أنه إذا قام عبد أو أَمَة بكسر طبق في البيت وغضب السيد، يقوم من قام بكسر الصحن بالذهاب إلى الوقف وإحضار واحد مشابه له مجاناً بدل أن يدفع ثمنه، أو ينزل به سخط السيد!

على أنَّ حل المشاكل في البيت أفضل، والعفو عن الخدم أمر نبيل، إلا أن المشاكل تحصل لهذا كانت الأوقاف!

٢٧ ديسمبر/ كانون الأول

في مثل هذا اليوم من العام ١٩٩١م وُلد الليتواني «لوكاس يلا» وفي العام ٢٠١٦م هاجر إلى أمريكا بحثاً عن فرصة عمل هناك!

كان لوكاس متأكداً أن التنافس الشديد على الوظائف التقنية في سان فرانسيسكو ستجعل فرصة حصوله على مقابلات عمل شبه مستحيلة، فقرَّر أن يكون مُبتَكِراً، ويُفكِّر خارج الصندوق!

تنكَّر لوكاس في زي رجل بريد، وقام بتوصيل سيرته الذاتية لعدة شركات مُخبَّأة في «علب دونات»، كل علبة باسم الشخص المسؤول حتى يتأكَّد من وصولها إليه، وكتب عليها من الداخل: مُعظم السِّيَر الذاتية تنتهي في القمامة، سيرتي الذاتية ستنتهي في معدتك!

في اليوم التالي حصل لوكاس على عشر مُقابلات للعمل!

أحياناً على المرء أن يُغيِّر أسلوبه ليصل إلى مبتغاه، الأساليب المُكرَّرة تجعل من الجميع نسخة واحدة، وهكذا يذهب الصالح بعزاء الطالح، فالكثير من السِّيَر الذاتية التي تُرسل فيها مبالغات تجعلك تعتقد أن الشخص يصلُح لإدارة المجموعة الشمسية لفرطِ ما كتب عن قُدراته وإمكاناته بينما على أرض الواقع لو التقيْتَهُ وكنتَ تبحث عن راعٍ لخمسة خِراف ما أوكلتَ له مهمة رعايتها!

الكثير منَ الكلام كان من المُمكن أن يصل إلى القلب، لو قِيل بطريقة أخرى، وفي هذا يقول مارك توين: لو قلتَ إن نصف العالم لصوص لغضب منك الجميع، ولو قلتَ نصف العالم ليسوا لصوص فلن يغضب منك أحد، مع أن المعنى واحد!

رأى ملك في منامه أن أسنانه سقطت بين يديه، فأحضر مُعبِّراً، فقال له: سيموت جميع أقاربك وأنتَ تنظر إليهم! فأمر الملك بسجن المُعبر!

وأحضر ثانياً، وقصَّ عليه رؤياه، فقال له: سيموت جميع أقاربك وأنتَ تنظر إليهم! فأمر بسجنه أيضاً!

فأحضر الثالث، وقص عليه رؤياه، فقال له: رؤيا جميلة يا مولاي ستكون أطول أهلك عمراً!

فشعر الملك بالسعادة، رغم أن التأويل هو نفسه، فما دام سيكون أطول أهله عمراً فلا بد أن يموتوا قبله!

٢٨ ديسمبر/ كانون الأول

في مثل هذا اليوم من العام ١٨٤٩م قام ملك إيطاليا «فيكتور إيمانويل الثاني» بقص إظفر رجله الكبير وأعطاه للصائغ ليُبَروِزه بالذهب ويُرصِّعه بالألماس ، ثم أهداه إلى حبيبته!

عندما قرأتُ الخبر لم أجد أية رائحة للحُب والرومانسية في فعلة الملك هذه ، على العكس إنها فعلة غطرسة وعنجهية ، وكأنه يقول لها : احمدي الله أني قررتُ أن أحبكِ!

هناك أشخاص كثر ينظرون إلى أنفسهم على أنهم آخر حبة في هذا الكون وأن على الآخرين أن يكونوا مُمتنين لوجود هذا الإنسان النادر في حياتهم ، مع أني أقترح أن نُقيم محمية نضع فيها هؤلاء المُهدَّدين بالانقراض حفاظاً عليهم ، وحفاظاً على كراماتِ الناس من التعامل معهم!

على أية حال يبقى فيكتور ملكاً ، والعز والأنفة والاستعلاء من شيَم الملوك منذ فجر التاريخ وقلَّما نجا منه أحد ، وإنه إن تكبَّر وتغطرس فإنني قد أتفهَّم وضعه ، فإنَّ السُّلطة والمال مَفسَدة للرجال ، أما ما لا يمكن لي تفهمه بأي حال من الأحوال هو أنك ترى الرجل المنتوف لا مالاً ولا علماً ولا هيئةً يتصرَّف كأنه مُدير كوكب الأرض والكواكب المُجاورة!

وفي الحديث الشريف «ثلاثة لا يُكلِّمهم الله يوم القيامة ، ولا يُزكِّيهم ، ولا ينظر إليهم ، ولهم عذاب أليم ، شيخ زانٍ ، وملك كذاب ، وعائل مستكبر»!

فأمَّا الشيخ الزاني فالعِلَّة أن كبر السن هو زمن فتور الشهوة ، وأنه يُفهم سبب إقبال الشاب على الفاحشة على حُرمتها ، ولكن الشيخ الزاني جمع المتضادات : الفاحشة مع قلة استعارها في جسمه!

والملك الكذاب فالعبرة أن الكذب يُفهم للتخلُّص والنجاة من العقوبة على حُرمته ، أما الملك فمن يخاف ليكذب!

والعائل المُستكبر أي الفقير فالعلة أن المال مدعاة للتكبر ، ولكن الفقير المُتكبِّر ينطبق عليه مثل جدتي رحمها الله : «ناس تُحب الكُبرة ولو على خازوق»!

٢٩ ديسمبر/ كانون الأول

في مثل هذا اليوم من العام ١٩٧٢م دخلتْ طبيبة الأسنان الألمانية «فيرونيكا سايدر» موسوعة غينيس للأرقام القياسية كصاحبة أقوى بصر في تاريخ البشرية، حيث كان بإمكانها أن تُميِّز وجوه الأشخاص من مسافة ٢ كلم!

على أن العرب تروي أخباراً مُذهلة عن قوة إبصار زرقاء اليمامة، حيث كان بإمكانها رؤية الأشياء من مسافة خمسين كلم تقريباً! وتضربُ بها العرب المثل في قوة بصرها حيث تقول: «أبصر من زرقاء»!

واليمامة اسمها، وزرقاء لأن عيونها كانتْ زرقاء، ثم سُميت مدينتها باليمامة تخليداً لذكرها، وكان اسمها الأول جوّ، وفي هذا يقول المتنبي مفتخراً بنفسه:

وأبصرُ من زرقاء جوٍّ لأنني
إذا نظرتْ عيناي ساواهما علمي

وخبر زرقاء اليمامة أنّ الملك حسان لّما سار نحو جُديس التي تقع فيها مدينة جو، قال له رياح بن مُرة: أيها الملك إن لي أُختاً متزوجة في جُديس اسمها اليمامة، زرقاء العيون، ترى الشخص من مسيرة يوم وليلة، فأخاف أن ترانا فتُنذر القوم بنا، فمُرْ أصحابك ليقطعوا أغصان الأشجار ويتستروا بها!

فأمر الملك جيشه أن يصنعوا هذا، ولكن اليمامة رأتْهُم، وقالتْ لقومها: ما يمشي الشجر ورب الكعبة، هذا حسان قد جاءكم بجيشه!

فلم يُصدِّقها من أهل المدينة أحد!

فلما داهمهم حسان قال لها: ماذا رأيتِ؟

فقالتْ: الشجر ومن خلفها البشر!

فأمر بقلع عينيها، فإذا هي محشوة بالإثمد، وهو نوع من أنواع الكحل كانتْ تعرفه العرب، وبهذا جاءتْ السنة الشريفة، حيث قال رسول الله ﷺ: «إنّ خير أكحالكم الإثمد فإنه يجلو البصر ويُنبتُ الشّعر»!

٣٠ ديسمبر/ كانون الأول

في مثل هذا اليوم من العام ١٩٧٢م بدأ عرض فيلم «العرَّاب» الشهير ، لاقى الفيلم رواجاً هائلاً يومها ، واستطاع الممثل الشهير «مارلون براندو» أن يتفوَّق على نفسه في دور «الدون فيتو» الذي لعبه في الفيلم ، كان أداؤه ساحراً بإجماع النقاد السينمائيين ، لهذا لم يكن مُسْتَغْرَباً أن يفوز في العام التالي بجائزة الأوسكار كأفضل ممثل عن دوره في الفيلم!

ولكن المفاجأة كانتْ أنَّ «مارلون براندو» رفض تسلُّم الجائزة احتجاجاً على معاملة الشعب الأمريكي للهنود الحمر وإظهارهم بصورة سيئة في أفلام هوليوود . ولم يكتفِ برفض الجائزة في مؤتمره الصحفي وإنما أرسل فتاةً من الهنود الحُمر لترفض الجائزة نيابة عنه يوم توزيع الجوائز ، وألقتْ خطاباً قصيراً مُؤَثِّراً عن العنصرية التي يُواجهها الهُنود الحُمر في أمريكا عموماً وفي ثقافة الأفلام خصوصاً!

صحيح أن «مارلون براندو» لم يستلمْ جائزة الأوسكار ، ولكنَّه استلم جائزة الإنسانية مع مرتبة الشرف ، فليس حُراً من يرى إنساناً يُهان أمامه ويقف متفرجاً وبإمكانه أن يقول كلمة حق!

يقول علي شريعتي : إذا لم تستطع رفع الظُلم فأخْبِرْ الآخرين عنه على الأقل!

وهذا بالضبط ما فعله «براندو» ، إنَّ رفضه للجائزة لم يُغيِّر الواقع فوراً ، ولكنه سلّط الضوء على مُشكلة العُنصرية في أمريكا ، فبرفضه للجائزة وانحيازه إلى المظلومين حرَّك الرأي العام المحلي والعالمي تجاه هذه القضية!

لن تصل إلى قمة الإنسانية إلا إذا رفضتَ الظلم الذي يقع على الآخرين تماماً كما لو أنه واقع عليكَ شخصياً ، إن ثقافة «أنا بخير فليذهب الآخرون إلى الجحيم» هي ثقافة أنانية ، وسلوك حيواني هدفه البقاء لا أكثر ، ثمة شيء أثمن من العمر كله ، إنها المبادئ ، والطريق التي يسير عليها الإنسان في حياته!

٣١ ديسمبر/ كانون الأول

في مثل هذا اليوم من العام ١٥٠٢م تمَّ استدعاء النحات الذائع الصيت «مايكل أنجلو» من روما حيث كان يعيش إلى مدينة فلورنسا والسبب أن قطعة رخام كبيرة جداً قد تمَّ جلبها إلى كنيسة «سانتا ماريا» لتكون تمثالاً ضخماً ولكن نحاتاً هاوياً كان قد أحدث في الصخرة ثقباً بحيث يستحيل نحت تمثال منها لأن القدم ستبدو مبتورة ، ولهذا بالضبط اُستدعي مايكل أنجلو فإن لم يفعلها هو فلن يفعلها أحد آخر على كوكب الأرض!

حضر مايكل أنجلو ، وألقى نظرة على الصخرة ، ثم قال : يُمكن عمل شيء عظيم من هذه الصخرة!

ولكن عمدة المدينة لم يكن راغباً بالعمل على عكس مجلس شيوخ المدينة فحاول ثنيه ، ولكن مايكل أنجلو لم يكن من عادته أن يرجع في تحدياته ، وقد أصبح الأمر تحدياً!

بعد شهرين من العمل المتواصل استطاع مايكل أنجلو أن يَنتهي من تمثال داود وهو يحمل مقلاعه في تصويره للمعركة الشهيرة التي قتل فيها جالوت! كان التمثال -وما زال من ناحية فنيّة بحتة- آية من آيات النحت ، غير أن العمدة عندما رآه قال إن الأنف يبدو كبيراً!

انتبه مايكل أنجلو إلى أن العمدة يقف تحت التمثال مباشرة ، لهذا لم يفعل شيئاً غير أنه أشار بيده إلى العمدة أن يتبعه إلى أعلى ، وصل مايكل قبل العمدة بدقيقتين ، والتقط حفنة تراب من التراب المُتساقط على الأرض من النحت ، ومثَّل أنه يقوم بتعديل الأنف ، وعندما وصل العمدة ، نثر مايكل التراب من يده وقال له تمَّ إصلاح الأمر ، عندها قال العمدة : الآن يمكن القول أن التمثال صار رائعاً!

النحت على هيئة شيء فيه الروح حرام بالإجماع ، ولكننا نريد الدرس من الحادثة!

الدرس الأول : يلجأ كثير من المُدراء لإعطاء ملاحظات من باب أنا موجود!

الدرس الثاني : لا بأس أن تُشعِر هؤلاء أنهم موجودون فعلاً!